Commentaire du Coran (sourates 1 à 17)

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

BnF Gallica

Commentaire du Coran (sourates 1 à 17).

1/ Les contenus accessibles sur le site Gallica sont pour la plupart des reproductions numériques d'oeuvres tombées dans le domaine public provenant des collections de la BnF. Leur réutilisation s'inscrit dans le cadre de la loi n°78-753 du 17 juillet 1978 :
- La réutilisation non commerciale de ces contenus est libre et gratuite dans le respect de la législation en vigueur et notamment du maintien de la mention de source.
- La réutilisation commerciale de ces contenus est payante et fait l'objet d'une licence. Est entendue par réutilisation commerciale la revente de contenus sous forme de produits élaborés ou de fourniture de service.

CLIQUER ICI POUR ACCÉDER AUX TARIFS ET À LA LICENCE

2/ Les contenus de Gallica sont la propriété de la BnF au sens de l'article L.2112-1 du code général de la propriété des personnes publiques.

3/ Quelques contenus sont soumis à un régime de réutilisation particulier. Il s'agit :

- des reproductions de documents protégés par un droit d'auteur appartenant à un tiers. Ces documents ne peuvent être réutilisés, sauf dans le cadre de la copie privée, sans l'autorisation préalable du titulaire des droits.
- des reproductions de documents conservés dans les bibliothèques ou autres institutions partenaires. Ceux-ci sont signalés par la mention Source gallica.BnF.fr / Bibliothèque municipale de ... (ou autre partenaire). L'utilisateur est invité à s'informer auprès de ces bibliothèques de leurs conditions de réutilisation.

4/ Gallica constitue une base de données, dont la BnF est le producteur, protégée au sens des articles L341-1 et suivants du code de la propriété intellectuelle.

5/ Les présentes conditions d'utilisation des contenus de Gallica sont régies par la loi française. En cas de réutilisation prévue dans un autre pays, il appartient à chaque utilisateur de vérifier la conformité de son projet avec le droit de ce pays.

6/ L'utilisateur s'engage à respecter les présentes conditions d'utilisation ainsi que la législation en vigueur, notamment en matière de propriété intellectuelle. En cas de non respect de ces dispositions, il est notamment passible d'une amende prévue par la loi du 17 juillet 1978.

7/ Pour obtenir un document de Gallica en haute définition, contacter
utilisationcommerciale@bnf.fr.

ARABE
5385

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

Arabe 5385

Volume de 339 Feuillets
11 Novembre 1896.

[illegible]

[illegible] وبهم بن نسعى [illegible] واسعاع [illegible] الاسم الاعلى

وقد [illegible] عليه وحده واصله سمو [illegible] كل اسما

[illegible] واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية

تنويه بالمسمى واشارة الى ذكره وحذفت الالف في الخط واثبتت

في قوله اقرا باسم ربك لانه اجتمع فيها مع انها تسقط في اللفظ

[illegible] استعمال [illegible] الباء [illegible] وقال عمر بن عبد

العزيز لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله

الاله [illegible] الناس [illegible] الا [illegible] حذف الهمزة [illegible]

[illegible] الاسم [illegible] الناس اصله

[illegible] حرف التعريف والله من

اسماء [illegible] غلب على

[illegible] غلب على [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] شي الله [illegible]

[illegible] تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible] الاشتقاق [illegible] الاسم

[illegible] العقل وقيل معنى

[illegible] الضعفاء [illegible] صيغة

[illegible] معنى [illegible]

[illegible]

[illegible] الصحيح

[illegible]

[illegible] لانه لم [illegible] ويتخلق [illegible]
[illegible] اكل الفعل اكثيرة ومعظم من [illegible]
حال ومنهم من يجعل كل حال [illegible] الاول والثاني [illegible]
[illegible] وصفته [illegible] كل شي [illegible]
عضبا وكذا الرحيم [illegible]
من الرحمن الرحيم لان في الرحيم زيادة والحكمة [illegible]
زيادة [illegible] زيادة المعنى [illegible] في الدعا
بالرحمن الدنيا لانه يعم المومن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص
المومن وقالوا الرحمن خاص تسميته لانه لا يوصف به غيره
عام معنى لما بيناه والرحيم بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص
المومنين كذا قدم الرحمن وان كان ابلغ والقياس الترقي
من الادنى الى الاعلى يقال فلان عالم نحرير لانه كالعلم لما لا يوصف
به غير الله ورحمة الله انعامه على عباده واصلها
العطف [illegible]
لا [illegible]
[illegible] من [illegible] ان الشي [illegible]
[illegible] ان الشي [illegible]
الحمد الوصف بالجميل على [illegible] وهو [illegible] بالابتدا واصله
النصب [illegible] على انه من المصادر [illegible]
بافعال مضمرة في معنى الاخبار [illegible]
عن النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر
لله واللام يتعلق بمحذوف اي [illegible] وقيل المدح [illegible]
اخوان وهو الثنا والندا على الجميل من نعمة وغيرها [illegible]
الرجل على انعامه وصورته على [illegible] عنه وحسبه واما الشكر
فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال
افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا [illegible]
باللسان وحده [illegible] شعبة الشكر ومنه الحديث الحمد
راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وجعله راس الشكر

2

لان ذكر النعمة باللسان اشيع لها من الاعتقاد واداب الجوارح
لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد
الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح [illegible] على ما هو له من
اوصاف الكمال [illegible]
ثنا على ما هو منه من [illegible] والحمد يشملهما [illegible]
واللام فيه للاستغراق [illegible]
باسم الله لانه اسم [illegible] معاني [illegible]
[illegible]
[illegible] الرب المالك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
مع [illegible]
[illegible] وهو اسم الله الاعظم
والعالم [illegible] الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض
[illegible] الله [illegible]
وانما جمع بالواو والنون مع انه [illegible]
في حكمها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وجرى واما اياك ونحوه فجاءت الاضافة حقيقة فجاء ان
يكون معلوما للمعرفة وقدر الاوصاف التي اجريت على الله
سبحانه وتعالى من كونه ربا مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها
ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص
الحمد به دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد حقيقا بالحمد
والثناء عليه اياك نعبد واياك نستعين ايا عند الخليل وسيبويه
اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من
الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر مضاف اليه لانه بمثابة المظهر
لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكماله اسم
وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة
وهي اقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدول
عن الغيبة الى الخطاب للالتفات ويكون تارة من الغيبة الى
الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله الله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك
بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة
ذي العائر الارمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود
في البعث في الابيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءك والعرب
يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب
الى اسلوب ادخل في القبول عند السامع واحسن تطرية
لنشاطه واملا باستلذاذ اصغائه وقد تختص مواقعه
بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق المهرة والعلماء النحارير
وقليل ما هم ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد
والثناء واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم
عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة

ويحمد له في الآخرة المخاطب به المبهم بالمقام فقيل اياك يا من
هذه صفاته نخص بالعبادة ونستعين وقدمت العبادة على الاستعانة
لان تقديم الوسيلة قبل الحاجة ادعى الى الاجابة وليتطابق ما
في رؤوس الآي وان كان الاوفق لا يعدو على الاستعانة
ليتناول كل مستعان فيه ويجوز ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه
على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب
من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم
اي ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى اعود اليك اي
اثبت على ما انت عليه او اهدنا في الاستقبال كما هديتنا
في الحال وهدى يتعدى الى مفعول بنفسه واما تعديه الى الثاني
احسن فجاء متعديا اليه بنفسه كقوله اهدنا وجاء متعديا
باللام وبالى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هداني ربي الى صراط
مستقيم والصراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط
السابلة ولذلك سمي لقما والصراط من قلب السين صادا لتجانس
الطاء في الاطباق اي الصاد والضاد والطاء والظاء حروف الا
طباق وقد يشم الصاد صوت الزاي لان الزاي الى الطاء اقرب لانهما
مجهوران وهو قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن
وهو الاصل والكسائي والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة
قريش وهي الثابتة في الامام ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل
والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت
عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل وفائدته
التوكيد والاشعار بان الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين
ليكون ذلك شهادة له بالاستقامة على ابلغ
وجه واكده والمنعم عليهم المسلمون او الانبياء عليهم السلام وقوم موسى
من قبل ان يغيروا غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من
الذين انعمت عليهم يعني ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب
الله والضلال او صفة للذين يعني انهم جمعوا بين النعمة

المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال
واما اتساع وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالاضا
فة لانه اذا وقع على متضادين كان معرفة فتبين تعرفه
بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم
والمغضوب عليهم متضادان وقال ابن كثير نصبه من
النكرة لانه لم يرد به قوم باعيانهم وغير المغضوب عليهم وهي
من المعرفة للتخصيص الحاصل له بالاضافة فكل واحد منهما
فيه ابهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهما
دما ولي محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على
الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من العصاة وانزال
العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على
من تحت يده وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من
لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى
قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكو
فيين بمعنى غير امين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما
ان رويد اسم للفعل الذي هو امهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل وهو
مبني وفيه لغتان مد الفه وقصره وهو لا مدخل له في الاشتقاق
الشاعر ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما
بيننا بعدا وقال عليه السلام لقنني جبريل امين عند فراغي
من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وليس من
القران بدليل انه لم يثبت في المصاحف والله تعالى اعلم بالصواب

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست وسبع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ونظائرها اسماء مسمياتها الحروف
المبسوطة التي منها ركبت الكلم فالالف تدل على اوسط حروف
قال واللام تدل على الحرف الاخير منه وكذلك الم ما اشبهها
ليدل على انها اسماء ان كل اسم منها يدل على معنى في نفسه ويتصرف

بالامالة

بالامالة والتفخيم والتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف
به وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسما حيث لا يمسها
اعراب لفقد مقتضيه وقيل شبيهة بالالفاظ الاصوات نحو غاق
في حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على انها اسما السور وقال ابن
عباس رضي الله عنهما اقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضي
الله عنه انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذي لا يعلمه
الا الله وما سميت معجمة الا لاعجامها وابهامها وقيل ورود هذه
الاسما على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدى بالقران وكالتحريك
للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد تحدوا به واعوزهم كلام منظوم من
عين ما ينطقون به كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا
انه لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر عجزهم عن ان ياتوا بمثله
بعد التحدي المتطاولة وهم امرا الكلام الا لانه ليس من كلام
البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهو المقول من الكلام
الخلاصة الفصحا اهل وقيل انما وردت السور معدودة بها
ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعجاز
وتقدمة من دلائل الاعجاز وان النطق بالحروف انفسها
كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب
بخلاف النطق باسامي الحروف فانه مختص بمن خط وقرا وخالط
اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا من الامي التكلم بها استبعاد
الخط والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن
ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القران
التي لم تكن قريش ومن دان بدينهم في شيء من الاحاطة بها في ان
ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته واعلم
ان المذكور في الفواتح نصف اسامي حروف المعجم وهي الالف
واللام والميم والصاد والراء والطاء والهاء والياء والعين
والكاف والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة
على عدد حروف المعجم وهي مشتملة على انصاف اجناس الحروف

من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن
المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف
والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف
ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين
والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن
المنفتحة نصفها الالف والميم والراء والكاف والهاء والعين
والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها
القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام
والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم ان المذكور من هذه
الاجناس مكثورة بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشيء
ينزل منزلة كله فكان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ
التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم
والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة على السور لان اعادة
التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير اوصل الى الغرض وكذا
كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس
وتقريره ولم تجئ على وتيرة واحدة بل اختلفت اعداد حروفها فوردت
ص وق ون وطه ويس وحم والم والر وطسم والمص
والمر وكهيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة
واربعة وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام وكما ان ابنية
كلامهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف فسلك بالفواتح
هذا المسلك والم آية حيث وقعت وكذا المص آية والمر
لم تعد آية وكذا الر لم تعد آية في سورها الخمس وطسم
آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية
وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية
وص وق ون لم تعد آية وهذا عند الكوفيين
ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية وهذا علم توقيفي لا مجال
للقياس فيه كمعرفة السور والوقف على جميعها وقف التمام
اذا حملت

اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك
اذا لم تجعل اسماء ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت
وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله الم الله اي هذه الم ثم
ابتدأ فقال الله لا اله الا هو ولهذه الفواتح محل من الاعراب
فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام
ويكون الرفع على الابتداء او النصب او الجر لصحة القسم بها
وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء
للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل
المبتدأة وللمفردات المتعددة **ذلك الكتاب** اي ذلك الكتاب
الذي وعدوا على لسان موسى وعيسى عليهما السلام وذلك
اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث
وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك في معناه
ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه بالتذكير وان كان صفته
فالاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به
الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك
الشخص فعل كذا ووجه التأليف ذلك الكتاب مع الم
ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ
ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك
هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص
كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون
في الرجال من خصال الكمال وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف
اي هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم
بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب
المنزل هو الكتاب الكامل **لا ريب** لا شك وهو مصدر رابني اذا
حصل فيه الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها
ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة وان الصدق طمأنينة اي يكون الامر مشكوكا فيه مما
تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له

وتشكك ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشغل
القلوب من نوائبه وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد
ارتاب فيه كثير لأن المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه
من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي الدلالة
لمرتاب أن يقع فيه لا أن أحدا لا يرتاب فيه وإنما لم يقل لا فيه
ريب كما قال لا فيها غول لأن المراد في إيلاء الريب حرف
النفي نفي الريب عنه وإثبات أنه حق لا باطل كما يزعم
الكفار ولو أولي الظرف لقصد بعض وهو أن كتابا
آخر فيه ريب لا فيه كما في قوله لا فيها غول فيه تفضيل
خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها
هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا
على لا ريب ولا بد للواقف أن ينوي خبرا والتقدير لا ريب فيه
فيه هدى بإشباع كل هاء كناية متحرك ما قبله وافقه حفص في
فيه مهانا وهو الأصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره
وكما لا يقال في داره ومن عنده وجب أن لا يقال فيه قال سيبويه
ما قاله يؤدي إلى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن الياء قبل
الهاء والهاء والياء بعد الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة
لأن الهاء خفيفة فالحق في حيز بين الساكن والياء بعدها والهدى
مصدر على فعل كالبكا وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل
وقوع الضلالة في مقابلته في قوله أولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وإنما قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون
لأنه كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب
الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا
الصراط المستقيم ولأنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس
التقوى متقين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه
وكقول ابن عباس رضي الله عنهما إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه
يمرض المريض فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا
ولم يقل هدى للضالين لأنهم فريقان فريق علم بقاؤهم

على

على الضلالة وفريقا علم أن مصيرهم إلى الهدى وهو هدى
لهم فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصا
ئرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع أن فيه تصديرا للسورة التي هي
أول الزهراوين بذكر أولياء الله والمتقي في اللغة
اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى وفاؤها واو ولامها ياء فإذا
بنيت منه افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها في التاء الأخرى ومعنى
المتقي الوقاية فرط الصيانة وفي الشريعة من يقي نفسه تعاطي
ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك ومحل هدى الرفع لأنه
خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو النصب على الحال
من الهاء في فيه والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يقال إن قوله
الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين
رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها
متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية
آخذا بعضها بعنق بعض والثانية متحدة بالأولى معتنقة لها
وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام أولا
المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف
من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل
مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم
فيم لذتك قال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا
ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم
الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم
لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق
ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف
والرمز وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما
في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر

الذي هو يهدي موضع الوصف الذي هو هدى وكان بعينه هداية
وإشادة منكرًا بعينه إشعار بأنه هدى لا يكتنه كنهه وربما
جاز في ذي التنقيح كما مر الذين في موضع رفع أو نصب على
المدح أو هم الذين يؤمنون أو هو مبتدأ وخبره أولئك على
هدى أو جر على صفة المتقين بمعنى صفة وإرادة بيانًا وكشفًا
للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما أسست
عليه حال المتقين من الإيمان الذي هو أساس الحسنات والصلاة
والصدقة فهما أم العبادات البدنية والمالية والمعيار على
غيرهما ألا يرى النبي صلى الله عليه وسلم سمى الصلاة عماد الدين
وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة
قنطرة الإسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات
ولذا اختصر الكلام بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو
كالعنوان الجامع مع ما في الكلام من الإفصاح عن فضلهما على العبادات تس
أو صفة مفردة مع المتقين تقييد عن فائق تقارن قولك
زيد الفقيه المتكلم الطبيب فيكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون
السيئات يؤمنون يصدقون وهو افتعال من أمن وقولهم
أمنه إذ صدقه حقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وتعديته
بالباء لتضمنه معنى اعترف وأعترف بالغيب بما غاب عنهم مما أنبأهم
به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور البعث والنشور والحساب
وغير ذلك فهو مصدر الغائب تسمية بالمصدر من قولهم الباء
على هذا إن جعلته صلة للإيمان وإن جعلته حالًا كان بمعنى
الغيبة والخفاء يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين
بالغيب والإيمان الصحيح أن تقر باللسان وتصدق بالجنان والعمل
ليس بداخل في الإيمان ويقيمون الصلاة يؤدونها فعبر عن
الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت
وهو القيام وبالركوع وبالسجود والتسبيح لوجودها فيها
أو أريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود إذا قومه
أو الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق إذا نفقت

لأنه إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه إليه
الرغبات وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب
فيه والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو
على لفظ المفخم وحقيقته تحريك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك
في ركوعه وسجوده وقيل للداعي مصلٍ تشبيهًا في تخشعه بالراكع
والساجد ومما رزقناهم أعطيناهم وما بمعنى الذي ينفقون
يتصدقون أدخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه
وقدم المفعول للاهتمام وللدلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه
بالصلاة التي هي أختها أو هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير
لمجيئه مطلقًا وأنفق الشيء وأنفده أخوان كنفق الشيء ونفد
وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فهو دال على معنى الخروج والذهاب
هاب وجه الدلالة على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف
الصلاة والزكاة على الإيمان والعطف يقتضي المغايرة والذين
يؤمنون هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضي الله عنه
وأضرابه من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا
بالآخرة إيقانًا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة
إلا من كان هودًا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة معدودات
ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين
وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قال هدى للمتقين
وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك والمراد بهم وصف الأولين
ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع
والجواد وقوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه بما أنزل إليك يعني
القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذي سبق إنزاله وقت
إيمانهم لأن الإيمان بالجميع واجب وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن
كان بعضه مترقبًا تغليبًا للموجود على ما لم يوجد ولأنه إذا كان
بعضه نازلًا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وما

انزل من قبلك يعني سائر الكتب المنزلة على النبيين وبالآخرة هم
تانيث الاخر الذي هو ضد الاول وهي صفة والموصوف محذوف
وهو الدار بدليل تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة
وكذا الدنيا وعن نافع انه خففهما بان حذف الهمزة والقى
حركتها على اللام هم يوقنون الايقان اتقان العلم بانتفاء
الشك والشبهة عنه اولئك على هدى الجملة في موضع الرفع
ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدا او لا محل لها ويجوز ان يجري
الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك
خبره ومحل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريض باهل الكتاب
الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظا
نون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله
ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم
عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه
ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا به في قولهم جعلوا
الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اي او نحوه من عنده وتنكير هدى ليفيد ضربا مبهما
لا يبلغ كنهه كانه قيل على اي هدى ونحوه لقد وقعت على
لحم اي لحم عظيم واولئك هم المفلحون اي الفائزون بما طلبوا
الناجون عما هربوا والفلاح درك البغية والمفلح الفائز ب
بغية فكانه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب
دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلي وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين
المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم
ثم فكانت مقررة للاولى وهي من العطف بمعزل وهم فصل وفايدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب
ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا

والمفلحون

والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك وفي تكريره من الله
عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد
على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وفيه تنبيه على انهم
كما ثبت لهم الاثرة بالهدى يعني ثابتة لهم بالفلاح وتعريف
المفلحين فيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك
انهم يفلحون في الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل
بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته
وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في
طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم زينا بلباس
التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة ولما
ذكر اولياءه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى وبين ان الكتاب هدى
لهم ثنى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع
فيهم الهدى بقوله ان الذين كفروا الكفر ستر الحق بالجحود
والتركيب دال على الستر ومنه قيل للزارع كافر وكذا الليل ولم يات
بالعاطف هنا كما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي
جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة لذكر الكتاب وبيان الاخبار
عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار فكان بين
الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه ولعل
كان مبنيا على تعدد قوم كان الجاري عليه والمراد بالذين كفروا
اناس باعيانهم علم الله انهم لا يؤمنون كابي جهل وابي لهب
واضرابهما سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
كونهم وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه
قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء اي مستو به وارتفاعه على انه
خبر ان وانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع على الفاعلية كانه
قال ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او يكون مستو
خبرا مقدما وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء اي سواء
عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر ان واما جاز الاخبار

عن الفعل مع انه خبر لان لانه من جنس الكلام المهجور فيه
جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء
وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى
هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر
لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام
ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والانذار
التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي لا يومنون جملة مو
كدة للجملة قبلها او خبر لان والجملة قبلها اعتراض او
خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم بالاصرار اقامة
الحجة وليكون الارسال عاما وليثاب الرسول ختم الله على
قلوبهم قال الزجاج الختم التغطية لان في الاستيثاق من الشي
بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس
رضي الله عنهما طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعني
ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من
الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وحاصل الختم
والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يومن
ما دامت تلك الظلمة في قلبه وعند المعتزلة اعلام محض
على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم
ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى
مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي
اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب
ويقال بنى الامير المدينة لان للفعل ملابسات شتى يلابس
الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب
له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشيا
مجازا لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل
الاسد في جراته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسالة
خلق الافعال وعلى سمعهم وحد السمع كما وحد البطن

في قوله

9

في قوله في بعض بطنكم تعفوا لامن اللبس ولان السمع مصدر
في اصله يقال سمعت الشي سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع
لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية
والجمع الاصل وقيل المضاف محذوف اي وعلى مواضع سمعهم
ووقف على اسماعهم وعلى ابصارهم غشاوة بالرفع خبر ومبتدا
والبصر نور العين وهو ما يبصر به الراي كما ان البصيرة نور القلب
وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما
الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة
الغطا فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البنا لما يشتمل
على الشي كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع داخلة
في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله تعالى وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم
ونصب المفضل غشاوة باضمار وجعل وتكرير الجار في قوله
على سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين قال الشيخ ابو منصور
رحمه الله الكافر لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره
من المخلوقات ليرى آثار الحدث فيعلم انه لا بد له من صانع جعل كان
على سمعه وبصره غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا
دليل على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التشبيه والاية حجة
لنا على المعتزلة في الاصلح فانه اخبر انه ختم على قلوبهم والاصلح
ان ترك الختم اصلح لهم ولهم عذاب عظيم العذاب مثل النكال بناء ومعنى
لانك تقول اعذب عن الشي اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه
والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل
الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان
في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او
خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من التغطية غير
ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام
العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر افتتح سبحانه
بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم
ثم ثنى بالكفار الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة
ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
وهم أخبث الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا
ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقال مجاهد
أربع آيات من أول السورة في نعت المؤمنين وآيتان في ذكر
الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين نعى عليهم
فيها نكرهم وخبثهم وسفههم واستجهالهم واستهزأ
بهم وتهكم بفعالهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما
بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين
عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة
على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها
مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد إنسان
وأناسي وإنس سموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول
فإنك تقول وزن قه افعل وليس معه إلا العين وهو من أسماء
الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفة
لها كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وإنما خصوا
الإيمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حد له
وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية
أو الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة
وأهل النار النار لأنهم ادعوا بهذا القول أنهم أحاطوا من جانبي
الإيمان أوله وآخره وهذا لأن حاصل المسائل الاعتقادية
يرجع إلى مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه
ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط
والميزان وسائر أحوال الآخرة وفي تكرير الباء إشارة إلى أنهم

ادعوا

ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام
وما هم بمؤمنين ولم يقل في شأن الفاعل لا الفعل لقولهم آمنا
بالله وباليوم الآخر ولم يقل في شأن الفعل لا الفاعل
لأن المراد إنكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وآكده
وهو إخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين بخلاف
قوله يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها أو أ
دل على الإيمان في الثاني معنى تعيين في الأول لأنه يحتمل أن يراد
التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل أن يراد نفي أصل
الإيمان وفي ضمنه نفي المذكور أولا والآية تنفي قول الكرامية
إن الإيمان هو الإقرار باللسان لا غير فإنه نفى عنهم اسم الإيمان
مع وجود الإقرار منهم ويؤيد قول أهل السنة إنه إقرار باللسان
وتصديق بالجنان ودخلت الباء في خبر ما مؤكدة للنفي لأنه
يستدل بها السامع على الجحد إذا غفل عن أول الكلام ومن توحيد
اللفظ ولو أفعل بقول جمع وما هم بمؤمنين نظرا إلى معناه
يخادعون الله أي رسول الله بحذف المضاف وهو كثير في مثل
العربية كما قاله أبو علي وغيره أي يظهرون غير ما في نفوسهم والخداع
أن تظهر غير ما في النفس وفيه رفع منزلة النبي صلى الله عليه وسلم
حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون
الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم
لأنهم يظنون أن الله ممن يصح خداعه وبهذا المثال وقع كثير الغير
اثنين نحو قولهم عاقبت اللص وقد يقع نحو عمرو ويكون ليعود
أو مبالغة فكأنه قيل وهم لا يدعون الإيمان كاذبين وما
يدعون في ذلك إلا بفعل يخادعون الله وما يخدعون في ذلك مشاركتهم
عن المحاربة التي كانت مع من سواهم من الكفار وإجراء أحكام
المؤمنين عليهم وسلامتهم من الغنائم وغير ذلك من الأغراض صاحب الوقوف
الوقف لازم على بمؤمنين لأنه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين

مخادع عليه فيستعمل الوصف كقولك اما ابعدك حيل كانه والمراد به
اظهار الايمان عليهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون من الامر الذي
في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول امنا مخادعين
او حالا من الضمير في هو مستتر العامل فيها اسم الفاعل والتقدير
وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يقع والاول الوجه والذين
امنوا اي يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان
كلهم دون الايمان واضمار الكفر وما يخادعون الا انفسهم اي وما
يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم
لان ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم هو العذاب في الاخرة يرجع
اليهم فكانهم خدعوا انفسهم وما يخدعون ابو عمرو ونافع ومكي
للمطابقة وجواز الاول لكن ان جاء وجاء فاعل بمعنى فعل واحد
والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لان
النفس بهما وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط
حاجتها اليه والمراد بالانفس هنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم
ذواتهم ان الخدع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم وما يشعرون
اي لا يعلمون ان خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشيء علم حس من
الشعار ومشاعر الانسان حواسه
لانها الات الشعور والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس
وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض اي شك
ونفاق لان الشك تردد بين الامرين والمنافق متردد وفي الحديث
مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد
بين الحياة والموت ولان المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة
فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب
فزادهم الله مرضا اي ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار
وقيل المراد به خلو القلب عن الايمان في حالة البقاء تخلو امثاله كما
عرف في زيادة الايمان ولهم عذاب اليم بمعنى مؤلم اي
مؤلم بما كانوا يكذبون كوفي اي بكذبهم في قولهم امنا بالله
وباليوم الاخر فما مع الفعل بمعنى المصدر والكوفي الاختيار

عن الشيء

11

عن الشيء على خلاف ما هو عليه يكذبون غيرهم او يكذبونهم النبي صلى
الله عليه وسلم فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ
في صدق فقيل وبطل بمعنى بان الشيء وبين واذا قيل لهم معطوف على
يقول امنا لان الاول وقلب ومن الناس اذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض لكان نفعا والفساد خروج الشيء عن حال الاستقامة
وكونه منتفعا به وضده الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة
النافعة والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن لان في ذلك
فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس
والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين
في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين
بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج
الفتن بينهم قالوا انما نحن مصلحون بين المؤمنين والكافرين
بالمداراة يعني ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير
شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد وانما لقصر
الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما
زيد كاتب وما كان الا انا نجعلها عن الحال الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون انهم مفسدون بحرف المعقول الحاصل به
الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه
على تحقيق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد
تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب
من التحقيق لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به
به القسم فهي رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين
ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف
وما في الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله
لا يشعرون واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس
نصحوهم من وجهين احدهما
تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد وثلمه
في الدين والثاني تبصيرهم لطريق السداد من اتباع ذوي الاحلام فكان
من جملة ان يشعرهم لما في جملتهم وفيه تسلية للعالم

مما يليق من الجملة وانما هو اسناد فعل الى الا فعل وانه ممنوع
مع ان اسناد الفعل الى الفعل لا يجوز لانه اسناد الى لفظ الفعل
والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكانه قيل واذا قيل
لهم هذا القول وصفه زعم ان متعلقة الكاف وما في كما كافة
كما في ربما او مصدرية كما في رحبت واللام في الناس للعهد
اي كما امن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون او عبد
الله بن سلام رضي الله عنه واشياعه اي كما امن اصحابكم واخوا
نكم او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية او جعل
المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في
الكاف كما في موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف اي
ايمانا مثل ايمان الناس ومثله كما امن السفهاء وفي الا
استفهام في انؤمن للانكار واللام في السفهاء مشار
بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم جهلة
اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب
متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة
الحلم *الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون*
انهم هم السفهاء وانما ذكر هنا انهم لا يعلمون وفيما
تقدم لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر
العلم معه احسن طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر
واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة اما النفاق في الارض
فامر مبني على العادات فهو كالمحسوس ثم السفهاء خبران
وهم فصل او السفهاء خبر هم والجملة خبر ان *واذا لقوا الذين*
امنوا قالوا امنا وقرا ابو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا
يقال لقيته اذا استقبلته قريبا منه الاية الاولى في بيان
مذهب المنافقين والتنبيه على نفاقهم وهذه
في بيان ما كانوا يعملونه مع المؤمنين من الاستهزاء بهم
ولقائهم بوجوه المصادقة وايهامهم انهم معهم *واذا خلوا الى*
شياطينهم خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه وبالى ابلغ
لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء ويجوز ان يكون من خلا بمعنى

مضى

معهم وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اليهود
وعن سيبويه ان نون الشياطين اصلية بدليل قولهم تشيطن وعليه
انه فيعال من شطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير
او من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل *قالوا انا معكم* انا معكم
مخاطبة ... على ... واما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية
وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم في خطابهم مع المؤمنين
في ادعاء حدوث الايمان منهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان
اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم
باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لو قالوا على لفظ التوكيد
والمبالغة وكيف يطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين
والانصار واما خطابهم مع اخوانهم فهم فيه يخبرون عن انفسهم بالثبات
على اليهودية فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وقوله
انما نحن مستهزئون توكيد لقوله انا معكم لان معناه الثبات
على اليهودية وقوله انما نحن مستهزئون رد للاسلام ودفع
له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع
لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لاثباته او استئناف
كانهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم
توافقون المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزئون والاستهزاء
السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل
السريع وهزا يهزا مات على المكان *الله يستهزئ بهم* اي يجا
زيهم على استهزائهم فسمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
فسمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء
سيئة واعتداء والعمل الاول الاستهزاء على الله تعالى محال من حيث
الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه وقال الزجاج هو الوجه
المختار واستئناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عاطف للدلالة على
المخالفة ... وان الله هو الذي يستهزئ بهم ... الله مستهزئ
بهم ليكون ... لقولهم انما نحن مستهزئون ... عن الزجاج
في ... يعمهون ... يتحيرون ويترددون

الله

وهذه الاية حجة على المعتزلة في مسالة الاصلح اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوها به واختاروها
عليه واما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى
لانه في قوم امنوا ثم كفروا او في اليهود الذين كانوا يؤمنون
بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مجيئه ثم كفروا به او جعلوا لتمكنهم
منه كان الهدى لهم فكانهم تركوه بالضلالة وفيه دليل على
جواز البيع بالتعاطي لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء فجاز والله
ويقول تركوا الهدى بالضلالة على اختيار وسمي ذلك شراء
مجازا لان الشراء ان ياخذ شيئا من غيره ويترك له عوضه
برضاه فهذا شراء وان لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد
وفقد الاهتداء فقال جل جلاله فما ربحت تجارتهم الذهاب عن الصواب
في الدين فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على راس المال والتجارة
صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح واسناد
الربح الى التجارة من الاسناد المجازي ومعناه فما ربحوا
في تجارتهم اذ التجارة لا تربح وانما يربح بها صاحبها الضلالة
بالهدى مجاز اتبعه ذكر الربح والتجارة ثم استحاله قوله
وما كانوا مهتدين ... ومثله كثير
... لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب
اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق
التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح
فيه ويخسر والمعنى ان مطلوب التجارة سلامة راس المال
والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم الهدى
ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا
باصابة الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر
... لانه لا يقال لمن لم يسلم له راس المال قد ربح وقيل الذين
... الى اخر الاية في محل الرفع
خبرا وقيل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة صفتهم
عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما
للبيان ولضرب الامثال في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار

باصابة

عن الحقائق

عن الحقائق كالتمثيل ... ولذلك كثر في الكتب السماوية ومن
سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم المثل
وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا
مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير
المثل للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة
كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذا قوله
مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك
من العجائب قصة الجنة العجيبة الشان ثم اخذ في بيان عجائبها
ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان العظمة والجلالة و
وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون
تمثيل الجماعة بالواحد او قصد جنس المستوقد او اريد الجمع
الذي استوقد على ان ... لم يستحقوا ... المثل
... ولذا تشبيه الجماعة بالواحد ... وحده
بقصة المستوقد ومعنى استوقد اوقد ووقود النار سطوعها
وارتفاع لهبها ... واشتقاقها من نار ينور
اذا تحرك لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله الاضاءة
فرط الانارة ومصداقه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا واضاء في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعد
مسندا الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حوله اشياء
... اماكن وجواب فلما ذهب الله بنورهم وليس
... والعامل فيه حوله ... وما موصولة وحوله نصب
على الظرف فيه او نكرة موصوفة والتقدير فلما اضاءت شيئا ثابتا
حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى
والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى اضاءت الاه وجعله
ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى اخذ الله نورهم
وامسكه وما يمسك فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب ولم
يقل اذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ

لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم
راسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة
وبقاء ما يسمى نورا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم وكلمات
والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف
اتبعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو
قوله لا يبصرون وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد
واذا علق بشيئين كان متضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال
القلوب ومنه وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات
ثم دخل ترك فنصب الجزئين والمفعول الساقط من
لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر
المنوي كان الفعل غير متعد اصلا وانما شبهت حالهم
بحال المستوقد لانهم غب الاضاءة وقعوا في ظلمة وحيرة نعم
المنافق خابط في ظلمات الكفر ابدا ولكن المراد ما استضاءوا
به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم
ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق او المعصية
التي ترمي بهم الى ظلمة العقاب السرمدي وللاية تفسير اخر وهو
انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك
بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما
حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم
وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمي
اي هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة
الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم او ينظروا
ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم
هم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث
للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء
وفي الاية تشبيه بليغ لا استعارة لان المستعار له مذكور

لان حيث المستعار

76

حيث يطوى ذكر المستعار له وهنا ذكر وهم المنافقون والاستعارة
انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا
عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة
الحال او فحوى الكلام فهم لا يرجعون الى الهدى بعد ان
باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها او الرجوع الى الطريق
وعنه او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا خامدين في مكانهم لا يبرحون
ولا يدرون ايتقدمون او يتاخرون او كصيب من السماء
فيه ظلمات ورعد وبرق ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل
اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا وشبه المنافق في التمثيل
الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع
انتفاعه بانطفاء النار وهنا شبه دين الاسلام بالصيب
لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه
الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق
وما يصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق
والمعنى او كمثل ذوي صيب فحذف مثل لدلالة العطف
عليه وذوي لدلالة يجعلون عليه والمراد كمثل قوم اخذتهم
السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا وهو تشبيه الاشياء
بالاشياء الا انه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح في قوله
وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي بل جاء به مطويا ذكره على
سنن الاستعارة والصحيح ان التمثيلين من جملة التمثيلات
المؤلفة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به بيانه
ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ
هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس
وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت
وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى
مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فالمراد والغرض من

حلوا

حال المستوقد في حقها بما معها من التورية على المجاز وبما
تحصل من اسفار الحكمة ويتساوى الحاسن وقلما سواهما
من الاوقات الا يتشبى من ذلك الا ما لم يرد فيه من التكلف والتعسف
وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء
بالمراد وقلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه
كيفية بكيفية فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوطة
بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذا لما وصف وقوع
المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة
شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت
ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذا من اخذته السماء
في الليلة المظلمة مع رعد وخوف وبرق من الصواعق والتمثيل
الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وكذا اخروه
وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ وعطف احد التمثيلين
على الاخر باو لانها في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا كقولك
جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب
ان تجالسا وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم
والكفور سيان في وجوب العصيان فكذا هنا معناه ان
كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين
وان القصتين سواء في استقلال كل واحد منهما بوجه التمثيل
فبايتهما مثلتها فانت مصيب ولو مثلتها بهما جميعا فكذلك
والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب
ايضا لانه نوع من المطر شديد نكره كما نكرت النار في التمثيل الاول
والسماء هذه المظلة عن الحسن انها موج مكفوف والفايدة
في ذكر السماء والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة
ما جاء انه غماما اخذ بافاق السماء ونفى ان يكون من سماء اي من
افق واحد من بين سائر الافاق لان كل افق منها سماء ففي
التعريف مبالغة كما في تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه دليل

على ان

على ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه
وقيل انه ياخذ من البحر ويرتفع وظلمات مرفوع بالظرف
والاجود ولانه قوي لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو وقع
ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه
به والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك
اجرام السحاب او ملك يسوق السحاب والبرق الذي
يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع والضمير
في فيه يعود الى الصيب فجعل الصيب مكانا للظلمات
فان اريد به السحاب فظلماته اذا كان اسحم مطبقا
ظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل
واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة
اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا للرعد
والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان اريد به
المطر لانهما ملتبسان به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق
لانهما مصدران في الاصل يقال رعدت السماء رعدا
وبرقت برقا فروعي حكم الاصل بان ترك جمعهما ونكرت
هذه الاشياء لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات
داجية ورعد قاصف وبرق خاطف يجعلون اصابعهم
في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وان كان حذف وقام مقامه
قوله او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط
لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر
الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان
قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون
اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق
فقال يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما ذكر الاصابع
ولم يذكر الانامل ورؤس الاصابع هي التي تجعل في الاذن
اتساعا كقوله فاقطعوا ايديهما والمراد الى الرسغ ولان

وعبر بالاصابع من اطلاق الكل على البعض في ذكر الانامل والاصابع
لم يذكر الاصبع الخاص الذي يسد به الاذن السبابة فعالة
من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن ولم يذكر
المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة من الصواعق متعلق
بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم
والصاعقة قصفة الرعد تنقض معها شعلة من نار لا
تنفرج من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة
حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود ويحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو
نصفها ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق حذر
الموت مفعول له والموت فساد بنية الحيوان او عرض
لا يصح معه احساس معاقب للحياة والله محيط بالكافرين
يعني انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به
فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها يكاد البرق
يخطف ابصارهم الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل
لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد
كلما اضاء لهم كل ظرف وما المكنية موصوفة معناها الو
قت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل فيه
جوابها وهو مشوا فيه اي في ضوئه وهو استئناف ثالث
كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق
وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته
على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يا
تون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف
ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات
يسيرة فاذا خفي وبقي لمعانه بقوا واقفين واضاء متعد
اي كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف

او غير

او غير متعد اي كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره والمشي
جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو
عدو واذا اظلم عليهم اي خفي وهو متعد وقيل مع اضاء كلما
ومع اظلم اذا لانهم حراص على وجود ما همهم معقود به من
امكان المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك
التوقف ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه
اي ولو شاء ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر
في شاء واراد الحذف لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب
نحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة
الصبر اوسع وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان
يتخذ ولدا ان الله على كل شيء قدير اي ان الله قادر على كل شيء
لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين
وذكر صفاتهم واحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها
او يشقيها ويحظيها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات
المذكور وقال يا ايها الناس قال علقمة ما في القرآن يا ايها الناس
فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا ايها الذين آمنوا فهو خطاب
لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء
البعيد واي والهمزة للقريب ثم استعمل في مناداة من غفل
وسها وان قرب ودعا ما نزل منزلة من بعد فاذا نودي
القريب المقاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه
معني به جدا وقول الداعي يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد
استقصار لنفسه واستبعاد لها على مكان الزلفى هضما
لنفسه واقرارا عليها بالتقصير مع فرط التهالك على استجابة
دعوته واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي
وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل
وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه فلا بد ان يردفه

اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يحصل المقصود بالندا فما
الذي يعمل فيه هو اي والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف
الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة
وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى
الندا وللعوض عما يستحقه ما بان من الاضافة وكثر الندا
في القرآن على هذه الطريقة لان ما ناداه الله له عباده من اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده امور عظام وخطوب جسام يجب
عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون
واقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ اعبدوا ربكم وحدوه
قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القرآن فهو توحيد الذي
خلقكم صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الآلهة اربابا
والخلق ايجاد المعدوم على تقدير واستواء وهذا بناء على ان المعدوم
ليس بشيء لان الشيء ما علم او يخبر عنه عند بعض وعندهم هو
اسم للموجود خلقكم بالادغام ابو عمرو والذين من قبلكم احتج
بانه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا معترفين به لا يغفل
لهم ان يخصم مقرين بانه ذا الحكم فاعبدوه والتقييد والاصطناع
لعلكم تتقون اي اعبدوا على رجاء ان تنخرطوا بسببه
من الجواب ولعل للترجي والاطماع ولعله الطماع من كريم يجري
مجرى وعده المحتوم وبها وجاء قال سيبويه وقال قطرب ولعل
بمعنى كي لكي تتقوا الذي جعل لكم الارض اي صير محل الذي نصب
على المدح او رفع باضمار هو فراشا بساطا تقعدون عليها
وتنامون وتنقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل
على ان الارض مسطحة او كروية اذ الافتراش ممكن على التقديرين
والسماء بناء سقفا كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا
والبناء مصدر سمي به المبني وانزل من السماء ماء فاخرج به
بالماء نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته والماء وكل
جعل الماء سببا لخروجها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر

على

17

على انشائها بلا اسباب كما انشأ نفوس الاسباب والمواد
ولكن له في انشائها بالاسباب مدرجا من حال الى حال ونقلا من
مرتبة الى مرتبة حكما ومصالح للنظار وحمول الاستبصار ومن
من الثمرات للتبعيض او للبيان رزقا مفعول له او كانت للتبعيض
ومفعول به لاخرج اي كانت للبيان وانما قيل الثمرات بجمع القلة
والثمار والمراد الكثير لجمع الثمار كثرة الثمار جماعة
الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض التقعا بها
في الحقيقة ... جارية على الرزق ان اريد به المعنى وان جعل
اسما للمعنى فهو مفعول بانه كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا
لله اندادا الفهو متعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا
لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل له ند وشريك
ونحو ذا يعطف الذي وهما على ابا يعوده ويحتمل فلا تجعلوا او عن
دون الفعل الى الكلام ... في الذي وقع ... الايات
العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا
له شركاء والند المثل المناوئ لا يقال الا للمثل المخالف ... او معنى
قوله الند ليس لله ند ... ما ... بل ما ... له
والمراد ... ... الا الخالق ... الخالق الرازق
او مفعول تعلمون مطروح اي وانتم من اهل العلم وجعل الاصنام لله
اندادا ... الجهل ... فلا تجعلوا ولا ...
... التوحيد ... الا الخالق ...
وخلق الارض ... وخلق ...
... المطيعة ...
... التكاليف ...
... على الاحرار ...
الثمار ... الى التوحيد ...
... على ...
... على ... ثبوت ...

ومما ابعد الاعجاز الذي سار مقال وان كنتم في ريب مما نزلنا
ما النكرة موصوفة او بمعنى الذي على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم
والعبد اسم للمملوك من جنس العقلاء والمملوك من حرج فهو
بالاستعمال وقيل الرقيق ادون انزلنا لان المراد النزول على سبيل
التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم
كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما
سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب
النوازل وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من
وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيئا فشيئا
لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بخطبة
ضربة فلو انزله الله لانزله جملة قال الله تعالى وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على
تدريج فاتوا انتم بسورة ... فهاتوا انتم نوبة واحدة من نجومه
سورة من اصغر السور والسورة
الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات
وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي
حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة
على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون
من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة
على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة
لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها
القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار
او لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها
منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن
كالسؤرة التي هي البقية من الشيء واما الفائدة في تفصيل
القرآن وتقطيعه سورا فهي كثيرة ولذا انزل الله التوراة

والانجيل

والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه عليهم السلام
مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا
موشحة الصدور بالتراجم منها ان الجنس اذا انطوت تحته انواع
واشتمل على اصناف كان احسن من ان يكون بيانا واحدا ومنها
ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر
كان انشط له وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر
على الكتاب بطوله ومن ثم جزئ القرآن اسباعا واجزاء
وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد
انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة
وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ومنه حديث انس
رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا
ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة افضل من مثله
متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من
مثله يعني فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو
الطبقة في حسن النظم او لعبدنا اي فاتوا ممن هو على حاله
من كونه امیا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد
الى مثل ونظير هنالك ورد الضمير الى المنزل اولى لقوله فاتوا
بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله ولان الكلام مع رد الضمير الى المنزل
احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو
مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله
فهاتوا انتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير
مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان
محمدا صلى الله عليه وسلم منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا
التعيين يلائم قوله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم
صادقين ان ... مختلق وانه من كلام محمد صلى الله عليه وسلم

وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اي ان كنتم صادقين في
دعواكم فاتوا بسورة من مثله واستعينوا بالالهة على ذلك
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي
صلى الله عليه وسلم فيما اتاهم به تحداهم وبان عجزهم ووجب
تصديقهم فامنوا واخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند
وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا
والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما
كان العجز عن المعارضة قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم
لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام ساق الكلام معهم
على حسب حسبانهم فجئ بان الذي للشك دون اذا الذي للوجوب
وعبر عن الاتيان بالفعل لانه فعل من الافعال والفايدة فيه
انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا اذ لو لم يعدل عن
لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان لا فلما جملة اعتراضية
وحسن هذا الاعتراض ان لفظ الشرط التردد فقطع التردد
بقوله ولن تفعلوا ولن اخت لا في نفي المستقبل الا ان في لن
تاكيدا وعن الخليل اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا
وعند سيبويه حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل واما علم
انه اخبار عن الغيب على ما هو به حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه
بشئ لاشتهر فكيف والطاعنون فيه اكثر من الذابين
عنه وشرط في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من
مثله لانهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم
صدق الرسول صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا
العناد وابوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم ان استبنتم
العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء
النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهو من شعب
البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القران والوقود
ما ترفع به النار وهو الحطب واما المصدر فمضموم وقد جاء

وفيه

فيه الفتح وصلة الذي يجب ان تكون معلومة للمخاطب فيحتمل
ان يكونوا سمعوا من اهل الكتاب او من رسول الله صلى الله عليه وسلم
او سمعوا قبل هذه الاية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة
وانما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لان تلك الاية نزلت
بمكة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه
اولا ومعنى قوله وقودها الناس والحجارة انها نار ممتازة
عن غيرها من النيران بانها تتقد بالناس والحجارة وهي
حجارة الكبريت فهي اشد توقدا واكثر دخانا وانتن رائحة
والصق بالبدن او الاصنام المعبودة فهي اشد تحسرا وانما
قرن الناس بالحجارة لانهم قرنوا انفسهم بها في الدنيا
حيث عبدوها وجعلوها لله اندادا او نحو قوله انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم اعدت
للكافرين هيئت لهم وفيه دليل على ان النار مخلوقة خلافا لما يقول
جهم سنة الله في كتابه الابدي ان يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا
لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما
ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة المومنين
واعمالهم وتبشيرهم بقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
والمامور بقوله وبشر الرسول صلى الله عليه وسلم او كل احد
وهذا احسن لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه
محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف
على فاتقوا النار كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر
يا فلان بني اسد باحساني اليهم او جملة وصف ثواب المومنين
معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد يعاقب
بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق والبشارة
الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده
ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه
هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال اخبرني

مكان وبشرني عتق الاول اخبروه وعند الاكثر الشاهد
الجلد ولنا ان البشر الاصل ما لم يعرف اولا جوابه واما قوله
بعذاب اليم فهو العكس الذي يقصد به الاستهزاء
كقوله في تحية بينهم ضرب وجيع او الحمل على
البشر بمعنى [illegible] ونصب مالا والصالحات نحو الحسنة
في جريها مجرى الاسم والصالحات كل ما استقام من
الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس
والاية حجة على من جعل الاعمال ايمانا لانه عطف
الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير المعطوف
عليه ولاهل العلم تعلق بجواز ان يدخل المؤمن
الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر
بالجنة لمن امن وعمل الصالحات لان البشارة المطلقة
بالجنة المحضة بشرطها اقتران الاعمال الصالحة بالايمان
ولا يحصل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل تثبت
البشارة مقيدة بمشية الله ان يشاء عفى عنه
وان يشاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة ان لهم
جنات اي بانهم وموضع ان وما عملت فيه النصب
بنزع عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير في التنزيل
والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب
دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة
والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها
من الجنان والجنة علم في قوله تعالى اسكن انت
وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة وجمع الجنة
وتنكيرها لان الجنة اسم لدار الثواب فكلها واحدة
مشتملة على جنان كثيرة مترتبة مراتب بحسب
اعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان

تجري

20

تجري من تحتها الانهار الجملة في موضع النصب صفة لجنات
والمراد من تحت اشجارها كما ترى الاشجار النابتة على
شواطئ الانهار الجارية وانهار الجنة تجري في غير اخدود وانواع
الحدائق ما كانت اشجارها مظلة والانهار في خلالها
مطردة والجري [illegible] الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل لنهر مصر واللغة العالية النهر
ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار مجاز
واما تعريف الانهار لانه يحتمل ان يراد منها انهارها فعوض
التعريف باللام عن تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل
الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها
انهار من ماء غير آسن الاية والماء الجاري من النعمة العظمى
واللذة الكبرى ولذلك قرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية
وقدمه على سائر نعوتها كلما رزقوا منها [illegible] صفة ثانية لجنات
او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع
ان يقع فيه اثمار تلك الجنة اشباه ثمرات الدنيا او اجناس
اخر لا يشبهها فقيل هي من الاجناس ويقال ان ثمارها اشباه
ثمار جنات الدنيا او اجناسها [illegible]
الا انه [illegible]
الجنات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من [illegible]
والمراد [illegible]
المراد [illegible]
[illegible]
[illegible]

وقوله ابو يوسف ابو حنيفة [illegible] انه لا [illegible] والتشبيه
كان في ذاته [illegible] من الثمر [illegible] يرجع الى [illegible] في [illegible]
كان [illegible] هذا الذي رزقنا من قبل [illegible]
في [illegible] كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تجعل اجناسا
اخر لان الانسان بالمالوف انس والى المعهود اميل واذا راى
ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشى من
جنس ما سلف له به عهد وراى فيه مزية ظاهرة [illegible]
بينا كان استعجابه به اكثر واستغرابه اوفر [illegible]
هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر [illegible]
الحال في ظهور المزية وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي
يستملي تعجبهم في كل اوان [illegible]
الله و[illegible] ما يرزقونه من ثمرات الجنة [illegible]
في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل
منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل فيقول
الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول
الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها
مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا
ذلك وقوله واتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير كقولك
فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا
ومنه وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون [illegible] ولهم فيها ازواج
ازواج مبتدا وله الخبر وفيها ظرف للاستقرار مطهرة من مساوي
الاخلاق [illegible] او مما يختص بالنساء من الحيض
والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول والغائط وسائر الاقذار
والادناس ولم تجمع الصفة كالموصوف لانهما لغتان [illegible]
ولم يقل طاهرة لان مطهرة ابلغ لانها تكون للتكثير وفيها
اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذاك الا الله عز وجل [illegible]

الخلد

21

الخلد البقاء الدائم الذي لا ينقطع وفيه [illegible] من قول الجهمية
فانهم يقولون بفناء الجنة والعلماء [illegible] قال [illegible] الاول
والاخر [illegible] الاولية [illegible] على الخلق [illegible]
[illegible] الاخرية بالتاخر عن سائر المخلوقات
[illegible] الكل [illegible] القول به ضرورة
[illegible] الجنة [illegible]
[illegible] بين الخالق والمخلوق [illegible]
[illegible] الاول [illegible] والاخر [illegible]
[illegible] الاول هو [illegible] والاخر هو
[illegible] وصفة [illegible]
[illegible]
[illegible] اول [illegible]
[illegible] الخلق [illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible] الانسان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لا يستحيي ان يضرب مثلا البتة. وبعوضة عطف بيان لمثلا او
مفعول ليضرب ومثلا
حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين
على ان ضرب بمعنى جعل. واشتقاقها من البعض وهو القطع كا
لبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لانه
قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع
فغلبت فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت
فيه مثلا وهو القلة والحقارة او فما زاد عليها في الحجم
كانه اراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب
والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب
المثل بما دون البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد
ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا. فاما الذين
امنوا فيعلمون انه الحق الضمير للمثل او لان يضرب
والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا
ثبت ووجب. من ربهم في موضع النصب على الحال والعامل
معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه. واما الذين كفروا فيقو
لون ماذا اراد الله بهذا لا وقف عليه او لو وصل
لصار ما بعده صفة له وليس كذلك وفي قولهم ماذا اراد الله
بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها
في عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يا عجبا لابن عمرو وهذا الحق له
ومثلا نصب على التمييز او على الحال كقوله هذه ناقة الله
لكم اية. واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب
فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت اما زيد
فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد
ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه توكيدا وانه في معنى
الشرط وفي ايراد الجملتين مصدرتين به احماد لامر الذين

امنوا

امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر
المؤمنين واعتداد بالغ بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم
حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء. وماذا فيه وجهان ان يكون
ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما فيكون كلمتين وان
تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون
كلمة واحدة فما في الاول رفع بالابتداء وخبره
ذا مع صلته اي اراده العائد محذوف وعلى الثاني منصوب
المحل باراد والتقدير اي شيء اراد الله. والارادة مصدر اردت
الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين
معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى
موصوف بالارادة على الحقيقة عند اهل السنة وقالت المعتزلة
نحو انه تعالى لا يوصف بالارادة على الحقيقة فاذا قيل اراد
الله كذا فان كان فعله فمعناه انه فعله وهو غير ساه
ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه انه امر به يضل
به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين
المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين
المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه
حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة
واهل الهدى كثير في انفسهم وانما يوصفون بالقلة بالقياس
الى اهل الضلال وان القليل من المهتدين كثير في الحقيقة
وان قلوا في الصورة ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما
غيرهم قلوا وان كثروا • والاضلال خلق فعل الضلال في العبد
والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند اهل
السنة وسياق الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة من الكفار
واستغربوه من ان يكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها
المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما
يصار اليه لما فيه من كشف المعنى وابراز المتوهم في معرض المتيقن

فإن كان الممثل به عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان
حقيرا كان الممثل به كذلك الا ترى ان الحق لما كان واضحا جليا
مثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضده مثل
بالظلمة ولما كانت حال الالهة التي جعلها الكفار
انداد الله لا حال احقر منها واقل لذلك جعل بيت العنكبوت
مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب وضربت
لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع
ولم يقل للممثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب
في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه وليبان
ان المومنين الذين عادتهم الانصاف والنظر في الامور بنظر
العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق وان الكفار
الذين غلبهم الجهل على عقولهم كابروا وعاندوا وقضوا عليه
بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سببه هدى المومنين
وضلال الفاسقين منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس
يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض
فقالوا اجمع من ذرة واجرى من الذباب واسمع من قراد
واضعف من فراشة واكل من السوس واضعف من
بعوضة واعز من مخ البعوض ولكن ديدن المحجوج والمبهوت
ان يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح وما يضل
به الا الفاسقين مفعول يضل وليس منصوب على الاستثناء
لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد
وفي الشريعة الخروج عن الامر بارتكاب الكبيرة ويقع التاول
بين المنزلتين اي بين منزلة المومن والكافر عند المعتزلة
ويسمى عليها ما يكمله او ينقصه الله تعالى الذين ينقضون
عهد الله النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد
بهؤلاء المنافقين بعهد الله احبار اليهود المتعنتون او
منافقوهم او الكفار جميعا وعهد الله ما ركز في عقولهم

من الحجة

من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليه
وأخذ الميثاق عليهم بانه اذا بعث عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم
يكتموا ذكره او اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم
ولا يخرج بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد
الله الى خلقه ثلاث عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع
ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك
وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو
قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا يكتمونه من بعد ميثاقه اصله من الوثاقة وهي
احكام الشيء والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله
من قوله والزامه انفسهم ويحتمل ان يكون بمعنى توثقته
كما ان الميعاد بمعنى الوعد او لله تعالى من بعد توثقته
عليهم ومن للابتداء الغاية ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
هو كقطع الارحام ومن موالاة المومنين او قطعهم ما بين
الانبياء من الوصلة والاجتماع على الحق امانهم ببعض وكفرهم
ببعض والامر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء
وما نكرة موصوفة اي بشيء الذي وان يوصل في موضع جر
بدل من الهاء اي بوصله او في موضع رفع اي هو ان يوصل و
يفسدون في الارض بقطع السبيل والتعويق عن الايمان
اولئك مبتدأ هم فصل والخبر الخاسرون المغبونون حيث
استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح
والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله معناه التي يكف
مثاله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر
ويدعو الى الايمان ومعناه الانكار والتعجيب وتكريره والحب
انكير بغير جناح وكيف تكفر بغير جناح والواو في وكنتم
امواتا للحال وقد مضمرة والاموات جمع
فقطعا اصلاب ابائكم

اى

هم

جمع ميت كالاموات جمع ميت يقال لعادم الحياة اصلا
ميت ايضا كقوله بلدة ميتا فاحياكم في الارحام ثم
يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون
تحشرون الى الجزا او ثم يحييكم في قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور
وانما كان العطف الاول بالفا والبواقي بثم لان الاحيا
الاول قد تعقب الموت بلا تراخ واما الموت
فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك بتراخ عن
الموت ان اريد النشور وان اريد احياء القبر فمنه تكتسب
العلم بتراخيه والرجوع الى الجزا ايضا متراخ عن النشور
وانما انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها لانها
مشتملة على ايات قاهرة تصرفهم عن الكفر لانها تشتمل
على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر هو الذي خلق لكم
ما في الارض اي لاجلكم وانتفاعكم به في دنياكم ودينكم
اما الاول فظاهر واما الثاني فالنظر فيه وما فيه من
العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه
من التذكير بالاخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها
تذكر عقابها وقد استدل الكرخي وابو بكر الرازي والمعتزلة
بقوله خلق لكم على ان الاشيا التي ينتفع بها خلقت
مباحة في الاصل جميعا نصب على الحال من ما ثم استوى
الى السماء الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال
استوى العود اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه
كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي
على شيء ومنه قوله ثم استوى الى السماء اي قصد وعمد
الى خلق السموات بعد خلق ما في الارض من غير ان
يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات
العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن
مبهم يفسره ما بعده سبع سماوات كقولهم ربه رجلا

وقيل

وقيل الضمير عائد الى السماء ولفظها واحد ومعناها
الجمع لانها في معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن
وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن
وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا
يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض
تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن
خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها
دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك
قوله كانتا رتقا ففتقناهما الرتق الالتزاق وهو بكل شيء عليم فمن ثم
خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما
في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم وهو
واحواله [illegible] على جعلها الوطن
دون الكلالة فصار منزلة عنصر وهم يعقلون في عقد عقد
بالسكون ولما خلق الله الارض اسكن فيها الجن واسكن
في السماء الملائكة فلما افسدت الجن في الارض بعث طائفة
من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحور ورؤوس الجبال
واقاموا مكانهم فامر نبيه عليه السلام ان يذكر قصتهم فقال
واذ قال ربك للملائكة اذ منصوب باضمار اذكر والملائكة
جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والتاء لتانيث الجمع
اني جاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض
خليفة وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعل والتاء فيه
للمبالغة والمراد به خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم
فيها ادم وذريته ولم يقل خلائف او خلفاء لانه اريد بالخليفة
ادم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة
في قولهم مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد
لذلك او خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه

فتح للمكلفين. قال الله تعالى يا داود إنا جعلناك
خليفة في الأرض وإنما أخبرهم بذلك ليسألوا عن ذلك السؤال
ويجابوا بما يجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل
كونهم أو ليعلم عباده المشورة في أمورهم قبل أن يقدموا
عليها وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة
قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها تعجب من أن يستخلف مكان
أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يجهل وإنما
عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا
أحد الثقلين على الآخر ويسفك الدماء بغير حق والواو في ونحن
نسبح للحال كما تقول أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإ
حسان بحمدك في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين
بحمدك لتوفيقه وقد خلوا ابا الكفر ان يخلو كاوس ونقدس
لك ونطهر أنفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله
من السوء من سبح في الأرض وقدس فيها إذا ذهب فيها
وأبعد قال إني أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من الحكم في الإنسا
ما هو خفي عليكم يعني يكون فيهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
والأولياء والعلماء وما بمعنى الذي وهو مفعول أعلم والعائد
محذوف أي ما لا تعلمونه أي تجاوزوا وعلم آدم وهو
اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر واشتقاقه
فهو من الأدمة أو من أديم الأرض كاشتقاق إدريس
ويعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإ
بلاس الأسماء كلها المسميات بحذف المضاف إليه لكونه
معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء إذ الاسم يدل على المسمى
وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا والمعنى
أنه علم آدم مسميات الأسماء على حذف المضاف
وإقامة المضاف إليه مقامه لأن التعليم متعلق بالأسماء
لا بالمسميات لقوله تعالى أنبئوني بأسماء هؤلاء أنبئهم

بأسمائهم

بأسمائهم ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم ومعنى
تعليمه أسماء المسميات أنه أراه الأجناس التي خلقها
وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه
كذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما علمه اسم كل شيء القصعة
والمغرفة ثم عرضهم على الملائكة أي عرض المسميات
وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم وإنما استنبأهم
وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت فقال أنبئوني
أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين في زعمكم أني أستخلف
في الأرض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان
أن فيمن يستخلف من الفوائد العلمية التي هي أصول
الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا قالوا
سبحانك تنزيها لك أن يخفى عليك شيء أو عن الاعتراض عليك
في تدبيرك وأجابوا بالإقرار بعلم الأسماء فوق العجز بالجهل
فيما يعلم الشريعة وانتصابه على المصدر تقديره أسبح
الله تسبيحا لا علم لنا إلا ما علمتنا وليس فيه علم
الأسماء وما بمعنى الذي والعلم بمعنى المعلوم أي لا معلوم
لنا إلا الذي علمتنا إنك أنت العليم غير المعلم الحكيم فيما
قضيت وقدرت والكاف اسم إن وأنت مبتدأ وما بعده
خبره والجملة خبر إن أو أنت فصل والخبر العليم والحكيم خبر
ثان قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم أي
سمى كل شيء باسمه قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات
والأرض أي ما غاب فيهما عنكم مما كان وما لا يكون
وأعلم ما تبدون تظهرون وما كنتم تكتمون تسرون وإذ
قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أي اخضعوا له واعترفوا بالفضل
له عن أبي بن كعب رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كان في الخيلاء أو لم يكن خروا على الوجه والجمهور على أن
المأمور به وضع الوجه على الأرض وكان السجود تحية لآدم

عليه السلام والتحية اذ لو كان لله لما امتنع عنه ابليس
وكان بمنزلة التحية جاريا مجرى التبجيل لقوله صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله تعالى
فسجدوا الا ابليس ابى الاستثناء متصل لانه كان من الملا
ئكة كذا قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم وابن مسعود
رضي الله عنه ولان الاصل في الاستثناء ان يكون من جنس
المستثنى منه ولهذا قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك
وقوله كان من الجن جاز ان من الجن قوله وكان من الجن ففسق
وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان
من الجن بالنص وهو من الجنس ... ولانه خلق من
نار والملائكة خلقوا من النور ولانه ابى وعصى واستكبر
والملائكة لا يعصون الله ما امرهم ولا يستكبرون عن عبا
دته ولانه قال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ولا
نسل للملائكة وعن الجاحظ ان الجن والملائكة جنس
واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن
كان بين بين فهو جن ابى امتنع مما امر به واستكبر تكبر
تكبر عنه وكان من الكافرين في علم الله او صار منهم باستقباحه
واستكباره ورده الامر الا على الحمل بالامر لانه ترك
السجود الخروج من الايمان ولا يكون كفرا عند اهل السنة
خلافا للمعتزلة والخوارج او كان من الكافرين في علم
الله اي وكان في علم الله انه يكفر بعد ايمانه لا انه كان
كافرا ابدا في علم الله وهي مسئلة الموافاة وقلنا
يا ادم اسكن انت امر من السكنى الدار يسكنها سكنى
اذا اقام فيها ويقال سكن الحجر يسكن انت تاكيد
للمستكن في اسكن ليصح عطف وزوجك الجنة هي
جنة الخلد التي وعدت المتقين للفعل المشهور واللام
للتعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة

لاتكليف

لا تكليف فيها ولا خروج عنها ولما قلنا لا يخرج منها
من دخلها جزاء وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
ثم خرج منها واهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد
وكلا منها من ثمارها بحذف المضاف رغدا وصف للمصدر
اي اكلا رغدا اي واسعا حيث شئتما شئتما وكان من غير
زحمة ابو عمرو وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة اي الحنطة والداخل كيف لا يعجبه
الانسان وقوته من شجرة العصيان او الكرمة لانها اصل
كل فتنة او التينة فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب
جواب النهي من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم او من الضار
انفسهم فازلهما الشيطان عنها اي عن الشجرة اي حملهما
الشيطان على الزلة بسببها او تحقيقه فاصدر الشيطان
زلتهما عنها او ازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
عنها او ابعدهما وازالهما حمزة وقوله احتج بالحمل في التاويل
اما الحمل النهي على التنزيه دون التحريم او يحمل اللام على
تعريف العهد وكان الله تعالى اراد الجنس الا ان الوجه
وهذا دليل على انه تجوز الزلة واسم الزلة على الانبياء
عليهم السلام كما قاله مشايخ بخارى وعلى اسم يحمل
على خلاف الامر من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشي في الطين
وقال مشايخ سمرقند لا يطلق اسم الزلة على افعالهم كما
لا تطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الافضل
فعوتبوا عليه فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة
ومن الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقد قيل الله ازلا
لها بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم لا يمنع عن دخول
لها على التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على
جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحوا وروي انه اراد الدخ
ول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به

وقيل قام عند الباب فبادر وقلنا اهبطوا الهبوط النزول
الى الارض والخطاب لادم وحواء وذريتهما لانهما لما كانا
اصل الانس وتنزل جعلا كانهما الانس كلهم ويدل
عليه قوله تعالى اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو والمراد
ما عليه من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض والجملة
في موضع الحال من الواو في اهبطوا اي اهبطوا متعادين ولكم
في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع اي تمتع
من العيش الى حين الى يوم القيامة او الى الموت قال [illegible]
او [illegible] الاكلة [illegible] فتلقى ادم من ربه كلمات
اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها ونصب ادم
ورفع كلمات مكي على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به
وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا
كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن ابن مسعود رضي الله
عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا حين اقترف
الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال
بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك الم تسبق رحمتك غضبك
الم تسكني جنتك وهو تعالى يقول بلى بلى قال فلم اخرجتني من
الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت اراجعي انت الى الجنة
قال نعم فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى
بذكر توبة ادم لان حواء كانت تبعا له وقد طوي ذكر النساء
في اكثر مواضع الكتاب والسنة لذلك انه هو التواب الكثير
القبول للتوبة الرحيم على عباده قلنا اهبطوا منها
جميعا حال اي مجتمعين وكرر الامر بالهبوط للتاكيد
او لان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثاني من السماء

الى الارض

27

الى الارض او لما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى
اي رسول بعثته اليكم او كتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين
كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي بالقبول
والايمان فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما
خلفوا والشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك
ان جئتني فان قدرت احسنت اليك فلا خوف في كل القرآن
يعقوب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك مبتدأ والخبر
اصحاب النار اي اهلها ومستحقوها هم فيها خالدون والجملة في موضع الرفع
خبر المبتدأ اعني والذين هم فيها خالدون يا بني اسرائيل [illegible]
بني يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه في لسانهم
صفوة الله او عبد الله فاسرا هو العبد او الصفوة وايل
هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ذكر النعمة ان لا تخلوا
بشكرها ويحمدوا مانحها واراد بها ما انعم به على ابائهم
مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن
العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما انعم به عليهم من
ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل
واوفوا بعهدي يقال اوفى [illegible] وفيت بالعهد فانا واف به
واوفيت بالعهد فانا موف به والاختيار اوفيت وعليه
نزل التنزيل بعهدي بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة
لي او من الايمان بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم والكتاب
المعجز اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب
على حسناتكم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا
ويقال [illegible] فهما لغتان [illegible] الكفرين وقال اهل الاشارة اوفوا
[illegible] على [illegible] اوف [illegible] على [illegible]
[illegible] واياي فارهبون ولا تنقضوا عهدي
وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد [illegible]

اياي فارهبون وحذف الاول لان الثاني يدل عليه واما الاسم
ينتصب بقوله فارهبون لا انه اخر معمول له وهو اليا المحذوف
وفيه ويكسر في السوى بدليل اليا كما لا يخفى [illegible]
وانه هو به باضرب الاول فكأنه وامنوا بما انزلت يعني
القرآن مصدقا حال موكدة من اليا المحذوفة كانه قيل
انزلته مصدقا لما معكم من التوراة يعني في العبادة والتو
حيد والنبوات وامر محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكونوا اول
كافر به اي اول من كفر به او اول حزب او فوج كافر به او ولا
يكن كل احد منكم اول كافر به وفيه التعريض بانه كان
يجب ان يكونوا اول من يومن به لمعرفتهم به وبصفته
والضمير في به يعود الى القرآن ولا تشتروا ولا تستبدلوا
بآياتي بتغييرها وتحريفها ثمنا قليلا وان الحسن هو الدنيا
بحذافيرها وقيل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا
فوات عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واياي فاتقون فخافون فارهبون فاتقون بالياء في الحالين
وكذا كل يا محذوفة في الخط يعقوب ولا تلبسوا الحق
بالباطل لا تلبسوا الحق بالباطل خلطه والباء كانت صلة
مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به والمعنى
ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل
بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت
للاستعانة كالتي في كتبت بالقلم كان المعنى
ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه
وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا
او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا
بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل
السمك وتشرب اللبن وهو امران يعني ان لبس الحق بالباطل
باطل ما ذكرنا من كتابتهم في التوراة ما ليس منها

وكتمانهم

وكتمانهم الحق بقولهم لا نجد في التوراة صفة محمد صلى الله
عليه وسلم او حكمه كذا وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون
كاتمون وهو اقبح منهم لان الجهل قد يعذر صاحبه [illegible]
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة اي صلاة المسلمين وزكاتهم
واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم
اي اسلموا واعملوا عمل اهل الاسلام وجاز ان يراد بالركوع الصلاة
كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلوا مع المصلين
يعني في الجماعة اي صلوا مع المصلين لا منفردين [illegible] اتا
مرون الناس بالبر التقرير مع التوبيخ والتعجيب من
حالهم بالبر اي بسعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته
ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار
يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد
صلى الله عليه وسلم او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخا
لفة القول العمل ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة
ولا يتصدقون واذا اوتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها
وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم
تتلون الكتاب تبكيت اي تتلون التوراة وفيها نعت محمد
صلى الله عليه وسلم او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر
ومخالفة القول العمل افلا تعقلون افلا تفطنون لقبح
ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو
توبيخ عظيم واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلاة
اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوات
محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب ودفع الو
ساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة
الآداب والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي
جبار السماوات والارض او واستعينوا على البلايا والنوائب
بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان صلى

الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فا
سترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلاة
وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل
لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلاة الدعاء اي استعينوا على
البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله
في دفعه وانها الضمير للصلاة او للاستعانة لكبيرة لشا
قة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر الا على الخاشعين الذين
يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم
الا بين الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون
لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون
بيتيقنون لقراءة عبد الله رضي الله عنه يعلمون اي يعلمون
انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك واما من لم يو
قن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليهم مشقة خالصة
والخشوع الاخبات والتطامن واما الخضوع فاللين والا
نقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقوا ربهم اي معاينوه
بلا كيف وانهم اليه راجعون لا يملك امرهم في الاخرة
احد سواه يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
التكرير للتاكيد واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي
اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس
يقال رايت عالما من الناس والمراد الكثرة واتقوا يوما
اي يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف لا تجزي نفس
مومنة عن نفس كافرة شيئا اي لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق التي لزمتها وشيئا مفعول به او مصدر اي قليلا
من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة ليوما والعائد منها
الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ولا يقبل منها
شفاعة ولا يقبل بالتاء مكي وبصري الضمير في منها يرجع

الى النفس

الى النفس المومنة اي لا يقبل منها شفاعة للكافرة وقيل
كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فايسوا
وهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتمسك المعتزلة
بالاية في نفي الشفاعة مردود لان المنفي شفاعة الكفار
وقد قال عليه الصلاة والسلام شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي من كذب بها لم ينلها ولا يؤخذ منها عدل اي فدية
لانها معادلة للمفدى ولا هم ينصرون يعاونون وجمع لدلالة
النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر بمعنى العباد
او الاناسي واذ نجيناكم من ال فرعون اصل ال اهل ولذا يصغر
باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر
كالملوك واشباههم فلا يقال ال الاسكاف والحجام وفرعون
علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك
الفرس يسومونكم حال من ال فرعون اي يولونكم من سامه خسفا
اولاه ظلما واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى
يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه ومنه البيع
مرابحة او معطا البيه وسوء مفعول ثان ليسومونكم وهو
مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل
يريد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده
وافظعه يذبحون ابناءكم بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك
العاطف ويستحيون نساءكم يتركون بناتكم احياء للخدمة وانما
فعلوا ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود
يزول ملكه بسببه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما
في دفع القضاء وكان ما شاء الله وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير
الى صنيعهم ونعمة ان اشير الى الانجاء من ربكم صفة
لبلاء عظيم صفة ثانية واذ فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض
حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا اي فصلنا يقال فرق
بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني

لكم

عشر على عدد الاسباط بين كل ... كانوا يسلكونه ويتفرق
الماء عند سلوكهم بحالها فرق بينهم او فرقناه بسببكم
او فرقناه ملتبسا بكم فيكون في موضع الحال روي ان بني
اسرائيل قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام اين اصحابنا
نحن لا نراهم حتى نراهم فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا
فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسا
معوا كلامهم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون
الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه واذ واعدنا
موسى لان الله تعالى وعده الوحي ووعدهو المجي
للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بحر لما دخل
بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب
ينتهون اليه وعد الله تعالى موسى ان ينزل عليه التوراة
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال اربعين
ليلة لان الشهور غررها الليالي واربعين مفعول ثان لو
عدنا لا ظرف لانه ليس معناه وعدناه في اربعين ليلة
ثم اتخذتم العجل اي الها معبودا فالمفعول الثاني محذوف وبابه
بالاضمار من بعده من بعد مضيه الى الطور
وانتم ظالمون بوضعكم العبادة في غير موضعها والجملة حال
اي عبدتموه ظالمين ثم عفونا عنكم محونا ذنوبكم عنكم
من بعد ذلك من بعد الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي
تشكروا النعمة في العفو عنكم واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة تفرق
بين الحق والباطل يعني التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث
تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التوراة والبرهان
الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من
الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام او فعل الحق
مثل اطلاق الحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه لعلكم
تهتدون لكي تهتدوا واذ قال موسى لقومه الذين عبدوا

العجل

العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل معبودا
فتوبوا الى بارئكم هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت
وفيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم
الحكيم الذي برأهم ابرياء من التفاوت الى عبادة البقر
الذي هو مثل في الغباوة والبلادة فاقتلوا انفسكم
قيل هو القتل على ... وقيل معناه قتل بعضهم
بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة
فقتل سبعون الفا ذلكم التوبة والقتل خير لكم
عند بارئكم من الاصرار على المعصية فتاب عليكم انه هو
التواب الرحيم المفضال بقبول التوبة وان كثرت
الرحيم بجميع التوبة وان كثرت والفاء الاولى للتسبيب
لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى
فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم اذ الله جعل
توبتهم قتل انفسهم والثالثة متعلقة بشرط
محذوف كانه قال ان فعلتم فقد تاب عليكم واذ
قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة عيانا
وانتصابها على المصدر كما انتصب القرفصاء بفعل
الجلوس او على الحال من الفاعل او المفعول جهرة فاخذتكم
الصاعقة اي الموت قيل هي نار جاءت من السماء فاحرقتهم
والمراد السبعون الذين كانوا مع موسى عليه الصلاة والسلام
عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل
كما عبده هؤلاء فارنا الله جهرة فقال موسى
عليه السلام سألته ذلك فابى علي فقالوا انك رأيت
الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبعث الله عليهم
صاعقة فاحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الآية
في نفي الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤ
ال ما هو جائز الثبوت قلنا انما عذبوا لكفرهم

لك من قولهم انا رايت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ظاهرة منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان بموسى
بعد ظهور معجزاته حتى يروا ربهم جهرة والايمان
بالانبيا واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح
الايات عليهم ولانهم لم يسالوا اواكمال سوال المسترشد
لنا دليل بل سوال تعنت وعناد وانتم تنظرون اليها
حين نزلت ثم بعثناكم احييناكم او ولده الاثارى
من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت
وظللنا عليكم الغمام وجعلنا الغمام تظلكم وفي التيه
في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم
من الشمس وينزل بالليل عمود من النار يسيرون في ضوئه
وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن الترنجبين
وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع
الشمس لكل انسان صاع والسلوى وكان يبعث الله عليهم
الجنوب فيحشر عليهم السلوى وهو السماني فيذبح الر
جل منهم ما يكفيه وقلنا لهم كلوا من طيبات لذيذات
او حلالات ما رزقناكم وما ظلمونا يعني فظلموا بان
كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون انفسهم مفعول يظلمون وخبر كان واذ قلنا
لهم بعد ما خرجوا من التيه ادخلوا هذه القرية اي بيت
المقدس او اريحا والقرية المجتمع من قريت الما اي جمع
العلو امروا بدخولها بعد التيه فكلوا منها من
طعام القرية وثمارها حيث شئتم رغدا واسعا وادخلوا
الباب سجدا باب القرية او باب القبة التي كانوا
يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة
موسى عليه الصلاة والسلام وايضا دخلوا الباب في حياته
ودخلوا بيت المقدس بعده سجدا حال وهو جمع ساجد

امروا

امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا
وقولوا حطة فعلة من الحط كالجلسة وهي خبر مبتدا
محذوف اي مسالتنا حطة او امرنا حطة والاصل النصب وقد
قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى
الثبات وقيل امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر
فيها وعن علي كرم الله وجهه هو بسم الله الرحمن الرحيم
وعن عكرمة هو لا اله الا الله نغفر لكم خطاياكم جمع خطيئة
وهو الذنب بعد ذلك مدخل تعليل شامل وسنزيد المحسنين
اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة
ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين
ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فيه حذف وتقديره فبدل الذين
ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم وبدل يتعدى الى
مفعول واحد بنفسه والى اخر بالباء والذي مع البا
متروك والذي يعني المامور به يعني وضعوا مكان حطة
قولا غيرها اي امروا بقول معناه التوبة والاستغفار
فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا
امر الله وقالوا مكان امر الله حطة حنطة وقيل
قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمرا استهزاء منهم
بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون
من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرر الذين ظلموا
ولم يكن الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم والايذان
بان انزال الرجز عليهم لظلمهم من السماء صفة الرجز بما
كانوا يفسقون بسبب فسقهم روي انه مات منهم
في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون
الفا واذ استسقى موسى لقومه حين عطشوا في التيه فقيل
واذكر اذ استسقى اي استدعى ان يسقي قومه فقلنا اضرب
بعصاك الحجر عطشوا في التيه فدعا لهم موسى عليه الصلاة والسلام

بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والاشارة
الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان
مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين
لكل سبط عين وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثنا عشر ميلا او للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له
الحجر وهو الاظهر في الحجة وابين في القدرة فانفجرت
الفا متعلقة بمحذوف اي فضربه فانفجرت اي سالت
بكثرة او فان ضربته فقد انفجرت وهي على هذا فاء فصيحة
لا تقع الا في كلام بليغ منه اثنتا عشرة عينا
على عدد الاسباط وقرئ بكسر الشين وبفتحها وهما
لغتان وعينا تمييز قد علم كل اناس كل سبط منهم مشربهم
عينهم التي يشربون منها وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى
واشربوا من ماء العيون من رزق الله اي الكل مما رزقكم
الله ولا تعثوا في الارض لا تعتدوا فيها والعيث اشد
الفساد مفسدين حال موكدة لا تمادوا في الفساد
في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه واذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد هو ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم ارادوا
بالواحد ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة
يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا ياكل فلان الا
من طعام واحد ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف
او ارادوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل
التلذذ والترف وكانوا من الزرعات فارادوا ما الفوا
من البقول والحبوب وغير ذلك فادع لنا ربك سله وقل
له اخرج لنا يخرج لنا يظهر لنا ويوجد مما تنبت الارض
من بقلها هو ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب
البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوها مما ياكلها

الناس

الناس وقثائها بقثاء الخيار وفومها هو الحنطة او الثوم
لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وثومها وعدسها وبصلها
قال اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة واهون مقدارا
والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار بالذي هو خير
ارفع واجل اهبطوا مصرا من الامصار اي انحدروا اليه من
التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا
في ثمانية فراسخ او مصر فرعون وانما صرفه مع وجود
السببين وهما التعريف والتانيث لارادة البلد او السكون
وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف والثلاثي يخف
هما
فان لكم ما سالتم اي فان الذي سالتم يكون في الامصار
لا في التيه وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الهوان والفقر
يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما
يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم
ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود
صاغرون اذلاء اهل مسكنة وفقر او لتصاغرهم وتفا
قرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة حمزة
وعلي وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم
ابو عمرو وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم وباءوا بغضب من الله
من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمسا
واته اي صاروا احقاء بغضبه وعن الكسائي رجعوا ذلك اشارة
الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والعلاقة بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بالهمز نافع وكذا بابه اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم
الانبياء وقد قتلت اليهود شعيا وزكريا ويحيى والنبي من
النبا لانه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل او من نبا اي
ارتفع والنبوة المكان المرتفع بغير الحق عندهم ايضا فانهم
لو انصفوا لم يذكروا شيئا يستحقون به القتل عندهم

وهو في محل النصب على الحال من الضمير في يقتلون بهم
مبطلين في تقتيلهم الاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون
بسببه ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل
شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو
اعتداؤهم في السبت وجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل
الانبياء على ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا
فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحودهم
الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا
ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنا
فقون والذين هادوا تهودوا يقال هاد يهود او تهود
اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى
جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامراة نصرانة
والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا بذلك لانهم
نصروا المسيح والصابئين الخارجين من دين مشهور الى غيره
من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية
والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤون الزبور من
آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا وعمل
صالحا فلهم اجرهم ثوابهم عند ربهم في الآخرة ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ومحل من آمن الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم
اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف
عليه وخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء
لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل بما في التوراة
ورفعنا فوقكم الطور اي الجبل حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك
ان موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها
من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها
فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه

فظلله

فظلله فوقهم وقال لهم موسى عليه السلام ان قبلتم والا القي
عليكم حتى قبلوا وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم من الكتاب اي التوراة
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا احكام الكتاب
وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء
منكم ان تكونوا متقين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء
به من بعد ذلك من بعد القبول فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتأخير العذاب عنكم او بتوفيقكم للتوبة لكنتم من الخاسرين
الهالكين في العذاب ولقد علمتم عرفتم فيتعدى الى مفعول
واحد الذين اعتدوا منكم في السبت وهو مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه اي جاوزوا
ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا
بالصيد وذلك ان الله تعالى نهاهم ان يصيدوا في السبت
ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه
يوم السبت فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا
اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لامنها
من الصيد وكانوا يسدون منافذها من البحر فيصطادونها
يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم فقلنا لهم
كونوا بتكويننا اياكم قردة خاسئين خبر ان اي كونوا جا
معين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة فكانت عقوبة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه
لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم
والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها
واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين وموعظة للمتقين الذين
نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ
قال موسى لقومه اي واذكروا اذ قال موسى وهو معطوف على
نعمتي في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كانه قال اذكروا
ذاك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا في الظروف

وفي التي تاتي الى قوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان
اي بان تذبحوا بقرة قال المفسرون اول القصة مؤخرة في التلاوة
وهو قوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك ان رجلا من
بني اسرائيل قتله بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على
باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا
أتتخذنا هزوا اي اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او الهزو
نفسه لفرط الاستهزاء وقرئ هزؤا بسكون الزاي والهمزة
هزوا وبتخفيف الواو وحفص يقرأهما بالتثقيل والضم
قال اعوذ بالله الجاهلين والجاهل من فرواه ان اكون من
الجاهلين لان الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه
وفيه تعريض لهم اي انتم جاهلون حيث نسبتموني الى الاستهزاء
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي سؤال عن حالها وصفتها
لانهم كانوا عالمين بماهيتها الا انها وان كان يسال بما عن
الجنس وكيف عن الوصف ولكن تقع ما موقع كيف وذلك
انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى
فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان وما
هي خبر ومبتدأ قال انه يقول انها بقرة لا فارض مسنة
وسميت فارضا لانها فرضت سنها ولا بكر فتية
عوان نصف بين ذلك بين الفارض والبكر
ولم يقل بين ذلك مع ان بين يقتضي شيئين فصاعدا لانه
اراد بين هذا المذكور وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة
في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط
من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت
الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل
كانهما فقال اردت كان ذلك فافعلوا ما تؤمرون اي
تؤمرونه بمعنى تؤمرون به او امركم بمعنى مأموركم تسمية

للمفعول

للمفعول بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها موضع ما رفع لانه مبتدأ معناه الاستفهام تقديره
ادع لنا ربك يبين لنا اي شيء لونها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه
يقال في التوكيد اصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبرا
عن اللون الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق
بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون
فائدة التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه
قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده
تسر الناظرين تعجبهم بحسنها والسرور لذة في القلب
عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس
نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف
زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا
فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم ان البقر تشابه
علينا ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه
علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها
او الى ما خفي علينا من امر القاتل وان شاء الله اعتراض
بين اسم ان وخبرها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم
اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله قال انه يقول انها
بقرة تثير الارض لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول
يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا تسقي الحرث ولا
هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحرث ولا الاولى نافية
والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير
الارض اي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث على ان الفعلين
صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة ولا ساقية

مسلمة من العيوب وآثار العمل لا شية فيها لا لمعة في
نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قر
نها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية
إذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق أي بحقيقة
وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها جئت وبانه
يعني همز أبو عمرو فذبحوها أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه
الأوصاف كلها فذبحوها وما كادوا يفعلون لغلاء
ثمنها أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل روي أنه كان
في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة
وقال اللهم إني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا
بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساو
موها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا
وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا
البقرة الموصوفة أربعين سنة وهذا البيان من قبيل
تقييد المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز
وكذا قبل التمكن خلافا للمعتزلة وإذ قتلتم نفسا اتقو
واذكروا إذ خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم
فيها اختلفتم أو اختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ
بعضهم على بعض أي يدفعه أو تدافعتم بأن طرح قتلها
بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لأن الطارح
في نفسه يدفع وأصله تدارأتم ثم أريد التخفيف فقلبوا
التاء دالا فصيرت بجنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن
الإدغام ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون
الأول ساكنا وزيدت همزة الوصل لأنه لو لم يمكن الابتداء
بالساكن فادارأتم بغير ألف أبو عمرو والله مخرج ما كنتم
تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتموه من أمر القتل
لا يتركه مكتوما وأعمل مخرج على حكاية ما كان

مستقبلا

مستقبلا في وقت التدارؤ وهذه الجملة اعتراض بين
المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير
في اضربوه يرجع إلى النفس والتذكير بتأويل الشخص والإنسان
أو إلى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض
البقرة وهو لسانها أو نحوها العظم أو عجبها والمعنى
فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة كذلك يحيي الله الموتى عليه
روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وقال قتلني فلان وفلان
لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل
بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى إما أن يكون خطابا
للمنكرين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإما أن يكون خطابا
للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي
الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته دلائله على أنه
قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقو
لكم وهي أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء
جميعها لعدم الاختصاص والحكمة في ذبح البقرة وضربه
ببعضها وإن قدر على إحيائه بلا واسطة التقرب به والإ
شعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعبادة
وترك التشديد في الأمور والمسارعة إلى امتثال
أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال وغير ذلك
وقيل إنما أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم
لأنها أفضل قرابينهم ولعبادتهم العجل فأراد الله تعالى
أن يهون معبودهم عندهم وكان ينبغي أن يقدم ذكر القتيل
والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ
قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه
ببعضها ولكنه تعالى إنما قص قصص بني إسرائيل تعديدا
لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولها
تان القصتان وإن كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة

منهما بنوع التقريع فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء
وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع
على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآيات الحكمية
وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه
لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية
التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استوقفت الثانية
استيناف قصة بان اسند الى ضمائر بالاولى بضمير البقرة
لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها بحيث يتبين انهما
قصتان فيما يرجع الى التقريع وقصة واحدة بالضمير
الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى ان من اراد
احياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بانواع المجا
هدات ثم قست قلوبكم استبعاد القسوة من بعد
ما يوجب لين القلوب ورقتها ووصف القلوب بالقسوة
مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ من بعد ذلك اشارة الى
احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة
فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة
منها وانته معطوف على الكاف تقديره او مثل اشد
قسوة بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او هي
في انفسها اشد قسوة يعني ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وانما لم يقل اقسى لكونه
ابين وادل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم
الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وان من الحجارة بيان
لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة لما يتفجر منه الانهار
ما الحرف الذي في موضع النصب وهو اسم ان واللام للتوكيد
والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وان منها لما يشقق اصله
يتشقق وبه قرأ الاعمش فقلبت التاء شينا وادغمت فيخرج
منه الماء يعني ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتفجر من

منها

منه الماء الكثير ومنها ما يتشقق انشقاقا بالطول
او بالعرض فينبع منه الماء ايضا وقلوبهم لا تنشق وان منها
لما يهبط يتردى من اعلى الجبل من خشية الله قيل مجاز عن
انقيادها لامر الله تعالى وانها لا تمتنع على ما يريد فيها
وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقيل المراد
به حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحياة والتمييز
وليس بشرط خلق الحياة والتمييز في الجسم ان يكون ببنية
مخصوصة عند اهل السنة وعلى نحو قوله لو انزلنا هذا
القرآن على جبل الآية يعني وقلوبهم لا تخشع وما الله بغافل
عما تعملون وبالياء مكي وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوا لاجل
دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد
كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله
اي التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وآية الرجم من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه
بعقولهم ولم يبق لهم شك في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء
حرفوا قبلهم سابقة في ذلك واذا لقوا اي المنافقون او اليهود
الذين آمنوا اي المخلصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا اي المنافقون آمنا بانكم على الحق وان محمدا صلى الله عليه وسلم
هو الرسول المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الذين لم ينا
فقوا الى بعض اي الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم
اتخبرون اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بما فتح الله عليكم
بما بين في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليحاجوكم
به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محا
جتهم به وقولهم في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا ترى انك
تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا او هو عند الله هكذا
بمعنى واحد وقيل على اضمار المضاف عند كتاب ربكم

وقيل المحاجة الموعظة ونحا تحوكم به بما فتح الله عليكم عند ربكم في الآخرة
يقولون لكم نحن به نحاور وفيعر على صدقه أفلا تعقلون أن هذه
حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه أولا يعلمون
أن الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها إسرارهم
الكفر وإعلانهم الإيمان ومنهم ومن اليهود أميون لا يحسنون
الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب
أي التورية إلا أماني إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو
عنهم ويرحمهم وأن لن تمسهم النار إلا أياما معدودة أو إلا
أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد
ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمت أو إلا
ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور
عليه السلام على رسل لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وإنما
يعرفون أشياء أخذوها تقليدا من أحبارهم والاستثناء منقطع
وإن هم وما هم إلا يظنون لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوته
بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام
الذين قلدوهم ونبه على أنهم في الضلال سواء فويل للذين يكتبون
الكتاب المحرف بأيديهم من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون
منزلا وذكر الأيدي للتأكيد وهو من مجاز التأكيد ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا عوضا يسيرا فويل لهم
مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون من الرشا وقالوا
لن تمسنا النار إلا أياما معدودة أربعين يوما عدد أيام
عبادة العجل عن مجاهد رضي الله عنه كانوا يقولون مدة
الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما
قل أتخذتم عند الله عهدا أي عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار
فلن يخلف الله عهده متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند
الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون

أم لا

أم لا تكون معادلة أي أم تقولون على الله ما لا تعلمون أي
تقولون عليه ما لا تعلمون بلى إثبات لما بعد النفي وهو لن تمسنا
أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة
شركا عن ابن مسعود ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهم وأحاطت
به خطيئته وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه
فأما إن مات مؤمنا فأعظم الطاعات وهو الإيمان معه فلا
يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وبهذا التأويل يبطل
تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط
العدو ولم ينفصل عنها بالتوبة خطيئته مدني فأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وإذ أخذنا ميثاق
بني إسرائيل الميثاق العهد الموثق غاية التوثيق لا تعبدون
إلا الله إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول
له كذا تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأن
سورع إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه وتنصره
قراءة أبي لا تعبدوا وقوله وقولوا والقوام حتى لا يعبدون
مكي وحمزة وعلي لأن بني إسرائيل اسم ظاهر والأسماء الظاهرة
كلها غيب ومعناه أن لا تعبدوا فلما حذف أن رفع
وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا وتعلقه عقيب الأمر وهو
قوله وقولوا عليه وذي القربى واليتامى والمساكين جمع يتيم
وهو الذي فقد أباه قبل الحلم إلى الحلم لقوله صلى الله عليه
وسلم لا يتم بعد البلوغ والمسكين مفعيل من السكون وهو الذي أسكنته
الحاجة وقولوا للناس حسنا قولا هو حسن في نفسه
لإفراط حسنه حسنا حمزة وعلي وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة ثم توليتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم
من الذين أسلموا منهم وأنتم معرضون وأنتم قوم عادتكم
الإعراض عن المواثيق والتولية وإذ أخذنا ميثاقكم

لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم أي لا يقتل
ولا يخرج بعضكم بعضا جعل غير الرجل نفسه لاتصاله به أصلا
أو دينا وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه ثم أقررتم
بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وأنتم تشهدون عليها
كما تقول أقر فلان على نفسه بكذا شاهدا عليها أو وأنتم
تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم
بهذا الميثاق ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه من القتل
والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم
ثم أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين تقتلون أنفسكم صلة
هؤلاء وهو مع صلته خبر أنتم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
غير مراقبين ميثاق الله تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان
أي تتعاونون بالتشديد بعضهم بعضا من ظهير وقرئ بحذف إحدى
التاءين ثم قيل هي الثانية لأن الثقل بها وقيل الأولى
قلب التاء الثانية ظاء وأدغم بالإثم والعدوان بالمعصية
والظلم وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وقرئ أسرى تفدوهم
وأسارى تفدوهم وتفادوهم أسرى تفدوهم ... أسرا
... على ... جمع أسير ... جمع
تكسير ... الجمع ... للفداء ...
... يعني ... يفدون بعض الكتاب بعد الأسارى
وتكفرون ببعض القتل والإجلاء ... أخذ الله
عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة
وفداء الأسرى فأعرضوا عن الكل إلا الفداء فما جزاء
من يفعل ذلك منكم إلا ... الإيمان ببعض والكفر ببعض
منكم إلا خزي ... وهوان في الحياة الدنيا ويوم القيامة
يردون إلى أشد العذاب ... لا روح فيه ولا فرج
أو إلى أشد من عذاب الدنيا وما الله بغافل عما تعملون ...

مقتضى ... أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة
اختاروها على الآخرة اختيار المشتري فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم
ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة جملة واحدة وقفينا من
بعده بالرسل يقال قفاه إذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من
الذنب وقفاه به إذا أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره
الكثير من الرسل وهم يوشع وشمويل وشمعون وداود
وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل
وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم
على نبينا وعليهم الصلاة والسلام وآتينا عيسى ابن مريم ومعنى
بمعنى الخادم ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا
لم يثبت في الأبنية البينات المعجزات الواضحات كإحياء
الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات وأيدناه
قويناه بروح القدس أي ... حيث ...
أي الروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ورجل صدق ... القدس
للاختصاص ... أو بجبريل لأنه يأتي بما فيه حياة
القلوب وذلك لأنه رفعه إلى السماء ...
... أو بالإنجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا أو باسم
الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره أفكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ...
ففريقا كذبتم كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وفريقا
تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام ...
... [illegible] ...
... محمد صلى الله عليه وسلم ...
وسحروا له الشاة ... وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم
... فقليلا ما يؤمنون ...
الإيمان ... [illegible]

مكن

والتعجيب من بقائهم وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي
خلقت مغشاة ذات غلفية لا تصل اليها ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن
بل لعنهم الله بكفرهم ورد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك
لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق وانما ابعدهم
وطردهم بكفرهم وخذلهم فقليلا ما يؤمنون وقليلا صفة
مصدر محذوف اي فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة ولهم
ايمان ثم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم
وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف اي قلوبنا اوعية
للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيرنا او اوعية للعلم
فلو كان ما جئت به حقا لقبلنا ولما جاءهم اليهود كتاب
من عند الله اي القرآن مصدق لما معهم من كتابهم التوراة
وكانوا من قبل مجيء القرآن يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون
على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث
صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة
ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
فلما جاءهم ما عرفوا ما موصولة اي ما عرفوه وهو محمد
كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة فلعنة الله
على الكافرين اي عليهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد او للجنس ودخوله
فيه دخولا اوليا وجواب لما الاولى محذوف وهو نحو كذبوا
به او انكروه او كفروا وجواب الاولى والثانية لان مقتضاهما
واحد ومعه بئسما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل
بئس او بمعنى شيئا اشتروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص
بالذم ان يكفروا بما انزل الله من القرآن بغيا مفعول

له

39

له اي حسدا او طلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل
الله لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوا على ان ينزل الله
من فضله الذي هو الوحي على من يشاء من عباده وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فباءوا رجعوا بغضب على غضب صاروا احقاء
بغضب مترادف لانهم كفروا بالنبي الحق وبغوا عليه او
كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما الصلاة والسلام او بعد قولهم
عزير عليه السلام ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك
وللكافرين عذاب مهين مذل [illegible] ذو اهانة وقرأ ابو عمرو
وينزل بالتخفيف مكي وبصري واذا قيل لهم لهؤلاء اليهود
امنوا بما انزل الله من القرآن او هو مطلق يتناول
كل كتاب الله قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التوراة و
يكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما
وراء التوراة وهو الحق محمد مصدقا لما معهم غير مخالف له وفيه
رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد
كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة قل فلم تقتلون انبياء الله
اي فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدل عليه
قوله من قبل ان كنتم مؤمنين اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان
بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء عليهم السلام
قيل فقتلوا في يوم واحد ثلثمائة نبي في بيت المقدس ولقد
جاءكم موسى بالبينات بالايات التسع والحجج الدالة الجلية
حيث كان [illegible] ثم اتخذتم العجل الها من
بعده من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور وانتم
ظالمون وهو حال اي عبدتم العجل ظالمين واضعين العبادة
غير موضعها او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة

ليست مع الاول والسمع امر به في التورية

سمعنا قولك وعصينا امرك والاول قوله جوابهم من حيث
قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة
فقالوا اسمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل
اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ
الثوب وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف
واما الحب محذوف بكفرهم بسبب كفرهم واعتقادهم
التشبيه قل بيسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه
ليس في التورية عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم
تهكم وكذا الاضافة الايمان اليهم ان كنتم مومنين
تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم قل ان كانت
لكم الدار الاخرة اي الجنة عند الله ظرف ولكم خبر كان
خالصة حال من الدار الاخرة اي سالمة لكم ليس لاحد
سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا من دون الناس هو للجنس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين فيما تقولون لان من ايقن انه من اهل
الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب
كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم
ان كل احد منهم يحب الموت ويحن اليه ولن يتمنوه ابدا
هو نصب على الظرف اي لن يتمنوه ما عاشوا بما قدمت
ايديهم بما اسلفوا من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار
بالغيب وكان كما اخبر به كقوله فلن تفعلوا ولو تمنوه
لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث والله عليم بالظالمين
تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس من وجد بمعنى علم وهو
احرص على حياة التنكير يدل على ان المراد حياة مخصوصة

ولعلى الحياة

وهي الحياة المتطاولة ولهذا كانت القراءة بها اوقع من
قراءة ابي رضي الله عنه على الحياة ومن الذين اشركوا
هو محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس
نعم قد دخل الذين اشركوا تحت الناس ولكنهم
افردوا بالذكر لان حرصهم اشد كما افرد جبريل
وميكائيل بالذكر وان دخلا في الملائكة
او يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص
عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يومنون
بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها
لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد في الحرص من له
كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ
وانما زاد حرصهم على الذين اشركوا لانهم علموا انهم
صائرون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك
في قوله يود احدهم لو يعمر الف سنة بيان لزيادة حرصهم
على طريق الاستئناف وقيل اراد بالذين اشركوا
المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف
نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم
زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي
ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف والذين
اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير
ابن الله والضمير في وما هو بمزحزحه من العذاب لاحدهم
وقوله ان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره وجاز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه
والزحزحة التبعيد والانجاء قال جامع العلوم وعن
لم يقل ان يعمر فلو ههنا نائبة عن ان وان مع الفعل
في تاويل المصدر وهو مفعول يود احدهم التعمير الف سنة
والله بصير بما يعملون اي يعلم هؤلاء الكفار في اقوالهم

عليه وبالثاني يعقوب قل من كان عدوا لجبريل بفتح الجيم
وكسر الراء بلا همز مكي وبفتح الراء والجيم بالهمز شعبة
ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله
لأن الجبر هو العبد بالسريانية وإيل اسم الله روي أن ابن
صوريا من أحبار اليهود حاج النبي صلى الله عليه وسلم
عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا
ولو كان غيره لآمنا وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل
على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من
يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل
وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإن
لم يكن إياه فعلى أي حق تقتلونه فإنه نزله فإن جبريل نزل
القرآن ونحو هذا الإضمار أعني إضمار ما لم يسبق ذكره
فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على
نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على
قلبك أي حفظه إياك وخص القلب لأنه محل الحفظ كقوله
نزل به الروح الأمين على قلبك وكان حقه أن يقال
على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به وإنما
استقام أن يقع فإنه نزله جزاء للشرط لأن تقديره
إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته
حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا
لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح
المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان
عدوا لجبريل فليمت غيظا فإنه نزل الوحي على قلبك بإذن
الله بأمره مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
رد على اليهود حين قالوا إن جبريل ينزل بالحرب والشدة
فقيل فإنه ينزل بالهدى والبشرى أيضا من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال بصري

وحفص

وحفص وميكائل بالاختلاس مدني كميكاعل مدني
وميكائيل بالهمز وكسر الهمزة مشبعة غيرهم وخص الملكان
بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر إذ التغاير في الو
صف ينزل منزلة التغاير في الذات ولقد أنزلنا إليك آيات
بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون المتمردون من
الكفرة واللام للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى
أهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ابن صوريا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل
عليك من آية فنتبعك لها فنزلت أوكلما الواو للعطف
على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا
عهدا نبذه نقضه ورفضه فريق منهم لأن منهم من لم ينقض
بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا
يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به ولما جاءهم رسول
من عند الله محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم نبذ فريق
من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لأنهم
بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون
بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعدما
لزمهم تلقيه بالقبول وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم
عنه مثل ما يرمى به وراء الظهر والاستغناء عنه وقلة الالتفات
إليه كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين
أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر
والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان على عهد
ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع
ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى
الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس
وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إن الجن
تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان عليه السلام

وما انهم ملك سليمان الا بهذا وبه يسخر الجن والانس
والريح وما التوكيد القسمي الى معناه لو كانوا يعلمون يعلمه
جعله خبرا لم يعلموا انه ظالم لانهم لا يعلمون ولو انهم امنوا برسول
الله والقرءان واتقوا الله بتركها اهم عليه من نبذ كتاب
الله واتباع كتب السحر لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه
جعلهم لما تركوا العمل بالعلم والعمل لا يتبعوا من عند الله
ما هو خير واوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب
لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم
يقل لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل
لو يتمنى التمني كانه قيل ليتهم امنوا ثم ابتدا لمثوبة
من عند الله خير يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا القى عليهم شيئا من العلم قالوا راعنا يا رسول الله اي راقبنا
وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة
يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعنا فلما سمعوا
يقول المومنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله
عليه وسلم وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المومنون عنها
وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره واسمعوا
واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة
حتى لا تحتاجون الى الاعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع
قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا
وعصينا وللكافرين ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عذاب اليم مولم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم ولا الاخيرة مكي وابو عمرو

من خير

42

من خير من ربكم من الاولى للبيان لان الذي ما يود الذين كفروا جنس تحته
نوعان اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق
الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذا الرحمة
والله يختص برحمته من يشاء يعني انهم يرون انفسهم
احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم
شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء والله ذو
الفضل العظيم فيه اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم
ولما طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل ما ننسخ من اية او ننسها
تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي
المطلق الذي تقرر في اوهامنا استمراره بطريق التراخي
وكان تبديلا في حقنا بيانا محضا في حق صاحب الشرع وفيه
جواب عن البدا الذي يدعيه منكرو النسخ من اليهود ومحله
حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ
من توقيت او تابيد ثبت نصا او دلالة وشرطه التمكن
من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة
وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز
نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم
ونسخ وصف في الحكم مثل الزيادة على النص فانه نسخ عندنا
خلافا للشافعي رحمه الله والانساء ان يذهب بحفظها
عن القلوب او ننسها مكي وابو عمرو اي نوخرها من
نسا اي اخرته نات بخير منها نات باية خير منها
للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك
اي في الفضيلة لتفضيل الايات على بعض الم تعلم ان الله على
كل شيء قدير اي قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله الم تعلم
ان الله له ملك السماوات والارض فهو يملك اموركم

ويدبرها وهو أعلم بما يتعلق به من ناسخ ومنسوخ
وما لكم من دون الله من ولي يلي أمركم ولا نصير ناصر يمنعكم
من العذاب أم تريدون أم منقطعة وتقديره بل أتريدون
أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل روي أن قريشا
قالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع
لنا مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح
قوم موسى عليه حين قالوا أرنا الله جهرة ومن يتبدل الكفر
بالإيمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح
غيرها فقد ضل سواء السبيل قصده ووسطه ود كثير
من أهل الكتاب لو يردونكم أي أن يردوكم من بعد إيمانكم كفارا
حال من كم في يردونكم نزلت حين قالت اليهود
للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم
على الحق لما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم حسدا
مفعول له أي لأجل الحسد وهو الأسف على الخير عند الغير
من عند أنفسهم يتعلق بود أي ودوا من عند أنفسهم
ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم
ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم الحق أي بعد علمهم بأنكم
على الحق أو بحسدا أي حسدا منبعثا من أصل
نفوسهم فاعفوا واصفحوا أي اسلكوا معهم سبيل العفو
والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله
بأمره بالقتال إن الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام
منهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم
من خير من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرها تجدوه عند
الله تجدوا ثوابه عند الله إن الله بما تعملون بصير لا يضيع
عنده عمل عامل الخير وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
كان هودا أو نصارى أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى

أي وقالت

أي وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت
النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين
ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنا من الالتباس
لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما
صاحبه الآتي إلى قوله وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهود
جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم كان لاعتبار لفظ من وجمع
الخبر لمعناه تلك أمانيهم أشير بها إلى الأماني المذكورة وهي
أمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم وأن لا ينزل على المؤمنين خير من
ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل
الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم والأمنية
أفعولة مثل الأضحوكة قل هاتوا برهانكم أي هلموا
حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء
بمعنى أحضر وهو متصل بقوله لن يدخل الجنة إلا من كان
هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض إن كنتم صادقين
في دعواكم بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من
أسلم وجهه لله من أخلص نفسه لله لا يشرك به غيره
وهو محسن في عمله فله أجره جواب من أسلم
وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على
شيء أي على شيء يعتد به من الديانة وهم يتلون الكتاب
الجملة حال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك والحال أنهم من أهل
العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة أو الإنجيل
وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين يصدق
مصدق للآخر كذلك مثل ذلك الذي سمعت به قال
الذين لا يعلمون مثل قولهم أي الجهلة الذين لا علم عندهم

الوثنية

والاكتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل دين
ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع
علمهم في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون اي بين اليهود والنصارى بما
يقسم لكل واحد فريق منهم من العقاب اللائق به ومن
اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه موضع
من رفع على الابتداء او هو استفهام واظلم خبر اي احد اظلم
وان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما
منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف
الجر مع ان اي من ان يذكر وان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها
كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها
من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه طرح النصارى في
بيت المقدس الاذى ومنعهم الناس ان يصلوا فيه او منع المشركين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام
الحديبية وانما قيل مساجد الله وان كان المنع عن مسجد
واحد هو بيت المقدس او المسجد الحرام لان الحكم ورد عاما
وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزل فيه
الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر والمراد
به العموم كما اريد العموم بمساجد الله اولئك
ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مسا
جد الله الا خائفين حال من الضمير في يدخلوها اي على حال
التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين بهم والمعنى ما كان
الحق الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وروي انه لا يدخل
بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مخافة ان يقتل
وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا نهك ضربا
ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد
هذا العام مشرك وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول

والتخلية

44

والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله لهم في الدنيا خزي قتل وسبي للحربي وذلة بضرب الجزية
للذمي ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي النار ولله المشرق والمغرب
اي بلاد المشرق والمغرب كلها له هو مالكها ومتوليها
فاينما تولوا شرط تولوا مجزوم اي في اي مكان فعلتم التولية
يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والجواب
فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم
اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد
جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها
وافعلوا التولية فيها فان التولية فيها ممكنة في كل مكان
ان الله واسع عليم اي واسع الرحمة يريد التوسعة على
عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت
في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وقيل غمت القبلة
على قوم فصلوا الى جهات مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطا
هم فعذروا وهو حجة على الشافعي رحمه الله فيما اذا استدبر
وقيل فاينما الدعاء والذكر وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما
قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله قرا شامي بلا
الواو باعتبار انه قصة معطوفة على ما قبلها وحذفه
باعتبار انه استيناف قصة اخرى سبحانه تنزيه له عن
ذلك وتعجب بل له ما في السموات والارض اي هو
خالقه ومن جملته المسيح وعزير عليهما السلام
والمصنوع يقتضي سبقه على تكوينه ويقتضي والتنوين في كل
عوض عن المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض
او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون
مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم وجاء بما الذي
لغير اولي العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما سخركن

[illegible]

ان له ملك السموات والارض ان يحكم فيهما ويصنع فيهما الا على
مثال يسبق وكل من فعل ما لم يسبق اليه يقال له ابتدعت
وبه قيل البدعة التي للسنة والجماعة ممنوع لانه راي محدث في
الاسلام ما لم يسبق اليه الصحابة والتابعون رضي الله
عنهم اجمعين واذا قضى امرا اي حكم وقدر فانما يقول له
كن فيكون لكونه كان التامة اي احدث فيحدث وهذا
مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم والمعنى ان ما
قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الو
جود من غير امتناع ولا توقف كما ان المطيع الذي يومر
يمتثل ولا يكون منه اباء واكد بهذا استبعاد الولادة
لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة
لحالات الاجسام في توالدها والوجه الرفع
في يكون وهو قراءة العامة على الاستيناف اي فهو
يكون او على المعطوف على يقول ونصبه ابن عامر على انه
جواب الامر وجواب الامر بالفا نصب فلما ان كن ليس
بامر حقيقة اذ لا فرق بين ان يقال اذا قضى امرا فانما يكونه
فيكون وبين ان يقال فانما يقال له كن فيكون واذا
كان كذلك فالمعنى التقدير وتعلم ان له او كان امرا فاما
ان الخطاب به الموجود والموجود في الخطاب ...
المعدوم الخطاب وقال الذين لا يعلمون من المشركين
او من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا
يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة
وكلم موسى استكبارا وعتوا منهم او تاتينا اية جحودا
ان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة بها
كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت
قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي لقوم ينصفون فيوقنون انها ايات

يجب

يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاحتجاج بها عن غيرها انا ارسلناك
بالحق بشيرا للمؤمنين بالثواب ونذيرا للكافرين بالعقاب ولا
تسئل عن اصحاب الجحيم ولا نسالك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت
وبلغت جهدك في دعوتهم وهو حال كمن بشيرا ونذيرا او بالحق اي
غير مسئول او مستانف وقرا نافع ولا تسال على النهي
حكاية تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان
سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه وقيل نهى الله
عز وجل نبيه عن السؤال عن احوال الكفرة حين قال ليت شعري
ما فعل ابواي ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم كانهم قالوا
لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم
لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم
قل ان هدى الله هو الهدى الذي رضي لعباده اي الاسلام وهو الهدى
كله ليس وراءه هدى والذي تدعون الى اتباعه ما هو هدى انما هو
هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء
وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من العلم بان دين الله هو الاسلام او
من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة ما لك من الله
من ولي ولا نصير ناصر الذين اتيناهم الكتاب مبتدا
وهم مؤمنو اهل الكتاب وهو التوراة والانجيل او اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم والكتاب القرآن يتلونه حق تلاوته حال مقدرة منهم لانهم لم يكونوا
تالين له وقت ايتائه ونصب على المصدر ... اي يقرؤونه
حق قراءته في الترتيل واداء الحروف والتدبر والتفكر او يعملون به ويؤمنون
بما في مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي عليه السلام اولئك
مبتدا خبره يؤمنون به والجملة خبر الذين ويجوز ان يكون يتلونه خبره
والجملة خبر اخر ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة
بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي انعمتها
عليكم واني فضلتكم على العالمين وتفضيلي اياكم على عالمي زمانكم
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ...

ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجملة
الاربع وصف ليوما اي واتقوا يوما لا تجزي فيه ولا تقبل فيه ولا تنفعها
فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرار هاتين الآيتين لتكرر المعاصي منهم
وختم قصة بني اسرائيل بما بدأ به واذ ابتلى ابراهيم واذكر اذ
ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه والاختبار منا لنظهر ما لم نعلم
ومن الله لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء لظهور الامر الخفي في الشاهد
والغائب جميعا فلذا تجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله تعالى
عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين كانه يمتحنه بما يكون منه
حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه ابراهيم
ربه برفع ابراهيم ونصب ربه وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما اي دعاه
بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن او لا فاتمهن اي
قام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان
ونحوه وابراهيم الذي وفى ومعناه في قراءة ابي حنيفة رحمه الله فاعطاه
ما طلبه لم ينقص منه شيئا والكلمات على هذا ما سأل ابراهيم ربه
في قوله رب اجعل هذا البلد امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم
رسولا منهم ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس في
الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس
في الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والا
ستنجاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ثلاثون سهما من الشرائع
عشرة في براءة التائبون الآية وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الآية وعشرة في المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل هي مناسك
الحج قال اني جاعلك للناس اماما هو اسم من يؤتم به اي يأتمون
بك في دينهم قال ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي اماما يقتدى
به وذرية الرجل اولاده ذكورهم واناثهم فيه سواء فعلية من الذر
من الخلق جاء بها لتليين الهمزة قال لا ينال عهدي الظالمين بسكون الياء
حمزة وحفص اي لا تصيب الامامة اهل الظلم من ولدك اي اهل الكفر واخبر
ان الامامة للمسلمين لا تثبت لاهل الكفر وان كانوا من اولاد المسلمين والكافرين

قال

قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن
وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر قالوا في
هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم
للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه
فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد
بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سأل ان
يكون ولده نبيا كما كان فأخبر ان الظالم لا يكون نبيا واذ
جعلنا البيت اي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا مثابة
للناس مباءة [redacted] ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون
عنه ثم يثوبون اليه وامنا موضع امن فان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض
له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجئ الى الحرم واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه
عنه عليه السلام انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال
عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل
مصلى مدعى ومقام ابراهيم هو الحجر الذي فيه اثر قدميه وقيل الحرم كله
مقام ابراهيم واتخذوا شامي ونافع بلفظ الماضي عطفا على جعلنا
اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان
ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل امرناهما
ان طهرا بيتي مرضي وخبيث اي بان او اي مفسرة والمعنى
طهراه من الاوثان والانجاس والخبائث كلها للطائفين الدائرين
حوله والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين
وقيل للطائفين للنزاع اليه من البلاد والعاكفين للمقيمين من اهل مكة
والركع السجود المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
بلدا امنا اي اجعل هذا البلد او هذا المكان امنا ذا امن كعيشة
راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول اول وبلدا مفعول ثان
وامنا صفة له وارزق اهله من الثمرات لانه لم يكن لهم ثمرة من آمن
منهم بالله واليوم الآخر من اهله بدل البعض من الكل

وارزق المومنين من اهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المومنين
قال الله تعالى ومن كفر اي وارزق من كفر فامتعه قليلا تمتيعا
قليلا او زمانا قليلا الى حين اجله واجل متعته ثم اضطره الى عذاب
النار وبيس المصير المرجع اي تصير اليه النار فالمخصوص بالذم محذوف
واذ يرفع حكاية حال ماضية ابراهيم القواعد هي جمع قاعدة
وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة
ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر من البيت بيت الله وهو الكعبة
واسماعيل هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبني واسماعيل
يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على
الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا
تقبل منا تقربنا اليك ببناء هذا البيت انك انت السميع لدعائنا
العليم بضمائرنا ونياتنا وفي ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم
لشان المبين ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله
اسلم وجهه لله او مستسلمين لك يقال اسلم له واستسلم اذا خضع واذعن
والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا
اي بعض ذريتنا
امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين وقيل اراد
بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وانما خصا بالدعاء ذريتهما لانهم
اولى بالشفقة قوا انفسكم واهليكم نارا
وارنا منقول من رأى
بمعنى ابصر او عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج
او عرفنا وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد
ولهذا قيل للعابد ناسك وارنا مكي وابو عمرو على تخفيف الكسر وابو عمرو يشم
الكسرة وتب علينا ما فرط منا من التقصير واستتبنا بالذي يليق بنا
في الامة المسلمة
من انفسهم يبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه السلام
انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى عليه السلام ورؤيا امي
يتلو عليهم ويعلمهم ما يوحى اليهم من دلائل وحدانيتك
والحوفا

وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وفهم القرآن ويزكيهم
يطهرهم من الشرك وسائر الارجاس انك انت العزيز الغالب الذي لا يغلب
الحكيم فيما اوليتنا ومن يرغب عن ملة ابراهيم استفهام بمعنى الجحد وانكار ان يكون
في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم والملة الحنيفة والاسم
يعني كذا عن الزجاج الا من الا انه محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب
وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد والمعنى
وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اي جهل نفسه اي لم يفكر في نفسه
موضع سفه موضع جهل وعدي كما عدي او معناه سفه في نفسه فحذف في
كما حذف من في قوله واختار موسى قومه سبعين وعلى في قوله ولا تعزموا
عقدة النكاح اي على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو
منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه
في الاخرة لمن الصالحين بيان لخطأ من رغب عن ملته
لان من جمع كرامة الدارين لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لا
صطفيناه او انتصب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى
الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله له ربه اسلم اذعن واطع واخلص
دينك لله قال اسلمت لرب العالمين اي اخلصت وانقدت ووصى واوصى مدني
وشامي
بها بالملة او بالكلمة وهي اسلمت لرب العالمين ابراهيم بنيه ويعقوب وهو معطوف
على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا يا بني
على اضمار القول ان الله اصطفى لكم الدين اي اعطاكم الدين الذي هو صفوة
الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن الا وانتم مسلمون فلا يكن
موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على
خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه
عن الصلاة وانما تنهاه عن ترك الخشوع في صلاته ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر
والخطاب للمومنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق

الوحي او متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون
ما مات نبي الا على اليهودية كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ ظرف لما قبله اذا ولى والعامل فيهما شهداء اذ قال
لبنيه ما تعبدون من بعدي ما استفهام وفي محل النصب بتعبدون اي اي شيء تعبدون
وما عام في كل شيء او هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه
ام طبيب من بعدي من بعد موتي قالوا نعبد الهك واله اباءك اعيد ذكر
اله اليلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار ابراهيم واسمعيل
واسحق عطف بيان لاباءك وجعل اسمعيل من جملة الاباء وهو عمه لان العم اب
قال عليه السلام في العباس هذا بقية اباءي الها واحدا بدل من الهك اي الها
كقوله بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص اي نريد بالهك الها
واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او جملة معطوفة على نعبد او جملة
اعتراضية مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم و
يعقوب وبنوهما الموحدون امة قد خلت مضت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
اي ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم
الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بابائهم بل
ولا تسالون عما كانوا يعملون ولا تواخذون بسيئاتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جزم
لانه جواب الامر قل بل ملة ابراهيم بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا حال من المضاف
اليه نحو رايت وجه هند قاعدة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق وما
كان من المشركين تعريض لاهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على
الشرك قولوا خطاب للمؤمنين او للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا
فانتم على الباطل امنا بالله وما انزل الينا اي القرآن وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الاسباط حفدة يعقوب وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر وهي
انزل بالوحي على بعضهم فلذا ورد هنا بالوحي الاعم ان نزل على بعض وما اوتي موسى وعيسى
وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض
ونكفر ببعض كما فعلته اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذا صح
دخول بين عليه ونحن له مسلمون الخطاب للمؤمنين فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا

وظاهر

وظاهر الاية مشكل لانه يوجب ان يكون لله تعالى مثل تعالى عن ذلك فقيل الباء
زائدة ومثل صفة لمصدر محذوف تقديره فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم والهاء تعود
الى الله عز وجل ويدل على زيادة الباء في غير قال الله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها وقيل المثل زيادة اي فان امنوا بما امنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه بما امنتم به وما بمعنى الذي وقيل قراءة ابي بالذي امنتم به وقيل الباء
للاستعانة كقولك كتبت بالقلم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم
التي امنتم بها فقد اهتدوا يقولون لهم ولم ينصفوا وان تولوا عن الشهادة
والدخول في الايمان بها فانما هم في شقاق اي خلاف وعداوة ولم يسوا
من طلب الحق في شيء فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسوله عليهم
وقد انجز وعده بقتل بعضهم واجلاء بعضهم ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة
وان تاخر الى حين وهو السميع لما ينطقون به العليم بما يضمرون من الحسد والغل
وهو مجازيهم عليه وهو وعيد لهم او وعد لرسول الله اي يسمع ما تدعو به ويعلم
نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة
الله دين الحق وهو مصدر مؤكد منتصب على قوله امنا بالله وهي فعلة من
صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير
الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد
منهم بولده ذلك قال الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا
امنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وجيء بلفظ
الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد
رجلا يصطنع الكرم ومن احسن من الله صبغة تمييز اي لا صبغة احسن من صبغته
يعني الايمان التطهير ونحن له عابدون عطف على امنا بالله وهذا العطف
يدل على ان قوله صبغة الله داخل في مفعول قولوا امنا بالله اي قولوا هذا
وهذا ونحن له عابدون ورد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب
على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن
التئامه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول
ما قالته قل اتحاجوننا في الله اي تجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي

من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم اهلا للنبوة
منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب
برحمته وكرامته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان
العمل هو اساس [illegible] وكما ان لكم اعمالكم فلنا كذلك ونحن له مخلصون بالنبوة
من غيركم ام يقولون والقراءة بالتاء والياء شامي وكوفي غير ابي بكر وام على هذا معادلة للهمزة في
اتحاجوننا يعني اي الامرين تأتون المحاجة في حكم الله تعالى ام ادعاء اليهودية
والنصرانية على الانبياء ومنقطعة اي بل اتقولون [illegible] وعلى هذا لا تكون
الهمزة الا منقطعة ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى ثم امر نبيه عليه السلام [illegible] بقوله
قل أأنتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده
من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم بالحنيفية
والمعنى ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون
بها او لو انا كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض
بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وسائر شهادة الله
لكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم اذا [illegible] قوله في
[illegible] وما الله بغافل عما تعملون من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون
كررت للتأكيد ولان المراد بالاول الانبياء عليهم السلام وبالثاني اسلاف اليهود
والنصارى سيقول السفهاء من الناس الخفاف الاحلام وهم اهل السفه والخفة
وهم اليهود وذلك انكارهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ او المنافقون لحرصهم
على الطعن والاستهزاء او المشركون يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها
والله ليرجعن الى دينهم [illegible] الاخبار بقوله قبل وقوعه [illegible] النفس
اذا [illegible] والجواب قبل الحاجة اليه اقطع للخصم [illegible] قبل
الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنون
بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة لان المصلي يقابلها
قل لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها له يهدي من يشاء
من اهلها الى صراط مستقيم طريق مستو [illegible] من يشاء الى قبلة الحق وهي
الكعبة

الكعبة التي امر بالتوجه اليها [illegible] كلفهم الله فيهم بالتوجه الى حيث شاء
تارة الى الكعبة وتارة الى بيت المقدس لا اعتراض عليه لانه المالك وحده وكذلك
جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم والكاف للتشبيه وذا اسم للاشارة واللام
للبعد [illegible] ذا اشارة الى القريب [illegible] والكاف للخطاب لا محل له من الاعراب
امة وسطا خيارا او عدلا [illegible] وسطا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط
محمية اي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الامم او عدولا لان الوسط عدل
بين الطرفين وليس [illegible] بعض اي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق
والمغرب جعلناكم امة وسطا بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلوا غلو النصارى حيث
وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى
بانه ولد الزنا لتكونوا شهداء [illegible] على الناس شهداء
ويكون الرسول عليكم شهيدا [illegible] وذلك ان الامم يوم القيامة يجحدون
تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة
محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه
وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة
كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة
الاستعلاء كقوله تعالى كنت انت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس في
الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم
ويعلم بعدالتكم واستدل الشيخ ابو منصور رحمه الله بالاية على ان الاجماع حجة
لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها
فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله واخرت صلة الشهادة اولا وقدمت
آخرا لان المراد في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول
شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
اي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فالتي كنت عليها ليست
بصفة القبلة بل هي ثاني مفعولي جعل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي
بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس تألفا لليهود ثم حول الى
الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اي وما جعلنا
القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء

لتعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه وضعف يقينه
فقوله ممن ينقلب عن الاسلام عند تحويل القبلة ثم قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى قوله
لنعلم كائنا موجودا ما قد علمناه انه يكون ويوجد فالله تعالى عالم في الازل بكل
ما اراد وجوده انه يوجد في الوقت الذي يشاء وجوده فيه ولا يوصف بانه عالم في
الازل بانه موجود كائن لانه ليس بموجود في الازل فكيف يعلمه موجودا فاذا صار
موجودا يدخل تحت علمه الازلي فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم
لا على العلم او لنميز التابع من الناكص كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب
فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز او ليعلم رسول الله والمؤمنون
وانما اسند علمهم اليه لانهم خواصه او هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك
لمن ينكر ذوب الذهب فلنلقه في النار لنعلم ايذوب وان كانت التحويلة او الجعلة او
القبلة وان هي المخففة واللام هي الفارقة اي ثقيلة شاقة [illegible] وان كانت لكبيرة الا على
الذين هدى الله اي هداهم الله لحكمة الاحكام اي على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا
لان وجوبها على اهل الايمان وقبولها من اهل الايمان وادائها في الجماعة دليل الايمان
ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل
من اخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال ان الله بالناس لرءوف رحيم [illegible]
وشامل [illegible] عنهم [illegible] الرحيم لا يضيع اجورهم
والرأفة اشد من الرحمة وجمع بينهما [illegible] قد نرى تقلب وجهك في السماء
تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع
من ربه ان يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب
الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا عليه او فلنجعلنك تلي
سمتها دون سمت بيت المقدس قبلة ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراض الصحيحة
التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام
اي نحوه وشطر نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته
وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة
دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين روي انه عليه السلام قدم المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة [illegible]
وقد صلى [illegible] وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق

انه

50

من ربهم الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين من ربهم وما الله بغافل عما يعملون
بالياء [illegible] ابو عمرو ونافع وعاصم [illegible] والاول وعيد الكافرين بالعقاب
على الجحود والاباء والتاء وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب اراد ذوي العناد منهم بكل اية برهان قاطع ان التوجه
هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة
انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وجواب
القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم
اذ كانوا [illegible] لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا
الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم ووحد القبلة وان كان لهم قبلتان
لليهود قبلة والنصارى قبلة لاتحادهما في البطلان وما بعضهم بتابع قبلة
بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم
كما لا ترجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع
الشمس ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا
اي من بعد وضوح البرهان والاحاطة بان القبلة هي الكعبة وان دين الله الاسلام
انك اذا لمن الظالمين [illegible] الظلم الفاحش [illegible]
الثبات على الحق [illegible] وتشنيع الهوى [illegible]
في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته [illegible] على الظالمين اذا وصل
الذين اتيناهم الكتاب صفة الظالمين وهو مبتدأ خبره يعرفونه اي محمدا
صلى الله عليه وسلم او العلم او القرآن او تحويل القبلة [illegible] كما يعرفون
ابناءهم قال عبد الله بن سلام انا اعلم به مني بابني فقال له عمر ولم قال لاني لست
اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وان فريقا منهم
اي الذين لم يسلموا ليكتمون الحق حسدا وعنادا وهم يعلمون لان الله تعالى
بينه في كتابهم الحق مبتدأ خبره من ربك واللام للجنس اي الحق من الله لا من غيره
يعني الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه
اهل الكتاب فهو الباطل او للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله
او ضمير مبتدأ هو الحق ومن ربك خبره [illegible] فلا تكونن من الممترين [illegible]

الشاكر ... من بعد ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة
والضمير في هو لكل وهو موليها للوجه اي هو موليها وجهه يحذف احد المفعو
لين اي يقوله الله تعالى والله تعالى اي الله موليها اياه هو مو لاهل الشام اي هو موليه
تلك الجهة فدوليها والمعنى ولكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا
الخيرات بادروا الى الطاعات وقبولها عبر لكم من امر القبلة وغيره اينما تكونوا انتم واعدا
كم يات بكم الله جميعا يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل او ولكل امة
منكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم وجهة جهة من الجهات يصلي اليها جنوبية او شما
لية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات وهي الجهات المسامتة للكعبة
وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل
صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضرين المسجد الحرام ان الله على كل
شيء قدير ومن حيث خرجت فمن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر
المسجد الحرام في اذا صليت وانه وان هذا المامور به للحق من ربك وما الله
بغافل عما تعملون وبالياء ابو عمرو ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده
لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على انه يتعلق بكل واحد
ما لم يتعلق بالاخر فاختلفت فوائدها لئلا يكون للناس عليكم حجة اي قد عرفكم
الله حال كل امر الاحتجاج في القبلة بما قد بين في قوله ولكل وجهة هو موليها
لئلا يكون للناس اليهود عليكم حجة في خلاف ما في التورية من تحويل القبلة والكلام
اسم الحجة على قول المخالفين لانهم يسوقونه بسياق الحجة الا الذين ظلموا منهم
استثناء من الناس اي لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا للبلد ولو كان على الحق
للزم قبلة الانبياء عليهم السلام او معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض
في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسماعيل ابي العرب الا الذين
ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ولو شك
ان يرجع الى دينهم ثم استانف ثم نبينا بقوله فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم
في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم
اي في قبلتكم لئلا يكون لهم عليكم حجة ولاتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى الكعبة
ولعلكم

ولعلكم تهتدون ولكي تهتدوا الى قبلة ابراهيم الكاف في كما ارسلنا فيكم
تعلق بمحذوف قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما انعمنا
عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى
الاول لا رسولا منكم من العرب يتلوا عليكم اياتنا يقرا عليكم القرآن ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب القرآن والحكمة السنة والفقه ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
ما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالمغفرة او بالجـ
ـثناء والعطاء او بالسؤال والنوال او بالتوبة وعفو الحوبة او بالاخلاص
والخلاص او بالنجاة واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بالجحود و
نعمتي يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر فبه ينال كل فضيلة والصلاة
فانها تنهى عن كل رذيلة ان الله مع الصابرين بالصبر والمعونة ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا
اموات اي هم اموات بل احياء اي هم احياء ولكن لا تشعرون لا تعلمون ذلك لان حياة
الشهداء لا تعلم حسا لانهم في الحشر وعند الله ان الشهداء احياء عند الله
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار
على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وفي معناهم
يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها ولنبلونكم على ما انتم عليه
من الطاعة ام لا بشيء بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وكرر منه وقال
ليوذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه ويريهم
ان رحمته معهم في كل حال واعلمهم بوقوع البلوى قبل وقوعها ليوطنوا
نفوسهم عليها من الخوف خوف العدو او الله والجوع اي القحط او صوم رمضان
ونقص من الاموال بموت المواشي او بالزكاة وهو عطف على شيء او على الخوف
اي وبشيء من نقص الاموال والانفس بالقتل والموت او بالمرض والشيب والثمرات
ثمرات الحرث او موت الاولاد لان الولد ثمرة الفؤاد وبشر الصابرين على هذه
البلايا او المشاق جبير عند البلايا بالاسترجاع تسليما واذعانا وفي الحديث
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه

راجعون فقيل أمصيبة هي فقال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة الذين
نصب للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين
وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين والأول الوجه لأن الذين وما بعده بيان
الصابرين إذا أصابتهم مصيبة مكروه اسم فاعل من أصابته شدة أي لحقته ولا وقف
على مصيبة لأن قالوا جواب إذا وإذا وجوابها صلة الذين إنا لله إقرار له بالملك
وإنا إليه راجعون إقرار على نفوسنا بالهلك أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وأولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا
لأمر الله قال عمر رضي الله عنه الصلوة الحنو والتعطف فوضعت
موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤوف
رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أي رحمة نعم العدلان
ونعم العلاوة أي الصلاة والرحمة والاهتداء إن الصفا والمروة هما علمان
للجبلين من شعائر الله من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي
العلامة فمن حج البيت قصد الكعبة أو اعتمر زار الكعبة فالحج القصد
والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين وهما
في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان فلا جناح عليه فلا إثم عليه أن يطوف
بهما أي يتطوف فأدغم التاء في الطاء وأصل الطوف المشي حول الشيء
والمراد هنا السعي بينهما قيل كان على الصفا إساف وعلى المروة
نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة
فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون
الله وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام
وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية
فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على أنه ليس بركن
كما قال مالك والشافعي وكذا قوله ومن تطوع خيرا أي بالطواف
بهما فتطوع بأنه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلي أي يتطوع فأدغم
التاء

التاء في الطاء فإن الله شاكر مجازيا على القليل كثيرا عليم بالأشياء
صغيرها وكبيرها إن الذين يكتمون من أحبار اليهود ما أنزلنا في التوراة
من البينات من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى
والهداية إلى الإسلام بوصفه عليه السلام من بعد ما بيناه أوضحناه
للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك
المبين فكتموه أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين إلا الذين تابوا
عن الكتمان وترك الإيمان وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم
وتداركوا ما فرط منهم وبينوا وأظهروا ما كتموا فأولئك أتوب عليهم
أقبل توبتهم وأنا التواب الرحيم إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا أولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ذكر لعنتهم
أحياء ثم لعنتهم أمواتا والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون
إذ يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة قال الله تعالى كلما دخلت أمة لعنت
أختها خالدين فيها حال من هم في عليهم فيها أي في اللعنة
أو في النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون من الإنظار أي لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا
أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم إله واحد فرد في الألوهية
لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها لا إله إلا هو تقرير للوحدانية
بنفي غيره وإثباته وموضع هو رفع لأنه بدل من موضع لا إله ولا
يجوز النصب هنا لأن البدل يدل على الاعتماد على الثاني والمعنى
في لا إله على النفي والنصب يدل على الاعتماد على الأول ورفع
الرحمن الرحيم أي المولي لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه
بهذه الصفة فما سواه إما نعمة وإما منعم عليه وعلى أنه خبر مبتدأ أو على
البدل من هو لا على الوصف لأن المضمر لا يوصف ولما عجب المشركون

من الدواو احد وطلبوا اية على ذلك فنزل ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار في اللون والطول والقصر وتعاقبهما في الذ
هاب والمجيء والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس ومن في وما انزل الله من السماء
لابتداء الغاية وفي نسخة من ماء مطر لبيان الجنس لان ما نزل من السماء مطر
وغيره ثم عطف على انزل فاحيا به بالماء الارض بعد موتها يبسها
ثم عطف على ما ضمن شيء وبث فيها في الارض من كل دابة هي كل ما يدب
وتصريف الرياح الريح جمع وعلى اي وتقليبها في مهابها قبولا ودبورا
او جنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما
ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب الغيم المسخر المذلل
المنقاد لمشيئة الله فيمطر حيث شاء بين السماء والارض في الهوى لآيات
لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويتدبرون فيستدلون بهذه
الاشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها في
الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتن بها
ومن الناس اي ومع هذا البرهان البين من الناس من يتخذ من دون الله
اندادا المثل الامر الاصنام يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم
المحبوب كحب الله لتعظيم الله والخضوع له اي يحبون الاصنام كحبهم
يحبون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله
ويتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المومنين الله والذين آمنوا اشد حبا
لله من المشركين لالهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشر
كون يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه و
يخضعون له ولو يرى ترى يا محمد وتسامى على خطاب الرسول او لكل مخاطب
اي ولو يرى لحل ايتهم امرا عظيما الذين ظلموا اشارة الى متخذي
الانداد اذ يرون بصرون العذاب ان القوة لله جميعا حال وان الله شديد العذاب
شديد عذابه اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم

ان القوة

ان القوة كلها لله على كل شيء قدير من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون
شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل
تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشوق اليه
او يخوف منه فلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضي
وكذا اذ او صح ايلاء الماضي على الماضي واذ دخلتا على المستقبل هنا لان اخبار
الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضي اذ تبرأ من ادغم الدال في التاء
حينئذ وفتحه عن اقي غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب الذين اتبعوا
اي المتبوعون وهم الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع ورأوا العذاب الواو للحال اي
تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ بهم الاسباب الوصل
التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحبات وقال الذين
اتبعوا اي الاتباع لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنتبرأ نصب على جواب التمني
لان لو في معنى التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا الان
كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم اي عبادتهم الاصنام حسرات
عليهم ندامات عليهم وهي مفعول ثالث ليريهم ومعناه ان اعمالهم تنقلب
حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات عليهم مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار بل
هم فيها خالدون ونزل فيمن حرموا على انفسهم البحائر ونحوها يا ايها الناس
كلوا امر اباحة مما في الارض من للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول حلالا
مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان طرقه قرأ النبي بضم الطاء بسكون الطاء ابو عمرو وغيره عباس عن نافع
وحمزة وابو بكر والخطوة في الاصل ما بين قدمي الخاطي يقال اتبع خطواته
اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء
وابان متعد ولازم ولا تناقض هذه الآية قوله تعالى والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت اي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا لانه
يليهم في الظاهر بالموالاة ويزين لهم اعمالهم ويرى هلاكهم في الباطن انما
يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يأمركم بخير
قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظا
ئم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد وان تقولوا في موضع

الى بالعطف على بالسوء اي وبان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال
وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات قيل هم
المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام واتباع القران قالوا بل نتبع ما الفينا ما وجدنا عليه اباءنا فانهم كانوا
خيرا منا واعلم ورد الله عليهم بقوله اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة
بمعنى الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال ومثل الذين كفروا المضاف محذوف
اي ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق يصيح والمراد بما لا يسمع الا دعاء ونداء
البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس
النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم
التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه
شيئا اخر كما يفهم العقلاء والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي
بالضان والنداء ما تسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع صم بكم عمي رفع على الذم
اي هم صم بكم عمي فهم لا يعقلون الموعظة ثم بين لهم ما
حرمه المشركون حلالا بقوله يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
من مستلذاته او من حلاله واشكروا لله الذي رزقكموها
ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم ثم بين المحرم
فقال انما حرم عليكم الميتة وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح
وانما للاثبات المذكور ونفي ما عداه اي ما حرم عليكم الا الميتة والدم يعني
السائل كقوله في موضع اخر او دما مسفوحا وقد حلت الميتتان والد
مان بالحديث ولحم الخنزير يعني الخنزير بجميع اجزائه وخص اللحم لانه المعظم
المقصود بالاكل وما اهل به لغير الله اي ذبح للاصنام فذكر عليه
غير اسم الله واصل الاهلال رفع الصوت اي رفع به الصوت للصنم وذلك
قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى فمن اضطر الجئ بكسر النون بصري
وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين بكسر النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة
الطاء غير باغ على مضطر اخر ولا عاد غير باغ للذة وشهوة ولا عاد متعد مقدار الحاجة

وقول

وقول من قال غير باغ على الامام ولا عاد في سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة
لا يبيح بلا ضرورة والحبس في الحضر يبيح بلا سفر ولانه يجتنبه لا يخرج الا عاصيا
فلا يستحق الحرمان ثم المضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة
دون ما فيه من حصول الشبع لان الاباحة للاضطرار فيتقدر بقدر ما تندفع
الضرورة فلا اثم عليه في الاكل ان الله غفور للذنوب الكبائر فانى يواخذ بتناول
الميتة عند الاضطرار رحيم حيث رخص ونزل في رؤساء اليهود حين كتموا
نعت النبي صلى الله عليه وسلم واخذهم على ذلك الرشا ان الذين يكتمون ما انزل الله
من الكتاب في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويشترون به ثمنا قليلا اي عوضا
او ثمنا او رشا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه
واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة
عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل الدم اذا اكل الدية التي هي بدل
منه قال يا كلن كل ليلة اكافا اي ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه
به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسئوا
فيها ولا تكلمون ولا يزكيهم ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم او ولا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم مؤلم يجري الالم مجرى الفعل خبرا وليكم مع الخبر خبران والجمل
الثلاث معطوفة على خبر ان يعني صار لان ارجعة اخبار من الجمل اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة في الدنيا بكتمان نعت محمد صلى الله عليه
وسلم فما اصبرهم على النار اي شيء صبرهم على عمل يؤدي الى النار وهو استفهام
معناه التوبيخ ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله
نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فيه اي اهل الكتاب والكتاب هو الجنس
اي في كتب الله تعالى فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل لفي شقاق
خلاف بعيد عن الحق وكفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون
وان الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد من الهدى ليس البر ان تولوا اي ليس
البر توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب والخطاب لاهل الكتاب
لان قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه وكل واحد
من الفريقين يزعم ان البر التوجه الى قبلته ورد عليهم بان البر ليس ما انتم عليه
فانه منسوخ ولكن البر من امن بالله او ولكن ذا البر من امن والقولان على حذف
المضاف والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي وقيل خوض

المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة وقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا
بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به بر من امن
وقرئ بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على انه خبر ليس واسمه ان تولوا حمزة
وحفص ولكن البر نافع وشامي وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القرآن لقرات ولكن البر
بفتح او لكن البار واليوم الاخر اي يوم البعث والملائكة والكتاب اي جنس كتب الله
او القرآن والنبيئين واتى المال على حبه اي حب الله او حب المال او حب من يريد
ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه ذوي القربى اي القرابة وقدمهم
لانهم احق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي
رحمك صدقة وصلة واليتامى والمراد الفقراء منهم من غير القربى واليتامى واطلق
لعدم الالتباس والمساكين المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير
للسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وهو جنس وان كان مفرد اللفظ
وجعل ابنا للسبيل لملازمته له او هو الضيف والسائلين المستطعمين وفي الرقاب
وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم او في فك الاسارى واقام الصلاة المكتوبة
واتى الزكاة المفروضة قيل هو تاكيد للاول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات
والمبار والموفون عطف على من امن بعهدهم اذا عاهدوا الله او الناس والصابرين نصب
على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على
سائر الاعمال في البأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وحين البأس وقت
القتال اولئك الذين صدقوا اي اهل هذه الصفة هم الذين صدقوا في الدين
واولئك هم المتقون روي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في
الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جاء الله بالاسلام فنزل يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض عليكم القصاص وهو
عبارة عن المساواة واصله من قص اثره واقتصه اذا تتبعه ومنه القاص
لانه يتبع الآثار والاخبار في القتلى جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار
المماثلة والمساواة بين القتلى الحر بالحر مبتدا وخبر اي الحر ماخوذ او مقتول
بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى وقال الشافعي رضي الله عنه لا يقتل
الحر بالعبد بهذا النص وعندنا يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى

ان النفس

ان النفس بالنفس كما بين الذكر والانثى وبقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون
تتكافأ دماؤهم ولان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو
قتلوا واحدا قتلوا به ولان تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه
موقوفا على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان قال العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا
صفحت عنه واعرضت عن مجازاته وهو يعدى بعن الى الجاني والى الجناية
فيقال عفوت عن زيد وعفوت عن ذنبه واذا اجتمعا عدي الى الاول باللام فتقول
ج عفوت له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فقال الاجل
من عفي له من جنايته اي ترك له القتل بالدية وقال الازهري العفو في اللغة الفضل ومنه يقال
لو كان ما ذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان بمالي اذا افضلت له واعطيته
وعفوت له عما لي اذا تركته وهذه الاية عند الجمهور ومن عفي له من جهة اخيه
شيء من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما في سير بزيد بعض السير واخوه
ولي المقتول وذكره بلفظ الاخوة بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية
والاسلام ومن هو القاتل المعفو له عن جنايته وترك المقتول اخاه استعطافا عليه
وقيل اقيم له مقام منه والضمير في له ومن اخيه يرجع الى من والمتبع الداعي
عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بان يطالبه مطالبة
جميلة وليؤد المطلوب اي القاتل بدل الدم اداء بان لا يمطله ولا يبخسه وانما
قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا عفي عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة
تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية وعن بعضهم جعل شيئا مفعولا به وكذا من
فسر عفا باعطي يعني ان الولي اذا اعطي له شيء من مال الدية يعني القاتل بطريق
الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل اليه بلا تسويف
وارتفاع اتباع بانه خبر مبتدا محذوف اي فالواجب اتباع ذلك الحكم المذكور
من العفو واخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة لانه كان في التوراة
القتل لا غير وفي الانجيل العفو بغير بدل لا غير وابيح لنا القصاص والعفو
واخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا والاية تدل على ان صاحب الكبيرة
مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان
ولاستحقاق التخفيف والرحمة فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما

شرع له من قتل غير القاتل والقتل بعد أخذ الدية فله عذاب أليم نوع من العذاب
شديد في الآخرة ولكم في القصاص حياة كلام فصيح لما فيه من الغرابة إذ
القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفي تعريف القصاص
وتنكير الحياة بلاغة بينة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو
القصاص حياة عظيمة لمنعهم عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا
فكان في القصاص حياة وأي حياة أو حياة من الحياة الحاصلة بالارتداع عن
القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص
ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة
نفسين يا أولي الألباب يا ذوي العقول لعلكم تتقون القتل حذرا من القصاص كتب
عليكم إذا حضر أحدكم الموت أي إذا دنا منه وظهرت أماراته إن ترك خيرا مالا كثيرا لما روي
عن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال
الله تعالى إن ترك خيرا والخير المال وليس لك مال الوصية فاعل كتب الوصية للوالدين
والأقربين وكانت الوصية للوارث في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث
كما بيناه في شرح المنار وقيل هي غير منسوخة لأنها نزلت في حق من ليس بوارث
بسبب الكفر لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبوه
وقرابته والإسلام قطع الإرث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة
ندبا وعلى هذا إن أريد بكتب فرض بالمعروف بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع
الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا على المتقين على
الذين يتقون الشرك فمن بدله فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع
من الأوصياء والشهود بعدما سمعه أي الإيصاء فإنما إثمه على الذين يبدلونه
فما إثم التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان
عن الحيف إن الله سميع لقول الموصي عليم بجور المبدل فمن خاف علم وهذا شائع
في كلامهم يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون الظن الغالب الجاري مجرى جنفا
العلم من موص جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية أو إثما تعمدا للحيف فأصلح بينهم
بين الموصى لهم وهم الوالدون والأقربون بإجرائهم على نهج الشرع فلا إثم
عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من
يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم وقيل هذا في حال حياة الموصي أي من

حضر

حضر وصية ورآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا إثم على
هذا الموصي بلا خلاف أو لا إن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
فرض عليكم الصيام هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان كما كتب أي كتابة
مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن
آدم عليه السلام إلى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار أن كل
واحد صوم أيام أي أنتم متعبدون بالصيام في أيام كما تعبد من كان قبلكم
لعلكم تتقون المعاصي بالصيام فالصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة
السوء أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين إذ الصوم شعارهم وانتصاب
أياما بالصيام أي كتب عليكم أن تصوموا أياما معدودات موقتات بعدد معلوم
أو قلائل وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد والكثير يهال هيلا فمن كان منكم مريضا يخاف من
الصوم زيادة المرض أو على سفر أو راكب سفر فعدة فعليه عدة أي فعليه
صوم عدد أيام فطره والعدة بمعنى المعدود أي أمر أن يصوم أياما معدودة
مكانها من أيام أخر سوى أيام مرضه وسفره وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الألف
واللام لأن الأصل في فعل صفة أن تستعمل في الجمع بالألف واللام كالكبر
والكبرى والصغر والصغرى وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر
لهم إن أفطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل
من فدية فدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك في بدء الإسلام
فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية
ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وأعيد في قوله فمن كان
منكم مريضا أو على سفر لأنه لما كان يحتمل أن يكون مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل
على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فأضمر لا وفي مصحف حفصة كذا
وعلى هذا لا يكون منسوخا فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له
فالتطوع أو الخير خير له فتطوع بمعنى يتطوع خيرا وعلى وأن تصوموا أيها المطيقون
خير لكم من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وأن تصوموا في السفر
والمرض خير لكم لأنه أشق عليكم إن كنتم تعلمون شرائطه محذوف الجواب شهر
رمضان مبتدأ خبره الذي أنزل فيه القرآن أي ابتدئ فيه إنزاله وكان
ذلك في ليلة القدر أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام

او هو بدل من الصيام او خبر مبتدا محذوف اي هي شهر والرمضان مصدر رمض اذا
احترق فلا الرمض فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف
والنون سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولانهم سموا
الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر [illegible] فغلبت
من وجه ما جاء في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا من حذف التسمية وافعتبر
مع المضاف والمضاف اليه جميعا قلنا هو من باب الحذف لامن الالتباس [illegible] ان حيث
كان غير [illegible] مكن والنصب [illegible] الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان على الحال
اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو ايات واضحات مكشوفات مما يهدي
الى الحق ويفرق بين الحق والباطل بما فيه من حكمه والاحكام [illegible] الفارقة
بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا
مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف
وكذا الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما يشهدان
هذا الشهر ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فعدة مبتدا
والخبر محذوف اي فعليه عدة اي صوم عدة يريد الله بكم اليسر حيث اباح الفطر
بالسفر والمرض ولا يريد بكم العسر [illegible] الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما
يجب عليهما الاعادة [illegible] ولتكملوا العدة عدة ما افطر
تم بالقضاء اذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق
تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة
عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر
بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة
الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف لطيف المسلك
وعدي التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل لتكبروا الله اي لتعظموه
حامدين على ما هداكم اليه ولتكملوا [illegible] ابو بكر ولما قال اعرابي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه نزل واذا سالك عبادي
عني فاني قريب علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا اجيب دعوة الداع اذا دعان
الداعي ودعاني في الحالين سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو [illegible] في الوصل

الوصل

الوصل غيرهم بغير يا في الحالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله
لا خلف فيه غير ان اجابة الدعاء تخالف قضاء الحاجة فالاجابة الدعوة
ان يقول العبد يا رب فيقول الله تعالى لبيك عبدي وهذا موعود موجود
لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاء المراد وقد يكون ناجزا وقد يكون
بعد مدة وقد يكون في الاخرة وقد تكون الخيرة له في غيره فليستجيبوا
لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم
وليؤمنوا بي واللام فيهما للامر لعلهم يرشدون ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد
وهو ضد الغي [illegible] كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان
يصلي العشاء الاخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه
الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله
بعد صلاة العشاء الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا
بذلك فنزل احل لكم ليلة الصيام الرفث اي الجماع الى نسائكم عدي بالى لتضمنه
معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل
الافضاء الى نسائكم استقباحا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه
اختيانا ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما
على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله هن لباس لكم وانتم
لباس لهن وقيل لباس اي ستر عن الحرام وهن لباس لكم استيناف كالبيان
لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة
والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم
في مباشرتهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها
بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب
من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور
وعفا عنكم ما فعلتم قبل الرخصة فالآن باشروهن جامعوهن في الليالي

الصوم وهو امر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد
بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما
وضع الله له النكاح من التناسل او ابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله
لكم دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود من الخيط
الاسود هو ما يمتد من سواد الليل شبها بخيطين ابيض واسود لامتدادهما
من الفجر بيان ان الخيط الابيض من الفجر لا من غيره واكتفى به عن بيان
الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للاخر او من للتبعيض لانه بعض الفجر
واوله وقوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا
كما ان قولك رايت اسدا مجاز واذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن عدي
بن حاتم قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت انظر
اليهما فلم يتبين لي الابيض من الاسود فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال انك لعريض القفا اي سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة
الرجل وقلة فطنته انما ذاك بياض النهار وسواد الليل وفي قوله
ثم اتموا الصيام الى الليل اي الكف عن هذه الاشياء دليل على جواز النية بالنهار
في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى
وجوب الكفارة في الاكل والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافي الصوم ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها بين ان الجماع يحل
في ليالي رمضان لغير المعتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل على
ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد
تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله احكامه المحدودة فلا تقربوها بالمخالفة
والتغيير كذلك يبين الله لكم آياته للناس لعلهم
يتقون المحارم ولا تاكلوا اموالكم بينكم اي لا ياكل بعضكم مال بعض

بالباطل

بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه وتدلوا بها الى الحكام اي
ولا تدلوا بها الى الحكام وهو داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا امرها
والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم
بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم
وقال عليه السلام للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه
فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد
منهما حقي لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء
على وجه الرشوة فتاكلوا بالتحاكم اي الغاية في البين للاستعانة وانتم تعلمون
انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه بالتوبيخ
احق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد
حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة
واحدة كالشمس فنزل يسالونك عن الاهلة جمع هلال سمي به لرفع الناس اصواتهم
عند رؤيته قل هي مواقيت للناس والحج معالم يوقت بها الناس مزارعهم
ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام
حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من
الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه
فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من اهل الوبر
يخرج من خلف الخباء فنزل وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي ليس
البر تحرجكم من دخول الباب ولا خلاف في رفع البر هاهنا لان الباء تحتمل
الوجهين كما قيل بجواز الرفع والنصب ثمة وهذه الباء لا تحتمل الا وجها
واحدا وهو الرفع اذ الباء لا تدخل الا على خبر ليس ولكن البر بر من اتقى والله
البيوت وبابه مدني وبصري وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن
كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هم توجبا الخروج من كسر الى ضم وكانه
قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها معلوم ان كل ما يفعله

ثمة

الله تعالى لا يكون إلا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها
مما ليس من البر في شيء، وأنتم تحسبونها برا وهذا وجه اتصاله بما قبله ويحتمل
أن يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من
أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم
فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا
عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله
وأتوا البيوت من أبوابها وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها
ولا تعكسوا والمراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب
من غير اختلاج لشبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في
السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون واتقوا
الله فيما أمركم به ونهاكم عنه لعلكم تفلحون لتفوزوا بالنعيم السرمد
وقاتلوا في سبيل الله المقاتلة في سبيل الله الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين
الذين يقاتلونكم بلا حق ونكم القتال دون المحاجزين فعلى هذا يكون منسوخا
بقوله وقاتلوا المشركين كافة وقيل هي أول آية نزلت في القتال فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف والذين يناصبونكم القتال
دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والعبيد والرهبان
والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم
المقاتلة ولا تعتدوا في ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ
ونحوهما أو بالمثلة إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم
وجدتموهم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة وأخرجوهم من حيث أ
خرجوكم أي من مكة وعدهم تعالى بفتح مكة بهذه الآية وقد فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة أشد من
القتل أي شركهم بالله أعظم من القتل الذي يحل لهم منكم وقيل الفتنة عذاب
الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان ويعذب به أشد عليه من
القتل وقيل لحكيم ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فجعل الإ

خراج

خراج من الوطن من المحن التي يتمنى عندها الموت ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه أي ولا تبدؤوا بقتالهم في الحرم حتى يبدؤوا وعند المسجد
الحرام يقع على الحرم كله فإن قاتلوكم فاقتلوهم في الحرم فحينئذ يقتلون
في الأشهر الحرم ولا في الحرم لأنهم بدؤوا بالقتال فمن ثم يبيح قتلهم
وإن كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الأمكنة
كلها العموم ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم
لا عند البداءة منهم كذا في شرح التأويلات كذلك جزاء الكافرين مبتدأ
وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم حمزة وعلي فإن انتهوا عن الشرك
والقتال فإن الله غفور لما سلف من قبلهم رحيم بقبول توبتهم وإيمانهم
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك وكان تامة وهي بمعنى كي أو إلى أن ويكون الدين لله
خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أي لا يعبد دونه شيء، فإن انتهوا فلا عدوان
إلا على الظالمين فإن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فإنه لا عدوان إلا على الظالمين
ليس وهم لم يبقوا ظالمين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء
الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم
المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم
عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال لذلك في العمرة الشهر
الحرام مبتدأ خبره بالشهر الحرام أي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه
يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص أي وكل
حرمة تجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بأن
تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا
وأكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
من تسمية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة
وتقديره عدوانا مثل عدوانهم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن
اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم واعلموا أن الله مع المتقين

بالنفس وانفقوا في سبيل الله تصرفوا في رضى الله وهو عام في الجهاد وغيره
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي انفسكم والباء زائدة او ولا تلقوا انفسكم
بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي
عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى
يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو
تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد واحسنوا الظن بالله ان الله
يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله وادوهما تامين بشرائطهما
وفرائضهما لوجه الله بلا توان ونقصان وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو
دليل على ان من شرع فيهما لزمه اتمامهما وبه نقول ان العمرة تلزم بالشروع ولا
تمسك للشافعي رضي الله عنه بالاية على لزوم العمرة لانه امر باتمامها وقد يؤمر
باتمام الواجب والتطوع او اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد
لكل واحد منهما سفرا او ان تنفق فيهما حلالا او لا تتجر معهما فان احصرتم
يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز وحصر اذا حبسه
عدو وفي المحصر عندنا الاحصار يثبت بكل منع من عدو او مرض او غيرهما
لظاهر النص وقد جاء في الحديث من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وعند
الشافعي رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل ان الاحصار
يتحقق في العمرة ايضا لانه ذكر عقيبهما فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال
يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية يعني
فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم
التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة وما رفع بالابتداء
اي فعليكم ما استيسر او نصب اي فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم
حتى يبلغ الهدي محله الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا بحلق الراس حتى
تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب
نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في ان دم الاحصار لا يذبح الا في الحرم
على الشافعي رحمه الله اذ عنده يجوز في غير الحرم فمن كان منكم مريضا
فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل والجراحة

ففدية

ففدية فعليه اذا حلق فدية من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل
مسكين نصف صاع من بر او نسك شاة وهو مصدر او جمع نسيكة فاذا امنتم
الاحصار اي فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع استمتع
بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى
الله قبل انتفاعه بالتقرب الى الحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة
ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة
وهو نسك عندنا وياكل منه ويذبح يوم النحر فمن لم يجد الهدي فصيام ثلاثة ايام
في الحج فعليه صيام ثلاثة ايام في وقت الحج وهو اشهره ما بين الاحرامين
احرام العمرة واحرام الحج وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من افعال الحج
تلك عشرة كاملة في وقوعها بدلا من الهدي او في الثواب او المراد رفع الابهام
فلا يتوهم في الواو انها بمعنى الاباحة كما في جالس الحسن وابن سيرين الا ترى
انه لو جالسهما او واحدا منهما كان ممتثلا ذلك اشارة الى التمتع اذ لا متعة
ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندنا وعند الشافعي رحمه الله الى الحكم
وهو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام وهم اهل المواقيت ومن دونها الى مكة واتقوا الله فيما امركم
به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه الحج
اي وقت الحج كقولك البرد شهران اشهر معلومات معروفات عند الناس
لا يشكل عليهم وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وفائدة توقيت
الحج بهذه الاشهر ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند
الشافعي رحمه الله وعندنا ينعقد لكنه مكروه وجمعت اي الاشهر لبعض
الثالث او لان اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله فقد صغت قلو
بكما فمن فرض الزم على نفسه بالاحرام فيهن الحج في هذه الاشهر فلا رفث هو
الجماع او ذكره عند النساء او الكلام الفاحش ولا فسوق هو المعاصي او السباب
لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق او التنابز بالالقاب كقوله بئس
الاسم الفسوق ولا جدال في الحج ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما
امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج

كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرءان والمراد بالنفي وجوب
انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرأ ابو عمرو ومكي الاولين بالرفع فحملا
هما على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب
على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج
ثم حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام
الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله واعلموا انه عالم به يجازيكم
عليه وورد قوله من يعلمه بالجزيلة كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون
نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم وتزودوا اي تزودوا
واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى
اي الاتقاء عن الابرام والتثقيل او تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات
فان خير الزاد اتقاؤها واتقون وخافوا عقابي وهو مثل في [illegible] يا اولي
الالباب ذوي العقول يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لا يتقه من الالباء فكانه
لا لب له ونزل في قوم زعموا ان لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج ول
يسوا بالحجاج ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي ان تبتغوا في مواسم الحج
فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء فاذا افضتم
دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم
انفسكم فترك ذكر المفعول من عرفات هي علم للموقف سمي بجمع كاذرعات واعل
صرفه لان التاء فيها ليست للتانيث بل هي مع الالف قبلها علامة جمع
المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها
وقيل التقى فيها ادم وحواء وتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف
بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده فاذكروا الله بالتلبية والتهليل
والتكبير والثناء والدعوات او بصلاة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام
هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة والمشعر
المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة وجمعا
لان ادم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها

اولانه

اولانه تجمع فيها بين الصلاتين اولان الناس يزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون
بالوقوف فيها واذكروه كما هداكم ما مصدرية او كافة اي اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف
تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعر
فون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة ثم افيضوا
من حيث افاض الناس ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس لا من المزدلفة
قالوا هذا امر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع
وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه وقيل الافا
ضة من عرفات مذكورة فهي الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس
على هذا الخمس ويكون الخطاب للمومنين واستغفروا الله من مخالفتكم في
الموقف ونحوه من جاهليتكم او من تقصيركم في اعمال الحج ان الله غفور رحيم
بكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عبادتكم التي امرتم بها في الحج ونفرتم
فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم
والمعنى فاكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر ابائكم
ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد
بمنى وبين الجبل فيعدون فضائل ابائهم ويذكرون محاسن ايامهم
او اشد ذكرا اي اكثر وهو في موضع جر عطف على الذكر في قوله كذكركم
كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او نصب تمييزا
فمن الناس من يقول فمن الذين يشهدون الحج من يسال الله حظوظ الدنيا
فيقولوا ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة يعني
الجاه والغنى وما له في الاخرة من خلاق نصيب لان همه مقصور على الدنيا
لكفره بالاخرة والمعنى اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين
مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين
فكونوا من المكثرين ثم من الذين قيل فيهم ومنهم ومن الذين يشهدون
الحج من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة نعمة وعافية او علما وعبادة
وفي الاخرة حسنة عفوا او مغفرة او المال والجنة او ثناء الخلق ورضا الحق

او الايمان والامان والاخلاص والخلاص او السنة والجنة او الغنيمة وال
والشفاعة او المراة الصالحة والحور العين او العيش على سعادة والعقبى
من الغير على بشارة وقنا عذاب النار احفظنا من عذاب جهنم او عذاب
النار او امراة السوء اولئك اي الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا
من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع
الحسنة او من اجل ما كسبوا وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال
موصوفة بالكسب ويجوز ان يكون اولئك للفريقين وان لكل فريق
نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة
ويحاسب العباد فبادروا الى اكثار الذكر وطلب الاخرة او وصف نفسه
بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل
على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته وروي انه يحاسب الخلق
في قدر حلب شاة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات
في ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند
الجمار فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر في الايام والتعجل

واستعجل

يجيان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل وم
ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق
لقوله ومن تاخر في يومين من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى رمى
في اليوم الثالث واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الايام الثلا
ثة فلا اثم عليه فلا اثم بهذا التعجيل ومن تاخر حتى رمى في اليوم
الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد او الرفث او الفسوق او هو
مخير في التعجيل والتاخر وان كان التاخر افضل فقد يقع التخيير
من الفاضل والافضل كالتخيير للمسافر بين الصوم والافطار وان
كان الصوم افضل وقيل كان اهل الجاهلية فريقين منهم من
جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل المتاخر اثما فورد القران بنفي

الماثم

الماثم عنهما واتقوا الله في جميع الامور واعلموا انكم اليه تحشرون و
حين يبعثكم من القبور كان الاخنس ابن شريق حلو المنطق اذا لقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال
يعلم الله اني صادق فنزل فيه ومن الناس من يعجبك يروقك ويعظم في قلبك
ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس قوله في الحياة الدنيا متعلق
بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة
حظ الدنيا ولا يريد الاخرة او يعجبك اي يعجبك حلو كلامه في الدنيا
لا في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الدهشة واللكنة ويشهد الله على
ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الا
سلام وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام
المخاصمة والاضافة بمعنى في لان افعل يضاف الى ما هو بعضه
تقول زيد افضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقدير
الد في الخصومة او الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير
وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول
واحلا المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف فانه كان
بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم
ويهلك الحرث والنسل اي الزرع والحيوانات واذا كان واليا فعل ما يفعله
ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل
يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم الظلم القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد واذا قيل له للاخنس اتق الله في الافساد
والاهلاك اخذته العزة بالاثم حملته النخوة وحمية الجاهلية على
الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه او الباء للسبب اي اخذته
العزة من اجل الاثم الذي في قلبه وهو الكفر فحسبه جهنم
اي كافيه ولبئس المهاد الفراش جهنم [illegible] حين

اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا من كان معه واشترى
نفسه بماله منهم وفي الرواية او فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
حتى يقتل ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ابتغاء لابتغاء مرضات الله
والله رءوف بالعباد حيث ارشدهم على ذلك يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
ويفتح السين جار وعلى وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا
الله واطيعوه او الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم
وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم كافة لا يخرج احد منكم
بيده من طاعته حال من الضمير في ادخلوا اي جميعا او من السلم لانها
تؤنث كانهم امروا ان يدخلوا في الطاعات كلها او في شعب
الاسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج
منهم احد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان وبتفرقه بوسوسته انه لكم
عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم ملتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءت
كم البينات اي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ما دعيتم
الى الدخول فيه الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه شيء من
عقابكم حكيم لا يعاقب الا بحق وروي ان قارئا قرا غفور رحيم فسمعه
اعرابي فانكر ولم يقرا القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول الحكيم
لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه هل ينظرون
ما ينتظرون وهو استفهام الا ان ياتيهم الله اي امره وبأسه كقوله او ياتي امر ربك
فجاءها بأسنا او المأتي به محذوف بمعنى ان ياتيهم الله ببأسه للد
لالة عليه بقوله ان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك من الغمام
السحاب وهو التهويل لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب
كان الامر افظع واهول والملائكة اي وتاتي الملائكة الذين وكلوا
بتعذيبهم او الاتيان حضورهم يوم القيامة وقضي الامر واتم امر اهلا
كهم وفرغ منه والى الله ترجع الامور اي انه ملك العباد بعض
الامور فترجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيثما كان

شاى

شامي وضمة وعلى سل اصله اسال فنقلت فتحة الهمزة الى السين
وحذفت همزتها واستغني عن همزة الوصل فصار سل وهو امر للرسول
او لكل احد وهو سؤال التقريع كما يسال الكفرة يوم القيامة
بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة وهي ... على ايدي انبيائهم
وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم
استفهامية او خبرية ومن يبدل نعمة الله هي آياته وهي اجل نعمة
من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله
اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله
فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين
محمد عليه السلام من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وصحت عنده لانه
اذا لم يعرفها فكانها غائبة عنه فان الله شديد العقاب ثم استحقه
زين للذين كفروا الحياة الدنيا المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها
في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها او الله
تعالى جعل الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه
قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا
كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب
ونحوهم اي الذين يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن
يطلب غيرها والذين اتقوا عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء فوقهم يوم
القيامة لانهم في جنة عالية وهم في هاوية والله يرزق من يشاء بغير
حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من اراد التوسعة عليه
كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة
وهي استدراجهم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون احق
بها منكم كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام
من آدم الى نوح عليهما السلام او هم نوح ومن كان معه في

السفينة فاختلفوا فبعث الله النبيين ويدل على حذفه قوله ليحكم
بين الناس فيما اختلفوا فيه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة وقوله
تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا او كان الناس امة واحدة
كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم مبشرين بالثواب للمومنين
ومنذرين بالعقاب للكافرين وهما حالان وانزل معهم الكتاب اي مع كل واحد
منهم كتابه بالحق ببيان الحق ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه
بين الناس فيما اختلفوا فيه في دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الا
تفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة
الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب من بعد ما جاءتهم
البينات على صدقه بغيا بينهم مفعول له اي حسدا بينهم وظلما لحرصهم
على الدنيا وقلة انصاف منهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه
اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان
لما اختلفوا فيه باذنه بعلمه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ام حسبتم ام منقطعة لا متصلة لان شرطها ان تكون قبلها همزة الاست
ستفهام كقولك اعندك زيد ام عمرو اي ايهما عندك وجوابه زيد ان كان
عنده زيد وعمرو ان كان عنده عمرو واما المنقطعة فتقع بعد الخبر وتكون
بمعنى بل والهمزة والتقدير بل احسبتم ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار
الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على
النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب
وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي
ابلغ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم اي ولم ياتكم وفي لما التوقع
اي ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا مضوا اي حالهم
التي هي مثل في الشدة من قبلكم من النبيين والمومنين مستهم بيان للمثل
وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء

اي

64

اي البوس والضراء المرض والجوع وزلزلوا وحركوا بانواع البلايا وازعجوا
ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة حتى يقول الرسول والذين امنوا
معه متى نصر الله الى الغاية التي قال الرسول ومن معه من المومنين متى نصر الله
اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر
وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة
لهم الى طلبهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية
نحو شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على اضمار ان
ومعنى الاستقبال لان ان علم له ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله
مال عظيم ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها نزل يسالونك ماذا ينفقون
قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل معنى تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو
كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد
بها الا ان تقع موقعها ام الحسنة التطوع وما تفعلوا من خير فان الله به عليم
فيجزي عليه كتب عليكم القتال فرض عليكم جهاد الكفار وهو كره لكم
من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي
اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له او هو فعل بمعنى
مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وانتم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين اما الظفر
والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا وهو القعود عن الغزو
وهو شر لكم لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر والله يعلم
ما هو خير لكم ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقاتلوا المشركين وقد اهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش
قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف يسالونك عن الشهر الحرام
اي يسالك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام قتال فيه
بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين

وانتم لا تعلمون [illegible]

استضعفوا امر امر منهم قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير فقتال مبتدا
وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانها قد وصفت بفيه واكثر الاقوال بل
على انها منسوخة بقوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله
اي منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت عام
الحديبية وهو مبتدا وكفر به اي بالله عطف عليه والمسجد الحرام عطف
على سبيل الله اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء انه معطوف
على الهاء في به اي كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف
على الضمير المجرور الا باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول و
بزيد ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام واخراج
اهله اي اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمومنون وهو عطف عليه
ايضا منه من المسجد وخبر الاسماء الثلاثة اكبر عند الله اي مما فعلته السر
ية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن والفتنة الاخراج
او الشرك اكبر من القتل في الشهر الحرام وتعيير الكفار المسلمين اشد قبحا
من قتل هؤلاء المسلمين في الشهر الحرام ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم اي الكفر وهو اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم
لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى عند اهل التعليل بمعنى كي ولان
يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم حتى يردوكم وقوله ان استطاعوا
استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل ان ظفرت بي فلا تبق علي وانت
واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يرجع عن دينه الى
دينهم فيمت وهو كافر اي يمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والاخرة لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وفي الاخرة
من الثواب وحسن المآب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون هذا وقد
احتج الشافعي رحمه الله على ان الردة تحبط العمل حتى يموت عليها
وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله
والاصل عندنا ان المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا
ولما قالت السرية لا يكون لنا اجر المجاهدين في سبيل الله نزل ان الذين امنوا

والذين

والذين هاجروا من مكة وامكنتهم وعشائرهم وجاهدوا في سبيل الله مع المشركين ولا
وقف عليهم الا انا ولكنهم يرجون رحمة الله خبر ان قبل من رجا طلبه ومن خاف هرب
والله غفور رحيم نزل في الخمر اربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ونفرا
من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال
فنزل يسئلونك عن الخمر والميسر فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد
الرحمن ابن عوف جماعة فشربوا وسكروا وام بعضهم فقرا قل يا ايها الكا
فرون اعبد ما تعبدون فنزل لا تقربوا الصلوة وانتم سكرى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في
بير فبنيت مكانها منارة لم اذن عليها ولو وقعت في بحر ثم نشف فنبت فيه
الكلا لم ارعه والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت
بمصدر خمره خمرا اذا ستره لتغطيتها العقل والميسر القمار مصدر من يسر
كالموعد من وعد يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال
الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب او من اليسار لانه سلب يساره وصفة
الميسر انه كانت لهم عشرة اقداح سبعة منها عليها خطوط وهي الفذ
له سهم والتوام وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله اربعة والنافس
وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة اغفال لا نصيب لها
هي المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الاقداح في خريطة ويضعونها على يد
عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح
من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما
لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء
الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي
حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسئلونك عما
في تعاطيهما بدليل قل فيهما اثم كبير بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش

والزور كثير جمة وعلى منافع للناس بالتجارة في الخمر والتلذذ بشربها وفي
الميسر بالارتفاق بالفقراء ونيل المال بلا كد وإثمهما وعقاب الإثم في تعاطيهما
أكبر من نفعهما لأن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة
ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو أي الفضل أي أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة
وكان التصدق بالفضل في أول الإسلام فإذا كان الرجل صاحب زرع أمسك
قوت سنة وتصدق بالفضل وإذا كان صانعا أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل
فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو ومن نصبه جعل ماذا اسما واحدا
في موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ
وخبره ذا مع صلته وذا بمعنى الذي وينفقون صلته أي ما الذي ينفقونه فجاء
الجواب السؤال الكلام في موضع نصب العفو أو هو العفو فأعرب
الجواب كما أعرب السؤال ليطابق الجواب السؤال كذلك الكاف في موضع
نصب نعت لمصدر محذوف أي تبيينا مثل هذا التبيين يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون في الدنيا أي في الدنيا أمر الدنيا والآخرة وفي يتعلق
بتتفكرون أي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم
أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يتعلق
بيبين أي يبين لكم الآيات في أمور الدارين وفيما يتعلق بهما
لعلكم تتفكرون ولما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى
وتركوا المخالطة والقيام بأموالهم وذكر ذلك لرسول الله فنزل ويسألونك
عن اليتامى قل إصلاح لهم خير أي مداخلتهم على وجه
الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم وإن تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم
فإخوانكم فهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه والله
يعلم المفسد لأموالهم من المصلح لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه
ولا تتحروا غير الإصلاح ولو شاء الله لأعنتكم لحملكم على العنت
وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم إن الله عزيز غالب يقدر
على أن يعنت عباده ولكن حكيم لا يكلف إلا وسعهم وطاقتهم

ولا

ولما سأل مرثد الغنوي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل ولا
تنكحوا المشركات حتى يؤمن أي لا تتزوجوهن يقال نكح إذا تزوج وأنكح غيره
زوجه ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولو كان الحال أن المشركة
تعجبكم وتحبونها ولا تنكحوا المشركين ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قال الى جلاح
وقال جامع العلوم حذف المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين حتى يؤمنوا
ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ثم بين علة ذلك فقال أولئك وهو إشارة
إلى المشركات والمشركين يدعون إلى النار إلى الكفر الذي هو عمل أهل النار فحقهم
أن لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعو إلى الجنة والمغفرة أي وأولياء الله وهم
المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم
ومصاهرتهم بإذنه بعلمه أو بأمره ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون
يتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها
ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حضن
فنزل ويسألونك عن المحيض هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا قل هو أذى
أي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوهن
أي فاجتنبوا مجامعتهن وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون
بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين
الأمرين ثم عند أبي حنيفة وأبي يوسف يجتنب ما اشتمل عليه الإزار ومحمد
رحمه الله لا يوجب إلا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضي الله عنها يجتنب شعار
الدم وله ما سوى ذلك ولا تقربوهن مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن حتى يطهرن
بالتشديد كوفي غير حفص أي يغتسلن وأصله يتطهرن فأدغم التاء
في الطاء والباقون يطهرن أي ينقطع دمهن والقراءتان
كآيتين فعملنا بهما وقلنا له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم
وإن لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي
عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا أولى من العكس لأنه

حينئذ فيجب ترك الجماع لاحدهما لما عرفت وعند الشافعي رحمه الله لا يقربهن
حتى يطهرن وتتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن اي اغتسلن فاتوهن فجامعوهن في محل يجمع بينهما
من حيث امركم الله من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله
يحب التوابين من ارتكاب ما نهوا عنه او الرجاعين الى الله تعالى وان زلوا في زلوا
ويحب المتطهرين بعفو الله حيث لا يباشرون في المتطهرين بالماء او المتنزهين
من ادبار النساء او من الجماع في الحيض او من الفواحش كان اليهود يقولون
اذا اتى الرجل اهله باركة اتى الولد احول فنزل نساؤكم حرث لكم مواضع حرث
لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
التي منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع قوله نساؤكم حرث لكم
بيانا وتوضيحا لقوله فاتوهن من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم
الله به وهو مكان الحرث تنبيها على ان المطلوب الاصلي في الاتيان هو طلب
النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا المطلوب
فاتوا حرثكم انى شئتم فجامعوهن متى شئتم وكيف شئتم باركة او مستلقية
او مضطجعة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل اي لا
تتوهموا كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر
عليكم جهة دون جهة وقوله هو اذى بعد قوله فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله
فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى
كل مسلم ان يتأدب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات وقدموا لا
نفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحات وما هو خلاف ما نهيتم عنه او
هو طلب الولد او التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي
واعلموا انكم ملاقوه صائرون اليه فاستعدوا للقائه وبشر المؤمنين بالثواب
يا محمد وانما جاء يسئلونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم
عن تلك الحوادث الاول كانت في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف
لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدا وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت
واحد فجيء بحرف الجمع لذلك ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم العرضة
فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض

العود

العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه يقال فلان عرضة
دون الخير وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات
بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر
ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم
عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين لقوله عليه السلام من حلف
على يمين فرأى غيرها خيرا منها وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح
بين الناس واللام تتعلق بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا
او يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا
الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره
ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو ان يحلف على الشيء يظنه
على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه
احدكم وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد الحلف
نحو لا والله وبلى والله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه
خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعي رحمه الله بهذا
النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد
والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا وهنا
قلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثمة مقيدة
بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم للذين يؤلون يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله
عنهما ومن تعلق من نسائهم بالجار والمجرور اي للذين كما يقول لك مني
نصرة ولك مني معونة اي للمولين من نسائهم تربص اربعة اشهر
اي استقر للمولين تربص اربعة اشهر لا يولون لان آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان

على امراته وقول القايل آلى فلان من امراته وهم توهمه من هذه الاية والحلف
ان يعدى بعلى لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد وكانه قيل يبعدون من
نسائهم مولين او مقسمين واستعمل الاشهر كقراءة عبد الله فان فاءوا فيهن اي رجعوا
الى الوطء عن الاضرار بتركه فان الله غفور رحيم حيث شرع الكفارة
وان عزموا الطلاق بترك الفيء فيه بتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع لايلايه
عليم بنيته وهو وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة انتهى وعند ابي حنيفة
رحمه الله فان فاءوا اي رجعوا بعد مضي المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا
قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل
يعقب المفصل كما يقال انا نزيلكم هذا الشهر وان احمدتكم اقمت عندكم الى
اخره والا لم اقم الا ريثما اتحول والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات
الاقراء يتربصن بانفسهن خبر في معنى الامر واصل الكلام ولتتربص المطلقات
واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى
بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا
ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة
كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا
فضل تاكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفي
ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان انفس النساء
طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها
على التربص ثلاثة قروء جمع قرء او قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام
دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب
من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر
ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي
رحمه الله لانقضت العدة بقرءين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاث

لانه

لانه اذا طلقها في اخر الطهر فان احتسبوه من العدة عدوه وان طلقها
في اخر الحيض فان لم يحتسبوه من العدة عدوه وان طلقها في اخر الحيض
فان لم يحتسبوه من العدة فيزيد على الثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع
على ما دونه ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وانتصاب ثلاثة على انه
مفعول به اي يتربصن مضي ثلاثة قروء او على الظرف اي يتربصن مدة ثلاثة
قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء لانهم يتسعون
في الجمعية فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الاخر ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء
فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت
المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق
على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت
استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر
لان من امن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظايم وبعولتهن البعول
جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع احق بردهن اي برجعتهن
وفيه دليل على ان الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق
في ذلك في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد
منه شرط قولهم في الرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار بالرجعة
اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن
اي ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك
المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الامر والنهي بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر
في الشرع وعادة الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد
المماثلة في الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت
ثيابه او خبزت له ان يفعل ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة
زيادة في الحق وفضيلة بالقيام عليهن وان اشتركا في اللذة والاستمتاع
او بالانفاق وملك النكاح والله عزيز لا يعترض عليه في اموره حكيم لا يامر
الا بما هو صواب وحسن الطلاق مرتان اي الطلاق بمعنى التطليق كالسلام

بمعنى التسليم لان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع
والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع
البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في ان الجمع بين
التطليقتين والثلاث بدعة في طهر واحد لان الله تعالى امرنا بالتفريق لان الامر
وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر ولا يؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى
لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت امرأة انصارية ان زوجي قال لا ازال
اطلقك ثم اراجعك فنزل الطلاق مرتان اي الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة
بعد الثلاث فامساك بمعروف برجعة والمعنى فالواجب عليكم امساك بمعروف
او تسريح باحسان بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر
الثالث ونزلت في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه
وهو يحبها وقد اعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في
الاسلام ولا يحل لكم ايها الازواج او الحكام لانهم الامرون بالاخذ والايتاء
عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا
مما اعطيتموهن من المهور الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يعلم
الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث
من نشوز المرأة وسوء خلقها فان خفتم ايها الولاة وجاز ان يكون اول الخطاب
للازواج واخره للحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فلا جناح
على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت
به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر الا ان يخافا حمزة على البناء
للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف
زيد تركه اقامة حدود الله تلك حدود الله اي ما حد من النكاح واليمين
والايلاء والطلاق والخلع وغير ذلك فلا تعتدوها فلا تتجاوزوها بالمخالفة
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الضارون انفسهم فان طلقها
مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعي في قول وهذه
بيان لذلك اي فان طلقها الثالثة بعد الخلع حكم التحليل كذا فلا تحل له من بعد
من بعد التطليقة الثالثة حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح

يسند

يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح هنا
ينعقد بعبارتها والاصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف في اصول الفقه
والفقه فيه انه لما اقدم على فراق لم يبق للندم مخلص لم تحل له الا بدخول فحل
عليها ليمتنع عن ارتكابه فان طلقها الزوج الثاني بعد الوطء فلا جناح عليهما
على الزوج الاول وعليها ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج
ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل
ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله وتلك حدود الله
يبينها وبالنون المفضل لقوم يعلمون يفهمون ما بين لهم واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها
وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف اي فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة
واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا مفعول
له او حال اي مضارين وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء
عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا
لتعتدوا لتظلموهن او لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك بعد الامساك
للضرار فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا
اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذ
تموها هزوا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ واذكروا نعمة الله
عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
من القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به
بما انزل عليكم وهو حال واتقوا الله فيما امتحنكم به واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن ودل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لان النكاح
يعقب هنا وذا يكون بعد العدة وفي الاول الرجعة وذا يكون في العدة
فلا تعضلوهن فلا تمنعوهن والعضل المنع والتضييق ان ينكحن من ان ينكحن
ازواجهن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه اشارة الى
انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم

بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركوهن يتزوجن من شئن من ازواجهن سموا ازواجا
باسم ما يؤول اليه او للاولياء في عضلهن اي يمنعهن ان ينكحن ازواجهن الذين كانوا ازواجا
لهن سموا ازواجا باعتبار ما كان نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته
ان ترجع الى الزوج الاول او للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد
بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين اذا تراضوا بينهم اذا ان الخطاب
والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط او بمهر المثل والكفو
لان عندهم عدم احدهما للاولياء ان يعترضوا والخطاب في ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم او لكل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر
والمواعظ انما تنفع فيهم ذلكم اي ترك العضل والضرار ازكى لكم واطهر
اي اكثر مراد نماء الاثابة او ازكى واطهر او فضل واطيب والله يعلم ما فيه لكم
من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك والوالدات يرضعن اولادهن حولين خبر
في معنى الامر المؤكد كيتربصن وهذا الامر على وجه الندب او على وجه
الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا
عن الاستيجار او اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل
الرضاع حولين ظرف كاملين تامين وهو تاكيد لانه مما يتسامح فيه واذ
تقول اقمت عنده حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان
لمن توجه اليه الحكم اي هذا الحكم لمن اراد تمام الرضاع والحاصل ان الاب يجب
عليه ارضاع ولده دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت
الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار
الام ما دامت زوجة او معتدة وعلى المولود له الهاء تعود الى اللام الذي
بمعنى الذي والتقدير على الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع
على الفاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له
دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للاباء والنسب
اليهم لا اليهن وكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن
ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى
وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا رزقهن وكسوتهن بالمعروف بلا اسراف وتقتير وتعسير بما يعقبه

وهو

70

وهو ان لا يكلف احد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضار لا تكلف نفس الا وسعها
وجدها وقدر امكانها والتكليف الالزام وما يؤثر فيه الكلفة وانتصاب وسـ
وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء ودخلت الا بين المفعولين
لا تضار مكي وبصري بالرفع على الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء
للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها
الباقون لا تضار على النهي والاصل تضارر واسكنه الاولى وادغم في الثانية
وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين والدة بولدها اي لا تضار
والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من
الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد
ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا مولود له بولده اي ولا تضار
مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها
او يأخذه منها وهي تريد ارضاعه وان كان مبنيا للمفعول فهو نهي
عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها
بسبب الولد او تضار بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر والدة
بولدها ولا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد
به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل
بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا ولد
لها عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف
عليه اي وعلى وارث الصبي عند عدم الاب مثل ذلك اي مثل الذي كان على
ابيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن ابي ليلى من ورثه
وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلى
الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة
فيما عدا الولاد فان ارادا يعني الابوين فصالا فطاما عن تراض منهما وتشاور
بينهما فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين او نقصا وهذه توسعة
بعد التحديد والتشاور استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته وذكره

ليكون التراضي عن تفكر ولا يضر الرضيع فسبحان الذي احاز الكبير ولم يهمل
الصغير واعتبر اتفاقهما لما لهما من الولاية النسبية والولاية وللام الشفقة
والحضانة وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم عن الزجاج وقيل
استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعها
الصبي معدى الى مفعولين اي تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف
احد المفعولين يعني غير الام لعذر ابيها او عجزها فلا جناح عليكم اذا سلمتم
الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه من الاجرة اتيتم مكي من اتى اليه احسانا
اذا فعله ومنه قوله كان وعده ماتيا اي مفعولا والتسليم ندب لا
شرط للجواز بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب
نفس وسرور واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث لا يخفى
عليه اعمالكم فهو مجازيكم عليها والذين يتوفون منكم تقول توفيته
الشيء واستوفيته اذا اخذته وافيا تاما اي تستوفي ازواجهم
ويذرون ويتركون ازواجا يتربصن بانفسهن اي وزوجات الذين يتوفون
منكم يتربصن اي يتقون او مقدار يتربص بعدهم بانفسهم ف
محذوف بعودهم العلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لا بد من عائد الى المبتدا
في الجملة التي وقعت خبرا يتوفون الفعل اي يستوفون اجالهم
اربعة اشهر وعشرا اي وعشرة ليال عددا او داخلة معها ولا يستعمل
التذكير فيه ذهابا الى الايام يقال صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم
فاذا بلغن اجلهن فلا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والحكام
فيما فعلن في انفسهن من التعريض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره
الشرع والله بما تعملون خبير عالم بالبواطن ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
من خطبة النساء الخطبة الاستنكاح والتعريض ان يقول لها
انك لجميلة او صالحة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم

انه

انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت ولا يصرح بالنكاح
فلا يقول اني اريد ان اتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية
ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا
يدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك
ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا
وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض او اكننتم في انفسكم او سترتم
واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم
ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن
ولكن لا تواعدوهن سرا جماعا لانه مما يسر اي لا تقولوا في العدة اني قادر على
هذا العمل الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والا
متعلق بلا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة
ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي
عن عقد النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل
انهى ولا تعزموا عقدة النكاح او ولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة
العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي
لمن لم يبيت الصيام او ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله
حتى تنقضي عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعني حتى
يبلغ التربص المكتوب عليها اجله اي غايته واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور
حليم لا يعاجلكم بالعقوبة ونهاكم عنه فلعلكم اتمه ولم يكن سمى لها مهرا
او لا جامعها لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء
شرط ويدل على جوابه لا جناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلا
جناح عليكم ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن وما شرطية اي ان لم تمسوهن
تمسوهن ... وعلى حسب وقع لان الفعل واقع بين الشرط او تفرضوا لهن فريضة

فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر
وذلك ان المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى ان سمي لها مهر وان لم
يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح
تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف
ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة ومتعوهن معطوف على فعل محذوف تقدير
يره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار على الموسع الذي
له سعة قدره مقداره الذي يطيقه قدره فيهما كوفي غير ابي بكر وهما لغتان
وعلى المقتر الضيق الحال قدره ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر
المطلقات متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن
في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا
على المحسنين على المسلمين او على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل
الفعل محسنين كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وليس هذا امر
احسان هو الشرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم الذي سمى
لها مهر اذا طلقت قبل المس فقال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ان مع الفعل بتاويل
المصدر في موضع الجر بمن قبل مسكم اياهن وقد فرضتم في موضع الحال لهن فريضة
مهرا فنصف ما فرضتم فلهن نصف ما فرضتم الا ان يعفون يريد المطلقات وان مع الفعل في موضع
النصب على الاستثناء كانه قيل فعليكم نصف ما فرضتم في جميع الاوقات الا وقت
عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون ان الواو في
الاول ضميرهم والنون علامة الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن
والفعل مبني لا اثر لعامل فيه او يعفو عطف على محل ان يعفون الذي بيده عقدة
النكاح الزوج كذا فسره علي رضي الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد
وابي حنيفة والشافعي في الجديد رضي الله عنهم وهذا لان الطلاق بيده
فكان بقاء العقد بيده والمعنى ان الواجب شرعا هو النصف الا ان تسقطه
هي الكل او يعطي هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعي في القديم هو
الولي قلنا لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه وان تعفوا
مبتدا خبره اقرب للتقوى والخطاب للازواج والزوجات على سبيل التغليب

ذكر

ذكره الزجاج اي عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المراة باسقاط
كله خير لها او للازواج ولا تنسوا الفضل التفضل بينكم اي ولا تنسوا
ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم على
تفضلكم حافظوا على الصلوات داوموا عليها بمواقيتها واركانها وشرائطها
والصلاة الوسطى الصلوات اي الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت
وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند ابي
حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال
عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان عليه السلام حتى
توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر
ولانها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس
بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار او صلاة
الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل او صلاة المغرب لانها بين صلاة
الاربع والمثنى ولانها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر او صلاة العشاء
لانها بين وترين او هي غير معينة كليلة القدر ليحافظ الكل وقوموا لله في
الصلوة قانتين حال اي مطيعين خاشعين او ذاكرين لله في قيامكم والقنوت
ان تذكر الله قائما او مطولين القيام فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو
او غيره فرجالا اي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او ركبانا
وحدانا بايماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم
فاذكروا الله فصلوا صلاة الامن كما علمكم اي ذكرا مثل ما علمكم
ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
بالنصب شامي وابو عمرو وحمزة وحفص اي فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم
بالرفع اي فعليهم وصية متاعا نصب بالوصية لانها مصدر وتقديره
متعوهن متاعا الى الحول صفة لمتاعا غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا

القول عندي ما تقول او بدل من متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم
ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم وكان ذلك الامتاع وعا
في اول الاسلام ثم نسخ بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله
عشرا والناسخ مقدم عليه تلاوة ومتاخر نزولا كقوله تعالى سيقول
السفهاء من الناس مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء فان خرجن بعد الحول
فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر
في الشرع والله عزيز حكيم فيما حكم وللمطلقات متاع اي نفقة العدة بالمعروف حقا
نصبه على المصدر على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الكاف
هو في موضع الرفع لانه خبر لعل واذا اريد به المتعة فالمراد غير المطلقة
المذكورة وهي على سبيل الندب الم تر الى الذين تعجيب لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع
لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم
من قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم
احياهم بدعاء حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف
في موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة
وهي جمع الف لا آلاف حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي فاماتهم
وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد
بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة على العادة وفيه تشجيع للمسلمين
على الجهاد وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله
ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف
على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم احياهم او لما كان معنى قوله فقال لهم
الله موتوا فاماتهم كان عطفا عليه معنى ان الله لذو فضل على الناس
حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر اولئك وكما بصرهم باقتصاص خبرهم
اولا وفضل على الناس حيث احيى اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم

موتى

73

موتى الى يوم النشور ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلك والدليل على انه
ساق هذه القصة تحريضا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في
سبيل الله وهو قوله وقاتلوا في سبيل الله فحرض على الجهاد بعد ان اعلم
ان الفرار من الموت لا يغني وهذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
او لمن احياهم واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون
عليم بما يضمرونه من ذا استفهام في موضع رفع بالابتداء وذا خبره الذي نعتا
لذا او بدل منه يقرض الله صلة الذي سمى ما ينفق في سبيل الله قرضا لان القرض
ما يعطى ليرد مثله من بعد سمي به لان المقرض يقطعه من ماله فيدفعه
اليه والقرض القطع ومنه المقراض ومقرض الفار ولذا تقرض عنهم بذلك
على انه لا تضيع عنده وانه يجزيهم عليه لا محالة قرضا حسنا بطيبة النفس
من المال الطيب والمراد النفقة في الجهاد لانه لما امر بالقتال في سبيله وهو يحتاج
فيه الى المال حث على الصدقة ليتهيأ اسباب الجهاد فيضاعفه له بالنصب على
على جواب الاستفهام وبالالف قرأ ابو عمرو ونافع وحمزة وعلي عطفا على يقرض
او هو مستانف اي فهو يضاعفه ويضعفه بتشديد فيضعفه اضعافا في
موضع المصدر كثيرة لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض
ويبسط يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة ويبسط حجازي وعاصم وعلي واليه ترجعون
فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا الاشراف لانهم يملؤون القلوب
جلالة والعيون مهابة من بني اسرائيل من للتبعيض من بعد موسى من بعد
موته من اذ قالوا لنبي لهم حين قالوا لنبي لهم هو شمعون او يو
شع او شموئيل ابعث لنا ملكا انهض لنا اميرا للقتال معنا امير انصدر في
تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره نقاتل بالنون والجزم على الجواب
في سبيل الله صفة نقاتل قال النبي هل عسيتم عسيتم حيث كان نافع ان كتب
عليكم القتال شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو الا تقاتلوا والمعنى

ج

هل عسيتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون وتجبنون
فادخل هل على فعل مستفهما عما هو متوقع عنده واراد بالاستفهام التقرير
والتثبيت وان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه قالوا وما لنا الا نقاتل في
سبيل الله اي اي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا الواو
في وقد للحال وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون مصر وفلسطين فاسروا
من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد
من الجهاد فلما كتب عليهم القتال اي اجيبوا الى ملتمسهم تولوا اعرضوا عنه
الا قليلا منهم وهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت هو اسم اعجمي كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف
والعجمة ملكا حال قالوا انى يكون له الملك علينا اي كيف ومن اين وهو انكار
لتملكه عليهم واستبعاد له ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة الواو للحال
من المال اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو
احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان
النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا وكان من سبط
بنيامين وكان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله تعالى حين
طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قال ان الله اصطفاه عليكم الطاء في اصطفاه بدل من التاء لكون الصاد السا
كنة اي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه
ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والـ
جسامة فقال وزاده بسطة في العلم والجسم قالوا كان اعلم بني
اسرائيل بالحروب والديانات في وقته واطول من كل انسان براسه ومنكبه
والبسطة السعة وهي امتداد والملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل
مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما لانه اعظم في النفوس واهيب في
القلوب والله يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه

من

من يشاء ما يشاء وليس ذلك بالوراثة والله واسع اي واسع الفضل والعطا
يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه
للملك فتجة طلبوا من نبيهم اية على اصطفاء الله طالوت وقال لهم نبيهم ان اية
ملكه ان ياتيكم التابوت اي صندوق التوراة وكان موسى عليه الصلاة
والسلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون فيه سكينة
من ربكم سكون وطمانينة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام مما ترك ال موسى
وال هارون اي مما تركه موسى وهارون والال مقحم لتفخيم شانهما تحمله
الملائكة يعني التابوت وكان رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به
الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة في موضع الحال وكذا فيه
سكينة ومن ربكم نعت سكينة ومما ترك نعت لبقية ان في ذلك لاية لكم
ان كنتم مؤمنين اي في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله قد ملك طالوت عليكم
ان كنتم مصدقين فلما فصل طالوت بالجنود خرج بالجنود من بلده الى جهاد العدو
وبالجنود في موضع الحال اي مختلطا بالجنود وهم ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم معاملكم اي يعاملكم
معاملة المختبر بنهر وهو نهر فلسطين ليتميز المحق في الجهاد من المخفق — المخفق
فمن شرب منه كرعا فليس مني فليس من اتباعي واشياعي ومن لم يطعمه لم يذقه
من طعم الشيء اذا ذاقه فانه مني وبفتح الياء مدني وابو عمرو واستثناء
الا من اغترف غرفة بيده من قوله فمن شرب منه والجملة الثانية في حكم المتاخرة عن ا
ستثناء الا انها قدمت للعناية غرفة بيده بفتح الغين حجازي وابو عمرو وبمعنى
المصدر وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة
باليد دون الكرع والدليل عليه فشربوا منه اي فكرعوا الا قليلا منهم
وهم ثلثمائة وثلاثة عشر فلما جاوزه هو والذين امنوا معه
اي القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم اي القوة لنا بجالوت وجنوده هو جبار من العمالقة
من اولاد عمليق ابن عاد وكان في بيضته ثلاثمائة رطل من حديد

وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله يوقنون [illegible]
للشهادة قبل الصبح نعم قالوا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل
الذين ثبتوا معه وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لنفسه ودابته
والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش كم من فئة قليلة
كم خبرية وموضعها رفع على الابتداء غلبت فئة كثيرة باذن الله
بنصره والله مع الصابرين بالنصر ولما برزوا لجالوت وجنوده ظهروا لقتالهم
قالوا ربنا افرغ اصبب علينا صبرا على القتال وثبت اقدامنا بتقوية قلوبنا
والقاء الرعب في صدور عدونا وانصرنا على القوم الكافرين اعنا عليهم فهزموهم
اي طالوت والمومنون جالوت وجنوده باذن الله بقضائه وقتل داوود جالوت
كان ايشا ابو داوود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داوود سابعهم
بعضهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم ان داوود هو الذي يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان
يحمله وقالت انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت
فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده واراد قتله ثم مات تائبا واتيه الله الملك
في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك
قط قبل داوود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام
الطيور وغير ذلك ولولا دفع الله الناس هو مفعول به بعضهم بدل من
الناس فاعل من نوع مصدر دفع او دفاع ببعض لفسدت الارض اي ولولا
ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون
وفسدت الارض وبطلت منافعها من الحرث والنسل او ولولا ان الله
ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بغلبة الكفار وقتل
المسلمين وتخريب البلاد وتعزية العباد ولكن الله ذو فضل على العالمين
بازالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة في مسئلة الاصلح
تلك مبتدا خبره ايات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث
الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره على الجبابرة على
يد صبي نتلوها حال من ايات والعامل فيه معنى الاشارة او ايات الله

بدل

الايمان

بدل من تلك ونتلوها الخبر عليك بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب
لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث اخبرت بها من غير ان تعرف
رواية في كتاب او سماع من اهله تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي
ذكر قصصها في هذه السورة من ادم الى داوود او التي ثبت علمها عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض بالخصائص والرسالة لاستوائهم
فيها كالمومنين يستوون في صفة الايمان ويتفاضلون في الطاعات بعد الايمان
ثم بين ذلك بقوله منهم من كلم الله اي كلمه الله حذف العائد من الصلات
يعني منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام
ورفع بعضهم مفعول اول ودرجات مفعول ثان اي بدرجات او الى درجات
يعني ومنهم من رفعه الله على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل
افضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم المفضل عليهم بارساله
الى الكافة وبانه اوتي ما لم يوته احد من الايات المتكاثرة المرتقية الى الف
او اكثر واكبر الغنى ايات القران المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا الابهام
تفخيم بيان انه العلم الذي لا يشتبه على احد والمتميز الذي لا يلتبس وقيل
اريد به محمد وابراهيم وغيرهما من اولي العزم من الرسل واتينا عيسى ابن مريم
البينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك وايدناه بروح
القدس فقويناه بجبريل او بالانجيل ولو شاء الله ما اقتتل اي اختلف الامم
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الظاهرات
ولكن اختلفوا بمشيئته ثم بين الاختلاف فقال فمنهم من امن ومنهم من كفر
بمشيئته يقول الله اجريت امور رسلي على هذا اي لم يجمع الامم منهم على طاعة
جميع امته في حياته ولا بعد مماته بل اختلفوا عليه فمنهم من امن ومنهم
من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد اي لو شئت ان لا يقتتلوا
لم يقتتلوا اذ لا يجري في ملكي الا ما يوافق مشيئتي وهذا يبطل قول المعتزلة
لانهم يقولون شاء الله ان لا يقتتلوا فاقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا
فاقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد اثبات الارادة لنفسه كما هو مذهب اهل
السنة يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم في الجهاد

في سبيل الله او هو عام في كل صدقة واجبة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
اي من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه
لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة يعني يسامحكم اخلاؤكم به
ولا شفاعة اي للكافرين واما المومنون فلهم شفاعة او الا باذن فيهم
والكافرون هم الظالمون انفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم او الكا
فرون بهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة عنه محكي وتجري
الله لا اله الا هو لا مع اسمه وخبره وما ابدل من موضعه في موضع الرفع
خبر المبتدا وهو الله الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء القيوم الدائم
البالغ في تدبير الخلق وحفظه لا تاخذه سنة نعاس وهو ما يتقدم النوم
من الفتور ولا نوم عن المفضل السنة ثقل في الراس والنعاس في العين والنوم
في القلب وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما
وقد اوحى الى موسى قل لهولاء اني امسك السماوات والارض بقدرتي فلو
اخذني نوم او نعاس لزالتا له ما في السماوات وما في الارض ملكا وملكا
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ليس لاحد ان يشفع لاحد عنده الا باذنه وهو
بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن
له في الكلام وفيه رد على الكفار ان الاصنام تشفع لهم يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السماوات
والارض لان فيهم العقلاء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته تعالى
في الوعاء اللهم اعف عنا علمك فينا اي معلومك الا بما شاء الا ما علم وسع كرسيه
السماوات والارض اي علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسي
العلماء وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم وهو كقوله
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما او ملكه تسمية بمكانه الذي هو
كرسي الملك او عرش شبه كرسي الجسم او هو سرير دون العرش وفي الحديث
ما في السماوات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش
على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة او قدرته بدليل قوله
ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السماوات والارض

وهو

قوله والارض في ملكه وسلطانه العظيم في عزته وجلاله او العلي المتعالي عن الصفات
التي لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التي تليق به فهما جامعان لكمال
التوحيد وانما ترتبت الجمل في اية الكرسي بلا حرف عطف لانها وردت على
سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير سا
ه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرا
بعة لاحاطته باحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها او لجلالته وعظم قدره وانما فضلت هذه الايات حتى ورد في فضلها ما
ورد منه ما روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي
في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها
الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار
جاره والابيات حوله وقال سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور
وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد
البقرة اية الكرسي وقال علي اذا قرات هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين
ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وقال من قرا اية الكرسي
عند منامه بعث الله ملكا يحرسه حتى يصبح وقال من قرا اخر البقرة حين
يمسي حفظ بهما حتى يصبح وان قراهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي
اية الكرسي واول حم المومن الى اليه المصير لاشتمالهما على توحيد الله وتعظيمه
وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا لله
كان افضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان اشرف العلوم علم التوحيد
لا اكراه في الدين اي لا اجبار على الدين الحق وهو الاسلام وقيل هو اخبار في معنى
النهي وروي انه كان لانصاري ابنان فتنصرا قبل مبعثه فلزمهما ابوهما وقال والله
لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما قال ابن
مسعود رضي الله عنه وجماعة كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال
قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطا
غوت بالشيطان او الاصنام ويومن بالله فقد استمسك تمسك بالعروة اي

المعتصم والمتعلق بالعروة الوثقى لا تنفك ادا وثوابه الا الشي من الحبل الو
ثيق المحكم المامون لا انفصام لها لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم
بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه
ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين
عقدا وثيقا لا تحله شبهة والله سميع للاقرار عليم بالاعتقاد الله ولي
الذين امنوا اراد والذين يومنوا ان يامن بهم ومتولي امورهم يخرجهم من
الظلمات من ظلمات الكفر والضلالة وجمعه لاختلافها الى النور الى الايمان والهدا
يه ووحده لاتحاد الايمان والذين كفروا مبتدا والجملة وهي اولياوهم الطاغوت
خبره يخرجونهم من النور الى الظلمات وجمع لان الطاغوت في معنى الجمع يعني
والذين صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المومنين يخرجهم
من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا
منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياوهم الشياطين يخرجونهم من نور
البينات الذي يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة اولئك اصحاب النار هم
خالدون ثم عجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه نمرود الذي
كان يدعي الربوبية بقوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه في معارضة
ربوبيته ربه والضمير في ربه يرجع الى ابراهيم او الى الذي حاج فهو ربهما
ان اتاه الله الملك لان اتاه الله يعني ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر فحاج
لذلك وهو دليل على المعتزلة في الاصلح او حاج وقت ان اتاه الله الملك اذ قال
نصب بحاج او بدل من اتاه اذا جعل بمعنى الوقت ابراهيم ربي ومحله الذي
يحيي ويميت كانه قال له من ربك فقال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي
واميت يريد اعفو عن القتل واقتل فانقطع اللعين بهذا عند الخاصة فزاد
ابراهيم عليه السلام ما لا يتاتى فيه التلبيس على الضعفة حيث قال ابراهيم
فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وهذا ليس بانتقال
من حجة الى حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند
اللعين حجة الاحياء بتخلية واحد وقتل اخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا
اهل تنجيم وحركة الكواكب من المشرق الى المغرب معلومة لهم والحركة
الشرقية المحسوسة لنا قسرية تتحرك بها الماء الفلك على الاجل الى غير جهة
حركة

حركة الفلك فقال ان ربي يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا
فحركها بحركتها فهو اهون فبهت الذي كفر فتحير ودهش والله لا يهدي
القوم الظالمين اي لا يوفقهم وقالوا انما لم يقل نمرود فليات ربك بالشمس
من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه وقيل لانه كان يدعي الربوبية لنفسه
وما يجترئ بالربوبية لغيره ومعنى قوله انا احيي واميت ان الذي نسبته
اليه من الاحياء والاماتة انا لا غيري وفي الاية دلالة على اباحة التكلم في علم
الكلام والمناظرة فيه لانه قال الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والمحاجة
حجة تكون بين اثنين فدل على ان ابراهيم حاجه ايضا ولو لم يكن مباحا لما باشره
ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب
الحرام ولانا امرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله تعالى وتوحيده واذا
دعوناهم الى ذلك لا بد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذلك لا يكون الا بعد
المناظرة كذا في شرح التاويلات او كالذي مر معناه او ارايت مثل الذي
فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب او هو محمول على المعنى
دون اللفظ تقديره ارايت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر وقال صاحب
الكشف فيه الكاف زايدة والذي عطف على قوله الى الذي حاج عن
الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة
الاستبعاد التي هي انى يحيي والاكثر انه عزير اراد ان يعاين احياء الموتى
ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وانى يحيي اعتراف بالعجز
عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي على قرية هي بيت
المقدس حين خربه بخت نصر او هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على
عروشها ساقطة مع سقوفها وسقطت السقوف ثم سقطت عليها
الحيطان وكل مرتفع عرش قال انى يحيي اي كيف يحيي هذه اي
اهل هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه
اي احياه قال له ملك كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم
بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد روي انه مات ضحى وبعث

بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم
التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك روي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه
عصيرا ولبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه
لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين
لان لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهة فلانا اي عا
ملته سنة او واو لان الاصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون
ثم تتغير بحذف الهاء في الاصل وباثباتها في الوقف حمزة وعلي وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه
او وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه
مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك
آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل الواو
عطف على محذوف اي لتعتبر ولنجعلك وقيل اتى قومه راكب حماره وقال
انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها عن ظهر قلبه ولم يقرأ
التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله
فرأى اولاده شيوخا وهو شاب وانظر الى العظام اي عظام الحمار او
عظام الموتى تعجب من احيائه اياهم كيف ننشزها نحييها او نرفع بعضها
الى بعض لانه كيف ننشرها بالراء حجازي وبصري نحييها ثم نكسوها لحما
اي العظام كما جعل اللحم كاللباس مجازا فلما تبين له فاعله مضمر
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز
فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى قال اعلم على لفظ الامر
حمزة وعلي اي قال الله له اعلم او هو خاطب نفسه واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى موضع كيف نصب بتحيي قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي انما قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت
الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين

وبلى

وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى امنت ولكن ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة
علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة
وعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري واللام تتعلق بمحذوف
تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب قال فخذ اربعة من الطير طاووسا
وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بكسر الصاد حمزة اي املهن او ضمهن
اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم جزئهن وفرق اجزاءهن
على الجبال التي بحضرتك وفي ارضك وكانت اربعة اجبل او سبعة جزؤا
بضمتين ابو بكر ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا
مسرعات في موضع الحال اي ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن
على ارجلهن واعلم بضمها الى نفسه بعد اخذها ليتاملها ويعرف اشكالها
وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير
تلك وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على
الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل
كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن
كل جثة الى راسها واعلم ان الله عزيز لا يمتنع عليه ما يريده حكيم
فيما لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما بين هو على قدرته على الاحياء حث على الا
نفاق في سبيل الله واعلم ان من انفق في سبيله علم في نفقته اجرا عظيما
وهو قادر عليه فقال مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
لابد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر
حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة المنبت هو الله ولكن الحبة
لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى
انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب في كل
واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني
الناظر والممثل به موجود في الدخن والذرة وربما فرخت ساق البر في الا
راضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على ان التمثيل يصح وان لم يوجد

على سبيل الغرض والتعوير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع
اقراء والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعفه لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت
احوال المنفقين او يزيد على سبع مائة لمن يشاء يضعف شامي ومكي
والله واسع واسع الفضل والجود عليم بنيات المنفقين الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا هو ان يعتد على من احسن اليه باحسانه
ويرى انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم
فانسوها ولا اذى هو ان يتطاول عليه بسبب ما اعطاه ومعنى ثم اظهار
التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق
كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا
لهم اجرهم عند ربهم اي ثواب انفاقهم ولا خوف عليهم من بخس
الاجر ولا هم يحزنون مرفوعة او لا خوف من العقاب ولا حزن بفوت الثواب
وانما قال هنا لهم اجرهم وفيما بعد فلهم اجرهم لان الموصول هنا لم يضمن
معنى الشرط وضمنه ثمة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو ربع
عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول او نيل مغفرة من الله بسبب
الرد الجميل خير من صدقة يتبعها اذى ضرار وصح الاخبار عن
المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق
يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم اكد ذلك
بان قال يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي
الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير ابطالا مثل ابطال الذي
ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اي لا
تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله
رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضاء الله والثواب الاخرة ورئاء مفعول له
فمثله كمثل صفوان عليه تراب مثله ونفقته التي لا ينتفع
بها البتة بحجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا
اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا يجدون

ثوابا

ثوابا مما انفقوا او الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقا
تكم مماثلين الذي ينفق وانما قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق لانه
اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق والله لا يهدي القوم الكافرين
ما داموا مختارين الكفر ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
اي وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم
ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن خلاص
قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له اي للابتغاء والتثبيت
والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة بستان بربوة
مكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا بربوة عن عاصم وشامي
من اطيبها وابل فآتت اكلها ثمرتها اكلها نافع ومكي وابو عمرو اكلها
بضم الكاف وفتح اللام وسكون الكاف ونصب اللام ابو عمرو ضعفين مثلي
ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر
يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة
والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك
نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله
زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده والله بما تعملون بصير يرى اعمالكم
على الاكثار والاقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء واخلاص الهمزة في ايود احدكم
للانكار ان تكون له جنة بستان من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له
لصاحب البستان فيها في الجنة من كل الثمرات يريد بالثمرات المنافع التي كا
نت تحصل له فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها
منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر
الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات واصابه
الكبر الواو للحال ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر والواو في وله
ذرية ضعفاء اولاد صغار للحال ايضا والجملة في موضع الحال من الها في
اصابه فاصابها اعصار ريح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء
كالعمود فيه في الاعصار نار فاحترقت بالطرف اذ جرى الطرف وصعد

أي عصار فيه نار فاحترقت الجنة وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء فإذا كان
يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة
جامعة الثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت
بالصاعقة كذلك مثل هذا البيان الذي بين فيما تقدم يبين الله لكم الآيات في التوحيد
والدين لعلكم تتفكرون فتتنبهوا يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم
من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة ومما
أخرجنا لكم من الأرض من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات
ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال
الرديء منه تنفقون تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال أي لا تيمموا
الخبيث منفقين أي مقدرين النفقة ولستم بآخذيه وحالكم أنكم لا تأخذونه
في حقوقكم إلا أن تغمضوا فيه إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا
فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي
لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون في
حشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم
حميد مستحق للحمد أو محمود الشيطان يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول
لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا والوعد يستعمل في الخير والشر ويأمركم
بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند
العرب البخيل والله يعدكم في الإنفاق مغفرة منه لذنوبكم وكفارة
لها وفضلا وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه في الآخرة
والله واسع يوسع على من يشاء عليم بأفعالكم ونياتكم يؤتي الحكمة
من يشاء علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل إلى رضا الله والعمل به
والحكيم عند الله هو العالم العامل ومن يؤت الحكمة ومن يؤته يعقوب
أي ومن يؤته الله الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم أي أوتي
خيرا أي خير كثير وما يذكر إلا أولوا الألباب وما يتعظ بمواعظ
الله إلا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل
بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله أو في
سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو في معصيته فإن الله يعلمه

لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون
أموالهم في المعاصي أو ينذرون في المعاصي أو لا يوفون بالنذور من أنصار
ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه إن تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم
شيئا إبداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح
هي فنعما هي بكسر النون وإسكان العين أبو عمرو ومدني غير ورش وبفتح
النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي وبكسر النون والعين غيرهم وإن تخفوها
وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم
فالإخفاء خير لكم والمراد صدقات التطوع والجهر في الفرائض أفضل
لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل
والمتطوع إذا أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل ونكفر بالنون وجزم
الراء مدني وحمزة وعلي وبالياء ورفع الراء شامي وحفص وبالنون غيرهم
فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط ومن رفع
فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله عنكم من سيئاتكم والنون على
معنى نحن نكفر والله بما تعملون من الإبداء والإخفاء خبير عالم ليس عليك هداهم
لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن
والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي
فحسب ولكن الله يهدي من يشاء أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق
الاهتداء وإنما ذلك إلى الله وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم
وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله
أي رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي
لا يوجه مثله إلى الله أو هذا نفي ومعناه النهي أي ولا تنفقوا إلا لا
بتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة
فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها
وأنتم لا تظلمون لا تنقصون من ثوابه شيئا أي لم تنقص الحال في
للفقراء متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هذه

الصدقات للفقراء الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد
فمنعهم من التصرف لا يستطيعون ضربا في الارض لاشتغالهم به للكسب وقيل
هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم
مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفة يتعلمون
القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى يحسبهم الجاهل
بحالهم يحسبهم وبابه بفتح السين شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى
وهبيرة والباقون بكسر السين اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم
عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال لا يسألون الناس
الحافا الحافا قيل هو نفي السؤال والالحاح جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى
بمناره اي لا منار ولا اهتداء به والالحاح هو اللزوم وان لا يفارق الا
بشيء يعطاه وفي الحديث ان الله يحب الحي الحليم المتعفف ويبغض البذي
السائل الملحف وقيل معناه ان سألوا تلطفوا ولم يلحوا وما تنفقوا من خير
فان الله به عليم لا يضيع عنده الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
هما حالان اي مسرين ومعلنين يعني يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة
لحرصهم على الخير وكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه
ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
في السر وعشرة في العلانية او في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم
تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ياكلون الربا
هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال وكتب الربا بالواو
على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان اي المصروع لانه يخبط في المعاملة فجوزي على المقابلة
والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء من المس من الجنون
وهو

وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما
يقوم المصروع او بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم
يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها
عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة
الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه
الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب
بانهم بسبب انهم قالوا انما البيع مثل الربا ولم يقل انما الربا مثل البيع
مع ان الكلام في الربا لا في البيع لانه جيء به على طريقة المبالغة وهو
انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل
حتى شبهوا به البيع واحل الله البيع وحرم الربا انكار لتسويتهم
بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فانى يتماثلان وفيه دلالة على ان القياس
يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه
فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا
فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى
لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيامة
وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى استحلال
الربا عن الزجاج او الى الربا مستحلا فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من احل ما حرم الله
عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين انه لا تعلق للمعتزلة
بهذه الاية في تخليد الفساق يمحق الله الربا يذهب ببركته ويهلك
المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات ينميها ويزيدها اي يزيد المال
الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة
من مال قط والله لا يحب كل كفار عظيم الكفر باستحلال الربا
اثيم متماد في الاثم باكله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم

ولا هم يحزنون قيل المراد به الذين امنوا بعد تحريم الربا جاهلهم الذين امنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا اي خذوا ما شرطتموا على الناس من الربا
ويبقى لهم بقايا من الربا وان ترككم هذا لا بطال ما بقي منها روي انها نزلت في
ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم به عند المحل بالمال
والربا ان كنتم مومنين كان على ذلك من ايمان مايل كماله امتثال المامور به فان لم
تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم
به ويؤيده قراة الحسن فايقنوا فاذنوا حمزة وابو بكر عن عاصم فالاذان اي
اعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا
بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت
قالت ثقيف لا يد لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤوس
اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان
منها وان كان ذو عسرة فان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار
فنظرة فالحكم من نظرة اي انتظار الى ميسرة يسار ميسرة كالمعقود
لغتان وان تصدقوا بالتخفيف عاصم اي تتصدقوا برؤوس اموالكم او ببعضها
على من اعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على
حذف احدى التاءين والتشديد على ادغام خير لكم في القيامة وقيل
اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيوخره
الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا
به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله ترجعون ابو عمرو ويعقوب لازم ومتعد قيل هي اخر اية نزل بها
جبريل وقال ضعها في راس المائتين وثمانين من البقرة وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما او احدا وثمانين او سبعة
ايام او ثلاث ساعات ثم توفى كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت
وهم لا يظلمون بنقصان الحسنات وزيادة السيئات يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا فالداينة الى اجل ادا على

ملفتم

ملفتم بدين مخطبا او اخذا الى اجل مسمى موقت معلومة كالحصاد
او الدراس لا بغير رجوع الحاج وانما احتيج الى ذكر الدين ولم يقل اذا تداينتم
الى اجل ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر
لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنوع
الدين الى مؤجل وحال وعلى اقسام بخلاف الكتابة لانه للدوام فقوم من
المستصيبات واتجر من الجحود والمعنى اذا تعاملتم بدين موجل فاكتبوه
وادام للقوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال
لما حرم الله الربا اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل
فيه اطول اية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم وليكتب بينكم
بين المتداينين كاتب بالعدل هو متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون
على ما يكتبه يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص
وفيه دليل على ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه
معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا
الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه ولا ياب كاتب ولا يمتنع
واحد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق
لا يبدل ولا يغير او كما متعلق بان يكتب فليكتب تلك الكتابة
لا يعدل عنها وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه
الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به فيكون ذلك
اقرار على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان وليتق الله ربه
وليتق الله الذي عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء ليكون جحود الكل
حقه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئا في الاملاء
فيكون جحود البعض حقه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل
لان السفه خفة في العقل او مبذرا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف
او ضعيفا صبيا او لا يستطيع ان يمل هو لعي او خرس او جهل باللغة

فليملل وليه الذي يلي امره ويقوم به بالعدل بالصدق واستشهدوا اي
شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال
المومنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام وشهادة الكفار بعضهم
على بعض مقبولة عند ابي حنيفة فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان
اي فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا
الحدود والقصاص ممن ترضون من الشهداء ممن تعرفون عدالتهم
وفيه دليل على ان بعض المرضي لا يكون شاهدا ان تضل احداهما فتذكر احداهما
الاخرى علة لاجل ان تنسى احداهما الشهادة فتذكرها الاخرى ان تضل احد
هما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم
الله منه فتذكر بالنصب مكي وبصري من الذكر لا من الذكر ولا يأب الشهداء
اذا ما دعوا لاداء الشهادة او للتحمل لئلا يتوى حقوقهم وسماهم
شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن قال الاول للتحريض والثاني
للندب ولا تسأموا ولا تملوا ان سئمته تكاسل الكتابة ومن بعض
... والضمير في ان تكتبوه للدين او الحق صغيرا
او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر وفيه دلالة جواز السلم
في الثياب لان ما يكال او يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وانما يقال
في الذرعي ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او
مشبعا الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة
الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من
القسط وهو العدل عند الله ظرف لاقسط واقوم للشهادة واعون
على اقامة الشهادة وبني افعلا التفضيل اي اقسط واقوم من اقسط
واقام على مذهب سيبويه وادنى الا ترتابوا واقرب من انتفاء
الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك في المقدار
والصفات واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك وادنى متعلقة
بمرو ولانه من الدنو الا ان تكون تجارة حاضرة عاصم اي الا ان تكون
التجارة تجارة او الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة

حا

حاضرة على كان التامة اي الا ان تقع تجارة حاضرة او هي ناقصة
والاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وقوله بينكم ظرف لتديرونها
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد فليس عليكم جناح الا تكتبوها
يعني الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا او كالئا لانه احوط او ابعد من وقوع الا
ختلاف يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوها لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في
التداين واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا
لانه احوط وابعد من وقوع الاختلاف او اريد به واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة
والامر للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل على قراءة
عمر رضي الله عنه ولا يضارر وللمفعول على قراءة ابن عباس رضي الله عنهما
ولا يضارر والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب
منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما
بان لا يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل
الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا وان تضاروا واعلمه فان الضرار
فسوق بكم خروج عن الامر واتقوا الله في مخالفة اوامره ويعلمكم الله شرائع
دينه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه سهو ولا تقصير وان كنتم على سفر اي
مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان فرهن فهو مكي
وابو عمرو اي فالذي يستوثق به رهن جمع رهن كسقف وسقف
ونعل ونعال ورهن في الاصل مصدر سمي به ثم كسر تكسير الاسماء
ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد
الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق
بالكتب والاشهاد لا ان السفر شرط تجويز الارتهان وقوله مقبوضة
يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك ان الرهن يصح بالايجاب والقبول
دون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين
بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن فليؤد الذي اؤتمن
امانته دينه واؤتمن افتعل من الامن وهو حث للمديون على ان يكون عند

ربع

بعض الدائنين به وامنه منه وانتظره له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه
فلم ير تقصيرا منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان
منه وليتق الله ربه في انكار حقه ولا تكتموا الشهادة هذا خطاب
للشهود ومن يكتمها فانه آثم قلبه ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية
كانه قيل فانه يأثم قلبه او على الابتداء او آثم خبر مقدم والجملة خبر ان
وانما اسند الاثم الى القلب لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ
كما تقول هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب
رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت
فسد الجسد كله وكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف
مكان منه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح الا ترى
ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب
واذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم
الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة
الزور وكتمان الشهادة والله بما تعملون من كتمان الشهادة واظهارها
عليم لا يخفى عليه لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله [illegible] ويجلي
ذلكم ولا يدخل الوسواس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك
مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل
ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم
الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور واما
اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع منه بمانع لا باختياره
فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله اي بالعزم وعلى الزنا لا يعاقب
عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله
عليه السلام ان الله عفا عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل
او تتكلم به والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان
المؤاخذة في العزم ثابتة واليه مال الشيخ ابو منصور وشمس
الائمة الحلواني والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع

الفا

الفاحشة الاية وعن عائشة رضي الله عنها ما هم العبد بالمعصية
من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي
اكثر التفاسير انه لما نزلت الاية جزع الصحابة رضي الله عنهم
وقالوا انؤاخذ بكل ما حدثت به انفسنا فنزل قوله آمن الرسول الى
قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما
اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وقيل نسختها الاية
بعده الاية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار
فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ورفعهما شامي وعاصم اي
فهو يغفر لمن يشاء ويعذب وغيرهما جزمهما عطفا على جواب
الشرط وبالادغام ابو عمرو وكذا في الاشارة والبشارة وقال
صاحب الكشاف مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ لان الراء حرف
فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه
عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس في العر
بية ما يؤذن بجهل عظيم والله على كل شيء من المغفرة
والتعذيب وغيرهما قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير
الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين
اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ووقف
عليه وان كان مبتدا كان كل تابعا والتقدير كل منهم وآمن خبر
المبتدا الثاني والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير
كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلي
يعني القران او الجنس لا نفرق اي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل
بين احد من رسله احد في معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل
الا على اسم يدل على اكثر من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول
المال بين زيد وقالوا سمعنا اجبنا قولك واطعنا امرك غفرانك
اي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر ربنا واليك المصير
المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والاية تدل على بطلان الاستثناء

في الايمان ... على وفاء الاعمال ... يجب للتكليف لا يكلف الله نفسا الا وسعها
محكي عنهم او مستانف الا وسعها الا طاقتها وقدرتها لان التكليف
لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف هكذا في شرح التاويلات وقال
صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج
فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطا
قة والمجهود وقد كان في طاقة الانسان ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم
اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها
ما كسبته من خير ويضرها ما اكتسبته من شر وخص الخير بالكسب
والشر بالاكتساب لان الافتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر وتتكلف
للخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي تركنا امرا من اوامرك سهوا او خطا
وفيه دليل على جواز المؤاخذة في النسيان والخطا خلافا للمعتزلة لان الامكان
التحرز عنهما في الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ياصر حامله اي يحبسه مكانه لثقله
استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
من الجلد والثوب وغير ذلك كما حملته على الذين من قبلنا كاليهود
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا واعف عنا
امح سيئاتنا واغفر لنا واستر ذنوبنا وليس تكرارا فالاول للكبائر
والثاني للصغائر وارحمنا تتعطف علينا مع اهلنا لاستاهل او الاول من المسخ
والثاني من الخسف والثالث من الغرق انت مولانا سيدنا او نحن عبيدك او ناصرنا
ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق
المولى ان ينصر عبيده في الحرب مرفوعا امن الرسول الى اخره في ليلة كفتاه
وفيه مرفوع احمد بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل ويجوز ان يقال
قرات سورة البقرة او قرات البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال
قرات السورة التي تذكر فيها البقرة والله اعلم سورة ال عمران
مدنية وهي مائتا اية بسم الله الرحمن الرحيم الم الله حركة
الميم لالتقاء الساكنين اعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة
الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات

وليس

وليس فتح الميم لسكونها وسكون ما قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها
في نحو ميم ولا يصح ان يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الـ
الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز ذلك لجاز في فعل
حركتها لجاز اثباتها واثباتها غير جائز واسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا
الالف والباقون بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدا لا اله الا هو خبره
وخبر لا مضمر والتقدير لا اله في الوجود الا هو وهو في موضع الرفع بدل
من موضع لا واسمه الحي القيوم خبر مبتدا اي هو الحي او بدل من هو والقيوم
فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت نزل عليك
الكتاب القران بالحق بالعدل ... مصدقا لما بين يديه من قبله
وانزل التوراة والانجيل هما اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل
تفعلة وافعيل انما يصح بعد تعريبهما وانما قيل نزل الكتاب
وانزلهما جملة من قبل من قبل القران هدى للناس لقوم موسى وعيسى او الجميع
الناس وانزل الفرقان اي جنس الكتب لان الكل يفرق بين الحق
والباطل او الزبور او كرر ذكر القران بما هو نعت له تفخيما لشانه
ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد
والله عزيز ذو انتقام ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها
منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي في العالم
فعبر عنه بالسماء والارض اذ هو مطلع على كفر من كفر وايمان من
امن وهو مجازيهم عليه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
من الصور المختلفة لا اله الا هو العزيز في سلطانه الحكيم في تدبيره
روي انه قدم وفد نجران وهم ستون راكبا منهم العاقب ومقدمهم
السيد واسقفهم وحبرهم ابو حارثة فخاصموا في ان عيسى ان لم يكن ولد الله
فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو
يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وعيسى يموت وان ربنا
قيم على العباد ويحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك وانه
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه
صور عيسى في الرحم كيف شاء فحملته امه ووضعته وارضعته وكان

وكان بل كل يبشر به ويحدث وينبه منه عن ذلك كله فلا يقطعوا عن ذلك
فيهم صورة، الاسم والبضع وبما دني ذاته لقوله هو الذي انزل عليك الكتاب
القرآن منه من الكتاب، آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت
من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اصل الكتاب تحمل المتشابهات
عليها وترد اليها واخر وآيات اخر متشابهات مشتبهات محتملات
ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستوى يكون بمعنى الجلوس
وبمعنى القدرة وبالاستيلاء، ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم
وهو قوله تعالى ليس كمثله شيء، او المحكم ما امر الله به في كل كتاب انزله
نحو قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه الآيات والمتشابه ما وراءه او ما لا يحتمل الا وجها واحدا وما
احتمل اوجها او ما يعلم تاويله وما لا يعلم تاويله والناسخ الذي يعمل
به والمنسوخ الذي لا يعمل به وانما لم يكن كل القرآن محكما لما في المتشا
به من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح
العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد
الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى فاما الذين في قلوبهم
زيغ ميل عن الحق وهم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل
ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن
دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه التاويل الذي يشتهونه
وما يعلم تاويله الا الله اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب
ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم والذين رسخوا اي ثبتوا فيه
وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستانف عندهم الجمهور والا
والوقف عندهم على قوله الا الله وفسروا المتشابه بما استاثر الله
بعلمه وهو مبتدا عندهم والخبر يقولون آمنا به وهو ثناء منه
تعالى عليهم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقيقة بلا تكييف
وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقية ما اراد الله به

ومعرفة

ومعرفة فضل العلماء المنتهين والوقف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا
ويحصونه وفي قراءة ابي ويقول الراسخون وعن عبد الله ان تاويله الا عند
الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول فان الراسخين في العلم يعلمون
المتشابه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء
العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه او بالكتاب كل
من متشابهه ومحكمه من عند ربنا من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض
كلامه وما يذكر وما يتعظ واصله يتذكر الا اولوا الالباب اصحاب العقول
العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل وقيل يقولون
حال من الراسخين ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب
بعد اذ هديتنا للحمل بالمحكم والتسليم للمتشابه وهب لنا من لدنك رحمة
من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت انك انت الوهاب كثير العطاء والآية
من مقول الراسخين ويحتمل الاستيناف اي قولوا هذا وكذا التي بعدها
وهي ربنا انك جامع الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم والجزاء يوم
لا ريب فيه لا شك في وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد الموعد
والمعنى ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب
سائله اي لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب
ان الذين كفروا اي برسول الله لن تغني تدفع او تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها كداب آل فرعون والذين
من قبلهم الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع
ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب
هؤلاء الكفرة وتكذيبا كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم
او منصوب المحل بلن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك كداب حيث
كان بلا فصل ام بعدهم كذبوا باياتنا تفسير لدابهم بما فعلوا وفعل
بهم كانه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز ان يكون حالا اي قد
فكذبوا فاخذهم الله بذنوبهم كذلك بسبب ذنوبهم يقال

يقال اخذته بكذا اي جازيته عليه والله [illegible]
عقابه والاضافة غير محضة قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون
يوم بدر وتحشرون الى جهنم من الجهل وهي كسبين مجمعة وبالياء فيهما
فيهما حمزة وعلي وبئس المهاد المستقر جهنم قد كان لكم آية الخطاب
للمشركين [illegible] في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله
وهم المؤمنون واخرى وفيه اخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى
المشركين من المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة
ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم
ويجبنوا عن قتالهم ويرونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي
فئتهم الكافرة او مثلي انفسهم ولا يناقض هذا ما ذكر في سورة الانفال
ويقللكم في اعينهم حتى غلبوا لانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترءوا
عليهم فلما اجتمعوا كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير
في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم
اخرى ابلغ في القدرة واظهار الآية ومثليهم نصب على الحال لانه
من روية البصر بدليل قوله رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة
لا لبس فيها والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في
اعين عدوهم ان في ذلك لعبرة وتكثير القليل لعبرة لعظة لاولي الابصار لذوي
البصائر زين للناس المزين هو الله تعالى عند الجمهور للابتلاء كقوله انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويؤيده قراءة مجاهد زين للناس على تسمية
الفاعل [illegible] الشيطان حب الشهوات الشهوة توقان النفس
الى الشيء جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة
كانه اراد تخسيسها بتسميتها شهوات اذ الشهوات مسترذلة
عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية من النساء والاولاد
داخلة فيها والبنين جمع ابن وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور
والاناث وهنا اريد به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدون
للدفاع والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل ملء مسك ثور

ومائة

ومائة الف دينار ولقد جاء الاسلام ويوم بمكة مائة رجل قد قنطروا المقنطرة
المنضدة او المدفونة من الذهب والفضة سمي ذهبا لسرعة ذهابه بلا
بقاء وفضة لانها تتفرق بالانفاق والفض التفريق والخيل سميت به
لاختيالها في مشيها المسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية
من اسام الدابة وسومها والانعام هي الازواج الثمانية والحرث الزرع ذلك
المذكور متاع الحياة الدنيا يتمتع في الدنيا والله عنده حسن المآب
المرجع ثم زهدهم في الدنيا فقال قل اؤنبئكم بخير من ذلكم من اللذة
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها كلام مستأنف فيه
دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم فجنات مبتدأ والذين اتقوا خبره تجري من تحتها
الانهار صفة لجنات ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقون لانهم
هم المنتفعون به ويرفع جنات على تقدير هو جنات وينصره قراءة من قرأ
جنات بالجر على البدل من خير خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان
من الله والله بصير بالعباد اي رضا الله والله بصير بالعباد عالم
باعمالهم فيجازيهم او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذا اعد لهم
الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع او جر صفة للمتقين او للعباد
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا [illegible] اجابة لدعوتك [illegible] انجاز الوعد وقنا عذاب
النار الصابرين يعني على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح
والصادقين قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء العزم
والقانتين الداعين او المطيعين والمنفقين المتصدقين والمستغفرين بالاسحار
المصلين او طالبي المغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة الدعاء ولانه
وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك ينادي
بالاسحار وانت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمال
لهم في كل واحدة منها وللاشعار بان كل صفة مستقلة بالمدح
شهد الله اي حكم الله او قال انه اي بانه لا اله الا هو والملائكة
بما عاينوا من عظيم قدرته واولو العلم اي الانبياء والعلماء قائما بالقسط

قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب
وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية
فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله او من هو ولفظ
جاز افراده بنصبه الحال دون المعطوفين عليه انظر خبر ان ولو قلت
جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم اللبس فان لو قلت جاء زيد وهند
راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح وكرر لا اله الا هو للتأكيد
العزيز الحكيم رفع على الاستئناف اي هو العزيز وليس بوصف لهو لان
الضمير لا يوصف يعني انه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن
العدل إن الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة اي الدين على البدل من
قوله انه لا اله الا هو اي شهد الله ان الدين عند الله الاسلام قال عليه السلام
من قرأها عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له
الى يوم القيامة ومن قال بعدها وانا اشهد بما شهد الله به واستودع
هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة
ان لعبدي عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اي اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم
انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت
اليهود عزير ابن الله الا من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا غبار
عنه بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف الا حسدا بينهم وطلبا
منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لا شبهة
في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث
آمن بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى
بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله ومن يكفر بآيات الله بحججه
ودلائله فان الله سريع الحساب سريع المجازاة فان حاجوك فان جادلوك
في ان دين الله الاسلام والمراد بهم وفد نجران عند الجمهور فقل اسلمت
وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها
لغيره شريكا بان اعبده وادعو معه الها غيره يعني ان ديني دين

التوحيد

88

التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت
بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة
بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو الحق اليقين الذي لا اشكال فما
معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت اي اسلمت
انا ومن اتبعني وحسن العطف للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون
مفعولا معه ومن اتبعني في الحالين سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو في الو
صل وحذفها من بقي من شامي وحفص عن الاعشى والبرجمي وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب
ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يقتضي حصول
الاسلام فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام
ومعناه الامر اي اسلموا كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا فان اسلموا
فقد اهتدوا فقد ظفروا بالرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى وان تولوا فانما عليك البلاغ
اي لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ
الرسالة وتنبه على طريق الهدى والله بصير بالعباد فيجازيهم على
اسلامهم وكفرهم ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
هم اهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الانبياء بغير حق حال مؤكدة
لان قتل الانبياء لا يكون حقا ويقتلون الذين يأمرون ويقاتلون
بالقسط بالعدل من الناس اي سوى الانبياء قال صلى الله عليه وسلم قتلت
بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام
مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم فامروا
عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار من ذلك اليوم فبشرهم بعذاب اليم
دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين
كفروا فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم ويقولون ان لا تغير معنى الابتداء
فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل
لامتنع دخول الفاء اولئك الذين حبطت اعمالهم اي ضاعت في الدنيا

ولهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة ويطالهم من ...
جمع لوفد وسرايا وإذا قالوا احرقه الملكة في النفي نعم يدعوا احبار اليهود
وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض او للبيان يدعون حال
من الذين اوتوا الكتاب الذي هو التوراة او القرآن ليحكم بينهم جعل حاكما حقيقيا كان
عصيه الحكم او ليحكم النبي داوود عليه السلام دخل مدارسهم فدعا
هم فقال له نعيم ابن عمرو والحارث ابن زيد على اي دين انت قال على ملة
ابراهيم قال ان ابراهيم كان يهوديا قال فهلموا الى بيننا وبينكم التوراة
فابوا اليها فابى لما نزلت ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم
فان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم الاعراض
دابهم ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
اي ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم من امر العقاب
وطمعهم من الخروج من النار بعد ايام قلائل وهي اربعون يوما او سبعة
ايام وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
اي غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولا نعذب
بذنوبنا الا مدة يسيرة فكيف اذا جمعناهم ليوم فكيف يكون حالهم
في ذلك الوقت لا ريب فيه لا شك فيه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت
وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس لا يظلمون بزيادة
في سيئاتهم ونقصان في حسناتهم قل اللهم الميم عوض من يا ولذا لا
يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبـ
دخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله
وبالتفخيم مالك الملك تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون وهو نداء ثان اي يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء تعطي
من تشاء النصيب الذي قسمته له من الملك وتنزع الملك ممن تشاء اي تنزعه
فالملك الاول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي انه
عليه السلام حين فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقالت اليهود
والمنافقون هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم
اعز وامنع من ذلك وتعز من تشاء بالملك وتذل من تشاء بنزعه منه بيدك الخير

والشر

29

والشر فاكتفى بذكر احد الضدين عن الآخر ولان الكلام وقع في الخير
الذي يسوقه الى المومنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه
اولياءك على رغم من اعدائك انك على كل شيء قدير ولا يعجز على شيء
احد غيرك ان اراد ذلك وقيل المراد بالملك ملك العافية او ملك القناعة
قال عليه السلام ملوك الجنة من امتي القانعون بالقوت يوما فيوما والملك
قيام الليل وعن الشبلي استغنائي بالمكون عن الكون وعن الكون بالمعرفة او بالـ
الاستغناء عن الكونين بالمكون او بالقناعة وتذل بالافتقار ثم ذكر
قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت
في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله تولج
الليل في النهار وتولج النهار في الليل فالايلاج ادخال الشيء في الشيء
وهو مجاز هنا اي ينقص من ساعات الليل ويزيد في النهار وينقص من
ساعات النهار ويزيد في الليل وتخرج الحي من الميت الحيوان من النطفة
او الفرخ من البيضة او المومن من الكافر وتخرج الميت من الحي النطفة
من الانسان او البيضة من الدجاج او الكافر من المومن وترزق من تشاء
بغير حساب لا يحصي الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عند الله
ليدل على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق
بغير حساب من يشاء من عباده هو قادر على ان ينزع الملك من العجم
ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم
رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا
بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه
السلام كما تكونون يولى عليكم الحي من الميت والميت من الحي الى التقرير
حيثما كان مومن وكافر عن ... لا يتخذ المومنون الكافرين من
اولياء نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام
او غير ذلك وقد كرر ذلك في القرآن والمحبة في الله والبغض في الله
باب عظيم في الايمان من دون المومنين يعني ان لكم في المومنين
مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك

فليس من الله في شيء، ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء،
لأن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان، إلا أن تتقوا منهم تقاة
إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أي إلا أن يكون للكافر عليك سلطان
فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان
المعاداة، ويحذركم الله نفسه أي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة
أعدائه وهذا وعيد شديد، وإلى الله المصير أي مصيركم إليه والعنوان محو
لديه وهو وعيد آخر، قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار
أو غيرها مما لا يرضى الله يعلمه الله ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد ويعلم
ما في السموات وما في الأرض استئناف وليس معطوفا على جواب الشرط
أي هو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فيكون قادرا على عقوبتكم، يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم منصوب
بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها
حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أي مسافة
بعيدة أو باذكر ويقع ما عملت وحده ويرتفع وما عملته على الابتداء وتود
خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح
أن يكون ما شرطية لارتفاع تود نعم إن صح جاز إذا كان الشرط ماضيا
في الكلام الكثير وعن المبرد أن الرفع شاذ ويحذركم الله نفسه
ليكونوا على بال منهم لا يغفلون عنه والله رءوف بالعباد ومن رأفته بهم
أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا
لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم
ونزل حين قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله محبة العبد لله إيثاره طاعته على غيره ذلك ومحبة الله للعبد
أن يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى
محبته وخالف سنة نبيه فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله
معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الأنس
به وقيل هي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله

لما اقتضى به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكر كثير الخلوة دائم الصمت
لا يبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودي ولا يحزن إذا أصيب ولا يفرح إذا أصاب
ولا يخشى أحدا ولا يرجوه ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله
والرسول قيل هي علامة المحبة فإن تولوا أي عرضوا عن الطاعة ويحتمل أن يكون
مضارعا أي فإن تتولوا فإن الله لا يحب الكافرين إن الله اصطفى آدم اختار آدم
أبا البشر ونوحا شيخ المرسلين وآل إبراهيم إسماعيل وإسحاق وأولادهما وآل
عمران هم موسى وهارون هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم ابنة عمران
بن ماثان وبين عمرانين ألف وثمانمائة سنة على العالمين أي على عالمي زمانهم ذرية
بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض أي مستوون في موضع النصب
صفة لذرية يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعبة من بعض
موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر بن قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من
يعقوب ويعقوب بن إسحاق وكذلك عيسى ابن مريم ابنة عمران بن ماثان وهو متصل
بيهوذا بن يعقوب بن إسحاق وفيه خلاف، آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل بعضها من بعض في الدين والله سميع عليم أي يعلم من يصلح للاصطفاء ويصلح
عليم لقول امرأة عمران ونيتها إذ قالت منصوب به أو بإضمار اذكر امرأة عمران
هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم جدة عيسى وهي حنة بنت فاقود رب إني
نذرت لك أوجبت ما في بطني محررا هو حال من ما وهي بمعنى الذي أي معتقا
لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا
عندهم أو مخلصا للعبادة ويقال طين حر إذا خلص فتقبل مني منه إني وأنت
عمرو والتقبل أخذ الشيء على الرضى به إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها
الضمير لما في بطنها وإنما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة قالت
رب إني وضعتها أنثى حال من الضمير في وضعتها أنثى أي وضعت
الحبلة أو النسمة وإنما قالت هذا القول لأن التحرير لم يكن إلا للغلمان فاعتذرت
عما نذرت وتحزنت إلى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله
تعالى والله أعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها أي والله أعلم بالشيء الذي
وضعت وما علق به من عظائم الأمور ووضعها سالم وابنها عيسى وجعلهما الله
فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون من اختلاف القول وعلى الأول يوقف على قوله
أنثى وقوله والله أعلم بما وضعت ابتداء إخبار من الله تعالى وليس الذكر

أي لا يحبهم

التحرير

كالانثى الذي وهبت لها واللام فيهما للعهد وإني سميتها مريم معطوف
على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان وإنما ذكرت تسميتها
لربها لأن مريم في لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب
إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها
ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان
بقوله وإني أعيذها بك أجيرها وذريتها أولادها من الشيطان
الرجيم المطرود في الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين
يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فتقبلها
ربها قبل الله مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن قيل
القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه
لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها
من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة وروي أن حنة لما
ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار
أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب
قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم فقال لهم
زكرياء أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا
وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع
قلم زكرياء فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر
على تقدير حذف المضاف أي فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي
قبول حسن وهو الاختصاص وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية
الحسنة قال ابن عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فهذا أحسن النبات ونباتا
مصدر على خلاف الصدر والتقدير فنبتت نباتا وكفلها فعلها أو ضمن
الفعل باسمها وكفلها كوفي أي كفلها الله زكرياء يعني جعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها زكرياء بالقصر كوفي غير أبي بكر وكل
القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا وغيرهم بالمد والرفع كان الثانية

ومعناه

ومعناه في الحجري دائم الذكر والتسبيح كلما دخل عليها زكريا المحراب
قيل بنى لها زكرياء محرابا في المسجد أي غرفة يصعد إليها بسلم وقيل
المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت
المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها
إلا هو وحده وجد عندها رزقا كان يجد عندها فاكهة الشتاء
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم أنى لك هذا
من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه
قالت هو من عند الله فلا تستبعد وقيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى
وهو في المهد إن الله يرزق من يشاء من جملة كلام مريم أو من كلام رب
العزة جل جلاله بغير حساب بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة
ومجازاة على عمل هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند
مريم في المحراب أو في ذلك الوقت فقد تستعار هنا وثم للزمان
لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من إيشاع
ولد مثل ولد أختها حنة في الكرامة على الله وإن كانت عاقرا عجوزا فقد
كانت أمها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على
جواز ولادة العاقر دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية
ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع طيبة مباركة والتأنيث
للفظ الذرية إنك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة قيل ناداه
جبريل عليه السلام وإنما قيل الملائكة لأن المعنى أتاه النداء من هذا
الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناداه بالياء والإمالة حمزة
وعلي وهو قائم يصلي في المحراب فيه دليل على أن المرادات تطلب
بالصلوات وفيها إجابة الدعوات وقضاء الحاجات قال ابن عطاء
ما فتح الله على عبد حالة سنية إلا باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات
ولزوم المحاريب أن الله بكسر الألف شامي وحمزة على إضمار
القول أو لأن النداء قول الباقون بالفتح أي بأن الله يبشرك يبشرك
وما بعده حمزة وعلي من بشره والتخفيف والتشديد لغتان بيحيى

هو غير منصرف ان كان اعجميا وهو الظاهر للتعريف والعجمة
كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا
حال منه بكلمة من الله اي مصدقا بعيسى مومنا به وهو اول من امن
وسمي عيسى كلمة الله لانه تكون بكن بلا اب او مصدقا بكلمة من الله
مومنا بكلمات منه وسيدا هو الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف
كان يحيى فايقا على قومه لانه لم يرتكب سيئة قط فيا لها من سيادة
وقال الجنيد هو الذي جاد بالكونين عوضا عن المكون وحصورا هو الذي
لا يقرب النساء مع القدرة حصر النفس اي منعها عن الشهوات
ونبيا من الصالحين ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كاينا
من جملة الصالحين قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث
العادة او استعظاما للقدرة لا اشتكاكا وقد بلغني الكبر كقولهم ادركه
السن العالية اي انتهى في الكبر واضعفني وكان له تسع وتسعون سنة
والامراته عاقر وتسعون سنة اي عاقر لا تلد قال الامر كذلك الله يفعل
ما يشاء من الافعال العجيبة قال رب اجعل لي اية علامة على
حمل امراتي في هذا الحبل الانيق المقترن بالشكر اذا جاءت قال ايتك الا تكلم الناس
اي ان تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام الا رمزا الا اشارة بيد او راس
او عين او حاجب واصله التحريك يقال رمز اذا تحرك واستثنى الرمز
وهو ليس من جنس الكلام لانه لما ادى مودى الكلام وفهم منه ما
يفهم منه سمي كلاما او هو استثناء منقطع وانما منع تكليم الناس
ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته
على التكليم بذكر الله ولذا قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي
والابكار في ايام عجزه عن تكليم الناس وهي من الايات
الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص
المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كانه لما طلب الاية من اجل
الشكر قيل له ايتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب
ما كان مشتقا من السوال العشي من حين الزوال الى الغروب والابكار
من طلوع الفجر الى وقت الضحى واذكر اذ قالت امراة عمران

ذا

في التعوذ واذكر اذ قالت الملائكة يا مريم اي جبريل روي انهم كلموها
شفاها ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة
السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال واصطفاك اخرى على نساء العالمين
بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك
ادمي الطاعة او اطيلي قيام الصلوة واسجدي واركعي وقيل امرت بالصلوة بذكر
القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة ثم قيل لها واركعي مع الراكعين
ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة اي وانظمي نفسك في جملة المصلين
وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ذلك اشارة الى ما سبق من
قصة حنة وزكرياء ويحيى ومريم من انباء الغيب نوحيه اليك ذكر
يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها
في النهر بمعنى سهامهم او هي الاقلام التي كانوا يكتبون التوراة بها اختيارا
بها للقرعة ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون وما كنت لديهم
اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها اذ قالت الملائكة
اي اذكر اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة اي بعيسى منه
في موضع جر صفة لكلمة اسمه مبتدا وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها المسيح
خبره والجملة في موضع جر صفة الكلمة والمسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه
المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه
كان لا يمسح ذا عاهة الا برئ او لانه كان يمسح الارض بالسياحة
لا يستوطن مكانا عيسى بدل من المسيح ابن مريم خبر مبتدا محذوف
اي هو ابن مريم ولا يجوز ان يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى فحسب
وليس اسمه عيسى ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها انه يولد من غير
اب فلا ينسب الا الى امه وجيها اذا جاه وقدر في الدنيا بالنبوة والطاعة
والاخرة بعلو الدرجة والشفاعة ومن المقربين عند الله برفعه الى السماء وقوله
وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين اي وثابتا
من المقربين وكذا ويكلم الناس اي ومكلما الناس في المهد حال من الضمير

في المهد اي ثلاثيا في المهد وهو ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وكهلا
عطف عليه اي ويكلم الناس طفلا وكهلا يعني يكلم الناس في هاتين الحالتين
كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التي يستحكم
فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن الصالحين حال ايضا والتقدير يبشرك
به موصوفا بهذه الصفات قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر
قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
يعني اذا قدر تكوين الشيء كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن اختصارا عن
سرعة تكوين الاشياء فتكوينه ويعلمه مدني وعاصم وموضعه حال معطو
فة على وجيها او المراد فوق على ان كلام مستانف الكتاب بيان الحلال
والحرام او الكتابة الخط باليد والحكمة البيان باللسان اي الكتابة فكان
احسن الناس خطا في زمانه وقيل كتب الله والحكمة بيان الحلال والحرام او
الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان والتوراة والانجيل ورسولا
اي ويجعله رسولا او يكون في موضع الحال اي وجيها في الدنيا والآخرة ورسولا
الى بني اسرائيل انى اي بانى قد جئتكم باية من ربكم بان الله
تدل على صدقي لكم فيما ادعيه من النبوة انى اخلق لكم نصب بدل من انى
قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي انى اخلق لكم اي اقدر على الانشاء
من الطين كهيئة الطير اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير
للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طائرا
كسائر الطيور طائرا بامر الله باذن الله بامره قيل لم يخلق غير الخفاش وابرئ الاكمه
الذي ولد اعمى والابرص واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم من
توهم فيه الالوهية روي انه احيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا
سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان اكلت كذا ويا فلان
خبئ لك كذا وهو قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
وما فيهما بمعنى الذي او مصدرية ان في ذلك فيما سبق لاية لكم ان كنتم مؤ
منين ومصدقا لما بين يدي من التوراة اي وقد جئتكم باية من ربكم وجئتكم
مصدقا ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم رد على قوله باية من ربكم اي قد
جئتكم من ربكم ولاحل لكم ما حرم الله عليكم في شريعة موسى عليه السلام
الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك
وجئتكم

93

وجئتكم باية من ربكم كرر للتاكيد فاتقوا الله في تكذيبي وخلافي واطيعون ان الله ربي
ان الله ربي وربكم اقرار بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف ما زعم النصارى
فاعبدوه هذا صراط مستقيم يؤدي صاحبه الى النعيم المقيم فلما احس عيسى
منهم الكفر علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس
قال من انصاري الى الله وهو جمع ناصر كاصحاب او جمع نصير كاشراف الى الله
متعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه قال الحوا
ريون حواري الرجل صفوته وخالصته نحن انصار الله اعوان دينه
امنا بالله واشهد يا عيسى بانا مسلمون انما طلبوا شهادته باسلامهم لانه
لان الانبياء الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل
على ان الايمان والاسلام واحد ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول اي رسولك
فهم
عيسى فاكتبنا مع الشاهدين مع الذين يشهدون لانبيائهم او مع الذين يشهدون
لك بالوحدانية او مع امة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس ومكروا
اي كفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر حين ارادوا قتله وصلبه ومكر الله
اي جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد
اغتياله حتى قتل ولا يجوز اضافة المكر الى الله تعالى الا على معنى الجزاء لانه مذموم
عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا في شرح التاويلات والله خير
الماكرين اقوى المجازين واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب
اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم
ورافعك الي الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا
من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت
مالي على فلان اذا استوفيته او مميتك في وقتك بعد النزول من السماء
ورافعك الان اذ الواو لا توجب الترتيب قال النبي عليه السلام ينزل
عيسى خليفة على امتي يدق الصليب ويقتل الخنزير ويلبث اربعين سنة
ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك امة انا في اولها وعيسى
في اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها او متوفيك نفسك بالنوم
ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء

امن بغير و وجاعل الذين اتبعوك اي المسلمين لانهم متبعوه في اصل الاسلام
وان اختلفت الشرايع فوق الذين كفروا وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها
وبالسيف ثم الي مرجعكم في الاخرة فاحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة
وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
والله لا يحب الظالمين وتفسير الحكم هنا ان الايتان فيوفيهم حقهم
ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا نتلوه عليك خبره
من الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والذكر الحكيم القران يعني المحكم
او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل الحال في وفد نجران اهل الذمة
ولما بلا ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي ان شان عيسى وحاله الغريبة
كشان ادم خلقه من تراب فهي حيثيته امر مبين وهي جملة مفسرة لحاله
شبه عيسى بادم ولا موضع لها اي خلق ادم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام
فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من
الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم
لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغرب به وعن بعض العلماء انه اسر
بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه
لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة
نفر وحزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبري الاكمه والابرص قال فجرجيس
اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما ثم قال له كن اي انشاءه بشرا فيكون
اي فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب
المخبر عنه الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق فلا تكن
ايها السامع من الممترين الشاكين ويحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لانه عليه السلام
معصوم عن الامتراء فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم
من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذي فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء
بالعزم والراي كما تقول تعال نفكر في هذه المسالة ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل مني ومنكم ابناءه
ونساءه

ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على
الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه
وابعده من رحمته واصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه
وان لم يكن التعانا روي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال
العاقب وكان ذا رايهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل
وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لـ
لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني
فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وصالحهم على الفي حلة كل سنة
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده ان الهلاك تدلى على اهل نجران ولولا
عفوا لمسخوا قردة وخنازير واما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة
مختصة به وبمن يكاذبه لان ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه
بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر
على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته
واعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلوب وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم
وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق
او مخالف انهم اجابوا الى ذلك فنجعل لعنة الله على الكاذبين
منا ومنكم في شان عيسى عليه السلام ونجعل معطوف على ندع ان هذا
الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق هو فصل بين اسم
ان وخبرها او مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان وجاز دخول
اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل
اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان تدخل على المبتدا ومن في وما من اله الا
الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة الاستغراق والمراد

الى علو النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز في الانتقام
الحكيم في تدبير الاحكام فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا فان الله عليم بالـ
مفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب هم اهل الكتابين او وفد نجران
او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء اي مستوية بيننا وبينكم
لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد
منهما بعض بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم
والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم
قال نعم هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون
دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع اعترف باني انا الغالب
وسلم لي الغلبة يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التو
راة والانجيل الا من بعده زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم
كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل
لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول
الانجيل وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف
يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعده بازمنة متطاولة افلا تعقلون
حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم
مبتدأ وهؤلاء خبره حاججتم جملة مستأنفة للجملة الاولى يعني انتم
هؤلاء الاشخاص الحمقاء وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم
فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس
لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى
الذين وحاججتم صلته هانتم بالمد وغير الهمز حيث كان نافع وابو

عمر

بهم والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به
ثم اعلمهم بانه بريء من دينهم فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كانه اراد
بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح او رد
كان من المشركين كما لم يكن منهم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم
به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده
وهذا النبي خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه
السلام والذين آمنوا من امته والله ولي المؤمنين ناصرهم ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم
لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم وما يشعرون يا اهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم
لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
وانتم تشهدون تعترفون بانها آيات الله او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم
تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل تخلطون الايمان
بموسى وعيسى بالكفر بمحمد وتكتمون الحق نعت محمد عليه السلام وانتم
تعلمون انه حق وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين فيما بينهم
آمنوا اي القرآن وجه النهار ظرف اوله اي اوله اي اظهروا الايمان بما انزل
على المسلمين في اول النهار واكفروا آخره واكفروا به في آخره لعلهم
يرجعون لعل المسلمين يقولوا ما رجعوا وهم اهل الكتاب وعلم الا لامر قد تبين
لهم فيرجعون برجوعهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ولا تؤ
منوا متعلق بقوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وما بينهما اعتراض اي ولا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم
ارادوا الاسرار واقصروا فيكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم
ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المـ
شركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى

والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم
عليهم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم بالحجة
ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء هدايته حتى اسلم او ثبت
على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تحريفكم
عن المسلمين والمشركين وكذا لا قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم
اي ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع
دينكم الا من كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى
عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك
ودبرتموه لا لشيء اخر يعني ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما
اوتيتم من العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير
ان بالمد والاستفهام او يعني الا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الكتاب تحسدونهم
ونحوه وقوله او يحاجوكم على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم
والله واسع لو واسع الرحمة عليم بالمصلحة يختص برحمته بالنبوة
او بالاسلام من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من
ان تامنه بقنطار يؤده اليك هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده
اليك هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه
وقيل المامونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في
القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة
دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه ملازما له يؤديه ولا يؤده
بكسر الهاء مشبعة مكي ونافع وشامي وعلي وحفص واختلس
ابو عمرو وفي رواية عنهم بسكون الهاء ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي
دل عليه لا يؤده بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اي
تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق
علينا اثم وذم في شان الاميين اي يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب

وما

وما فيه لنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا
يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع
اليهود رجالا في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق
حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات
لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله
من اوفى بعهده واتقى جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير
في بعهده لمن او لله تعالى اي كل من اوفى بعهد الله واتقى فان الله يحب المتقين
اي يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع
من الجزاء الى من ويدخل فيه الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه
من الكفر واعمال السوء وقيل نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي
اهل الكتاب ويجوز ان يرجع الضمير الى من على جواب كل من وفى بما عاهد
عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة
وبدل نعته عليه السلام من اليهود واخذ الرشوة على ذلك ان الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والتصديق
بما معه وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس واخذ الرشا ونحو ذلك وقوله بعهد الله
يغني عن رجوع الضمير في بعهده الى الله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
اي لا نصيب ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم يوم القيامة
نظر رحمة ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم وان منهم
من اهل الكتاب لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي
بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته
عن الصحيح الى المحرف والليّ الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية
الرجم ونعت محمد عليه السلام ونحو ذلك والضمير في لتحسبوه يرجع
الى ما دل عليه يلوون السنتهم من الكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد
يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب

واليس هو من التوراة ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من
الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وما هو من عند الله ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون تعمدا انهم كاذبون ما كان لبشر ان يؤتيه
الله الكتاب تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم
عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة
او فهم الشرع والنبوة ثم يقول عطف على يؤتيه للناس كونوا عبادا لي من دون الله
ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب
الى الرب بزيادة الالف والنون وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وحين
مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات رباني هذه الامة العالم وعن الحسن
ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الرباني العالم العامل المعلم
بما كنتم تعلمون الكتاب كوفي وشامي اي عنيتم عن غيرهم بالتعليم وبما كنتم تدر
سون اي تقرءون والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين
للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والد
والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع
العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها
ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس
فيكون بمعناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة من حسبه ولا يأمركم بالنصب
عطفا على ثم يقول ووجهه ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله
ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى
اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له
ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد
ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخفني وبالرفع حجازي وابو عمرو وعلى
ابتداء الكلام والهمزة في ايأمركم بالكفر للانكار والضمير فيه لله او لكم
وايأمركم للمبشر اوله وقوله بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان المخا
طبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوا ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين هو على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك او المراد
ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف واللام في لما اتيتكم
من كتاب وحكمة لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف

وفي

وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز ان تكون متضمنة معنى الشرط
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة
بمعنى الذي اتيتكموه لتؤمنن به ثم جاءكم معطوف على الصلة والعا
ئد منه الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به رسول مصدق لما معكم للاتيان
الذي معكم لتؤمنن به بالرسول لتنصرنه اي الرسول وهو محمد عليه السلام
لما اتيتكم حمزة وما بمعنى الذي او مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض
الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول الله مصدق لما معكم واللام للتعليل في
اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني اتيتكم الحكمة
وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ابتلاكم
من نوع الى الله أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي قبلتم عهدي وسمي
اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا على ذلكم من اقراركم
وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا
بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا
فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله واعرض عن
الايمان بالنبي الجائي فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفار افغير
دين الله يبغون دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة
والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة
بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون
وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار
الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وله اسلم من في السموات
والارض الملائكة والانس والجن طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه
وكرها بالسيف او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك
الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله
وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال اي طائعين ومكرهين واليه يرجعون
فيجازون على الاعمال يبغون ويرجعون بالياء حفص

حبطوا بالباء في الثاني وفتح الجيم نحيه قل امنا بالله وما انزل علينا
امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذا
وحد الضمير في قل وجمع في امنا اوامر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك
اجلالا من الله لقدر نبيه وعلى انزل هنا بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف
الانتهاء لوجود المعنيين اذ الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء
تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر وقال صاحب اللباب الخطاب في البقرة
للامة لقوله قولوا فلم يصح الا الى لان الكتب منتهية الى الانبياء والى امتهم
جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم دون امته فكان
اللايق به على لان الكتب منزلة عليهم لا شركة للامة فيه وفيه نظر
كقوله تعالى امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وما انزل على ابراهيم واسما
عيل واسحاق ويعقوب والاسباط اولاد يعقوب وكان فيهم انبياء
وما اوتي موسى وعيسى والنبيئون كل في زمن النبوءة وما اوتي ولم يذكر هنا
لتقدم ذكر الانجيل حيثما قال الاماء انتيكم من ربهم من عند ربهم لا نفرق بين احد
منهم في الايمان كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون موحدون
مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا ومن يبتغ غير الاسلام
يعني التوحيد واسلام الوجه لله او غير دين محمد دينا تمييز فلن يقبل منه
وهو في الاخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط
اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم والواو في وشهدوا ان الرسول حق للحال وقد مضمرة
اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق اي محمد حق او العطف على ما في
ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان امنوا وجاءهم البينات اي الشوا
هد كالقران وسائر المعجزات والله لا يهدي القوم الظالمين اي ما
داموا مختارين الكفر او لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا اولئك
مبتدا جزاؤهم مبتدا ثان وخبره ان عليهم لعنة الله وهما خبر اولئك او جزا
وهم بدل الاشتمال من اولئك والملائكة والناس اجمعين خالدين حال من
الهاء والميم في عليهم فيها في اللعنة لا يخفف عنهم العذاب ولا
هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد
واصلحوا

واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور لكفرهم رحيم
رحيم بهم ونزل في اليهود ان الذين كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم
بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران او كفروا برسول الله
بعدما كانوا به مومنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على
ذلك وطعنهم فيه في كل وقت او نزل في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون لن تقبل تو
بتهم لان ايمانهم عند البأس لانهم لا يتوبون الا عند الموت قال الله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا واولئك هم الضالون ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض الفاء فلن يقبل
يوذن بان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية
هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بان الكلام مبتدا وخبر
ولا دليل فيه على التسبيب ذهبا تمييز ولو افتدى به اي فلن يقبل من احد
هم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر في
يوم القيامة لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت مفتديا به فيقول نعم
فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك فيل الواو لتاكيد النفي اولئك لهم عذاب
اليم موجع وما لهم من ناصرين معينين دافعين للعذاب لن تنالوا البر لن تبلغوا
حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا ولن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا
مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتوثرونها و
وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله مما يحبه ولو تمرة فهو داخل
في هذه الاية قال الواسطي الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب
بالتخلي عن الكونين وقال ابو بكر الوراق لن تنالوا بري بكم الا ببركم باخوا
نكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد
العزيز انه كان يشتري اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق
بثمنها قال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب وما تنفقوا من شيء
فان الله به عليم اي هو عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه

ومن للتبعيض لعزة ما عند الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والفائدة
للتبيين اي من اي شيء كان لا تعلق كسبه بحبوبة او خبيثة فانه هو الله
ولما قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم انك تدعي انك على ملة
ابراهيم وانت تاكل لحوم الابل والبانها فقال عليه السلام كان ذلك حلا
حلالا لابراهيم فنحن نحله فقالت اليهود انها لم تزل محرمة في ملة ابراهيم
ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم كل الطعام اي المطعومات
التي فيها الذي اي فانه منها ما هو حرام وقيل ذلك كالميتة والدم كان حلا
لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة وذلك انه يعقوب
مرض ونذر ان شفي هو لحوم الابل والبانها وكانا احب الطعام اليه والمعنى
ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ما
حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم
الابل والبانها التي حرم اسرائيل على نفسه قل فاتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم
ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم
لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وفيه
دليل بين على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي
ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما في ملة
ابراهيم ونوح عليهما السلام من بعد ذلك من بعد ما لزمهم من الحجة
القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم
ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله في اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض
بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا
ملة ابراهيم وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم
ومن امن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم
ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم
والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابراهيم ولمن تبعه حنيفا
حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وما كان من المشركين
ولما

الا ما حرم
اسرائيل

ولما قال اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل ان اول بيت وضع للناس
والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا
لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث ان المسجد الحرام
وضع قبل بيت المقدس باربعين سنة وقيل اول من بناه ابراهيم وقيل هو
هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء
عند خلق السماء والارض وقيل هو اول بيت بناه ادم عليه السلام في
الارض وقوله وضع للناس في موضع جر صفة لبيت والخبر للذي ببكة
اي البيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل
مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه
لازدحام الناس فيها او لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها
جبار الا قصمه الله مباركا حال كثير الخير لما يحصل للحاج والمعتمر من الثواب
وتكفير السيئات وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ومباركا كله
فيه وهدى حال من الضمير في وضع فيه ايات بينات علامات
واضحات لا تلتبس على احد مقام ابراهيم عطف بيان لقوله ايات
بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور
شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام
من تاثير قدمه في حجر صلد او لاشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة
الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة
دون بعض اية وابقاؤه دون سائر ايات الانبياء عليهم السلام
اية لابراهيم خاصة على اني ومن دخله كان امنا عطف بيان للايات
وان كان جملة ابتدائية او شرطية من حيث المعنى لانه يدل على امن داخله
فكانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن داخله والاثنان نوع من
الجمع ويجوز ان تذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على
تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن داخله وكثير
سواهما انحراف الاطيار مع كثرة الهامة وامتناع الطير من العلو عليه
وغير ذلك ونحوه في طي الذكر قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم

ثلاثة الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فقرة عيني ليس من الثلاث
بل هو ابتداء كلام لا بيان انهما ليستا من الدنيا والثالثة محذوف وكانه عليه
السلام ترك ذكر الثالثة تنبيها على انه لم يكن من شانها اذ ينكر كونها من الدنيا
فذكر شيئا هو من الدين وقيل في سبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة
وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت
فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل
انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه
الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه
الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وامان من دخله
بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل لو جنى
كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل
الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل في الحل بقود او ردة
او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع
حتى يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار لقوله عليه السلام من مات
في احد الحرمين بعث يوم القيامة امنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع
يؤخذان باطرافهما وينثران في الجنة مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام
من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله
على الناس حج البيت من اي استقر له عليهم فرض الحج حج البيت كوفي غير
ابي بكر وهو اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان في مصدر حج ومن في موضع
جر على انه بدل البعض من الكل من استطاع اليه سبيلا وفسر هذا
النبي عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير في اليه للبيت او للحج وكل
ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه ولما نزل قوله ولله على الناس حج البيت
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال
ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت خمس
ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر اي جحد فريضة الحج
وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز ان يكون من الكفران اي ومن

لم

لم يشكر ما انعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج فان الله غني
عن العالمين مستغن عنهم وعن طاعتهم وفي هذه الاية انواع من التاكيد
والتشديد منها اللام وعلى اي انه حق واجب لله في رقاب الناس ومنها
الابدال تثنية للمراد وتكرير له ولان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد
الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج
تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت
والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الا
ستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محا
له ولانه يدل على الاستغناء الكامل وكان ادل على عظم السخط الذي
وقع عبارة قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما
تعملون الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله الدالة على صدق محمد
عليه السلام والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل
الكتاب لم تصدون الصد المنع عن سبيل الله من امن عن دين حق علم انه
سبيل الله التي امركم بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون من اراد
الدخول فيه بجهدهم ومحل تبغونها نصب على الحال عوجا اعوجاجا
وميلا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وجهها ونحو ذلك وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال
مضل وما الله بغافل عما تعملون من الصد عن سبيله بقوله يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
قيل مر شاس بن قيس اليهودي على نفر من الانصار من الاوس والخزرج
في مجلس لهم يتحدثون فغاظه تالفهم فامر شابا من اليهود ان يذكرهم
يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان
الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار
فقال اتدعون بالجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فالقوا السلاح وعانقوا

بعضهم بعضا بالكفر لئن آباؤه وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه
الانكار والتعجب أي من اين يتطرق اليكم الكفر وأنتم تتلى عليكم آيات الله
والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول
غضة طرية وفيكم رسوله وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح
شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او بكتابه او حث لهم على الالتجاء
اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي الى صراط مستقيم
ارشد الى الدين الحق او من يجعله ملجأ ومعنى على عن الشبه بعصمه عن
الشبه يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما يحق
منها وهو القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو ان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى او هو ان لا يأخذه في
الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا
يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد
ولا تموتن الا وانتم مسلمون ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم
الموت واعتصموا بحبل الله تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل
الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل
به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم جميعا حال من ضمير المخاطبين
وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا يعني ولا تفعلوا
ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع اي ولا تتفرقوا يعني ولا تقطعوا
عن الحق بوقوع الاختلاف كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين
في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم
اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا كانوا في الجاهلية بينهم
العداوة والحروب فألف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف في قلوبهم المحبة
فتحابوا وصاروا اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم
مشفقين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فأنقذكم منها
بالاسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون انفسهم لا الله
تعالى والضمير للحفرة او النار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وشفا الحفرة

حرفها

حرفها ولا منها او وانما بمعنى شفوان كذلك مثل ذلك البيان البليغ
يبين الله لكم آياته اي القرآن الذي فيه امر ونهي ووعد ووعيد لعلكم تهتدون
لتكونوا على رجاء الهداية او لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف بما استحسنه الشرع
والعقل وينهون عن المنكر عما استقبحه الشرع او المعروف ما وافق الكتاب
والسنة والمنكر ما خالفهما او المعروف الطاعات والمنكر المعاصي والدعاء
الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك وما عطف عليه خاص
ومن للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات
ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته
فانه يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الاصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما
ثم قال فقاتلوا او للتبيين اي وكونوا امة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف واولئك هم المفلحون اي هم الاخصاء
بالفلاح الكامل قال عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو
خليفة الله في الارض وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله
عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تكونوا كالذين
تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة وهم اليهود والنصارى
من بعد ما اختلفوا وكفر بعضهم بعضا من بعد ما جاءهم البينات
الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق واولئك لهم عذاب
عظيم ونصب يوم تبيض وجوه اي وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم
او بعظيم او باذكروا وتسود وجوه اي وجوه الكافرين والبياض
من النور والسواد من الظلمة فأما الذين اسودت وجوههم فيقال
لهم اكفرتم فحذف القول والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ وال
والتعجيب من حالهم بعد ايمانكم يوم الميثاق فيكون المراد جميع
الكفار وهو قول ابي ... وهو الظاهر او هم المرتدون او المنافقون
اي كفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا او اهل الكتاب وكفرهم بعد
الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم
به قبل مبعثه فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت

وجوههم ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد ثم استأنف فقال
هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة
في الوعد والوعيد وغير ذلك نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل
من جزاء المحسن والمسيء بما يليق بهما وما الله يريد ظلما للعالمين اي لا يشاء ان يظلم
هو عباده فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب
محسن ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي
المحسن باحسانه والمسيء باساءته ترجع ثلاثي مع ضم تاء وعلى كان عبارة
عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق
ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله كنتم خير امة كأنه قيل وجدتم خير امة
او كنتم في علم الله او في اللوح خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين
بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت للناس اللام تتعلق باخرجت تأمرون
كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس
ويكسوهم بينت بالاطعام والالباس وجه الكرم فيه بالمعروف بالايمان
وطاعة الرسول وتنهون عن المنكر عن الكفر وكل محظور وتؤمنون بالله
وتدومون على الايمان به ولان الواو لا تقتضي الترتيب ولو آمن اهل الكتاب
بمحمد عليه السلام لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه
اغنائهم وادينهم على دين الاسلام حب الرياسة واستتباع العوام ولو
آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز
بما وعدوا على الايمان به من ابدال الاجر منهم المؤمنون كعبد الله
بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى
الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون
ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت
من اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بتعطيلهم وتهديدهم وهو انباء اخبار
معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم اذ لو كان
معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا واما التسوية ليؤذن ان الله لا ينصرهم
قاتلوا او لم يقاتلوا وتغيير الكلام اخبر انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبرهم
انهم لا ينصرون ثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم

اعظم

اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار ضربت عليهم الذلة اي على
اليهود اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله في محل النصب على الحال والباء
متعلقة بمحذوف تقديره الا معتصمين او متمسكين بحبل من الله وحبل من الناس
والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال الا في حال
اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة رسوله اي لا عز لهم
قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب
من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة الفقر عقوبة لهم على قولهم
ان الله فقير ونحن اغنياء او خوف الفقر مع قيام اليسار ذلك بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك اشارة الى ما ذكر
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم
بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي
ذلك الكفر وكذلك القتل كائن بسبب عصيانهم الله واعتدائهم لحدوده
ليسوا سواء ليس اهل الكتاب مستوين من اهل الكتاب كلام مستأنف
لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع في قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله
كنتم خير امة اخرجت امة قائمة جماعة مستقيمة عادلة من قولك
اقمت العود فقام اي استقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله
القرآن آناء الليل ساعاته واحدها انى كمعى وانو كقنو وانى كنحى
وهم يسجدون يصلون وقيل يريدون صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها
وقيل عبر عنهم بتلاوة القرآن في ساعة الليل مع السجود يؤ
منون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف بالايمان وسائر انواع
البر وينهون عن المنكر عن الكفر ومنهيات الشرع ويسارعون في الخيرات
يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع
صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصائص ما كانت
في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان
ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب
والرسل ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته
ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن
المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها

والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في القيام
به واولئك الموصوفون بما وصفوا به من الصالحين من المسلمين او من جملة
الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم وما تفعلوا من خير فلن تكفروه
بالتاء فيهما كوفي غير ابي بكر وابو عمرو ومخير غيرهم بالياء وعدي تكفر
تكفرون الى مفعولين وان كان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول
شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه اي فلن
تحرموا جزاءه والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ان الذين كفروا
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من عذاب الله واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا
في المعاصي والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس او ما ينفقون
به الى الله مع كفرهم كمثل ريح كمثل مهلك ريح وهو الحرث او مثل اهلاك
ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر برد شديد عن ابن عباس رضي الله عنه
وهو مبتدا وخبر في موضع جر صفة لريح مثل اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة على كفرهم وما ظلمهم الله باهلاك
حرثهم ولكن انفسهم يظلمون بارتكاب ما استحقوا به او يكون الضمير
للمنفقين اي وما ظلمهم الله بان لم تقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم
حيث لم ياتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة
المنافقين يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل وليجته
خصيصه وصفيه شبه ببطانة الثوب كما تقول فلان شعاري وفي
الحديث الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم
وهم المسلمون وهو صفة لبطانة اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة
لكم لا يالونكم خبالا في موضع النصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون
في فساد دينكم يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه والخبال الفساد
وانتصب خبالا على التمييز او على حذف في اي في خبالكم ودوا ما عنتم
اي عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة اي تمنوا ان
يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه وهو مستانف

على

على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله قد بدت البغضاء
من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم ان ينفلت
من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وما تخفي صدورهم من البغض
لكم اكبر مما بدا قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص
في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين
لكم ها انتم اولاء ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره اي انتم اولاء الخا
طئون في موالاة منافقي اهل الكتاب تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء او اولاء موصول صلته
تحبونهم والواو في وتؤمنون بالكتاب كله للحال وانتصابها
من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع
ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه فما بالكم
توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم وقيل الكتاب للجنس
واذا لقوكم قالوا امنا اظهروا كلمة التوحيد واذا خلوا وفارقوكم او خلا
بعضهم ببعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ يوصف المغتاظ
والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم
بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة
ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل
والخزي ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق
والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل
في جملة المقول اي اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا
وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات
الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه او خارج عن المقول
اي قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم
بما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ان تمسسكم حسنة
رخاء وخصب ونصر وغنيمة تسؤهم تحزنهم وان تصبكم سيئة

اضداد ما ذكر والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واصل الاذى
الوقع لها ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم مصيبة يفرحوا بها وكل
باصابتها وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم
او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتناب
محارمه لا يضركم كيدهم شيئا لانكم في كنفه وكفالة الله وهذا تعليم
من الله تعالى وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال
الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك لا يضركم
مكي وبصري ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره ولكونه جوابا للشرط
قراءة غيرهم لانه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم وكان ينبغي ان
يكون مفتوح الراء لخفة الفتحة الا ان ضمة الراء لاتباع ضمة
الضاد نحو مد ان الله بما يعملون بالتاء سهل من الصبر والتقوى
وغيرهما محيط فيعاملكم بما انتم اهله وبالياء بصري اي انه عالم بما
يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت من اهلك اي واذكر يا محمد اذ
خرجت غدوة من اهلك بالمدينة والمراد غدوة من حجرة عائشة رضي الله
عنها الى احد تبوئ المؤمنين تنزلهم وهو حال مقاعد للقتال مواطن
ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال
يتعلق بتبوئ والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روي
ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي واستشاره فقال اقم بالمدينة
فما خرجنا على عدو قط الا اصاب منا وما دخلوا علينا الا اصبنا منهم
فقال عليه السلام اني رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلمة فاولتها هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي
في درع حصينة فاولتها المدينة فلم يزل به قوم يشتهون الشهادة
حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا اقم يا رسول الله فقال عليه السلام
لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة

واصبح

104

واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث بدل من اذ
غدوت او عمل فيه معنى عليم همت طائفتان منكم حيان من الانصار بنو
سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان عليه السلام خرج
الى احد في الف والمشركون في ثلاثة الاف ووعدهم بالفتح ان
صبروا فانخذل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال علام نقتل انفسنا واولادنا
فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تفشلا اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور
والله وليهما ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا
يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امرهم
بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه قال جابر والله
ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم
ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة
وذلة فقال ولقد نصركم الله ببدر وهو اسم ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به او ذكر بدرا بعد احد ليجمع بين الصبر
والشكر وانتم اذلة لقلة العدد فانهم كانوا ثلاثمائة وبضعة
عشر وكان عدوهم زهاء الف مقاتل ولقلة العدد عطف على العدد
فانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما
كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والسلاح والشو
كة وجاء بجمع القلة وهو الاذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا
قليلا فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون ولتشكروا
ما انعم به عليكم من النصرة اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم على ان يقول
لهم يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين
منزلين مشددا شامي من انزل بمعنى نزل اي النصرة ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا
يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من الملائكة وجيء بلن الذي لتاكيد النفي
للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته

كالابيضين من الفضة بلى ايجاب لما بعد لن اي يكفيكم الامداد
بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا على القتال وتتقوا خلاف الرسول
عليه السلام ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا هذا من فارت
القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التي لا ريث
فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته
لم يتلبث ومنه قول الكرخي الامر المطلق على الفور لا على التراخي
والمعنى ان ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يعني ان الله يعجل نصرتكم وييسر
فتحكم ان صبرتم واتقيتم مسومين بكسر الواو مكي وابو عمرو وعاصم
وسهل اي معلمين انفسهم او خيلهم بعلامة تعرف بها في الحرب والسومة
العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها
غيرهم بفتح الواو اي معلمين قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة
على اكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك قال قتادة نزل الف فصاروا ثلاثة الاف ثم خمسة الاف وما
جعله الله الضمير يرجع الى الامداد الذي دل عليه ان يمددكم الا بشرى لكم
اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن
قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأ
نينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة ولا من عند
الملائكة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة العزيز
الذي لا يغالب في احكامه الحكيم الذي يعطي النصر لاوليائه ويبتليهم
بجهاد اعدائه واللام في ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة
منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
من رؤسائهم متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا
من عند الله او يمددكم ربكم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة
وحقيقة الكبت شدة وهن يقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله

فينقلبوا

فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ليس لك من الامر شيء
اسم ليس شيء والخبر لك ومن الامر حال من شيء لانها صفة مقدمة
او يتوب عليهم عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم وليس
لك من الامر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى
ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا
او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد
مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء او بمعنى حتى وعن عيسى
بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي اي ليس لك من امرهم شيء
الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم
وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن
فانهم ظالمون مستحقون للتعذيب ولله ما في السموات وما في الارض اي
الامر له لا لك لان ما في السموات وما في الارض ملكه يغفر لمن يشاء للمؤمنين
ويعذب من يشاء الكافرين والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا
مضاعفة مضعفة مكي وشامي هو نهي عن الربا مع توبيخ
بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول
اما ان تقضي حقي او تربي وازيد في الاجل واتقوا الله في اكله لعلكم تفلحون
واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي
اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء
المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون وفيه رد على المرجئة في قولهم لا يضر مع الايمان
ذنب ولا يعذب بالنار اصلا وعندنا غير الكافر من العصاة قد يدخلها
ولكن لا يخلد فيها وذكر لعل وعسى في نحو هذه المواضع
وان قال اهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على
العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله تعالى وعزته

التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
سارعوا مدني وشامي بغير الواو عطفها على ما قبلها ومن
حذفها استانفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال
على ما يوصل اليهما ثم قيل هي الصلوات الخمس او التكبيرة الاولى
او الطاعة او الاخلاص او التوبة او الجمعة او الجماعات عرضها
السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض
السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع
ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة
ادنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات
وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض وقد روي ان الجنة في السماء
السابعة او فوق السماء فمعناه انها في جهتها لا انها فيها او في بعضها
كما يقال في الدار بستان وان كان بين يديها الا ان المراد بها البقعة
اعدت في موضع جر صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة معدة للمتقين
ودلت الآية على ان الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقي من يتقي الشرك
كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا
بالله ورسله او يتقي من المعاصي فان كان المراد الثاني فهي لهم
لغير عقوبة وان كان الاول فهي لهم ايضا في العاقبة ويوقف
عليه ان جعل الذين ينفقون في السراء والضراء في حالي
اليسر والعسر مبتدا وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة
وجعل الخبر اوليك وان جعل وصفا للمتقين وللتائبين فلا وقف
فان قلت الآية تدل على ان الجنة معدة للمتقين والتائبين دون
المصرين قلت جاز ان تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله
وعفوه غيرهما كما يقال اعدت هذه المائدة للامير ثم قد يأكلها
اتباعه الا ترى انه قال واتقوا النار التي اعدت للكافرين ثم قد
يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق

على

على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم
الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل
المراد الانفاق في جميع الاحوال لانها لا تخلوا من حال مسرة ومضرة
والكاظمين الغيظ والممسكين الغيظ عن امضائه يقال كظم القربة اذا ملاها
وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه
بالصبر ولا يظهر له اثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه
امنا وايمانا والعافين عن الناس اي اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي
ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا
من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه
والله يحب المحسنين اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء
المذكورون وللعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وعن الثوري الاحسان
ان تحسن الى المسيء فان الاحسان الى المحسن متاجرة والذين اذا فعلوا
فاحشة فعلة متزايدة القبح ويجوز ان يكون والذين مبتدا خبره
اوليك او ظلموا انفسهم قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
او الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما ذكروا الله
بلسانهم او بقلوبهم ليبعثهم على التوبة فاستغفروا لذنوبهم
فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الآية
ومن يغفر الذنوب الا الله من مبتدا يغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من
والا الله بدل من الضمير في يغفر والتقدير ولا احد يغفر الذنوب الا الله
وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب
لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس
والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب واشعار
بان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم ولم يصروا على ما
فعلوا ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال عليه السلام
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستـ

الا استغفار ولا صغيرة مع اصرار وهم يعلمون حال من الضمير في ولم
يصروا اي وهم يعلمون انهم اساءوا وقالوا وهم يعلمون انه لا يغفر ذنوبهم
الا الله اولئك الموصوفون جزاؤهم مغفرة من ربهم بتوبته وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح
محذوف اي ونعم اجر العاملين هو الجنة قال والعبادة نزلت
في تمار قال لامرأة تريد التمر في بيتي تمر اجود فادخلها بيته وضمها
الى نفسه وقبلها فندم او في انصاري استخلفه ثقفي وقد اخا بينهما
النبي عليه السلام في غيبته غزوة فدخل على اهله الثقفي لحاجة فرأى اهله
فقبلها فندم فساح في الارض صارخا فاستتابه الله تعالى قد خلت مضت
من قبلكم سنن يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقائعه فسيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فتعتبروا هذا القرآن او ما تقدم
ذكره بيان للناس وهدى اي ارشاد وموعظة ترغيب وترهيب للمتقين
عن الشرك ولا تهنوا ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم من الهزيمة ولا تحزنوا
على ما فاتكم من الغنيمة او على من قتل منكم او جرح وهو تسلية من الله
لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم وانتم الاعلون
وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر
مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون بالنصر والظفر في العاقبة
وهو بشارة لهم بالعلو والغلبة وان جندنا لهم الغالبون
او وانتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم
للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في
النار ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني
ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة
باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم
به من الغلبة ان يمسسكم قرح بضم القاف كوفي غير
حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل
بالفتح الجراحة وبالضم المها فقد مس القوم قرح مثله اي ان نالوا
منكم

منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم
ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى بان لا تضعفوا وتلك مبتدأ
الايام صفته والخبر نداولها بين الناس اي نصرف ما فيها من النعم
والنقم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كبيت الكتاب فيوما لنا
ويوما علينا ويوما نساء ويوما نسر وليعلم الله الذين آمنوا اي نداولها
لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والايمان من غيرهم
كما علمهم قبل الوجود ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة
يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم
يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض
بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين
على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون وليمحص الله الذين
آمنوا التمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت
الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت
على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها للانكار اي لا تحسبوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
اي ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي
متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير
حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيها ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما
مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى
الجمع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن او جزم للعطف على يعلم الله
وانما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لخفتها ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا
وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لينالوا كرامة الشهداء وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين
وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه

وتمنيتم الشهادة فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين
مشاهدين له حين قتل إخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا
توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وإنما تمنوا الشهادة لينالوا
كرامة الشهداء من غير قصد إلى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن يشرب
الدواء من طبيب نصراني قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه
جر منفعة إلى عدو الله وتنفيق صناعته لما رمى ابن قميئة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب
ابن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل هو الشيطان
ألا إن محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو إلي عباد الله حتى انحازت عليه طائفة من أصحابه
فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا
خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزل وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم
فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن المقصود من بعثة الرسل تبليغ
الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات أو قتل انقلبتم
على أعقابكم الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى
التسبيب والهمزة للإنكار أي تجعلون خلو الرسل قبله سببا لانقلابكم
على أعقابكم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمكم أن خلو الرسل قبله وبقاء
دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم
لا للانقلاب عنه وإن الانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد وعن الانهزام
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وإنما ضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين
الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لأنهم شكروا الإسلام فيما فعلوا
وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله أي بعلمه أو بإذنه لملك
ملك الموت في قبض روحه والمعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة

الله

الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو وإعلام بأن الحذر
لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك
كتابا مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجلا معلوما
لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد بقتاله ثواب الدنيا أي الغنيمة وهو تعريض
بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها من ثوابها ومن يرد ثواب الآخرة
أي إعلاء كلمة الله والدرجة في الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين
وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد
وكأين أصله أي دخل عليه كاف التشبيه وصار في معنى كم التي للتكثير
وكائن بوزن كاعن حيث كان مكي من نبي قتل قتل مكي وبصري ونافع
معه ربيون حال من الضمير في قتل أي قتل معه ربيون كثير والربيون
الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن بعضهم بفتحها فالفتح على القياس
لأنه منسوب إلى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب فما وهنوا فما
فتروا عند قتل نبيهم لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعده
وما استكانوا وما خضعوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند
الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وباستكانتهم له حين أرادوا
أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان والله يحب الصابرين
على جهاد الكافرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
أي وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب إلى أنفسهم
مع كونهم ربانيين هضما لها وإسرافنا في أمرنا تجاوزنا حد العبودية
وثبت أقدامنا في القتال وانصرنا على القوم الكافرين وقدموا الدعاء
بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة
على الأعداء لأنه أقرب إلى الإجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة
فآتاهم الله ثواب الدنيا النصرة والظفر والغنيمة وحسن ثواب الآخرة
المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه
وأنه هو المعتد به عنده والله يحب المحسنين أي هم محسنون والله
يحبهم يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم
يرجعوكم إلى الشرك فتنقلبوا خاسرين
قيل هو عام في جميع الكفار

وعلى المومنين ان يخالفوهم ولا يطيعوهم في شيء حتى لا يستجروهم الى ما سووا
فتنتهم وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم
يردوكم الى دينهم وقال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمومنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم بل الله مولاكم ناصركم
فاستغنوا عن نصرة غيره وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
الرعب اشارة الى ... وعلى هذا ... قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم
احد فانصرفوا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة بما اشركوا بالله
بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم
ما لم ينزل به سلطانا اي الهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يرد هنا ان
حجة لها انما لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة والمعنى
المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي ليس
بها ضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا ولا ينجحر وماواهم النار وبئس
مثوى الظالمين النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع اصحابه الى المدينة قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا
وقد وعدنا الله النصر فنزل ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عباس رضي الله عنه حسه ابطل حسه
بالقتل باذنه اي بامره وعلمه حتى اذا فشلتم جبنتم وتنازعتم في الامر اي اختلفتم
وعصيتم امر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة من بعد ما اراكم ما تحبون
من الظفر وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم
منعكم نصره وجاز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم
منكم من يريد الدنيا اي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل
المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا
فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم
بالسيوف حتى كانت الدولة للمسلمين او عليهم انهزموا والمسلمون
على اثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم
المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة

مع

مع اخوانكم وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم
المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله
بن جبير واقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله
ثم صرفكم عنهم اي كف معونته عنكم فغلبوكم ليبتليكم ليمتحن صبركم على
المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لانه يجازي
على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه ولقد عفا عنكم حيث ندمتم على
ما فرط منكم من عصيان امر الرسول عليه السلام والله ذو فضل على المومنين
بالعفو عنهم وقبول توبتهم او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء
اديل لهم او ديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وانتصب اذ تصعدون
تبالغون في الذهاب في صعيد الارض والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد
فيه بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر ولا تلوون على احد ولا تلتفتون
على احد وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم والرسول يدعوكم
يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة
في موضع الحال في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى هي المتاخرة يقال
جئت في اخر الناس واخراهم كما يقال في اولهم واولاهم ...
متقدمهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما
حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعصيانكم امره او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم
من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل
وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا على ما فاتكم
لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا ما
اصابكم ولا على مصيب المضار والله خبير بما تعملون عالم بعملكم
لا يخفى عليه شيء من اعمالكم هذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا ثم انزل الله الامن على المومنين وازال

وزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي
طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا وكان السيف يسقط من
يدي اخذه فيسقط فاخذه والامنة الامن ونعاسا بدل من
امنة او هو مفعول وامنة حال منه مقدمة عليه نحو رايت راكبا رجلا
والاصل انزل عليكم نعاسا ذا امنة اذ النعاس ليس هو الامن ويجوز
ان يكون امنة مفعولا له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه
جمع امن كبار وبررة يغشى يعني النعاس وقرئ تغشى اي الامنة والامالة
حمزة وعلي اي الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم
المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما يهمهم الا هم انفسهم وخلاصها لا هم
الدين ولا هم رسول الله والمسلمين يظنون بالله غير الحق في حكم المصدر
اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمد
ظن الجاهلية بدل منه المراد الظن المختص بالملة الجاهلية او ظن اهل الجا
هلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون يقولون هل لنا من
الامر من شيء هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر
والغلبة على العدو قل ان الامر اي النصر والغلبة كله لله ولاوليائه
من المومنين وان جندنا لهم الغالبون كله بالتاكيد للامر ولله يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك خوفا من السيف يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين
لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا
اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون
لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد اهمتهم
صفة لطائفة ويظنون صفة لطائفة او صفة اخرى او حال اي قد اهمتهم
انفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل
ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون
او استيناف قل لو كنتم في بيوتكم اي من علم الله منه انه يقتل في هذه
المعركة وكتب ذلك في اللوح المحفوظ لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم

كله بالرفع بصري
وهو مبتدا ولله خبره والجملة
خبر ان

في

في بيوتكم لبرز من بينكم الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم مصارعهم
بان حر ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل
من يقتل من المومنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في
الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في
بعض الاوقات تمحيص لهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم
وليمتحن ما في صدوركم من الاخلاص ويمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان
فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جملة وللابتلاء والتمحيص والله عليم بذات الصدور
بخفياتها ان الذين تولوا منكم انهزموا يوم التقى الجمعان جمع محمد عليه
السلام وجمع ابي سفيان للقتال يوم احد انما استزلهم الشيطان دعاهم
الى الزلة وحملهم عليها ببعض ما كسبوا بتركهم المركز الذي امرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لطفه وتقريبا
والتعليل بكسبهم وعظ وتاديب وكان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
تولوا عنه يوم احد الا ثلاثة عشر رجلا منهم ابو بكر وعلي وطلحة
وابن عوف وسعد ابن ابي وقاص والباقون من الانصار ولقد عفا الله عنهم
تجاوز عنهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا كعبد الله ابن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم
في النسب او النفاق لاجل اخوانهم اذا ضربوا في الارض سافروا فيها للتجارة وغيرها
او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى واصابهم موت او قتل لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اللام يتعلق بلا
تكونوا اي لا تكونوا كهولاء في النطق بذلك القول واعتقاده
ليجعل الله ذلك الاعتقاد حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم او يتعلق
بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والحسرة
الندامة على فوت المحبوب والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الاقتال
يقطع الاجال اي الامر بيده فيحيي المسافر والمقاتل ويميت المقيم
والقاعد والله بما تعملون بصير فيجازيكم على اعمالكم يعملون
مكي وحمزة وعلي ولئن قتلتم في سبيل الله او متم

متم وبابه بالكسر نافع وكوفي غير عاصم تابعهم حفص الا في هذه
السورة كانه اراد الوفاق بينه وبين قلتم غيرهم بالضم في جميع القرآن
فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف وكما تقول [illegible]
تقول منه لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون [illegible]
الذي والجواب محذوف وبالياء حفص ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولو وقع
اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الظرف المتصل به شأن
غني عن البيان بمجيئه جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكونهم
لالى الله تحشرون وبكذب الكافرين ان الله زعمهم ان من سافر من اخوانهم
او غزى ولو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد
عن الجهاد ثم قال الضم ولئن متم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت
او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل
الله خير مما تجمعون من الدنيا لان الدنيا زاد المعاد واذا وصل العبد الى المراد
لم يحتج الى الزاد فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد
والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على
جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب
قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى احد منهم حولك فاعف
عنهم ما كان منهم يوم احد مما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص
بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب ونحوه
مما لم ينزل فيه عليك وحي تطييبا لنفوسهم وترويجا للقلوب بهم ورفعا
لاقدارهم او لتقتدى بك امتك فيها في الحديث ما تشاور قوم قط
الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر
مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورته فلانا
اظهرت ما عندي وما عنده من الراي وشرت الدابة اذا استخرجت جريها
وشرت العسل اخرجته مما خرجه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان ان القياس
حجة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله

في امضاء

١١٧

في امضاء امرك على ان رشد لا على المشورة ان الله يحب المتوكلين عليه والتوكل
الاعتماد على الله وتفويض الامر اليه وقال ذو النون خلع الارباب وقطع
الاسباب ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم
وانما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته
وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد
خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان
تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل
عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل
والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك وما كان
لنبي ان يغل مكي وابو عمرو وعاصم اي يخون بضم الياء وفتح الغين غيرهم
يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
ويقال اغله اذا وجده غالا والمعنى وما صح لنبي ان يخون فان النبوة تنافي
الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى هذا لان معناه
ما صح له ان يوجد غالا الا اذا كان غالا ويروى ان قطيفة حمراء فقدت
يوم بدر مما اصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذها فنزلت الاية ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة
اي يأت بالشيء الذي غله بعينه حاملا على ظهره كما جاء في الحديث او بما
احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما
عمله ولم يقل ثم توفى ما كسبت ليتصل بقوله ومن يغلل بل جيء بعام
ليدخل تحته كل كاسب خيرا او شرا مجزي بموجبه فاذا علم انه غير
متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي جزاء كل
على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله اي رضا الله فيلهم المها
جرون والانصار كمن باء بسخط من الله وهم المنافقون وماواه جهنم وبئس
المصير المرجع هم درجات عند الله هم متفاوتون الدرجات او ذوو
درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت

من الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم ودرجاتها
فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم المنتفعون بمبعثه
عليه الصلاة والسلام إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم
من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسماعيل كما انهم من ولده والمنة
في ذلك من حيث انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل اخذ ما يجب
عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان
ذلك اقرب لهم الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفي قراءة رسول الله
عليه السلام من انفسهم اي من اشرافهم يتلوا عليهم آياته اي القرآن
بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم
ويطهرهم بالدين من دنس الكفر والطغيان او ياخذ منهم الزكاة ويعلمهم
الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال
مبين ظاهر لا شبهة فيه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة
بينهما وبين النافية والمعنى وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال
مبين أولما أصابتكم مصيبة يوم احد من قتل سبعين منكم
قد أصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين وهو في موضع رفع صفة
مصيبة قلتم أنى هذا من اين هذا اصابنا وقد وعدنا النصر قل هو من عند أنفسكم لاختياركم الخروج
من المدينة او لترككم المركز ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير
والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد
صدقكم الله وعده او على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا
إن الله على كل شيء قدير يقدر على النصر وعلى منعه وما أصابكم
يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين باحد والجرح فبإذن الله فكائن باذن
الله او بتخليته او قضائه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء

وقيل

وقيل لهم للمنافقين وهو كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله [illegible]
لاجل الآخرة كما يقاتل المؤمنون أو ادفعوا أي قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم
وأموالكم إن لم تقاتلوا للآخرة وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجا
هدين إن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما أنتم فيه لخطار [illegible]
ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو إلقاء النفس في التهلكة هم للكفر
يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك
وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا
ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر او هم لأهل
الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين بالا
نخزال تقوية للمشركين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أي يظهرون خلاف ما
يضمرون من الإيمان وغيره والتقييد بالأفواه للتأكيد ونفي المجاز والله
أعلم بما يكتمون من النفاق الذين قالوا أي المنافقون وهو في موضع رفع
على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون أو نصب بإضمار أعني أو على
البدل من الذين نافقوا أو جر على البدل من الضمير في أفواههم أو قلوبهم لإخوانهم
لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد وقعدوا
أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا ما قتلوا لو أطاعنا إخواننا
فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله والقعود ووافقونا فيه لما
قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين [illegible]
بأن الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت ومجيئه فإن كنتم
صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال
فجدوا إلى دفع الموت سبيلا وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة
سبعون منافقا ونزل في قتلى أحد ولا تحسبن شامي وحمزة وعاصم
وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله أو لكل أحد الذين قتلوا
قتلوا شامي في سبيل الله أمواتا [illegible] بل هم أحياء عند ربهم

عند ربهم مقربون عنده ذو زلفى يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأ
كلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها
من التنعم برزق الله فرحين حال من الضمير في يرزقون بما آتاهم الله من فضله
وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على
غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال صلى
الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب
معلقة في ظل العرش وقيل هذا الرزق في الجنة يوم القيامة وهو ضعيف
لانه لا يبقى للتخصيص فائدة ويستبشرون بالذين باخوانهم المجاهدين
الذين لم يلحقوا بهم لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي من الذين من خلفهم
قد بقوا من بعدهم وهم قد بقوا خلفهم او لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم
ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى يستبشرون بما تبين
لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون امنين يوم
القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء
واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد في الجهاد والرغبة
في نيل منازل الشهداء ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل
وفضل يسرون بما انعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة
وان الله عطفه على النعمة والفضل وان الله على الكسر على انه استئناف
وعلى الجملة اعتراض لا يضيع اجر المؤمنين لا يوفر عليهم الذين استجابوا لله
والرسول مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح
من بعد ما اصابهم القرح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد
الى الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج
في طلب ابي سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا

حمراء

حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فالقى الله
الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت للذين احسنوا منهم واتقوا
من للتبيين مثلها في قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم
اجر عظيم في الاخرة الذين قال لهم الناس روي ان ابا سفيان نادى عند
انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام ان شاء الله
فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة فالقى الله الرعب في قلبه فبدا
له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم
اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي ان ارجع فالحق بالمدينة
فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
فقال لهم اتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم
احد فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في
سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا
واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا
ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع ابو سفيان
الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم
لتاكلوا السويق فالناس هاهنا نعيم وهو جمع اريد به الواحد وكان
له اتباع يثبطون مثل تثبيطه والناس ابو سفيان واصحابه فاخشوهم
فخافوهم فزادهم اي المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
او القول ونعيم ايمانا بصيرة وايقانا وقالوا حسبنا الله كافينا الله
اي الذي يكفينا الله تعالى احسبه الشيء اذا كفاه وهو بمعنى المحسب
بدليل انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير
حقيقية لكونه في الحكم معنى اسم الفاعل ونعم الوكيل ونعم الموكول
اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم
وفضل وهو الربح في التجارة فاصابوا بالدرهم درهمين لم يمسسهم سوء

بدل من الذين استجابوا او الناس قد جمعوا لكم في

لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير في انقلبوا و[...]
بنعمة والتقدير رجعوا امنين بين متنعمين بريين من سوء واتبعوا رضوان الله
بجراتهم وخروجهم الى وجه العدو على اثر تثبيطه وهو معطوف على
انقلبوا والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا انما ذلكم الـ
الشيطان هو خبر ذلكم اي انما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو نعيم يخوف او
لياءه اي المنافقين وهو جملة مستانفة بيان لتثبيطه او الشيطان صفة
لاسم الاشارة ويخوف الخبر ولا تخافوهم اي اولياءه وخافون ان كنتم مومنين
لان الايمان يقتضي ان يوثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافون في
الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو في الوصل ولا يحزنك
يحزنك في كل القرءان نافع الا في سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر
الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا لا يحزنوك لخوف ان يضروك الا ترى الى قوله انهم لن
يضروا الله شيئا اي اولياء الله يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير ان
انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم
بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل
الثواب عذاب عظيم وهذا ابلغ ما ضر به الانسان نفسه والاية تدل على ارادة
الكفر والمعاصي لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب في الاخرة لا تكون بدون
ارادة كفرهم ومعاصيهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه
به لن يضروا الله شيئا هو نصب على المصدر اي شيئا من الضرر والاية الاولى
فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام والثانية في جميع الكفار او على
العكس ولهم عذاب اليم ولا يحسبن وثلاثة بعدها مع ضم الباء في
تحسبنهم بالياء مكي وابو عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدني
وشامي الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الباقون الاوليان بالياء والاخريان
بالتاء الذين كفروا فيمن قرا بالياء رفع اي ولا يحسبن الكافرون وان
مع اسمه وخبره في قوله انما نملي لهم خير لانفسهم سد في موضع
المفعولين ليحسب والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خيرا لانفسهم

وما

وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها
وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وفيمن قرا بالتاء نصب اي ولا تحسبن الكا
الكافرين وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين اي ولا تحسبن
ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين والاملا
لهم امهالهم واطالة عمرهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ما
هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة
وتعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما
نملي لهم ليزدادوا اثما والاية حجة لنا على المعتزلة في مسالتي الاصلح وارادة
المعاصي ولهم عذاب مهين وفي الاول ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه
من اختلاط المومنين المخلصين والمنافقين وفيه تاكيد النفي حتى يميز الخبيث من الطيب
حتى يعزل المنافقين من المخلصين يميز حمزة وعلي والخطاب في انتم للمصدقين من اهل
الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المومنين المخلصين منكم على الحال
التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحي الى
نبيه واخباره باحوالكم اخبار لكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله
ليوتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا اطلاع الله فيخبر عن كفر رجل
واخلاصها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي ولكن الله يرسل الرسول فيوحي
اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه
الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والاية حجة
على الباطنيين فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة
له صاروا منكرين لنص اخر وهو قوله وخاتم النبيين فامنوا بالله ورسوله
بصفة الاخلاص وان تومنوا وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم في الاخرة ونزل
في مانعي الزكاة ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم
من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الباخلين هو فصل
وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير
رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير
ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول

ثان بل هو اي البخل شر لهم لان اموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم
وبال البخل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة تفسير لقوله بل هو شر
لهم سيجعل مالهم الذي منعوه من الحق طوقا في اعناقهم كما جاء في
الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا اقرع له زبيبتان فيطوق في عنقه
فتنهشه وتزعجه الى النار ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما
يتوارث اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه
في سبيل الله والاصل ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها
والله بما تعملون خبير وبالياء مكي وابو عمرو وبالتاء على طريقة الالتفات وهي
ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وقالوا ان اله محمد يستقرض منا فنحن اذا اغنياء وهو فقير
ومعنى سماع الله انه لم يخف عليه وانه اعد لهم كفاءه من العقاب سنكتب
ما قالوا اسنادا من الحفظة بكتابته في الواح الصحائف وتسمية عظيم اذ الكفران
من الخلق لحفظة ما فيه فسمي مجازا او ما مصدرية او بمعنى الذي وقتلهم الانبياء
بغير حق معطوف على ما وفيه ان قتلهم الانبياء فيه تنبيه على انهما
في العظم اخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا
القول ونقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق اي عذاب النار كما اذاقوا
المسلمين الغصص قال الذين يقول لهم ذلك الانبياء تذكيرهم وانما اضيف
الى الله تعالى لانه امر به كما في قوله سنكتب وقتلهم ويقول بحمزة ذلك
اشارة الى ما تقدم من عقابهم بما قدمت ايديكم اي ذلك العذاب
بما قدمتم من الكفر والمعاصي والاضافة الى اليد لان اكثر الاعمال يكون
بالايدي فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب ولانه يقال
اللام بالشيء واعله فذكر الايدي للتحقيق يعني انه فعل بنفسه لا غيره
بل هو وان الله ليس بظلام للعبيد وان لا يظلم عباده ولا يجازيهم بغير جرم الذين
قالوا في موضع جر على البدل من الذين قالوا ونصب باضمار اعني او رفع
باضمارهم ان الله عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا الا نؤمن
بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار اي تقربه وبانا

فتن

نار من السماء فتاكله على ما حكي انه ... وهذه دعوى باطلة وافتراء
على الله لان اكل النار القربان لسبب الايمان بالرسول الاتي به لكونه معجزة
فهو اذا وسائر المعجزات سواء قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات بالمعجزات
سوى القربان وبالذي قلتم اي بالقربان يعني قد جاء اسلافكم الذين انتم
على منهاجهم وراضون فيما بفعلهم فلم قتلتموهم اي ان كان امتناعكم
عن الايمان لانه لم ياتكم بما اقترحتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في
قولكم انما نؤخر الايمان لفقدان الاتيان فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
فان كذبوك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الامم بانبيائها كذلك جاءوا
بالبينات بالمعجزات الظاهرات والزبر الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة
وبالزبر شامي والكتاب جنس المنير المضيء قيل هما واحد والاصل والعطف
لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب
الهادي كل نفس ذائقة الموت مبتدأ والخبر ذائقة الموت وجاز الابتداء بالنكرة
لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم اياك فمرجع الخلق الي واجازيهم
فيهم على التكذيب واجازيك على الصبر وذلك قوله وانما توفون اجوركم
يوم القيامة اي تعطون ثواب اعمالكم على الكمال يوم القيامة فان الدنيا
ليست بدار الجزاء فمن زحزح بعد والزحزحة الابعاد عن النار وادخل الجنة
فقد فاز ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب
والبعد عن المكروه وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع
الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته
والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها على
الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة
النبات ولعب البنات لا حاصل لها لتبلون اي لتختبرن في
اموالكم بالانفاق في سبيل الله وما يقع فيها من الافات وانفسكم بالقتل والاسر
والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب هذه الاية دليل على
ان النفس هي الجسم الحاسي دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال اهل الكلام
والعلاقة كذا في شرح ... ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم

يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من كالطعن في الدين
وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن وتعود للحواس وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا
مخالفة أمر الله جار جواب فإن الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور
أي مما يجب العزم عليه من الأمور وخوطبوا بذلك ليوطنوا أنفسهم
على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون
لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه
وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه قرئ عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله
وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن وبالياء مكي وأبو عمرو وأبو بكر
لأنهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذ الميثاق وتأكيده عليهم أي لم يراعوه
ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد وهو دليل
على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه
شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة
أو دفع أذية أو لبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما عن أهله ألجم بلجام
من نار واشتروا به ثمنا قليلا عوضا يسيرا فبئس ما يشترون والخطاب في لا
تحسبن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المفعولين الذين يفرحون والثاني
بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم
بما أتوا بما فعلوا وهو قراءة أبي وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل
إنه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا وفي قراءة النخعي بما آتوا أي أعطوا
ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب بمنجاة منه ولهم
عذاب أليم مؤلم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء
مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه وا
واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه
بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم
عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم

عنه

عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للـ
المسلمين وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم
يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب
أن يحمده الناس بما ليس فيه ولله ملك السموات والأرض فهو يملك أمرهم وفيه
تكذيب لمن قال إن الله فقير والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأدلة واضحة على صانع
قديم عليم حكيم قادر لأولي الألباب لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب
عن القشر فيرى أن العرض المحدثة في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لأن جوهرا ما
لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها
يدل على محدثها وذا قديم وإلا لاحتاج إلى محدث آخر إلى ما لا يتناهى
وحسن صنعه يدل على علمه وإتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته
قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكي أن في بني إسرائيل من إذا
عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت أمه لعل فرطة
فرطت منك في مدتك فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر
قال لعل قالت فما أتيت إلا من ذلك الذين في موضع جر نعت لأولي أو نصب
بإضمار أعني أو رفع بإضمار هم يذكرون الله يصلون قياما قائمين عند القدرة
وقعودا قاعدين وعلى جنوبهم أي مضطجعين عند العجز قياما وقعودا حال اللبس
من غير العذر وعلى جنوبهم حال النجاسة أو المراد الذكر على كل حال
لأن الإنسان لا يخلو عن هذه الأحوال وفي الحديث من أحب أن يرتع في رياض
الجنة فليكثر ذكر الله ويتفكرون في خلق السموات والأرض وما يدل عليه اختراع
هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام
عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي
عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم
وإلى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله إليه
فغفر له وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب
الغفلة وتحدث للقلب الخشية وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت
بمثل الفكرة ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك أي يقولون ذلك وهو
في محل الحال أي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة

بل خلقته لحكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم
على معرفتك وهذا اشارة الى الخلق على ان المراد به المخلوق او الى السموات
والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب
باطلا سبحانك تنزيه لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب
النار الفاء للجزاء تقديره اذا نزهناك فقنا ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته اهنته او اهلكته او فضحته واحتج اهل الوعيد بالاية
مع قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه على ان من يدخل النار لا يكون
مؤمنا قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تاديبه وان فوق ذلك لخزيا وما
للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار والمراد الكفار من انصار من اعوان و
وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا تقول سمعت
رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع
او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان
والمنادي هو الرسول عليه السلام او القران ينادي للايمان لاجل الايمان بالله
وفيه تفخيم لشان المنادي اذ لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان
ان امنوا بان امنوا اي امنوا بربكم فامنا قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
فيه دليل على بطلان الاستثناء في الايمان ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا وكفر عنا
سيئاتنا صغائرنا وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في
جملتهم والابرار المتمسكون بالسنة جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك او ما وعدتنا
منزلا على رسلك او على السنة رسلك وعلى متعلقة بوعدتنا والموعود
هو الثواب او النصر على الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف
الميعاد لان معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد
او المراد اجعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد غير مبين لمن هو او المراد تثبيتنا
على ما يوصلنا الى عداتك ولا تخزنا يوم القيامة او هو اظهار للخضوع
والضراعة انك لا تخلف الميعاد هو مصدر بمعنى الوعد فاستجاب لهم
ربهم اي اجابهم يقال استجاب له واستجابه اني لا اضيع باني لا اضيع
عمل عامل منكم صفة لعامل من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض
الذكر من الانثى والانثى من الذكر كلكم بنو ادم او بعضكم من بعض في النصرة

والدين

117

والدين وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما
وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر
فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا الايات
فالذين هاجروا مبتدا وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كانه
قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم
فارين الى الله بدينهم الى حيث يامنون عليه والهجرة كاينة في اخر الزمان
كما كانت في اول الاسلام واخرجوا من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا
واوذوا في سبيلي بالشتم والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين وقاتلوا
وقتلوا غزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا وقاتلوا مكي وشامي وقتلوا وقاتلوا
على التقديم والتاخير حمزة وعلي وفيه دليل على ان الواو لا توجب الترتيب
والخبر لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا
هو جواب قسم محذوف ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا
من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم والله عنده
حسن الثواب اي يختص به ولا يقدر عليه غيره روي ان طائفة من المؤمنين قالوا
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد والخطاب لكل احد او للنبي عليه السلام
والمراد غيره ولان مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه
مقام خطابهم جميعا كانه قيل لا يغرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه
كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا في
النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين
امنوا امنوا متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي تقلبهم في البلاد متاع قليل
واراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين
من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل ثم ماواهم
جهنم وبئس المهاد وبئس ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا النزل والنزل ما يقام
للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام في لهم او هو

مصير ومع كونه كان قليلا رزقا او عطاء من عند الله صغير له وما عند الله
من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل
الكريم الشريف [illegible] وهو للاستقرار اي لا يغرنكم تمتعهم لكن الذين
اتقوا نزلت في ابن سلام وغيره من مسلمي اهل الكتاب او في اربعين
من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين
عيسى عليه السلام فاسلموا وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم
من القرءان وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن
لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل [illegible] مراعى فيه معنى الجمع
يومن من احبارهم وكبرائهم وهو حال بعد حال اي غير مشترين اولئك لهم
اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله
اولئك يوتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء
يا ايها الذين امنوا اصبروا على الدين وتكاليفه [illegible] الصبر
عن المكروه [illegible] وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر
على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا ورابطوا اقيموا
في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو واتقوا الله لعلكم
تفلحون الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه ولعل
لتعجيب الحال اي لا يتكلوا على الامال [illegible] الاعمال وقيل اصبروا
في المعاصي وصابروا [illegible] ورابطوا انفسكم [illegible] لعلكم تفلحون
تظفرون [illegible] قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرءوا الزهراوين البقرة
وسورة آل عمران فانهما ياتيان يوم القيامة كانهما غمامتان
او غيايتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن اصحابهما سورة
النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس [illegible] اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم
من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم وخلق منها زوجها معطوف
على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها وخلق منها زوجها
والمعنى

118

والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب
وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعه [illegible] وبث منهما
وحوى رجالا كثيرا ونساء كثيرة اي ونشر منهما نوعين جنس الانس
وهما الذكور والاناث ووصفهما بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية
خلقهم منها او على خلقكم والخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس واحدة هي آدم وخلق
منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة
[illegible]
[illegible] كيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي
ذكره [illegible] لانه مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على
نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار
والنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على
النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها [illegible] عليه السلام
[illegible] خلقت المرأة من الرجل [illegible] في الرجل [illegible]
[illegible] واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام [illegible]
[illegible] تساءلون
[illegible]
[illegible] على سبيل
الاستعطاف والارحام بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى
اي واتقوا الارحام ان تقطعوها او على موضع الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمرا والجر [illegible] على الضمير وهو
ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل بالجار والمجرور [illegible]
[illegible] ان الله كان عليكم رقيبا حافظا
او عالما واتوا اليتامى اموالهم يعني الذين ماتت اباؤهم [illegible]

واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء
وفي البهائم من قبل الأمهات وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار
لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا
مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال
هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم شريعة
لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار والمعنى وآتوا
اليتامى أموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم إذا بلغوا
بالصغر وفيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ
إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والص
والصغار ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى
بالحلال وهو مالكم أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال الأموال
اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى
الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال ولا تأكلوا أموالهم
إلى أموالكم إلى متعلقة بمحذوف وهو في موضع الحال أي مضافة إلى
أموالكم والمعنى لا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم
وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل وتسوية بينه وبين الحلال إنه أي أكلها
كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وإن خفتم ألا تقسطوا أي ألا تعدلوا والقسط في
عول في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم كـ
اللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة لأن ما يجيء في صفات من
يعقل كأنه قيل الطيبات من النساء ولأن الإناث من العقلاء يجرين
مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم وقيل كانوا لا
يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار
من النساء مع أن الجور يقع بينهن إذا كثرن فكأنه قيل إذا تحرجتم
من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وإن خفتم ألا تقسطوا في نكاح اليتامى
فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة إذا أدركت مثنى وثلاث ورباع

نكرات

119

نكرات وإنما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه و
محلهن النصب على الحال من النساء أو مما طاب تقديره وانكحوا الـ
طيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا
أربعا فإن قلت الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاثة
أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب
التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول
للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة
ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجيء بالواو ليدل على تجويز
الجمع بين الفرق ولو جيء بأو لذهب معنى التجويز فإن خفتم ألا تعدلوا
بين هذه الأعداد فواحدة فالزموا أو فاختاروا واحدة أو ما ملكت أيمانكم
سوى في اليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ذلك إشارة
إلى اختيار الواحدة والتسري أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا ولا تجوروا
يقال عال الميزان عولا إذا مال وعال الحاكم إذا جار في حكمه وحكي عن الشافعي
رحمه الله تعالى أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم واعترضوا
عليه بأنه يقال أعال يعيل إذا كثر عياله وأجيب بأن يجعل من قولك
عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم
من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة
على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من أعلام العلم حقيق
بالحمل على السداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا كأنه سلك
في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن
نحلة من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة
ونحلا وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء كأنه
قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن عن طيب النفوس
بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل
نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة
وفلان ينتحل كذا أي يدين به يعني وآتوهن مهورهن ديانة على أنها

مفعول لها او الخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور
بناتهن فان طبن لكم عن شيء منه نفسا اي من الصداق اذ هو في معنى الا
الصدقات ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه
والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات
غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم
وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني
الشرط على طيب النفس وقيل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ولم يقل فان
وهبن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة فكلوه هنيئا
تعود الى نفسه هنيئا لا اثم فيه مريئا لا اذى فيه وقيل هما النبي عليه السلام
او هنيئا في الدنيا بلا مطالبة مريئا في العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ
الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر اي اكلا
هنيئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وهذه عبارة عن المبالغة
في الاباحة وازالة التبعة هنيئا بلا حزن مريئا بلا داء وكذا قوله في
الوقف وهما الملاقون وعن علي رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم شيئا
فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه
بماء السماء فيجمع الله له هنيئا مريئا وشفاء ومباركا ولا تؤتوا السفهاء
المبذرين اموالكم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا قدرة لهم على اصلاحها
جهلا وتنميتها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الى الاولياء
اموال السفهاء بقوله اموالكم لانكم تلونها وتمسكونها التي جعل الله
لكم قياما اي قواما لابدانكم ومعاشا لاهلكم واولادكم قيما
بمعنى قياما نافع وشامي كما جاء عوذا بمعنى عياذا واصل قياما قواما
فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح
المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس
وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس
وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتربحوا
حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فياكلها الانفاق
واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم
ورشدتم

ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه نفسك لحسنه عقلا او شرعا من قول
او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا
عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ والابتلاء عندنا
ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه وفيه دليل على جواز
اذن الصبي العاقل في التجارة حتى اذا بلغوا النكاح اي الحلم لانه يصلح للنكاح
عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد فان آنستم منهم فان ابصرتم منهم
رشدا هداية في التصرفات وصلاحا في المعاملات فادفعوا اليهم اموالهم من غير
تاخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم
اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله
حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة
معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا
للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص وهو الرشد في التصرف
والتجارة او يفيد التقليل اي طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد
وهو دليل لابي حنيفة رحمه الله في دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين
سنة ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ولا تاكلوها مسرفين
ومبادرين كبرهم او اسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال وان يكبروا
في موضع النصب منصوب الموضع ببدارا او يجوز ان يكون مفعولا له اي
لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق فيما
نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعونها من ايدينا ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف قسم الامر بين ان يكون
الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف عن اكلها اي يتحرز
من اكل مال اليتيم واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة
والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او ما يسد الجوعة
ويواري العورة فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم

تستعملوها او تنفقوها في غير الحاجة حذرا وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عند
التخاصم والتشاكي وكفى بالله حسيبا محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم
والتكاذب او هو راجع الى قوله فليأكل بالمعروف اي ولا يسرف فان الله
محاسب عليه ومجازيه به وفاعل كفى الله والباء زائدة وكفى يتعدى
الى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
والنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم
مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير في منه يعود الى ما ترك
نصيبا مفروضا مقطوعا لابد لهم من ان يحوزوه وروي ان اوس ابن ثابت ترك
نصيبا نصب على الاختصاص بمعنى اعني امرأته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابناء
عمه ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون
لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت
فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله تعالى جعل لهن نصيبا
ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين
والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث
واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم فاعطوهم منه مما ترك الوالدان والاقربون
وهو امر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا في ابتداء الاسلام ثم نسخ
بآية الميراث وقولوا لهم قولا معروفا عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول
المعروف ان يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما اعطوهم
ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا
الله وليقولوا قولا سديدا المراد بهم الاوصياء وامروا ان يخشوا الله فيخافوا
على من في حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم
لو تركوهم ضعافا وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا
يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما في حيزه صلة للذين
وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية
ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب
كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الاوصياء ان يكلموهم

كما ضوعف حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو
السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث
فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد
به حال الاجتماع اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما
ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان
الثلثين والدليل عليه انه اتبعه حكم الانفراد بقوله فان كن نساء اي فان
كانت الاولاد نساء خلصا يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين
خبر ثان لكان او صفة لنساء اي نساء زائدات على
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي الميت لان الآية لما كانت في الميراث علم
ان التارك هو الميت وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة
منفردة واحدة مرفوع على كان التامة والنصب اوفق لقوله
فان كن نساء فان قلت فهلا قيل حكم البنتين في حال اجتماعهما مع
الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين
في حال الانفراد قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس
رضي الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة
وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اعطوهما حكم الجماعة
بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف
بنتا وابنا فللبنت الثلث وللابن الثلثان فاذا كان الثلث
للبنت الواحدة كان الثلثان للبنتين ولانه قال في آخر
السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما
ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما
الثلثان مما ترك والبنتان امس رحما بالميت من الاختين
فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ
من هو ابعد منهما ولان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت
احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها

معهما مثل ما كان يجب لها أيضا مع أختها أولى وزدنا منه فوجب
لهما الثلثان وفي الآية دلالة على أن المال كله للذكر إذا لم يكن معه
أنثى لأنه جعل للذكر مثل حظ الأنثيين وجعل للأنثى النصف إذا كانت
منفردة فعلم أن للذكر في حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير
في ولأبويه للميت والمراد الأب والأم إلا أنه غلب المذكر لكل واحد منهما
السدس بدل من أبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل
ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السد
سان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها ولو قيل
ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل
بعد الإجمال والسدس مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما
للبيان وقرئ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف مما ترك
إن كان له ولد هو يقع على الذكر والأنثى فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه
فلأمه الثلث أي مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لأنه إذا ورثه
أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما بقي بعد إخراج نصيب الزوج
لا ثلث ما ترك لأن الأب أقوى من الأم في الإرث بدليل أن له ضعف حظها
إذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها فإن
امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي
للأب حازت الأم سهمين وللأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون
للأنثى مثل حظ الذكرين فلأمه بكسر الهمزة حمزة وعلي لمجاورة كسرة
اللام فإن كان له إخوة فلأمه السدس إذا كان للميت اثنان من الإخوة
والأخوات فصاعدا فلأمه السدس والأخ الواحد لا يحجب والأعيان
والعلات والأخياف في حجب الأم سواء من بعد وصية متعلق بما تقدم
من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه
الأنصباء من بعد وصية يوصي بها وما بعده بفتح الصاد مكي
وشامي وحماد ويحيى ووافق الأعمش في الأولى وحفص في الثانية
لمجاورة

لمجاورة يورث وكسر الأولى لمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر الصاد
أي يوصي الميت أو دين والإشكال أن الدين مقدم على الوصية في الشرع
وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب أن أو لا تدل على الترتيب
ألا ترى أنك إذا قلت جاءني زيد أو عمرو كان المعنى جاءني أحد الرجلين فكان التقدير
من قوله من بعد وصية يوصي بها أو دين من بعد أحد هذين الشيئين الوصية
أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير
المقدم كذا هنا وإنما قدم منها الدين على الوصية بقوله صلى الله عليه وسلم
ألا إن الدين قبل الوصية ولأنها تشبه الميراث من حيث أنها صلة بلا عوض
فكان إخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف
الدين فقدمت على الدين ليسارعوا إلى إخراجها مع الدين آباؤكم مبتدأ وأبناؤكم
عطف عليه والخبر لا تدرون وقوله أيهم مبتدأ خبره أقرب لكم والجملة
في موضع نصب بتدرون نفعا تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو
عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم
الأموال على غير حكمة والتفاوت في السهام بتفاوت المنافع وأنتم لا تد
رون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها إلى اجتهادكم لعجزكم
عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الإعراب
فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا من الله إن الله
كان عليما بالأشياء قبل خلقها حكيما في كل ما فرض وقسم من الموا
ريث وغيرها ولكم نصف ما ترك أزواجكم أي زوجاتكم إن لم يكن لهن ولد
أي ابن أو بنت فإن كان لهن ولد منكم أو من غيركم فلكم الربع مما تركن
من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم
ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون
بها أو دين والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن جعل ميراث الزوج
ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وإن كان رجل
يعني الميت وهو اسم كان يورث من ورث أي يورث منه وهو صفة
لرجل كلالة خبر كان أي وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يورث

خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث والكلالة تطلق على من
لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو في
الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء او امراة
عطف على رجل وله اخ او اخت اي لام وان قلت فقد تقدم ذكر الرجل
والمراة فلم افرد الضمير وذكره قلت اما افراده فلان او لاحد الشيئين
واما تذكيره فلانه يرجع الى الرجل لانه مذكر مبدوء به او يرجع الى احد
هما وهو مذكر فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
من واحد فهم شركاء في الثلث لانهم يستحقون بقرابة الام وهي لا ترث
اكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الانثى من بعد وصية يو
صى بها او دين انما كرر الوصية لاختلاف الموصين فالاول الوالدان
والاولاد والثاني الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة غير مضار
حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصي بزيادة على
الثلث او لوارث وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية
والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله
بالعقوبة وهذا وعيد فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها
قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمة
موصيا كما كان رجال فاعل ما دل عليه يسبح لانه لما قال يسبح له علم
ان ثمة مسبحا فاضمر يسبح واعلم ان الورثة اصناف اصحاب الفرائض
وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللاكثر الثلثان
وبنت الابن وان سفلت وهي عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت
الصلبية السدس وتسقط بالابن وببنتي الصلب الا ان يكون معها
او اسفل منها غلام فيعصبها والاخوات لاب وام وهن كالاخوات
لاب وام عند عدمهن ويعصبهن الاخ ويكن عصبة بالبنت او بنت الابن
ويسقطن بالابن وابنه وان سفل وبالاب وبالجد عند ابي حنيفة
رحمه الله وولد الام وللواحد السدس وللاكثر الثلث وذكرهم كا
نثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل وبالاب والجد والاب

وله

وله السدس مع الابن او ابن الابن وان سفل ومع البنت او بنت الابن وان سفلت
السدس والباقي والجد وهو ابو الاب وهو كالاب عند عدمه الا في رد الام
الى ثلث ما يبقى والام ولها السدس مع الولد او ولد الابن وان سفل او الاثنين
من الاخوة والاخوات فصاعدا من اي جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم
وثلث ما يبقى بعد فرض احد الزوجين في زوج وابوين او زوجة وابوين والجدة
ولها السدس وان كثرن لام كانت او لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل
بالام والاخوات بالاب والزوج وله الربع مع الولد او ولد الابن وان سفل
وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد او ولد الابن وان سفل
وعند عدمه الربع والعصبات وهم الذين يأخذون ما بقي من الفرض واولا
هم الابن ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم ابوه وان علا ثم الاخ لاب وام ثم الاخ
لاب ثم ابن الاخ لاب وام ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وام ثم ابن الاخ لاب
ثم الاعمام ثم اعمام الاب ثم اعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب
وللانثى فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة باخوتهن لا غيرهن
وذوو الارحام وهم الاقارب ليسوا من العصبات ولا من اصحاب الفرائض
وترتيبهم كترتيب العصبات تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت
في باب اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله سماها حدود لان
الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع
مرة وافرد اخرى نظرا الى معنى من ولفظها يدخله فيهما مدني وشامي
وله عذاب مهين لهوانه عند الله ولا تعلق للمعتزلة والخوارج
بالاية فانها في الكفار اذ الكافر هو الذي تعدى الحدود كلها واما
المؤمن العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا
فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله
ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب

الحكام وقال واللاتي هو جمع التي وموضعهما رفع بالابتداء يأتين الفاحشة
أي الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبايح من نسائكم فاستشهدوا
ها ورجعها وغشيها بمعنى من نسائكم من الشيخ والشيخة فاستشهدوا
عليهن فاطلبوا الشهادة أربعة منكم من المؤمنين فإن شهدوا بالزنا فأمسكو
هن في البيوت فاحبسوهن فيها حتى يتوفاهن الموت أي ملائكة الموت لقوله
الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن أو يجعل الله
لهن سبيلا ومعناه أن سبيلا عينه وهو ما عن ابن عباس رضي الله عنهما
السبيل البكر جلد مائة وللثيب الرجم لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني
خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب
بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واللذان يأتيانها أي الزاني والزانية وتشديد
النون مكي يأتيانها منكم أي الفاحشة فآذوهما بالتوبيخ والتعيير
وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما فإن تابا عن الفاحشة وأصلحا وغيرا
الحال فأعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والمذمة إن الله كان توابا رحيما
يقبل توبة التائب ويرحمه قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الأذى ثم الحبس
ثم الجلد والرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل
أنهما إذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير وإن كانا غير محصنين
فحدهما الجلد لا غير وإن كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى
المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الأولى في السحا
قات والثانية في اللواطين والتي في النور في الزاني والزانية وهو دليل
ظاهر لأبي حنيفة رحمه الله تعالى في أنه يعزر في اللواطة ولا يحد وقال
مجاهد الآية الأولى في اللواطة إنما التوبة على الله أي إنما قبول
توبتهم أي إنما قبولها على الله وليس المراد به الوجوب إذ لا يجب على
الله شيء ولكنه تأكيد للوعد أي أنه يكون لا محالة كالواجب الذي
لا يترك للذين يعملون السوء الذنب لسوء عاقبته بجهالة في
موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح
مما يدعو إليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع

ب
المضمنة

عن

عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل
أنه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب وهو
ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت
الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت
فهو قريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل أن ينظر إلى ملك الموت وعنه
عليه السلام إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبعيض أي يتو
بون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بذلك وإعلام بأن ال
الغفران كائن لا محالة وكان الله عليما بعزمهم على التوبة حكيما
حكم بكون الندم توبة وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا
حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن أي ولا التوبة للذين يتوبون يسوفون
توبتهم إلى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة
ملك الموت فإن توبة هؤلاء غير مقبولة لأنها حالة اضطرار لا حالة
اختيار وقبول التوبة ثواب ولا يثاب إلا مختار ولا الذين في موضع
جر بالعطف على للذين يعملون السيئات أي ليست التوبة للذين يعملون
السيئات ولا للذين يموتون وهم كفار قال سعيد بن جبير الآية الأولى
في المؤمنين والوسطى في المنافقين والأخرى في الكافرين وفي بعض
المصاحف بلا ميم وهو مبتدأ خبره أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما
أي هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الأصل أعددنا فقلبت الدال تاء كان
الرجل يرث امرأة مورثه بأن يلقي عليها ثوبه فيتزوجها بغير مهر فنزلت
يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي تأخذوهن على
سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وهو
كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلي من الإكراه منصوب في
موضع الحال من المفعول والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند
عدمه لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله
لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم يكن

من جهة حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن
وهو منصوب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم
ان ترثوا النساء كرها ولا ان تعضلوهن او مجزوم بالنهي على سبيل الاستئناف
فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق لتذهبوا ببعض
ما اتيتموهن من المهر واللام متعلقة بتعضلوا الا ان ياتين بفاحشة هي النشوز
وايذاء الزوج واهله بالبذاء اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد
عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها
ان يسالها الخلع مبينة وبفتح الياء مكي وابو بكر والاستثناء من
اعم عام الظرف والمفعول كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات
الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين
بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف
وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن لقبحهن
او سوء خلقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه في ذلك الشيء
او في الكره خيرا كثيرا ثوابا جزيلا او ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن
فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو
اصلح في الدين وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر
في اسباب الصلاح وانما صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط لان
المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما
تكرهون خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا راى امراة
فاعجبته بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج
اي تطليق امراة وتزوج اخرى واتيتم احديهن واعطيتم احدى
الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال قنطارا
مالا عظيما كما في ال عمران وقال عمر رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا
اي لا تجوزوا الحد في صدقات النساء فقالت امراة اتتبع قولك ام قول الله
واتيتم

واتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم
فلا تاخذوا منه من القنطار شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا اي ببيننا
والبهتان ان يستقبل الرجل بامر قبيح يقرفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند
ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين واثمين او لانه اخذ
المهر بعد الافضاء فقال وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض
اي خلا بلا حائل وهو منه الافضاء وفي الاية حجة لنا في ان الخلوة الصحيحة انها توكد
المهر حيث انكر الاخذ وعلل بالخلوة واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا
وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان والله تعالى
اخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهن فهو كاخذهن او قول النبي عليه
السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة
الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقد نزل لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها فالوارث كذا هذا الا ان تكرهها ولكن تعضلوهن تنكحوهن ظاهر
فقيل لهم ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وقيل المراد بالنكاح الوطي
اي ولا تطاوا ما وطي اباؤكم وفيه تحريم وطي موطوءة الاب بنكاح
او بملك يمين او بزنى كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا
كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال الا ما قد سلف اي لكن
ما قد سلف فانه لا تواخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين
صفة هذا العقد في الحال فقال انه كان فاحشة بالغة في القبح
ومقتا وبغضا عند الله وعند المومنين وناس منهم يمقتونه من ذوي
مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي
وساء سبيلا وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر في اول السورة نكاح
ما طاب اي حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الاباء
ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدا
بالنسب فقال حرمت عليكم امهاتكم والمراد تحريم نكاحهن عن البعض
وقد ذكر في المختار في شرح المنار والجدة من قبل الام او الاب ملحقة بهن

وبناتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ملحوظات بعض والأصل أن الجمع إذا قوبل
بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فيحرم على كل واحد أمه وبنته وأخته
لأب وأم أو لأب أو لأم وعماتكم من الأوجه الثلاث وخالاتكم كذلك وبنات الأخ
كذلك وبنات الأخت كذا الحكم في تحريم هذه بالسبب ثم قال وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم
وأخواتكم من الرضاعة الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة
أما للرضيع والمراضعة أختا وكذا زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه
وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأمهات نسائكم
وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج
فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع وربائبكم
ما يحرم من النسب وأخواتكم من الرضاعة وهن محرمات العقد وأمهات نسائكم سمى
ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده في غالب اللاتي في حجوركم
الأمر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما وربائبكم اللاتي قال داود
إذا لم تكن في حجره لا تحرم وخطأ ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته
التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
اللاتي في حجوركم
كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم
متعلق بربائبكم أي الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له
إذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها
وضرب عليها الحجاب أي أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس
ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتي دخلتم بهن
وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لأن الوصف الواحد
لا يقع على موصوفين مختلفي العامل وهذا لأن النساء الأولى مجرورة
بالإضافة والثانية بمن ولا يجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء
زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء
النساء كذا قاله الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف
فيه فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فلا حرج عليكم
في أن تتزوجوا بناتهن إذا فارقتموهن أو متن وحلائل أبنائكم جمع
حليلة وهي الزوجة لأن كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل معه في الفراش أو
من الحل

من الحل ومن الحلول الذين من أصلابكم دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب امرأة زيد حين فارقها زيد وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في أزواج أدعيائهم وليس هذا نفي الحرمة من حليلة الابن من الرضاع
وأن تجمعوا بين الأختين في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات
أي وحرم عليكم الجمع بين الأختين إلا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل
قوله إن الله كان غفورا رحيما وعن محمد بن الحسن رحمه الله أن أهل الجاهلية
كانوا يعرفون هذه المحرمات إلا نكاح امرأة الأب ونكاح الأختين فلهذا
قال فيهما إلا ما قد سلف والمحصنات من النساء أي ذوات الأزواج لأنهن
أحصن فروجهن بالتزوج وهي الكسائي بفتح الصاد هنا وفي سائر
القرآن بكسرها وغيره بفتحها في جميع القرآن إلا ما ملكت أيمانكم
بالسبي وزوجها في دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات
اللاتي لهن أزواج إلا ما ملكتموهن بسبيهن وإخراجهن بدون أزواجهن
لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي فتحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبراء
كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم كتابا وهو
وهو تحريم ما حرم وعطف وأحل لكم على الفعل المضمر الذي نصب كتاب
الله أي كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم ما وراء ذلكم ما سوى
المحرمات المذكورة وأحل كوفي غير أبي بكر عطف على حرمت
أن تبتغوا مفعول له أي بين لكم ما يحل مما يحرم لأن تبتغوا أو بدل من ما
وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والأجود أن لا يقدر
بأموالكم يعني المهور وفيه دليل على أن النكاح لا يكون إلا بمهر وأنه
يجب وإن لم يسم وأن غير المال لا يصلح مهرا وأن القليل لا يصلح مهرا إذ الحبة
لا تقوم إلا عادة محصنين حال لكونكم محصنين غير مسافحين لئلا
تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم
ودينكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين والإحصان العفة
وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو
صب المني فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه منهن فآتوهن أجورهن

مهورهن لان المهر ثواب على البضع فما في معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان
ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن فريضة حال
من الاجور اي مفروضة او وصف مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر
مؤكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره
او فيما تراضيا به من مقام او فراق ان الله كان عليما بالاشياء فيعلم خلقه
حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي به حفظت الانساب وقيل ان قوله
فما استمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة
على رسوله ثم نسخت ومن لم يستطع منكم طولا فضلا يقال لفلان على فلان طول
اي فضل وزيادة وهو مفعول يستطع ان ينكح مفعول الطول وان مصدر
فيعمل عمل فعله او بدل من طولا المحصنات المؤمنات الحرائر المسلمات
فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات اي فلينكح مملوكة من الاماء
المسلمات وقوله من فتياتكم المؤمنات اي من فتيات المسلمين والمعنى
ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة
ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد في الاستحباب
بدليل ان الايمان ليس بشرط في الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن
عباس ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية
والنصرانية وان كان موسرا وفيه دليل لنا في مسألة الطول والله اعلم
بايمانكم فيه تنبيه على قبول ظاهر ايمانهن ودليل على ان الايمان هو
التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان المسموع لا المختلف
بعضكم من بعض اي لا تستنكفوا عن نكاح الاماء فكلكم بنو ادم
وهو تحذير عن التعيير بالانساب والتفاخر بالاحساب فانكحوهن باذن اهلهن
سادتهن وهو حجة لنا في ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر
اذن الموالي لا عقدهم وانه ليس للعبد وللامة ان يتزوجا الا باذن المولى
وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار وملاك
مهورهن مواليهن فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي لانهن وما في ايديهن

من مال

127

من مال الموالي اذ التقدير فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف
حال من المفعول في وآتوهن غير مسافحات زوان علانية ولا متخذات اخدان
زوان سرا والاخدان الاخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج احصن كوفي غير
حفص وابو بكر فان اتين بفاحشة زنى فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر
من العذاب من الحد يعني خمسين جلدة وقوله نصف يدل على انه الجلد لان الرجم
لا يتنصف وان المحصنات هنا الحرائر اللاتي لم يتزوجن ذلك اي نكاح الاماء
لمن خشي العنت لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت
انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم
من مواقعة الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الزنا لانه سبب الهلاك
وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين
خير لكم لان فيه ارقاق الولد ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة
وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح والمهانة والعزة من صفات المو
منين وفي الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور
يستر المحظور رحيم يكشف المحذور يريد الله ليبين لكم اصله
يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما
زيدت في لا ابا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم
ما هو خفي عليكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن الذين
من قبلكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين
والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويو
فقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف والله عليم بمصالح عباده
حكيم فيما شرع لهم والله يريد ان يتوب عليكم التكرير للتأكيد والتقابل
والتقابل ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما
وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم
وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لانهم يستحلون
الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم

تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخت والأخ
فنزلت يقولون يريدون أن تكونوا زناة مثلهم يريد الله أن يخفف عنكم بإحلال
نكاح الأمة وغيره من الرخص وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى
مشاق الطاعات يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بما لم تبحه
الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا إلا أن تكون تجارة
إلا أن تقع تجارة تجارة كوفي أي إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض منكم
صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء
منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو لكن كون تجارة عن تراض غير
منهي عنه وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والآية
تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف إذا وجدت الإجازة
لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لأن فيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراض
من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص ولا تقتلوا
أنفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة أو ولا يقتل الرجل
نفسه كما يفعله بعض الجهلة أو معنى القتل أكل الأموال بالباطل فظالم غيره
كمهلك نفسه أو لا تتبعوا أهواءها فتقتلوها أو لا ترتكبوا ما يوجب القتل إن الله
كان بكم رحيما ولرحمته بكم نهاكم عما فيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم وقيل
معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتل أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك
أي القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وهما
مصدران في موضع الحال أو مفعول لهما فسوف نصليه نارا ندخله نارا مخصو
صة شديدة العذاب وكان ذلك أي إصلاؤه النار على الله يسيرا سهلا وهذا الوعيد
في حق المستحل للتخليد وفي حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار
مع وعد الله بمغفرته إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
عن ابن مسعود رضي الله عنه الكبائر كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى
قوله إن تجتنبوا وعنه أكبر الكبائر ثلاث الإشراك بالله واليأس من روح الله والأمن
من مكر الله وقيل المراد به أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ما تنهون عنه
وهو الكفر وندخلكم مدخلا مدني وهما بمعنى المكان والمصدر كريما حسنا

وعن

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما
طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن
يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله
لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة
بالآية على أن الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى أن الكبائر غير مغفورة
باطل لأن الكبائر والصغائر في مشيئته تعالى إن شاء عذب عليهما وإن شاء عفا عنهما
لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعفو عن الجميع
ما دون الشرك وفي نظمهما بمشيئته وقوله إن الحسنات يذهبن السيئات يتعلق عليهما
ولما كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق يتمنى مال الغير وجاههم نهاهم
عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض لأن ذلك التفضيل قسمة الله صادرة عن حكمة
وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق أو قبض فعلى كل
أحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه فالحسد أن يتمنى أن يكون ذلك
الشيء له ويزول عن صاحبه والغبطة أن يتمنى مثل ما لغيره وهو مرخص فيه وأما الأول
منهي عنه ولما قال الرجال نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت
النساء نرجو أن يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن وليس ذلك على حسب الميراث واسألوا الله من فضله
فإن اختير لا تتمنوا ولا تتمنوا ما للناس من الفضل إن الله كان بكل شيء عليما
فالتفضيل عن علم بمواضع الاستحقاق وقال ابن عيينة لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي
وفي الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب عليه وفيه إن الله تعالى ليحب الملحين
الكثير في عبده ويقول لا أعطي عبدي حتى يسألني واسألوا الله مكي وعلي
ولكل المضاف إليه محذوف تقديره ولكل أحد أو لكل مال جعلنا موالي وراثا
يلونه ويحوزونه مما ترك الوالدان والأقربون هو صفة مال محذوف أي من مال تركه
الوالدان أو هو متعلق بمحذوف دل عليه الموالي تقديره يرثون مما ترك والذين
عاقدت أيمانكم عاقدت كوفي أيمانكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو
فآتوهم نصيبهم مع الفاء عقدت كوفي أي عقدت عهودهم أيمانكم والمراد به عقد
الموالاة وهو مشروع والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضي الله عنهم
وهو مذهبنا وتفسيره إذا أسلم رجل على يد رجل لا وارث له وليس بعربي ولا معتق

فيقول للآخر ولنبتك على أن تعقل عني إذا جنيت وترث مني إذا مت ويقول الآخر فيلقبه
فلقه الحليف له وزيد ثم نسخ إن الله كان على كل شيء شهيدا أي هو عالم
الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
آمرين ناهين كما تقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك بما فضل الله بعضهم
على بعض الضمير في بعضهم للرجال والنساء يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن
بسبب تفضيل الله بعضهم وهم النساء بالعقل والحزم والعزم والرأي والقوة
والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والإمامة والأذان والخطبة
والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى والشهادة في
الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق
وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم وبما أنفقوا من أموالهم وبما ينفقون
عليهن وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الأول في
فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج حافظات للغيب
لواجب الغيب وهو خلاف الشهادة أي إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن
ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وقيل للغيب
لأسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج بقوله وعاشروهن
بالمعروف أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بحفظ الله
إياهن حيث صيرهن كذلك النوع الثاني واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
عن طاعة الأزواج والنشز المكان المرتفع عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن تستيقنوا نشوزهن وعظا والتخويف أي فعظوهن خوفوهن عقوبة الله تعالى
والضرب والعظة بلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة واهجروهن
في المضاجع في المراقد أي لا تدخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو
أن يوليها ظهره في المضجع لأنه لم يقل عن المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح
أي يؤدبهن أولا ثم يهجرن في المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ و
الهجران فإن أطعنكم فتركن النشوز فلا تبغوا عليهن سبيلا فأزيلوا عنهن التعرض
بالأذى وسبيلا مفعول لا تبغوا أو هو من بغية الأمر أي طلبته إن الله كان عليا كبيرا
أي إن علت أيديكم عليهن فاعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاخشوا
ظلمهن أو إن الله كان عليا كبيرا وأنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه
ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم إذا رجع ثم خاطب
الولاة

الولاة بقوله وإن خفتم شقاق بينهما أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف
على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار
والشقاق العداوة والخلاف لأن كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه أو يميل
إلى شق أي ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر
ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء فابعثوا حكما من أهله رجلا يصلح لل
حكومة والإصلاح بينهما وحكما من أهلها وإنما كان بعث الحكمين
من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح ونفوس الزوجين
أسكن إليهم فيبرزان ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة
والفرقة والضمير في إن يريدا إصلاحا للحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين أي
إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك في وساطتهما وأوقع الله
بحسن سعيهما بين الزوجين الألفة والوفاق وألقى في نفوسهما المودة وجاز ف
أو الضمير للحكمين أي إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما
فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتم المراد
أو الضمير للزوجين أي إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلب الخير وأن يزول
عنهما الشقاق يلق الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبال
بغضاء المودة إن الله كان عليما بإرادة الحكمين خبيرا بالظالم من الزوجين
وليس لهما ولاية التفريق عند علمائنا خلافا لمالك رحمه الله تعالى واعبدوا الله
قيل العبودية أربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود
والصبر على المفقود ولا تشركوا به شيئا صنما أو غيره أو شيئا من الإشراك
وبالوالدين إحسانا وأحسنوا بهما إحسانا بالقول والفعل والإنفاق عليهما
عند الاحتياج وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو نحوهما
واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره
بعيد أو الجار القريب النسيب والجار الجنب الأجنبي والصاحب بالجنب أي الزوجة
على رضي الله عنه أو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا في سفر أو شريكا في تعلم
علم أو غيره أو قاصدا إليك جنبك في مجلس ومسجد وابن السبيل الغريب أو الضيف
وما ملكت أيمانكم العبيد والإماء إن الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف عن أقاربه
وجيرانه فلا يلتفت إليهم فخورا يعد مناقبه كبرا أو يعدها اعتزازا لا شكورا

الذين يبخلون نصبه على البدل من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من او على الذم او رفع
على انه خبر مبتدا تقديره هم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ثم وعلى
وهما الفعل بكل شيء والاشواء يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم قيل
من يهم بان يبخلوا به مقابل الاسخاء قيل البخل ان ياكل بنفسه ولا يوكل غيره والشح
على ما قيل في البخل الشح والسخا والجود ان لا ياكل ولا يوكل والسخا ان ياكل
ويوكل والجود ان يوكل ولا ياكل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله ويخفون ما
انعم الله عليهم به من المال او سعة الحال وفي الحديث اذا انعم الله على عبد
نعمة احب ان يرى نعمته على عبده وبنى عامل الرشيد قصرا حذاء قصره
فنم به عنده فقال الرجل يا امير المومنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت
ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود
الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
اي يهانون به في الاخرة والذين ينفقون اموالهم معطوف على الذين يبخلون او على
الكافرين رئاء الناس مفعول له اي للفخار وليقال ما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وهم
المنافقون او مشركو مكة ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا
لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا
مما رزقهم الله اي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم
والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحته في ذلك وهذا كما يقال للعاق ما ضره لو
كان بارا وقد علم انه لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ وكان الله بهم عليما
وعيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة هي النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه ادخل يده في التراب ثم رفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل
جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهذه موافقة ما في الشرح المنير في الكوة ذرة
وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا
الى موثث حسنة حجازي على كان التامة وحذفت النون من تك تخفيفا لكثرة
الاستعمال يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها ... مكي وشامي ويوت من لدنه اجرا عظيما
ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يقدر مقداره
مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليدهم مرتكب الكبيرة

مع

مع انه حسنات كثيرة فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل
امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء امتك شهيدا
حال اي شاهدا على من امن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن
مسعود رضي الله عنه انه قرا سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ
قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا
يومئذ ... يوم القيامة يود الذين كفروا بالله وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض لو يدفنون
فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا او انهم كانوا والارض
سواء او تصير البهائم ترابا فيعودون ... تسوى بفتح التاء وتخفيف السين
والامالة حمزة وعلي ... وتسوى بادغام التاء في السين
مدني وشامي ولا يكتمون الله حديثا مستانفة اي لا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم
تشهد عليهم ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة
رضي الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا قدموا احدهم ليصلي بهم المغرب
فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى اي لا تقربوها في هذه الحالة حتى تعلموا ما تقولون اي تقرؤون وفيه
دليل ان ردة السكران ليست بردة لان قراءة سورة الكافرين بطرح اللام كفر ولم يحكم
بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان وما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتفريق بينه
وبين امراته ولا يحنث بل كان مسلما ولان الامة اجمعت على ان من اجرى كلمة الكفر على
لسانه مخطئا لا يحكم بكفره ولا جنبا عطف على وانتم سكارى لان محل الجملة مع
الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ولا جنبا اي ولا
تقربوا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى
مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا الصلوة
جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا
كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين
عادمين الماء متيممين عبر عن المتيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء وهو قول ابي
حنيفة رحمه الله وروي عن علي رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله لا تقربوا
الصلوة اي مواضع الصلوة وهي المساجد ولا جنبا اي ولا تقربوا المسجد جنبا الا
عابري سبيل الا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور في المسجد حتى تغتسلوا
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط اي المطمئن من الارض وكانوا

بأتونه لقضاء الحاجة وكني به عن الحدث او لامستم النساء جامعتموهن كذا عن علي
وابن عباس رضي الله عنهم فلم تجدوا ماء تقدرون على استعماله لعدمه او بعده او فقد
آلة الوصول اليه او المانع من حية او سبع او عدو فتيمموا ادخل في حكم الشرط اربعة
وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة والجماع الاول هو الامر بالتيمم
يتعلق بهم جميعا فالمرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والسفر
اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة اذا لم يجدوه فعليهم ان يتيمموا المستمر
وعلى صعيدا قال الزجاج هو وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه
لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن في سورة المائدة لابتداء الغاية
لا للتبعيض فامسحوا بوجوهكم وايديكم قبل الماء وايديكم ان الله كان عفوا
بالترخيص والتيسير غفورا عن الخطأ والتقصير الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على
معنى الم ينته علمك اليهم او معنى الم تنظر اليهم الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من
علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء
على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون
السبيل اي سبيل الحق كما ضلوا والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكف
بكفيكم مكرهم وليا ونصيرا منصوبان على التمييز او على الحال من الذين هادوا بيان
للذين اوتوا نصيبا من الكتاب او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او يتعلق بنصيرا
نصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا فحذف
او يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فحذف ... قوما
صفته والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم واقيم صفته
وهو يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه
كلما غيره فقد امالوه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها وازالوه عنها
وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه
ثم ذكر هنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على ما بينا من
ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضته شهواتهم من ابدال

غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها
فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان
متقاربان ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع قولنا
غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين
يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع
فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة
مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك
فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب
ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه
وكذلك قولهم وراعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة
عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزءا
برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة
ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم
الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع
لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير
نفاقا وطعنا في الدين هو قولهم لو كان نبيا لعلم ما نعرض به ولو انهم قالوا
سمعنا واطعنا ولم يقولوا وعصينا واسمع ولم يلحقوا به غير مسمع وانظرنا مكان
راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم عند الله واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله
بكفرهم خذلهم وابعدهم عن الطافه بسبب اختيارهم الكفر فلا يؤمنون الا قليلا
منهم فقد آمن عبد الله بن سلام واصحابه او الا ايمانا قليلا اي ضعيفا لا اخلاص فيه
وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ونزل لما دعا النبي احبار اليهود الى الاسلام
يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا يعني القرآن مصدقا لما معكم يعني التوراة من قبل
ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها
على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب
وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على
ادبارها بعد طمسها والمعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف والاقفاء
الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة

وان الوجوه ووجوههم ووجاهتهم اي من قبل ان نغير الاحوال وجاهتهم فنسلبهم اقبالهم
ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي
نخزيهم بالمسخ كما اخزينا اصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان اريد الوجهاء
او الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان معلقا بان لا يومن كلهم
وقد امن بعضهم فان ابن سلام لما سمع الاية اقبل من الشام واتى النبي صلى الله عليه وسلم
مسلما قبل ان ياتي اهله وقال ما كنت ارى ان اصل اليك قبل ان يطمس الله وجهي
وان الله تعالى وعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال
رؤسائهم فقد كان ذلك من اجلائهم وان كان اللعن فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو
منتظر في اليهود وكان امر الله اي المامور به وهو العذاب الذي وعدوا به مفعولا كائنا
لا محالة لانه يقع احوالهم ان لم يومنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به اذ مات عليه ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء اي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك
مغفور عنه بالتوبة وان عفو ما دونه لمن يشاء اي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك
ويغفر لمن يذنب وهو مومن لما قال عليه السلام من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئا دخل الجنة
ولم تضره خطيئته ونفيه يتعلق بقوله لمن يشاء لا بجميع مجموعه كقول الله تعالى الله لطيف
بعباده يرزق من يشاء قال علي كرم الله وجهه ما في القران اية احب الي من هذه الاية
وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه اولى ان يغفر بالتوبة والاية سيقت
لبيان التفرقة واذا اعتبر ذلك ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما كذبا عظيما
استحق به عذابا اليما ونزل ليعم من زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الم تر الى الذين يزكون
انفسهم ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى
بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو
العالم بمن هو اهل التزكية ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ولا يظلمون
اي الذين يزكون يعاقبون على تزكية انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكا
بهم لا ينقص من ثوابهم فتيلا قدر فتيل وهو ما يخرج بفتل وهو ما يخرج بفتل
الاصابع من الوسخ انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء
وكفى به في زعمهم هذا اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يعني اليهود يؤمنون بالجبت اي الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان و

نمتهم

ويقولون

ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا في ان حيي بن اخطب وكعب
بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم الى محمد اقرب منكم الينا
فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت
والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان
انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب انتم اهدى سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ابعدهم
من رحمته ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنعه بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد
وهما من شر الخصال يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك
بل منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون الناس
نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك اي ملك اهل الدنيا او ملك الله فاذا لا يوتون الناس
احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة
كالفتيل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله بل يحسدون رسول الله
والمومنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما اتاهم الله
من فضله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد اتينا ال ابراهيم
هم الكتاب اي التوراة والحكمة المواعظ والفقه واتيناهم ملكا عظيما
يعني يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله
الكتاب والحكمة ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وانه ليس ببدع
ان يوتيه الله مثل ما اوتي اسلافهم فمنهم من امن به من اليهود من امن بما ذكر فكذا
من جنس ال ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود
من امن برسول الله عليه السلام ومنهم من انكر نبوته واعرض عنه وكفى بجهنم
سعيرا ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم ندخلهم نارا كلما نضجت
جلودهم احترقت بدلناهم جلودا غيرها اعدنا تلك الجلود غير محترقة
بالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين غير اهل الجنة فلا اهل
للكرامة وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذو
قهم ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادام الله على عزك ان الله
كان عزيزا غالبا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما
فيما يفعل بالكافرين والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة من النجاسة و
الحيض والنفاس وندخلهم ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل

لما كان معناه كما يقال الليل اليل وهو ما كان عنيا الا جون له ودايما لا تنفع الشمس
وسيجعل الاجر فيهم ولا يزول وليس في الظل الا كل الجنة ثم خاطب الولاة باداء الامانات
والحكم بالعدل بقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقيل هو دخل في هذا
الامر اداء الواجبات التي هي امانة الله التي حملها الانسان وحفظ الحواس التي هي ودائع
الله واداء حقهم من الناس فيمتنع ان يحكموا بالعدل السوية والانصاف وقيل ان عثمان
بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح
الكعبة فلما نزلت الاية امر عليا رضي الله عنه ان يرده اليه وقال لقد انزل الله في شانك
قرانا وقرا عليه الاية واسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا ان الله نعما يعظكم به ما نكرة منصوبة
موصوفة بيعظكم به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او موصولة في موضع الرفع المحل
صلتها ما بعدها اي نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم ما
يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وبكسر النون وسكون
العين مدني وابو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي ان الله كان سميعا
لاقوالكم بصيرا باعمالكم ولما امر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوا
هم بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي الولاة
او العلماء لان امرهم ينفذ على الامراء فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولو الامر
في شيء من امور الدين فردوه الى الله والرسول اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الاخر اي ان الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الاية
على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه
السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحكي ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان
قال لابي حازم الستم امرتم بطاعتنا بقوله واولي الامر منكم فقال ابو حازم اليس
قد نزعت الطاعة عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
اي القران والرسول في حياته والى احاديثه بعد وفاته ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى
الكتاب والسنة خير عاجلا واحسن تاويلا عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودي
خصومة فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشي ودعاه المنافق
الى كعب بن الاشرف لعلمه بشواه فاختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق
وقال تعال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج
اليكما فدخل عمر واخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق وقال هكذا اقضي لمن لم

يرض بقضاء الله ورسوله الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت الفاروق
يريدون حال من الضمير في يزعمون ان يتحاكموا الى الطاغوت اي كعب بن الاشرف سماه الله
طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه
بالشيطان او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم
اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا مستمرا الى الموت واذا قيل لهم تعالوا للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول للتحاكم رايت المنافقين يصدون عنك صدودا يعرضون عنك الى غيرك ليعرفوه
بالرشوة ليقضي لهم فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة من قتل
عمر بشرا بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاءوك اصحاب القتيل
من المنافقين يحلفون بالله حال ان اردنا ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة
وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا سخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على
فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل
جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى
عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا
انه يحكم له بما حكم به اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فاعرض عنهم
وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا فاعرض عن قبول الاعتذار وعظهم بالزجر
والانكار والتخويف وعظهم بالتخويف والانذار او اعرض عن عقابهم وعظهم
في عقابهم وبالغ كنه ما في صدورهم من الوعظ بالتذكير والبلاغة ان يبلغ بلسانه
كنه ما في جنانه وفي انفسهم يتعلق بقل لهم اي قل في معنى انفسهم الخبيثة
وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول
اي رسولا قط الا ليطاع باذن الله بتوفيقه في طاعته وتيسيره او بسبب اذن الله
في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اي بالتحاكم الى الطا
غوت جاءوك تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق فاستغفروا الله
من النفاق والشقاق واستغفر لهم الرسول بالشفاعة لهم والعامل في اذ ظلموا
جاءوك وهو خبر ان والمعنى لو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم
واستغفار الرسول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل
واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه

وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته من اسماء الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما بهم قيل جاء اعرابي بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثى
من ترابه على راسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما انزل عليك ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم الاية وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفر الله من ذنبي فاستغفر لي
من ربي فنودي من قبره قد غفر لك فلا وربك اي فوربك لقوله فوربك لنسالنهم
ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم وجواب القسم لا يومنون او التقدير فلا اي ليس الامر
كما يقولون ثم قال وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط
ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت لانه شكوا
دهم من حكمك او شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليما
وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقة سلم نفسه واسلمها اي جعلها سالمة له خالصة
لصة وتسليما مصدر موكد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا
لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لا يكونون مومنين حتى يرضوا بحكمك
وقضائك ولو انا كتبنا عليهم على المنافقين اي لو وقع كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم اي تعرضوا للقتل بالجهاد او لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني
اسرائيل من قتلهم انفسهم او اخرجوا من دياركم بالهجرة ما فعلوه لنفاقهم والضمير
ضمير احد مصدري الفعلين وهو القتل او الخروج او ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه
الا قليل منهم قليلا بالنصب على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لحكمه لكان خيرا
لهم في الدارين واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب لسوال مقدر
كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما
ايقوا لا كثير الا يفلح ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين كافاضل صحابة الانبياء والصديق المبالغ في صدقه كلامهم
بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذي يصدق قوله بفعله والشهداء والذين استشهدوا
في سبيل الله والصالحين ومن صلحت احوالهم وحسنت اعمالهم وحسن اولئك رفيقا
اي ما احسن اولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه
في التمييز ذلك الفضل من الله او الفضل مبتدا من الله الخبر والمعنى ان ما اعطي المطيعون
من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم او ان ذلك فضل
المنعم عليهم ومن يتبعهم من الله وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه ومن هو من اهل الفضل
وذلك الاية على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل بفضل الله المعنى كذا يا ايها
الذين امنوا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالاثر والاثر يقال

اخذ

اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر الة التي يقي بها نفسه
ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو فانفروا ثبات فاخرجوا
الى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية حال والثبات الجماعات واحدها ثبة او انفروا
جميعا اي مجتمعين او مع النبي عليه السلام لان الجمع بدون السمع لا يتم والجمع بدون
الواسطة لا ينتظم او انفروا ثبات اذا لم يعم النفير او انفروا جميعا اذا عم النفير
وثبات حال وكذا جميعا واللام في وان منكم لمن للابتداء بمنزلتها في ان الله لغفور
ومن صلة وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن اي ليتثاقلن
وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ اي تاخر وهم المنافقون تثبطوا غيرهم والخطاب
لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم اي في الظاهر دون الباطن يعني ان القتال
بغير نيته لو يالم تقتلون انفسكم لكن احتى يطلق لم فان اصابتكم مصيبة قتل او هزيمة
قال المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني مثل ما اصابهم
ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من
الغنيمة لا طلبا للمثوبة كان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي كانه لم يكن
وبالتاء مكي وحفص بينكم وبينه مودة وهو اعتراض بين الفعل وهو ليقولن وبين
معموله وهو يا ليتني كنت معهم والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين
كانوا يوادون المومنين في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن
فافوز بالنصب لانه جواب التمني فوزا عظيما فاخذ من الغنيمة حظا وافرا فليقاتل
في سبيل الله الذين يشرون يبيعون الحياة الدنيا بالاخرة والمراد المومنون الذين
يستحبون العاجلة على الاجلة ويستبدلونها بها اي ان صد الذين مرضت قلوبهم
وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون او يشترون والمراد المنافقون
الذين يشترون الحياة الدنيا بالاخرة وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق
ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما وعد المقاتل
في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز
دين الله وما لكم مبتدا وخبر وهو استفهام فيه معنى التنبيه على الاستنكار
وقوله لا تقاتلون للانكار لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الاستقرار
كما تقول ما لك قائما والمعنى واي شيء لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه
والمستضعفين مجرور بالعطف على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين
المستضعفين او منصوب على الاختصاص اي واختص من سبيل خلاص المستضعفين

المستضعفين اي في سبيل الله عز وجل في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين
من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفين هم الذين اسلموا بمكة
وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون
منهم الاذى الشديد من الرجال والنساء والولدان ذكر الولدان تسجيلا بافراط
ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لابائهم وامهاتهم ولان
المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء الصغار
الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من
هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها الظالم وصف للقرية مسند الى اهلها واعطي
اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم
اهلها واجعل لنا من لدنك وليا يتولى امرنا ويستنقذنا من اعدائنا واجعل لنا من لدنك
نصيرا ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم
الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر
وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج
استعمل عليها عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رضي الله
عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة ثم رغب الله
المومنين بانهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وان اعداءهم يقاتلون في
سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان بقوله الذين امنوا يقاتلون في سبيل
الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
اي الكفار ان كيد الشيطان اي وسوسته وقيل المكر السعي بالفساد على جهة
الاحتيال كان ضعيفا لانه غرور لا يؤول الى محصول او كيده في مقابلة نصر الله
ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا
يتمنون ان يوذن فيه فنزل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا
الصلوة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اي فرض بالمدينة اذا فريق منهم يخشون
الناس كخشية الله يخافون ان يقاتلهم الكفار كما يخافون ان ينزل الله عليهم باسه
لا لشك في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفور الطبع عن الخطر بالارواح وخوفا من الموت
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا انه منهم كراهة لحكم الله او
اعتقادا انهم مجبورون على كراهة ما فيه خوف هلاك غالبا وخشية الله من اضافة

المصدر

المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس
مثل خشية الله اي مشبهين في خشية الله او اشد خشية هو معطوف على الحال
اي او اشد خشية من اهل خشية الله او للتخيير اي ان قلت خشيتهم الناس كخشية
الله فانت مصيب وان قلت انها اشد فانت مصيب لانه حصل لهم مثلها وزيادة
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب هلا امهلتنا الى ان نموت
فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض
لحكمه بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل اجيبوا بقوله قل متاع الدنيا
قليل والاخرة خير لمن اتقى متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الاخرة كثير دائم والكثير
اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون
ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكي وحمزة وعلي ثم
اخبر ان الحذر لا ينجي من القدر بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت ما زائدة لتوكيد
معنى الشرط في اين ولو كنتم في بروج حصون او قصور مشيدة مرفعة وان تصبهم
حسنة نعمة من خصب ورخاء يقولوا هذه من عند الله نسبوها الى الله وان تصبهم
سيئة بلية من قحط وشدة يقولوا هذه من عندك اضافوها اليك وقالوا هي من عندك
وما كانت الا بشومك وذلك ان المنافقين واليهود كانوا اذا اصابهم خير حمدوا الله
تعالى واذا اصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله بقوله
قل كل من عند الله والمضاف اليه محذوف اي كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها
فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون يفهمون حديثا فيعلمون ان الله هو الباسط
القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج
المخاطب به النبي عليه السلام والمراد غيره من حسنة من نعمة واحسان فمن الله ج
تفضلا منه وامتنانا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك فمن عندك اي فيما كسبت
يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وارسلناك للناس رسولا لا مقدرا
حتى نسبوا اليك الشدة او ارسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ الرسالة وليس
اليك الحسنة والسيئة وكفى بالله شهيدا على رسالتك وقيل هذا متصل بالاول
اي لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك وحمل المعتزلة الحسنة
والسيئة في الاية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين فقد نادى عليه ما
اصابك اذ يقال في الافعال ما اصبت ولانهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا والجاد
ولا يكون لهم حجة في الاية وشهيدا تمييز من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر

ولا ينبغي لهما عما امر الله به ونهى عنه فكانت طاعته في اوامره ونواهيه طاعة لله
وشرع يعني الطاعة فاعرض عنهم فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم او تحاسبهم
عليها وتعاقبهم ويقولون ويقول المنافقون اذا امرتهم بشيء طاعة خبر
مبتدا محذوف اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب اي نطيع طاعة فاذا برزوا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم
دبر وسوى في نومهم من البيتوتة لانه فعل الامر وتدبيره بالليل او من ابيات الشعر
لان الشاعر يدبرها ويسويها وبالادغام حمزة وابو عمرو وعلى غير الذي تقول خلاف ما قلت
وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنته من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان
لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والله يكتب ما يبيتون يثبته
في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليها فاعرض عنهم ولا تخبر نفسك بالانتقام
منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيكهم منهم وينتقم لك منهم اذا قوي
امر الاسلام وكفى بالله وكيلا كافيا لمن توكل عليه افلا يتدبرون القرءان افلا
يتاملون في معانيه ومبانيه والتدبر التامل والنظر في ادبار الامور وما يؤول اليه
في عاقبته ثم استعمل في كل تامل والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل وهذا
يدل على ان من زعم ان الواجب على المكلف ان لا يبحث في معاني القرءان لا بتفسير الرسول او الامام
المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد ولو كان من عند غير الله كما زعم
الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل
والتحريم او تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه
يمكن معارضته او من حيث المعاني فكان بعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه
وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني
وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم واما تعلق الملحدة بايات يدعون فيها اختلافا
من نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ
لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فقد تفصى عنها اهل الحق وستجدها مشروحة وكما
بيناه في مظانها ان شاء الله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف هم ناس من ضعفة
المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال او المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة وخوف وخلل اذاعوا به وكانت
اذاعتهم مفسدة يقال اذاع السر واذاع به والضمير يعود الى الامر او الى
الامن او الخوف لان او يقتضي احدهما ولو ردوه اي ذلك الخبر الى الرسول اي رسول
الله والى اولي الامر منهم يعني كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يامرون
منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره

بفطنهم

وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها او قبل كانوا يقفون من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن وثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف
واستشعار فيخبرونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى
الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطونه
تدبيره كيف يدبرونه والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر واستنباطه استخراجه
واستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ولولا
فضل الله عليكم بارسال الرسول ورحمته بانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان لبقيتم
على الكفر الا قليلا لم يتبعوه ولكن امنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس
ابن ساعدة وغيرهما المذكورين في الاية فقاتل قبلها تثبطهم على القتال واظهارهم الكسل
عنه واضمارهم خلافه فقاتل في سبيل الله ان ابوا وتركوك وحدك
لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك
لا الجنود وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج
وما معه الا سبعون ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وحرض المؤمنين وما عليك في
شانهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا
اي بطشهم وشرهم وهم قريش وقد كف باسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة
مطمعة غير ان اطماع الكريم اعود من انجاز اللئيم والله اشد باسا من قريش واشد
تنكيلا تعذيبا وهو تعيير للباسل من يشفع شفاعة حسنة هي الشفاعة في دفع
شر او جلب نفع مع جوازها شرعا يكن له نصيب منها من ثواب الشفاعة
ومن يشفع شفاعة سيئة هي خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضي الله
عنهما ما المراد معنى غيره معناه من امر بالتوحيد وقاتل اهل الكفر وضده وقال
الحسن هي المشي في الصلح وضده النميمة يكن له كفل منها نصيب وكان الله على
كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اقتدر عليه او حفيظا من القوت
لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم اي سلم عليكم لان التحية في الدنيا بالسلام
في الدارين فسلموا على انفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت
العرب تقول عند اللقاء حياك الله اي اطال حياتك ثم ابدل ذلك بعد الاسلام
بالسلام والتحية هي تفعلة من حيا يحيي تحية فحيوا باحسن منها اي قولوا

وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان زيد كلمة اذا قال ورحمة الله
وبركاته فيقال انه منتهى ومنتهى السلام وبركاته او ردوها اي اجيبوها بمثلها اورد
السلام جوابه بمثله لان المجيب رد قول المسلم وفيه حذف مضاف اي ردوا مثلها
والتسليم سنة والرد فرض والاحسن افضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم
ولا يردون عليه الا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا رد السلام في
الخطبة وقراءة القرآن جهرا او رواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة
وعن ابي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج او النرد والمغني والقاعد لحاجته
ومطير الحمام والعاري من غير عورة في حمام وغيره ويسلم الرجل على امرأته والماشي
على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير
والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل بالحسنى منها لاهل الملة او ردوها
لاهل الذمة وعن النبي عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي
وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام لا غرار في تسليم
اي لا يقال عليك بل عليكم لان الكاتبين معه ان الله كان على كل شيء حسيبا اي محاسبكم
على كل شيء من التحية وغيرها الله مبتدأ لا اله الا هو خبره او اعتراض والخبر
ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه والقيامة
والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب يوم يقوم
الناس لرب العالمين لا ريب فيه وهو حال من يوم القيامة والهاء تعود الى اليوم
او صفة لمصدر محذوف اي جمعا لا ريب فيه والهاء تعود الى الجمع ومن اصدق من
الله حديثا تمييز وهو استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه في اخباره ووعده
ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشيء بخلاف ما هو
عليه فما لكم مبتدأ وخبر في المنافقين فئتين اي ما لكم اختلفتم في شأن قوم
نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم
وذلك ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم
هم مسلمون وفئتين حال كقولك ما لك قائما قال سيبويه اذا قلت ما لك قائما
معناه لم قمت ونصبه على تأويل اي شيء يستقر لك في هذه الحالة والله اركسهم
ردهم الى حكم الكفار بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين وهم ايضا

ولا

137

ولا تختلفوا في كفرهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله
الله ضالا او تريدون ان تسموهم مهتدين وقد اظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن
سماهم مهتدين من اهل السنة وهذه الآية تدل على مذهبنا في اثبات الكسب للعبد والخلق
والخلق للرب جل قدرته ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهدى والحجة
ودوا لو تكفرون كما كفروا الكاف في محل نصب نعت مصدر محذوف وما مصدرية اي ودوا لو تكفرون
كفرا مثل كفرهم فتكونون عطف على تكفرون سواء اي مستوين انتم وهم في الكفر
فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا لان الهجرة
في سبيل الله بالاسلام فان تولوا عن الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
كما كان حكم سائر المشركين ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا وان بذلوا لكم الولاية
والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون الى قوم اي ينتهون اليهم ويتصلون
بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة بينكم وبينهم ميثاق
القوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد
وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه
ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال
اي فاقتلوهم الا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم عطف على صفة
قوم اي الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم
او على صلة الذين اي الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم حصرت صدورهم
حال باضمار قد والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم اي
عن قتالكم او يقاتلوا قومهم معكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم
وازالة الحصر عنها فلقاتلوكم عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد فان اعتزلو
كم فلم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالقتال ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم
بالنفاق ويأمنوا قومهم بالوفاق هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة
اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهو
دهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها
وقعوا فيها اشد وقوع ذي الحال اقبح قلب وانتكسوا وكانوا اشد فيها من كل
عدو فان لم يعتزلوكم فان لم يعتزلوا قتالكم ويلقوا اليكم السلم عطف على لم يعتزلوكم
اي ولم ينقادوا لكم بطلب الصلح ويكفوا ايديهم عطف عليه ايضا اي ولم يمسكوا

ع فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم
وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف
حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم
في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا لاق بحاله أن يقتل مؤمنا بغير
غير قصاص أي ليس المؤمن كالكافر الذي تقدم في إباحة دمه إلا خطأ على وجه
الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أي لكن إن قتله خطأ ويحتمل أن يكون صفة
لمصدر أي إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن
ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرى كافرا فيصيب مسلما أو يرى
شخصا على أنه كافر وإذا هو مسلم ومن قتل مؤمنا خطأ صفة مصدر محذوف
أي قتلا خطأ فتحرير رقبة مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق
والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق
الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا
من الرقيق مؤمنة قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا
مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالأ
موات إذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما أو من كان ميتا فأحييناه ولهذا
منع من تصرف الأحرار وهذا مشكل إذ لو كان كذلك لوجب في العمد أيضا لكن
يحتمل أن يقال إنما وجب عليه ذلك لأن الله تعالى أبقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يو
جب القصاص فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله مؤداة إلى
ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء ف
يقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال فقد ورث رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم لكن الدية على العاقلة
والكفارة على القاتل إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية أي يعفوا عنه والتعبير
به عليه دية في كل حال إلا في حال التصدق عليه بها فإن كان من قوم عدو لكم فإن كان
المقتول خطأ من قوم أعداء لكم أي كفرة محاربين وهو مؤمن أي المقتول
مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة يعني إذا أسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر إلينا فقتله
مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله لعصمة المؤثمة وهو الإسلام ولا تجب الدية
لأن العصمة المقومة بالدار ولم توجد وإن كان أي المقتول من قوم بينكم وبين المسلمين
وبينهم ميثاق عهد فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة وإن كان المقتول

ذميا

ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على أن دية الذمي كدية المسلم وهو قول الثوري فمن لم يجد
رقبة فلم يملكها ولا ما يتوصل به إليها فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين
توبة من الله أي قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه إذا قبل توبته
يعني شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهو نصب على المصدر وكان الله عليما
بحاله حكيما بما أمر ومن يقتل مؤمنا متعمدا حال من ضمير القاتل أي قاصدا قتله
لإيمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
أي جزاؤه قال عليه السلام وهو جزاؤه إن جازاه والخلود فيها يراد به طول المقام
وطول المكث لقيام دليل الخروج من أهل الإيمان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
القصاص في القتلى وغضب الله عليه ولعنه أي انتقم منه وطرده من رحمته وأعد
له عذابا عظيما لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما في الحديث لزوال الدنيا أهون
على الله من قتل امرئ مسلم يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله سافرتم في طريق
الغزو فتبينوا فتثبتوا وعلى قراءة من قرأ التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا
بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام السلم مع قراءة
من قرأ وهما الاستسلام وقيل الإسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل
الإسلام لست مؤمنا في موضع النصب بالقول روي أن مرداس بن نهيك أسلم
ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا
وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل
وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله
السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ الآية
على أسامة تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع
النفاد وهو الذي يبعثكم على الترك في التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض
المال سمي به لسرعة فنائه ويبغون حال من ضمير الفاعل في تقولوا فعند الله
مغانم كثيرة تغنمونها تغنيكم عن قتل مثله لماله ويتعوذ به من
التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل أول ما دخلتم في الإسلام تحقنت
من أعراضكم كلمة الشهادة فحقنت دماؤكم وأموالكم من غير أن تنتظروا الاطلاع
على مواطأة قلوبكم لألسنتكم والكلام في كذلك كانوا يعرفون عليها
وعلى أنها أجر الله عليكم بالاستقامة وإلا للاشتهار بالإيمان فاعلموا

قالوا خلفي في الاسلام كما فعل بكم فتبينوا كي لا تهمل التبيين ليؤكد عليكم ان الله كان بما
تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي
القاعدون عن الجهاد من المومنين غير اولي الضرر بالرفع صفة او بدل وبالنصب على الا
استثناء من القاعدين او حال منهم وبالجر صفة للمومنين او بدل منه والضرر عذر هو
صحة للقاعدين والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها والمجا
هدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم عطف على القاعدون ونفي التساوي
بين المجاهدين والقاعدين بغير عذر وان كان معلوما توبيخ للقاعدين عن الجهاد وتحريك له
عليه ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهو تحريك لطلب العلم
وتوبيخ على الرضا بالجهل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
الجملة بيان للجملة الاولى موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل
ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك ودرجة نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من
التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة كقولك ضربه سوطا او نصب وكلا اي وكل فريق
من القاعدين والمجاهدين لانه معمول لما في قوله وعد الله الحسنى اي المثو
بة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وفضل الله
المجاهدين على القاعدين بغير عذر اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة انتصب
اجرا بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا وانتصاب درجات
نصب درجة كانه قيل فضلهم تفضيلا كقولك ضربه اسواطا بمعنى ضربات واجرا عظيما
على انه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها ومغفرة ورحمة باضمار فعلهما
اي وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله تعالى فضل المجاهدين على القا
عدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر باذن النبي اكتفاء بغيرهم درجات
لان الجهاد فرض كفاية وكان الله غفورا رحيما بتكفير العذر وجميل بتوفير الاجر
ونزل فيمن اسلم ولم يهاجر حيث كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين
الى بدر مرتدا فقتل كافرا ان الذين توفيهم الملائكة يجوز ان يكون ماضيا كقراءة
من قرا توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع
التائين والتوفي قبض الروح والملائكة ملك الموت واعوانه ظالمي انفسهم
حال من ضمير المفعول في توفاهم اي في حال ظلمهم بالكفر وترك الهجرة قالوا
قال الملائكة للمتوفين توبيخا فيم كنتم في اي شيء كنتم في امر دينكم ومعناه التو
بيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين قالوا كنا مستضعفين عاجزين عن الهجرة
في الارض ارض مكة فاعتذروا اعتذارا كاذبا قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم الم تكن

ارض

139

ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة
الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونصبه فتهاجروا على جواب الاستفهام فاولئك ماويهم
جهنم وساءت مصيرا خبر ان فاولئك ودخول الفاء في الخبر لما في الذين من الابهام
المشابه للشرط او قالوا فيم كنتم والعائد محذوف اي قالوا لهم والاية
تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه في بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته
في غيره حقت عليه المهاجرة وفي الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان
شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما
السلام الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء من اهل الوعيد
المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج منها لفقرهم وعجزهم
ولا يهتدون سبيلا ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين
او الرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان
كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وعسى وان كان للاطماع فهو من الله تعالى واجب
لان الكريم اذا اطمع انجز وكان الله عفوا غفورا لعباده قبل ان يخلقهم ومن يها
جر في سبيل الله يجد في الارض مراغما مهاجرا او طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم
على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك كثيرا وسعة
في الرزق او في اظهار الدين او في الصدر لتبدل الخوف بالامن ومن يخرج من بيته مهاجرا
حال من الضمير في يخرج الى الله ورسوله الى حيث امر الله ورسوله ثم يدركه الموت
قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج فقد وقع اجره على الله اي حصل له الاجر
بوعد الله وهو تاكيد للوعد فلا شيء يجب على الله لاحد من خلقه وكان الله غفورا
رحيما قالوا كل هجرة لطلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة
وزهدا وابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه
فقد وقع اجره على الله واذا ضربتم في الارض سافرتم فيها فالضرب في الارض هو
السفر فليس عليكم جناح حرج ان تقصروا في ان تقصروا من الصلوة من اعداد ركعات
الصلوة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الاية يقتضي ان القصر رخصة في السفر

وقيل الإكمال عزيمة قال الشافعي رحمه الله لأن الجناح يستعمل في موضع التخيير
والرخصة لا في موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الإكمال
لما قال عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وأما
الآية فكأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر
فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه إن خفتم أن يفتنكم الذين
كفروا إن خشيتم أن يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو أخذ والخوف شرط جواز
القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روي عن يعلى بن
أمية أنه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما عجبت منه فسألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صد
قته وفيه دليل على أنه لا يجوز الإكمال في السفر لأن التصدق بما لا يحتمل التمليك
إسقاط محض لا يحتمل الرد وإن كان المتصدق ممن لا يلزم طاعته كولي القصاص
إذا عفا فمن يلزم طاعته أولى ولأن حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق
الحال وهو كقوله إن أردن تحصنا ودليله قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم
أي لئلا يفتنكم على أن المراد بالآية قصر الأحوال وهو أن يومئ على الدابة عند الخوف
أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا فتحرزوا عنهم وإذا كنت فيهم فيمن تخاطب
به فأقمت لهم الصلاة فأردت أن تقيم بهم الصلاة بظاهره تعلق أبو يوسف رحمه
الله فلم يجوز صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالت العامة نواب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل إمام كقوله خذ من أموالهم صدقة
دليله فعل الصحابة رضي الله عنهم بعده عليه السلام فلتقم طائفة منهم معك
فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو
وليأخذوا أسلحتهم أي الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن كان
المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف
والخنجر ونحوهما فإذا سجدوا أي المصلون وإن أتموا بسجدتين والسجود على ظاهره
عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة فليكونوا من ورائكم أي إذا صلت هذه الطا
ئفة التي معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بإزاء العدو ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
في موضع رفع صفة لطائفة فليصلوا معك ولتحضر الطائفة الواقفة بإزاء

العدو

العدو فليصلوا معك الركعة الثانية وليأخذوا حذرهم ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه
وأسلحتهم جمع سلاح وهو ما يقاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله
وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم
وأمتعتكم أي تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون
عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا
في أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم رخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها
بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا
فيهجم عليهم العدو إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا أخبر أنه يهين عدوهم لتقوى
قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وإنما هو تعبد من الله تعالى
فإذا قضيتم الصلاة أي فرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم أي دوموا
على ذكر الله في جميع الأحوال أو فإذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما إن قدرتم عليه
وقعودا إن عجزتم عن القيام ومضطجعين إن عجزتم عن القعود فإذا اطمأننتم سكنتم
من الخوف فأقيموا الصلاة فأتموها بطائفة أو إذا أقمتم فأتموا ولا تقصروا أو إذا
اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام والقعود والركوع والسجود إن الصلاة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا مكتوبا محدودا بأوقات معلومة ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا
في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله
إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون أي ليس ما تجدون
من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم
ثم إنهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أجدر منهم بالصبر لأنكم ترجون
من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة
وكان الله عليما بما يجد المؤمنون من الألم حكيما في تدبير أمورهم روي أن طعمة بن أبيرق
أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة
فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل
اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو
ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم فقالوا
إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يفعل فنزل إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله بما عرفك

الله واوحش البعد وقال الشيخ ابو منصور بما اراك الله بالنظر في الاصول المنزلة
وفيه دلالة جواز الاجتهاد لاجل انه اضاف في حقه ولا تكن للخائنين لاجل الخائنين خصيما
مخاصما اي ولا تخاصم اليهود لاجل طعمة واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا
رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة
خيانة منهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة وكل من خان خيانته ان الله لا يحب من كان
خوانا اثيما وانما قال بلفظ المبالغة لانه تعالى علم من طعمة انه مفرط في الخيانة وركوب
المآثم وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه
امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال
كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم
وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو بهم مطلع
عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الاية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة
الحياء والخشية من ربهم مع علمهم انهم في حضرته لا سترة ولا غيبة اذ يبيتون يدبرون
واصله ان يكون ليلا ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق
دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على ان الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير
قولا وكان الله بما يعملون محيطا عالما علم احاطة ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء
وهما مبتدأ وخبر جادلتم خاصمتم وهي جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كقولك لبعض
الاسخياء انت حاتم تجود بمالك او اولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى
هبوا انكم خاصمتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن يخاصم
عنهم في الاخرة اذا اخذهم بعذابه وقرئ عنه اي عن طعمة ام من يكون عليهم وكيلا
حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه ومن يعمل سوءا ذنبا دون الشرك او يظلم نفسه
بالشرك او سوءا قبيحا يتعدى ضرره الى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودي
او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ومن يكسب اثما فانما
يكسبه على نفسه لان وباله عليها وكان الله عليما حكيما فلا يعاقب بالذنب غير
فاعله ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة او الاول ذنبا بينه وبين ربه
والثاني ذنبا من مظالم العباد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا
كذبا عظيما واثما مبينا ذنبا ظاهرا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت
فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب يبهت من قيل عليه ما لا علم له به ولولا فضل الله

عليك

عليك ورحمته اي عصمته ولطفه من الاطلاع على مستور امرهم لهمت طائفة منهم من بني
ظفر او المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير في منهم يعود الى الناس ان يضلوك عن القضاء بالحق
وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني صاحبهم وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم
وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف
ذلك وانزل الله عليك الكتاب القرآن والحكمة والسنة وعلمك ما لم تكن تعلم من امور الدين
والشرائع ومن خفيات الامور وضمائر القلوب وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك وانعم
عليك لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر بصدقة
فهو مجرور بدل من كثير او من نجواهم او منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة
ففي نجواه الخير او معروف اي قرض او اغاثة ملهوف او جميل والمراد بالصدقة الزكاة
وبالمعروف التطوع او اصلاح بين الناس اي اصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك المذكور
ابتغاء مرضات الله طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء او ترؤسا وهو مفعول
له وورد الاشكال انه قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير
ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الامر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال
ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم او المراد ومن يأمر بذلك
فعبر عن الامر بالفعل فسوف نؤتيه اجرا عظيما يؤتيه ابو عمرو وحمزة ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور
الرشد ويتبع غير سبيل المؤمنين اي السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي وهو
دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفته كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة
لان الله تعالى جمع بين اتباع سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل
جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخليه وما اختاره في الدنيا ونصله جهنم في العقبى
وساءت مصيرا نزلت في طعمة وارتداده ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مر تفسيره في هذه السورة ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا عن الصواب ان يدعون من دونه الا اناثا ما يعبدون من
دون الله الا اناثا جمع انثى وهي اللات والعزى ومناة ولم يكن حي من احياء العرب
الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم
هن بنات الله وان يدعون ما يعبدون الا شيطانا لانه هو الذي اغواهم على عبادة
الاصنام فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا خارجا عن الطاعة
عاريا عن الخير ومنه الامرد لعنه الله وقال لاتخذن صفتان يعني شيطانا اخا

مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع من عبادك نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا
له من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله ولاضلنهم بالدعاء الى الضلالة
والتزيين والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل ولامنينهم ولالقين
في قلوبهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام
البتك القطع والتبتيك التكثير والتكرير فيه اي لاحملنهم على ان يقطعوا اذان الانعام
وكانوا يشقون اذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا حرموا
على انفسهم الانتفاع بها ولامرنهم فليغيرن خلق الله بفقء عين الحامي واعفائه
عن الركوب او بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني ادم او بالوشم او بنفي الاولاد
نسبا واستلحاقها او بتغيير الشيب بالسواد او بالتحريم والتحليل او بالتخنث او بتبديل
فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله واجاب الى ما دعاه اليه فقد خسر خسرانا مبينا في الدارين يعدهم بوسوستهم
ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا
هو ان يري شيئا يظهر خلافه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا
والذين امنوا وعملوا الصالحات ولم يتبعوا الشيطان في الامر بالكفر سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وفي التفخيم بسندخلهم وعد الله حقا مصدران الاول
موكد لنفسه والثاني موكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا قولا وهو استفهام
بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه وهو تاكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد
الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ليس بامانيكم ليس الامر
على شهواتكم واماناتكم ايها المشركون ان ينفعكم الاصنام ولا اماني اهل الكتاب
ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار
الا اياما معدودة من يعمل سوءا يجز به اي من المشركين واهل الكتاب بدليل قوله ولا يجد
له من دون الله وليا ولا نصيرا وهو وعيد الكفار لانه قال بعده ومن يعمل من الصالحات
من ذكر او انثى وهو مؤمن وقوله وهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعيض والثانية لبيان
الابهام في من يعمل وفيه اشارة الى ان الاعمال ليست من الايمان فاولئك يدخلون الجنة
يدخلون مكي وابو عمرو وابو بكر ولا يظلمون نقيرا قدر النقير وهو النقرة في ظهر النواة
والراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز ان يكون ذكره
عند احد الفريقين دليلا على ذكره عند الاخر وقوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن
يعمل من الصالحات يجوز ان يعني اهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة واحاطت
به خطيئته وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات عقيبه قوله وقالوا لن تمسنا

النار

النار الا اياما معدودة ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها
سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن عامل الحسنات واتبع ملة ابراهيم
حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة وهو حال من المتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا
هو من الخلة المخالة وهو الذي يخالل الاخر او يوافقه في خلاله او خلطه خلالا العمار الذي ويسو
خلالا كما تشوب خلالة الخلة صفة موجبة قرب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة اصفى
الاخلاء من حبة القلب وهي علمه اعني اصفية الاخلاء امر اعتراض كقوله والحوادث جمة
وفايدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لانه من بلغ الزلفى عند الله ان يتخذه خليلا كان
جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على ما قبلها لم يكن لها معنى وفي
الحديث اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل
والناس نيام وقيل اوحى الله اليه انما اتخذتك خليلا لانك تحب ان تعطي ولا تعطى وفي
رواية لانك تعطي الناس ولا تسالهم ولله ما في السموات وما في الارض دليل
على ان اتخاذه خليلا لا لاحتياج الخليل اليه بل لاختصاصه تعالى له بمزية عنده وكان الله
بكل شيء محيطا علما وقدرة ويستفتونك في النساء وسبب الوقف الاقتداء في النساء والولدان
تبيين الحكم قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اي الله
يفتيكم والمتلو في الكتاب اي القران او في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه وما يتلى في محل الرفع بالعطف على الضمير
في يفتيكم وعلى لفظ الله وفي يتامى النساء صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز
ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن والاضافة بمعنى من اللاتي لا تؤتونهن ما
كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها
فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها من التزوج حتى تموت فيرثها
وترغبون ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لجمالهن او عن ان تنكحوهن لدمامتهن والمستضعفين
من الولدان اي اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يو
رثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء وان تقوموا لليتامى مجرور كالمستضعفين
المستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا او منصوب
بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم
فيهم بالقسط بالعدل في ميراثهم واموالهم وما تفعلوا من خير شرط وجوابه فان الله كان
به عليما اي فيجازيكم عليه وان امراة خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك لما لاح
لها من مخايله واماراته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها
بسب او ضرب او اعراضا عنها بان يقل مجالستها ومحادثتها بسبب كبر سن او دمامة

او شيء في خلقها او خلقها او مال او طموح عينه الى اخرى او غير ذلك الا ان يخلو عليها او
بحطها شيئا [illegible] او يتحلل [illegible] بعض المهر [illegible] وهو اصله [illegible] الفساد
حط او اذ عمته [illegible] في حصول كل واحد من العطية [illegible] ومعنى الصلح [illegible]
علما بتطيبه له نفسها على القسمة او عن بعضها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور
كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح
اي جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنها يعني انها مطبوعة عليه
والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها او الرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها [illegible]
عنها او كل واحد منهما يطلب ما فيه راحته واحضرت [illegible] من المفعولين والاول الانفس
ثم حث على خلاف الطبع ومتابعة الشرع بقوله وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم
وان كرهتموهن [illegible] على الكره [illegible] وتتقوا النشوز والا
عراض ونقص الحق والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى
خبيرا فيجازيكم عليه وكان عمران الخارجي من اقبح بني آدم وامرأته من اجملهم فنظرت اليه
فقالت الحمد لله على انا واياه من اهل الجنة [illegible] شكر [illegible] وانا صبرت [illegible]
ان تعدلوا بين النساء ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة
فتمام العدل ان يسوي بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة
والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة
لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه ولو حرصتم بالغتم في تحري ذلك فلا تميلوا
كل الميل ولا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها
يعني ان اجتنبتم كل الميل [illegible] فلا تأثموا [illegible] وان وقع منكم التفريط في شيء من العدل
كله [illegible] فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة [illegible] الجور [illegible]
[illegible] فتذروها [illegible] وان تصلحوا ما كنتم تفسدون [illegible] وتتقوا فيما يستقبل
الزمان [illegible] فان الله كان غفورا رحيما [illegible]
[illegible] وان يتفرقا [illegible] يغن الله كلا [illegible] من سعته
[illegible] وكان الله واسعا حكيما [illegible]
والله ما في السموات وما في الارض [illegible]
[illegible] ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب [illegible] من قبلكم [illegible]

نفر

بوحيا

نفر ومؤمنهم [illegible] وإياكم عطف على الذين اوتوا [illegible] ان اتقوا الله بان اتقوا
او يكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول والمعنى ان الامر [illegible] ما زال
يوصي الله عباده [illegible] لانهم بالتقوى يسعدون عنده وان تكفروا
عطف على اتقوا الا ان المعنى [illegible] وقلنا لهم ولكم ان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض [illegible]
وكان الله غنيا [illegible] حميدا [illegible] مستحقا لان يحمد [illegible] لكثرة نعمه وان لم
يحمده احد [illegible] وقوله ولله ما في السموات وما في الارض [illegible]
الكلام [illegible]
غني [illegible] دليل على [illegible] وقوله وكفى بالله وكيلا [illegible]
التقوى [illegible] دليل على ان المراد [illegible] والله ما في السموات وما في الارض
[illegible]
بقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس [illegible]
مكانكم [illegible] وكان الله على ذلك قديرا [illegible] من كان
[illegible]
[illegible] الاقوال
بصيرا بالاعمال [illegible]
[illegible] تقيمون شهاداتكم
لوجه الله ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم والشهادة على النفس
هي الاقرار [illegible] الاخبار [illegible]
للتعميم [illegible] او الوالدين والاقربين [illegible] على الغني والفقير [illegible] الاقربين للغني
اي ولو كانت الشهادة على ابائكم وامهاتكم واقاربكم ان يكن المشهود عليه
غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا [illegible] الشهادة عليه [illegible] لطلب الرضا [illegible]
عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير [illegible] بالنظر لهما [illegible]
بهما [illegible]
ان يكن غنيا او فقيرا [illegible] الغني والفقير [illegible] جنس الغني
والفقير [illegible] فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا [illegible]
بين الناس [illegible]
ان تعدلوا [illegible] اقامة الشهادة [illegible] وان تلووا
[illegible] عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا

عن الشهادة بان تحرفوها او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين
امنوا خطاب للمسلمين امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه او لاهل الكتاب لانهم
امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض او للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا نفاقا
امنوا اخلاصا بالله ورسوله اي محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل على رسوله
اي القرآن والكتاب الذي انزل من قبل اي جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب
ويدل عليه قوله وكتبه نزل وانزل مكي وشامي وابو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما
غيرهم وانما قيل نزل على رسوله وانزل من قبل لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين
سنة بخلاف الكتب قبله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
اي من يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لان الكفر ببعضه كفر بكله ان الذين
امنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم امنوا بموسى بعد عوده ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
الى النجاة او الى الجنة او هم المنافقون امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد
اخرى وازدادوا بالاصرار على الكفر ومنهم تماديهم عليه الى الموت يؤيده قوله بشر المنافقين اي
اخبرهم ووضع بشر مكان اخبر تهكما بهم بان لهم عذابا اليما مؤلما الذين نصب على الذم
او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين ايبتغون
ايبتغون عندهم العزة فان المنافقين كانوا يوالون الكفرة يطلبون منهم
المنعة والنصرة ويقولون لا يتم امر محمد عليه السلام فان العزة لله جميعا ولمن
اعزه كالنبي والمومنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقد نزل عليكم
بفتح النون عاصم وبضمها غيره في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ
بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره حتى يشرعوا في كلام
غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع وان مخففة من الثقيلة اي
انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها
وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل و
المنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين
يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين
كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين
عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون
نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين
بمكة انكم اذا مثلهم اي في الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل

من كان

عودي

من كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكثكم معهم معصية ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا لاجتماعهم على الكفر والاستهزاء الذين بدل من الذين
يتخذون او صفة للمنافقين او نصب على الذم ومنهم الذين يتربصون بكم ينتظرون بكم ما
يتجدد لكم من ظفر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله نصر وغنيمة قالوا الم
نكن معكم مظاهرين فاشركونا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب سمي ظفر المسلمين
فتحا تعظيما لشانهم لانه امر عظيم يفتح له ابواب السماء وظفر الكافرين
نصيبا تخسيسا لحظهم لانه لمظة اي لمعة من الدنيا يصيبونها قالوا للكافرين الم
نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء
والغلبة ونمنعكم من المومنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به
من ضرائهم في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبنا مما اصبتم فالله
يحكم بينكم ايها المومنون والمنافقون يوم القيامة فيدخل المنافقين النار والمومنين
الجنة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا اي في القيامة بدليل والثانية كذا عن
علي رضي الله عنه او حجة كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين يخادعون الله
اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر والمنافق من اظهر
الايمان وابطن الكفر اولياء الله وهم المومنون فاضاف خداعهم الى نفسه تشريفا
لهم وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء
والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في العقبى والخادع اسم فاعل
من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطيهم جزاء خداعهم واذا قاموا
الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كما ترى من يفعل الشيء عن كره لا عن رغبة والكسالى جمع
كسلان كسكارى في سكران يراءون الناس يراءونهم حال اي يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة و
المراءاة مفاعلة من الرؤية لان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا
ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس ولا يذكرون الله بالتسبيح
والتهليل الا قليلا نادرا وقال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا مذبذبين
نصب على الذم اي مترددين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر
فهم مترددون بينهما متحيرين وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يدفع
فلا يقر في جانب واحد الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب بين ذلك بين الكفر والايمان
لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مومنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء
فيسموا مشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهدى يا ايها الذين امنوا

مون

ذ مذبذبين

لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا
حجة بينة في تعذيبكم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار أي في الطبق الذي في قعر
جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
وإنما كان المنافق أشد عذابا من الكافر لأنه أمن السيف في الدنيا فاستحق الدرك
الأسفل في العقبى تعديلا ولأنه مثله في الكفر وضم إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام
وأهله والدرك بسكون الراء كوفي غير الأعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر
ابن جاج أن الاختيار فتح الراء ولن تجد لهم نصيرا يمنعهم من العذاب إلا الذين تابوا من
النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور في ولن تجد لهم وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم
وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون المخلصون
وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين فهم أصحاب المؤ
منين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيشاركونهم فيه
وحذفت الياء في الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا أنه لا يعذب المؤمن الشاكر
فقال ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم به أما منفعته [illegible] يفعل
بعذابكم والإيمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة فعاد
جلوا السعة للكافر العذاب وقدم الشكر على الإيمان لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من
النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر
إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكان الله
شاكرا يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب عليما
عالما بما تصنعون لا يحب الله الجهر بالسوء من القول والمعنى الجهر وإنما الجهر حسن
إلا من ظلم إلا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على
الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم إلا من ظلم فإنه
إن رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه وكان الله سميعا لشكوى المظلوم
عليما بظلم الظالم ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الا
نتصار بعدما أطلق الجهر به حثا على الأفضل فذكر إبداء الخير وإخفاءه تسبيبا للعفو
فقال إن تبدوا خيرا مكان جهر السوء أو تخفوه فتعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما
فقال أو تعفوا عن سوء أي تمحوه عن قلوبكم والدليل على أن العفو هو المقصود بذكر
إبداء الخير وإخفائه قوله فإن الله كان عفوا قديرا أي يعفو عن الجانين مع
قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض أي نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد والإ

بغيل

149

وإنجيل والفرقان وكالنصارى كفروا بمحمد والقرآن ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا
أي دينا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة بينهما أولئك هم الكافرون هم الكاملون
في الكفر لأن الكفر بواحد كفر بالكل حقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أي
حق ذلك حقا أي تحقيقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا في الآخرة والذين
آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم وإنما جاز دخول بين على أحد لأنه عام
في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما أولئك سوف نؤتيهم بالياء حفص
أجورهم أي الثواب الموعود لهم وكان الله غفورا يستر السيئات رحيما يقبل الحسنات
والآية تدل على بطلان قول المعتزلة في تخليد المرتكب الكبيرة لأنه أخبر أن من آمن بالله ورسله
ولم يفرقوا بين أحد منهم يؤتيهم أجورهم ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفر
قوا بين أحد منهم فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قولهم من الغفران يقع صغائر
العفو عن الصغيرة واجبة لأنه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان
الله غفورا رحيما ونزل في فنحاص وأصحابه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا
صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى نزل يسألك أهل الكتاب أن تنزل
عليهم وبالتخفيف مكي وأبو عمرو كتابا من السماء أي جملة كما نزلت التوراة جملة
وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه مسترشدين لأعطاهم
لأن إنزال القرآن جملة ممكن فقد سألوا موسى أكبر من ذلك هذا جواب شرط مقدر
معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند السؤال
إليهم وإن كان وجد من آبائهم في أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون
لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم فقالوا أرنا الله جهرة عيانا أي أرنا
نره جهرة فأخذتهم الصاعقة العذاب الهائل أو النار المحرقة فهلكوا بظلمهم على أنفسهم
بسؤال شيء في غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم في الآيات وتعنتهم في سؤال الرؤية
لا في سؤال الرؤية لأنها ممكنة [illegible] ولو كان لأجل سؤال الرؤية
لكان موسى بذلك أحق حيث قال رب أرني أنظر إليك وما أخذته الصاعقة بل [illegible]
وذلك بالتحكم والتعلق بالمحال إلا ما هو ممكن الثبوت ثم اتخذوا العجل
إلها من بعد ما جاءتهم البينات التوراة والمعجزات التسع فعفونا عن ذلك تفضلا
ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا حجة ظاهرة على من خالفه ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور
مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا أي ادخلوا باب إيلياء مطأطئين عند الدخول
رؤوسكم وقلنا لهم لا تعدوا لا تجاوزوا الحد تعدوا ورش تعدوا بإسكان العين

وتشديد الدال وهو من غير ورش وهما من تعتدوا فادغم التاء
في الدال ويخفى العين باختلاس في رواية نقل حركة التاء الى العين في السبت باخذ السمك
واخذنا منهم ميثاقا غليظا عهدا موكدا فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتاكيد
والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم
وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى التوكيد تحقيق
ان تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير
ذلك وكفرهم بايات الله بمعجزات موسى عليه السلام وقتلهم الانبياء كزكرياء ويحيى
وغيرهما بغير حق بغير سبب يستحقون القتل به وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي
محجوبة لا يصل اليها شيء من الذكر بل طبع الله عليها بكفرهم فجمدت وانكرت لقولهم
قلوبنا غلف فلا يؤمنون الا قليلا كعبد الله بن سلام واصحابه وبكفرهم معطوف على فبما
نقضهم او على ما يليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى
ثم بمحمد عليه السلام عطف بعضه على بعض وقولهم على مريم بهتانا عظيما
هو التسبة الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح سمى مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه بل
لبركة فهو ممسوح او لانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرى فسمي مسيحا
بمعنى الماسح عيسى ابن مريم رسول الله هم لم يعتقدوا رسول الله لكنهم قالوا
استهزاء كقول الكفار يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل
الله وصفه به وان لم يقولوا ذلك وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا
من اجلاف اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك
خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت
اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود
فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل
منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا
قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا
عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم
لا يومنون وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقوله خيل اليه كانه قيل و
لكن وقع التشبيه او مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه قيل ولكن
شبه لهم من قتلوه وان الذين اختلفوا فيه في عيسى يعني اليهود فقالوا ان الوجه
عيسى والبدن بدن صاحبنا واختلف النصارى في الواله وان الله وثالث ثلاثة
لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع لا ان اتباع الظن

ليس

الجانبين

ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان لا يترجح
احد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو ان يترجح احدهما لان المراد انهم شاكون ما لهم فيه
من علم ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذلك وقيل ان الذين اختلفوا فيه اي في قتله
لفي شك منه اي من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان
هذا صاحبنا فاين عيسى وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين او ما
قتلوه حقا فيجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه حقا انتفاء قتله حقا بل رفعه الله
اليه الى حيث لا حكم فيه لغير الله او الى السماء وكان الله عزيزا في انتقامه من اليهود
حكيما فيما دبره من رفعه اليه وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ليومنن به
جملة قسمية او صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليومنن به
ونحوه وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليومنن
قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه
ايمانه لانقطاع وقت التكليف او الضميران لعيسى يعني وان منهم احد الا ليومنن
بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمن نزوله روي انه ينزل من
السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يومن به حتى تكون الملة واحدة
وهي ملة الاسلام والضمير في به يرجع الى الله او الى محمد عليه السلام والثاني الى
الكتابي ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهي ما ذكر في
سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية والمعنى ما حرمنا عليهم
الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا وبصدهم عن سبيل الله وبمنعهم
عن الايمان كثيرا خلقا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا
محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم دون من تاب وامن عذابا اليما في الاخرة لكن
الراسخون في العلم اي الثابتون فيه المتقنون كعبد الله بن سلام واضرابه منهم من اهل
الكتاب والمومنون اي المومنون منهم او المومنون من المهاجرين والانصار وارتفع
الراسخون على الابتداء يومنون خبره بما انزل اليك وما انزل من قبلك اي بسائر
الكتب والمقيمين الصلوة منصوب على المدح لبيان فضل الصلوة وفي مصحف عبد الله
والمقيمون وهي قراءة مالك بن دينار وغيره والموتون الزكوة مبتدا والمومنون بالله و
اليوم الاخر عطف عليه والخبر اولئك سنوتيهم اجرا عظيما وبالياء حمزة انا اوحينا
اليك جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم

كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده كهود وصالح وشعيب وغيرهم واوحينا الى
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط اي اولاد يعقوب وعيسى وايوب ويو
نس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا زبورا حمزة مصدر بمعنى مفعول اسم في
الكتاب المنزل على داوود عليه السلام ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو
ارسلنا ونبأنا قد قصصناهم عليك من قبل من قبل هذه السورة ورسلا لم نقصصهم عليك
سأل ابو ذر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء فقال مائة الف واربعة
وعشرون الفا فقال فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر اول الرسل آدم وآخرهم
نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام
والآية تدل على ان معرفة الرسل باعيانهم ليست بشرط لصحة الايمان بل من شرطه
ان يؤمن بجميعهم اذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص علينا كل ذلك وكلم الله
موسى تكليما اي بلا واسطة رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح اي
اعني رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول وان يكون مفعولا اي وارسلنا رسلا واللام
في لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم
ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا
من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كا
لعبادات والشرائع اعني في حق مقاديرها واوقاتها وكيفياتها دون اصولها مما
تعرف بالعقل وكان الله عزيزا في العقاب على الانكار حكيما في بعثة الرسل للانذار
ولما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد بما انزل اليك ومعنى
شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات
اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزات انزله بعلمه اي انزله بعلمه وهو عالم بانك
اهل بان انزله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتز
لة في انكار الصفات فانه اثبت لنفسه العلم والملائكة يشهدون لك بالنبوة وكفى
بالله شهيدا شاهدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بتكذيب محمد عليه السلام
وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب
انا لا نجده في كتابنا قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الرشد ان الذين كفروا بالله وظلموا
محمدا بتغيير نعته وانكار نبوته لم يكن الله ليغفر لهم ما داموا على الكفر
ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا
وكان تخليدهم في جهنم سهلا عليه والتعذيب بخلافهم ظاهر وهو حال مقدرة
والآيتان في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر يا ايها الناس

قد

قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم اي بالاسلام او هو حال اي محقا فآمنوا خيرا لكم
وكذا انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذا انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء
نهاهم عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا وأتوا امرا خيرا
لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به والتوحيد وان تكفروا فان لله
ما في السموات والأرض فلا يضره كفرهم وكان الله عليما بمن يؤمن وبمن يكفر حكيما
لا يسوي بينهما في الجزاء يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم لا تجاوزوا الحد فغلت
اليهود في حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنا وغلت النصارى في رفعه
عن مقداره حتى جعلوه ابن الله ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك
والولد انما المسيح عيسى ابن مريم لا ابن الله رسول الله خبر المبتدا وهو المسيح وعيسى
بدل او بيان وكلمته عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بالكلام
القاها الى مريم وقد جعلها اي اوصلها اليها وحصلها فيها وروح معطوف على
الخبر ايضا منه وقيل له روح لانه كان يحيي الموتى كما سمي القرآن روحا بقوله وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا لما انه يحيي القلوب منه اي بتخليقه وتكوينه كقوله
تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه وبه اجاب علي بن الحسين
بن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد في مجلسه حين زعم ان في كتابكم حجة على ان
عيسى من الله فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة خبر مبتدا محذوف اي ولا تقو
لوا الآلهة ثلاثة انتهوا عن التثليث خيرا لكم والذي يدل عليه القرآن التصريح ولد
منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى
الى قوله انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله انما الله مبتدا اله خبره واحد توكيد سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا
من ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني
ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه اذ البنوة والملك
لا يجتمعان على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن ان يكون جسما وكفى بالله
وكيلا حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية امر يحتاج الى ولد يعينه
ولما قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال واي
شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله
فنزل لن يستنكف المسيح اي لن يأنف ان يكون عبدا لله هو رد على النصارى
ولا الملائكة رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح المقربون الكرو
بيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومن في طبقتهم والمعنى

ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدا لله عليه
ايجازا او تمسك المعتزلة والقائلون بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الآية فقالوا
ان الارتقاء انما يكون الى الاعلى يقال فلان لا يستنكف عن خدمتي ولا ابوه ولو قال ولا عبده
لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه
خطرا او يدل عليه تخصيص المقربين والجواب انا نسلم تفضيل الثاني على الاول لكن هذا
لا يمس النزاع فيه لان الآية تدل على ان الملائكة المقربين بالجمع افضل من عيسى ونحن
نسلم بان جميع الملائكة المقربين افضل من رسول واحد من البشر الى هذا ذهب بعض اهل
السنة ولان الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم
عن التولد لا عن ذكر وانثى اذا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن تولد من انثى لا يقدر على ما يقدر
ون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لان شبهة النصارى وسعة العلوم وغرابة التكون وهي التي
تورث الجهلاء امثال النصارى وهم الزعم في العبودية حيث دعوا المسيح ولدا من غير اب وهو
يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وينبئ بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم فيرد على
العبودية بقولهم ... والملائكة ثم مثلا في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا
على ان خواص البشر افضل من خواص الملائكة من العبودية فكيف المسيح والحاصل ان
خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام افضل من خواص الملائكة وهم الرسل
منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة افضل من عوام المؤ
منين من البشر وعوام المؤمنين من البشر افضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل
البشر على الملك انهم قهروا انواع الهوى في ذات الله تعالى مع انهم جبلوا
عليها فشاركوا الانبياء عليهم السلام الملائكة في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر
البواعث النفسانية والدواعي الجسمانية فكانت طاعتهم اشق لكونها مع
الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها فكانت ازيد ثوابا بالحديث
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ... فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم
على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصا
لحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت التف
التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على
فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه
وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد
الفر

الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما
في التفصيل في قوله بعد هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني ان الاحسان
الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب
الله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم اي رسول يبهر المنكر بالاعجاز وانزلنا
اليكم نورا مبينا اي ما يستضاء به من ظلمات الحيرة فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا
به فسيدخلهم في رحمة منه اي جنة وفضل اي زيادة النعمة ويهديهم اليه اي الى عبادة
الله تعالى او الى الفضل او الى صراطا مستقيما اي صراطا حال من المضاف المحذوف
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع
امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي
ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت
ولا تسقطها البنت وله اخت اي لاب وام او لاب فلها نصف ما ترك اي الميت وهو يرثها
اي الاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها
ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط
الاخ وحده فالاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء
الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرا
يض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ فان كانتا اثنتين
اي فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله اخت فلهما الثلثان مما ترك
وان كانوا اخوة رجالا ونساء ذكورا واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين منهم
يبين الله لكم الحكم ومعنى يبين ان تضلوا كراهة ان تضلوا والله بكل شيء
عليم يعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده سورة المائدة مدنية
وهي مائة وعشرون آية كوفي بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
آمنوا اوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد واوفى به والعقد العهد الموثق
شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله تعالى التي عقدها على عباده والزم
بها اياهم من مواجب التكليف او ما عقد الله عليهم وما تعاقدوا بينهم
والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه

كلام فيه تجمل ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة
كل ذات اربع قوائم في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم
فضة ومعناه من الانعام وهي الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر
الوحش ونحوها الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية
غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد
وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم
عن الصيد وانتم محرمون لئلا نضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم
ما يريد من الاحكام ومن التحليل والتحريم ونزل ردا على تحليل ... يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا
او علما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي
هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر
ولا الشهر الحرام اي شهر الحج ولا الهدي وهو ما اهدي الى البيت ويتقرب به الى
الله من النسائك وهو جمع هدية ولا القلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل
او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره ولا امين البيت الحرام ولا تحلوا قوما قاصدين
المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر
وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس
عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد فجاز ان
يراد بها ذوات القلائد من الهدي وتعطف على الهدي للاختصاص لانها اشرف
الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا وجاز ان
ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي اي
ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة
مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها يبتغون حال من الضمير في امين فضلا من ربهم
اي ثوابا ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما
لهم واذا حللتم فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره
عليهم بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد
الحرام ان تعتدوا جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا
كسبه

كسب وجرم متعديان نحو كسبته ذنبا واول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان
صدوكم متعلق بالشنان بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامي وابو بكر
والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على
الشرط مكي وابو عمرو ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله
والمومنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه
بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
على الانتقام والتشفي او البر فعل المامور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك الما
مور والعدوان فعل المحظور ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان
فيتناول بعمومه العفو والانتصار واتقوا الله ان الله شديد العقاب لمن عصاه وما كان
تعالى ثم بين ما كان اهل الجاهلية ياكلونه فقال حرمت عليكم الميتة اي البهيمة
التي تموت حتف انفها والدم اي المسفوح وهو السائل ولحم الخنزير وكله نجس وانما
خص اللحم لانه معظم المقصود وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله
وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت
او انخنقت بالشبكة او بغيرها والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت
والمتردية التي تردت من جبل او في بير فماتت والنطيحة المنطوحة وهي التي نطحتها
اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه ومات بجرحه الا ما ذكيتم الا ما ادر
كتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح فالاستثناء يرجع الى المنخنقة
وما بعدها فانه اذا ادركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت وما ذبح
على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعظمونها
ويتقربون به اليها تسمى الانصاب واحدها نصاب او هو جمع والواحد نصاب
وان تستقسموا بالازلام وموضع الرفع بالعطف على الميتة اي حرم عليكم
الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالازلام وهي القداح واحدها زلم وزلم كان
احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او غير ذلك يعمد الى قداح
ثلاثة على واحد منها مكتوب امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل
فان خرج الامر مضى لحاجته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اعاده
فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام
وقال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج
لطلوع نجم كذا وفي شرح التاويلات ... وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يامر

بكذا او نهى عن كذا فالخارج ان كان مما امر الولي وان كان المنهي عنه الاقداح والازلام
وعلامات على احكام الله ويجوز ان يجعل الله تعالى في الاقداح معاني واعلاما
يعرف بها الاحكام ويستحق حرمة الاستقسام والازلام والاقداح في الازلام الاقداح عليه
فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء
المعلومة ذلكم فسق اي الاستقسام والازلام خروج عن الطاعة او جميع ما وجد
الوكل بعد محرم واجابة اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر
كما تقول انا اليوم قد كبرت تريد الان وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة
وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم ييئسوا منهم
ان يبطلوه او يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله تعالى وعد بتوعده في اظهاره على
الدين كله فلا تخشوهم واخشون اي اخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم
بمن يعدو ما كانوا على الدين والخوف من الكفار وانقذاركم فعلموا
اليوم ظرف لقوله اكملت لكم دينكم فلن تكونوا تخشون عدوكم واظهرتكم عليهم كما
تقول الملوك اليوم لنا الملك اي كفينا من كنا نخافه او اكملت ما تحتاجون
اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الاسلام وقوانين
القياس واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم
منار الجاهلية ومناسكهم ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته لكم من بين الاديان
واذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم
وكذا ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المرضي والمعنى فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة
مجاعة غير متجانف لاثم مائل اليه اي غير متجاوز سد الرمق فان الله غفور
لا يؤاخذه بذلك رحيم باباحة المحظور للمعذور يسالونك في السؤال معنى
القول فلذا وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم
وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوا لان يسالونك بلفظ الغيبة كقولهم
اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدا واحل
لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم
قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب
او سنة

او سنة او اجماع او قياس وما علمتم عطف على الطيبات اي واحل لكم الطيبات وصيد ما
علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا من الجوارح اي الكواسب
للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازي
والشاهين وقيل هي من الجراحة فيشترط الجرح مكلبين حال من علمتم وفائدة
هذه الحال مع انه استغنى عنها بعلمتم ان يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب
والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التاديب في الكلاب
اكثر فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد تعلمونهن حال او استئناف والمعنى
مع انه وفيه دليل على ان كل اخذ علما بامر فحقه ان ياخذه من اخبر
به وعن اهله وقد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله
من علم التكليب فكلوا مما امسكن عليكم الامساك على صاحبه ان لا ياكل منه فان اكل
منه لم يؤكل اذا كان صيد كلب ونحوه فاما صيد البازي ونحوه فاكله لا يحرم
وفي تعليمه ضربه والضمير في واذكروا اسم الله عليه يرجع الى ما امسكن على
معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا
عليه عند ارساله واتقوا الله واحذروا مخالفة امره في هذا كله ان الله سريع الحساب
انه محاسبكم على اعمالكم ولا يلحقه فيه لبث اليوم الان احل لكم الطيبات
كررت تاكيدا للمنة وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اي ذبائحهم لان سائر
الاطعمة لا تختص حلها بالملة وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو
كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات من المؤمنات
هن الحرائر او العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى وتزويج الاماء
المسلمات من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهم بعث على تخير
المؤمنين لنطفهم وهن محصنات على الطيبات او مبتدا والخبر محذوف اي والمحصنات
من المؤمنات حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم هن الحرائر الكتابيات
او العفائف الكتابيات اذا اتيتموهن اجورهن اعطيتموهن مهورهن محصنين
غير مسافحين متزوجين غير زانين ولا متخذي اخدان
هو اتخاذ الخدن

على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرايع الاسلام وما احل الله وحرم فقد حبط بطل عمله
وهو في الاخرة من الخاسرين يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
اي اذا اردتم القيام الى الصلوة كقوله فاذا قرات القران اي اذا اردت قراءة القران
فعبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل مسبب عن الارادة فاقيم المسبب مقام السبب
للملابسة بينهما ولطلب الايجاز ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو
سبب الجزاء الذي هو مسبب عنه وتقريره وانتم محدثون وعن ابن عباس رضي الله عنهما
او من النوم الذي دليل الحدث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء يتوضون
لكل صلوة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا اولا ثم نسخ ~~وايديكم~~
وايديكم الى المرافق الى تفيد معنى الغاية اما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور
مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانتظار
وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منتظرا في الحالتين معسرا
وموسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل
على الدخول قولك حفظت القران من اوله الى اخره لان الكلام مسوق لحفظ القران
كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم انه لا يسرى
به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ
الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وابو داود با
لمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه
وامسحوا برؤوسكم المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح
كلاهما ملصق المسح براسه فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب
والشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذنا ببيان النبي صلى
الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس وار
جلكم الى الكعبين بالنصب شامي ونافع وعلي وحفص والمعنى فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤوسكم على
التقديم والتاخير وغيرهم بالجر للعطف على الرؤوس لان الارجل من بين الاعضاء الثلا
ثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المنهي عنه فعطفت
على

على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى
الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب
له غاية في الشريعة وقال جامع العلوم انه مجرور بالجوار وقد صح انه عليه
السلام راى قوما يمسحون على ارجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن عطاء والله
ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وافتتح بغسل
هذه الاعضاء لتطهيرها من الاوساخ التي تتصل بها لانها تبدو وتكثر والطهارة
خدمة الله والقيام بين يديه فتطهيرها من الادناس والاوساخ اقرب الى التعظيم وكان اكمل
في الخدمة كما في الشاهد اذا اراد ان يقوم بين يدي الملك ولهذا افضل [illegible]
ان يصلي الرجل في احسن ثيابه وان الصلوة متعمما افضل من الصلوة مكشوف الراس
لما انه ادخل وابلغ في التعظيم وان كنتم جنبا فاطهروا فاغسلوا ابدانكم وان كنتم
مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط قال الرازي معناه وجاء من الابل والمريض والمسا
فر التيمم بالاحداث من الغائط المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة او لامستم
النساء جامعتم فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم
ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم بالاسلام
لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا
واطعنا اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط
والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة
الرضوان واتقوا الله في نقض الميثاق ان الله عليم بذات الصدور بسرائر الصدور من
الحب والشرور وهو وعد ووعيد يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء با
لقسط بالعدل ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلوا عدي يجرمنكم
بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم بغض قوم
على ترك العدل فيهم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى نهاهم اولا ان
تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم الامر بالعدل تاكيدا
وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى

واذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه
مع المومنين الذين هم اولياوه واتقوا الله فيما امر ونهى ان الله خبير بما تعملون وعد
ووعيد ولذا ذكر بعده ايات الوعد والوعيد وهو قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
وعد يتعدى الى مفعولين فالاول الذين امنوا والثاني محذوف استغنى عنه
بالجملة التي هي قوله لهم مغفرة واجر عظيم والوعيد وهو قوله والذين كفروا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اي الملازمون لها يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه
الشيخان والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما
مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في
صفة وهموا بالفتك به فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يريد طرحها عليه
فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج النبي عليه السلام ونزلت الاية
اذ ظرف للنعمة ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل يقال بسط اليه لسانه
اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به فكف ايديهم عنكم فمنعها
ان تمد اليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المومنون فانه الكافي والدافع والمانع
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هو الذي ينقب
عن احوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون
امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال
لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم
وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة
عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء
وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة
وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم ان يحدثوهم فنكثوا
الميثاق الا كالب بن يوفنا ويوشع بن نون وكانا من النقباء وقال الله اني معكم
اي ناصركم ومعينكم وتم هنا الكلام ثم ابتدا بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة

للقسم

162

القسم وهو لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وكانا يجب عليه وامنتم برسلي
من غير تفريق بين احد منهم وعزرتموهم وعظمتموهم او نصرتموهم بان تردوا عنهم اعداء
هم والعزر في اللغة الرد ويقال عزرت فلانا اي ادبته يعني فعلت به ما يردعه عن القبيح
كذا قاله الزجاج واقرضتم الله قرضا حسنا بلا منة وقيل هو كل خير واللام في لاكفرن
عنكم سيئاتكم جواب القسم وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد ذلك الشرط
المذكور المعلق بالوعد العظيم فقد ضل سواء السبيل اخطا طريق الحق نعم من كفر
قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل ايضا ولكن الضلال بعده اظهر واعظم فبما نقضهم ميثاقهم
فما مزيدة لافادة تفخيم الامر لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا او مسخنا
هم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية يابسة لا رحمة فيها ولا لين قسية
حمزة وعلي اي ردية من قولهم درهم قسي اي ردي يحرفون الكلم عن مواضعه يفسرونه
على غير ما انزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله
وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من
التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال عظيم او قست قلوبهم
وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية او تركوا نصيب انفسهم مما
امروا به من الايمان بمحمد وبيان نعته ولا تزال يا محمد تطلع على خائنة منهم اي هذه
عادتهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون
بالفتك بك وقوله على خائنة اي على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة
خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة الا قليلا منهم
وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم بعث على محاسن الاخلاق او فاعف عن مومنيهم
ولا تواخذهم بما سلف منهم ان الله يحب المحسنين ومن في قوله ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم وهو الايمان بالله والرسل وبافعال الخير متعلق باخذنا
اي اخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل
بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم انما سموا انفسهم

بذلك اذ في القضية الله وهم الذين قالوا العيسى هو الله ثم اختلفوا فبعض
نسطورية وبعض يعقوبية وملكانية اتباعا للشيطان فنسوا حظا مما ذكروا به فأ
غرينا فالصقنا والزمنا من غرى بالشيء اذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذي يلصق
به بينهم من فرق النصارى المختلفين العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا هوا
المختلفة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اي في القيامة بالجزاء والعقاب
يا اهل الكتاب خطاب اليهود والنصارى والكتاب للجنس قد جاءكم رسولنا محمد
عليه السلام يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب من نحو صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه او يعفو عن كثير منكم
لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن القرآن لكشفه ظلمات
الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق ولانه ظاهر الاعجاز
او النور محمد عليه السلام لانه يهتدى به كما سمي سراجا يهدي به الله اي بالقرآن
من اتبع رضوانه من امن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من
عذاب الله او سبل الله عليه السلام السلامة او الله ويخرجهم من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر الى نور الاسلام باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح ابن مريم معناه بت القول على ان الله هو المسيح لا غير قيل كان في
النصارى قوم يقولون بذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق
ويحيي ويميت قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد
ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا اي ان اراد ان يهلك من دعوه الها من
المسيح وامه يعني ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من في الارض
على المسيح وامه جميعا ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم والمعنى
انه من اشتمل عليه رحم امرأة مومنية متى يعارفه نقص البشرية ومن لاحت
عليه شواهد الحدثيا فبليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع
ما اوجد لم يعد نقصا الى الصمدية ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى بلا ذكر كما خلق عيسى
ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم ويخلق ما يشاء كخلق الطير على
يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد والله على كل شيء

قدير

قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اي اعزة عليه كالابن
على الاب او اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قال للاشياع ابي خبيب وهو
عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقولون
اقرباء الملك وحشمه نحن الملوك او نحن ابناء رسل الله قل فلم يعذبكم بذنوبكم
اي فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم بالمسخ والنار
اياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الاب ولده وهل يعذب الوالد ولده
بالنار ثم قال ردا عليهم بل انتم بشر ممن خلق اي انتم خلق من خلقه فلا نسبة
يغفر لمن يشاء لمن تاب عن الكفر فضلا ويعذب من يشاء من مات عليه عدلا ولله
ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير فيه تنبيه على عبودية
المسيح لان الملك والنبوة متنافيان يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم اي الشرائع وحذف لظهوره او ما كنتم
تخفون وحذف لتقدم ذكره او لا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان
وهو حال اي مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم
على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي وكان بين عيسى ومحمد
عليهما السلام ست مائة سنة او خمسمائة وستون سنة ان تقولوا كراهة
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير والفاء في فقد جاءكم متعلق بمحذوف
اي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير ونذير للمومنين وللكافرين والمعنى الامتنان
عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون
اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وقطع لهم الحجة لئلا يقولوا
غدا انه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم والله على كل شيء قدير فكان
قادرا على ارسال محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة واذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني
اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة
ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل الملك
من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه

جارية وقيل من له بيت وخدم وانهم كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله
فسمى انقاذهم ملكا وءاتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق
العدو وانزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الامور العظام
او المراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اي المطهرة او المبار
كة وهي ارض بيت المقدس او الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم وسماها
او كتب في اللوح المحفوظ انها مساكن لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا
على اعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا او ولا ترتدوا على ادباركم
عن دينكم فتنقلبوا خاسرين من ثواب الدنيا والاخرة قالوا يا موسى
ان فيها قوما جبارين الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه
وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وانا لن ندخلها بالقتال حتى يخرجوا منها
بغير قتال فان يخرجوا منها فانا داخلون بلا قتال فانا داخلوها حينئذ قال رجلان كالب
ويوشع من الذين يخافون ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع
صفة لرجلان وكذا انعم الله عليهما بالخوف منه ادخلوا عليهم الباب اي باب
المدينة فاذا دخلتموه فانكم غالبون اي انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما
ذلك باخبار موسى عليه السلام وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين اي ان
ايمان به يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التعلق بالخلائق
قالوا يا موسى انا لن ندخلها هذا نفي لدخولهم المستقبل على وجه التاكيد ابدا
تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت
وربك من الجهلاء من حمله على الظاهر وقال انه كفر منهم ويبعد كذا الكلام وقالوا
ذلك اعتقادا وكفروا ابدا بحاربهم موسى ولم يكن مقاتلة الجبابرة من معلولة
قلة هولاء الحر الوحيد فيه ان يقال اذهب انت وربك يعينك على قتالهم او ربك
اي وسيعرف وهو اخوه هارون اوليم يريدوا حقيقة الذهاب ولكن لما يقول
كلمته يعنيه تعنيفيه بمعنى الارادة كانهم قالوا اريدوا قتالهم فقاتلا
انا هاهنا قاعدون ما كنتم لا نقاتلهم فلما عصوه وخالفوه قال رب اني
لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي هو منصوب بالعطف على نفسي او على اسم ان
اي لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوع بالعطف على محل اسم ان

اسمها

واسمها او على الضمير في لا املك وجاز للفصل بينه لا يملك اخي الا نفسه او هو مبتدا
والخبر محذوف اي واخي كذلك وهذا من البث والشكوى الى الله ورقة القلب
التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكانه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الو
ثوق فلم يذكر الا النبي المعصوم او اراد ومن يوافقني في ديني فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين وافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما هم اهله
وهو في معنى الدعاء عليهم او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله
ونجني من القوم الظالمين قال فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها وهو
تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب الله لكم
اي بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم او المراد فانها
محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه
السلام بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها واقام فيها ما شاء
الله ثم قبض واربعين ظرف التحريم والوقف على سنة او ظرف يتيهون في الارض
اي يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا اربعين سنة والوقف على عليهم
وانما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث مكانهم مع نشوة فهم يصبحون
حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا في التيه وبالتيه على الدعاء عليهم قيل له
فلا تاس على القوم الفاسقين فلا تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهارون
معهم في التيه لانه كان عقابا وقد سال موسى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا
معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة ومات هارون في التيه ومات موسى
بعده بسنة ومات النقباء في التيه الا كالب ويوشع امر الله محمدا صلى الله عليه وسلم
ان يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويومنوا بقوله واتل عليهم
على اهل الكتاب نبا ابني ادم من صلبه هابيل وقابيل وهما رجلان من بني اسرائيل
بالحق تلاوة ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او تلاوة ملتبسة بالحق والصحة
او اتل عليهم وانت محق صادق اذ قربا قربانا نصب بالنبا اي قصتهما وحديثهما في ذلك
الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة فيقال
قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانا له
فتقبل من احدهما اي قربانه وهو هابيل ولم يتقبل من الاخر قربانه وهو قابيل روي انه
اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد توءمة الاخر وكانت توءمة قابيل اجمل واسمها

اوليهما فحسن عليها اخاه فقال لهما ادعو في باقي انا عمي ايكما قبل منه وجهها
فقبل من هابيل اي نزلت نار واكلته وازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده
بالقتل وهو قوله تعالى لاقتلنك قال له هابيل انما يتقبل الله من المتقين وتقريره قال لم
تقتلني قال لان الله قبل قرباني ولم يقبل قربانك فقال انما يتقبل الله من المتقين واتق غير
منتو واعدا او تيب من قبل فيسد الانسلاخ منها من لباس التقوى [illegible] وعن جابر بن
عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له وما يبكيك وقد كنت وكنت قال اني اسمع الله
يقول انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان اقوى من القاتل
ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك
الوقت وقيل بل كان ذلك واجبا عليه فيه اهلاك نفسه ومشاركة للقاتل في اثمه
وانما معناه ما انا بباسط يدي اليك مبتدئا بالقصد كالاصغر وكان عازما على مدافعته
اذا قصد قتله وانما قتله فقتله على غفلة اني اخاف [illegible] ابي عمرو اني اريد
ان تبوء ان تحمل وزر جميع اثمي اي اثم قتلي اذا قتلتني واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك
وهو عقوق الوالدين والحسد والحقد وانما اراد بذلك الكف عن ذلك فضيلة الله تعالى او كان
ظالما جاز ان يريد فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه
[illegible] من طاع الله المرتجاه السمع فقتله عند عقبة حراء وبالبصرة
والمقتول ابن عشرين سنة فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه
اي الله او الغراب كيف يواري سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده
روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني ادم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري
ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت
عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ثم القاه
في الحفرة فجثيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري عطف على اكون
سوءة اخي فاصبح من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره ولم يندم
ندم التائبين او كان الندم توبة لنا خاصة او على حمله لا على قتله روي انه لما قتله
اسود جسده فسأله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل
قتلته ولذا اسود جسدك والسودان من ولده وما روي ان ادم رثاه بشعر فلا
يصح لان الانبياء عليهم الصلاة معصومون من الشعر من اجل ذلك بسبب ذلك

وجملته

وعلته وفي ذلك اشارة الى القتل المذكور وقيل هو متصل بما بعده اولى فيوقف على
ذلك اي فاصبح من النادمين من اجل حمله او لاجل قتله وقيل هو مستانف والوقف
على النادمين ومن يتعلق بكتبنا لا بالنادمين كتبنا على بني اسرائيل خصهم بالذكر
لذكر وان تقدمه الكتب في ذلك لان التوراة كتاب فيه الاحكام انه من قتل نفسا
بغير نفس بغير قتل نفس او فساد في الارض عطف على
نفس اي بغير فساد في الارض وهو الشرك او قطع الطريق او كل فساد يوجب
القتل فكانما قتل الناس جميعا اي في الذنب عند الله لان قاتل النفس جزاؤه
جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك
ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة من قتل او غرق او حرق او هدم
او غير ذلك فكانما احيا الناس جميعا جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذا الاحياء
ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور ان قتلها كقتل الناس
جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذي اراد احياءها اذا تصور ان حكمه
حكم احياء جميع الناس رغب في احيائها ولقد جاءتهم اي بني اسرائيل رسلنا
ابو عمرو رسلنا بالبينات بالايات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك بعد ما كتبنا
عليهم وبعد مجيء الرسل بالايات في الارض لمسرفون في القتل لا يبالون بعظمته انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي اولياء الله وفي الحديث يقول الله تعالى من اهان
لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا مفسدين ويجوز ان يكون
مفعولا له للفساد وجزاء ان يقتلوا وما عطف عليه والتشديد للواحد
بعد الواحد [illegible] ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا
بين القتل واخذ المال او تقطع ايديهم وارجلهم ان اخذوا المال من خلاف حال من الايدي
والارجل اي مختلفة او ينفوا من الارض بالحبس ذلك لهم الجزاء المذكور
لهم خزي في الدنيا ذل في الدنيا وفضيحة ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان
تقدروا عليهم فتسقط عنهم هذه الحدود لا ما هو حق العباد فاعلموا ان الله
غفور رحيم يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم ولا يعذبهم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في
ولا تهدروا عباد الله وابتغوا اليه الوسيلة وهي كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او

او صفة او غير ذلك فاستعين بما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك
السيئات وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
من صنوف الاموال ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم
ولو مع ما في حيزه خبر ان ووحد الراجع في ليفتدوا به وقد ذكر شيئان لانه اجري الضمير
مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم
عذاب اليم فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه يريدون يطلبون او يتمنون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم دائم والسارق والسارقة ارتفعا بالابتداء
والخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم السارق والسارقة او الخبر فاقطعوا ايد
يهما اي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط
لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يتضمن معنى الشرط
وبدا بالرجل لان السرقة من الجراءة وهي في الرجال اكثر واخر الزاني لان الزنا ينبعث من
الشهوة وهي في النساء اوفر وقطعت اليد لانها الة السرقة ولم تقطع الة الزنا
تفاديا عن قطع النسل جزاء بما كسبا مفعول له نكالا من الله اي عقوبة من الله
منه وهو بدل من جزاء والله عزيز غالب لا يعارض في حكمه حكيم فيما حكم من قطع يد
السارق والسارقة فمن تاب من السراق من بعد ظلمه سرقته واصلح امره فان الله
يتوب عليه يقبل توبته ان الله غفور رحيم يغفر ذنبه ويرحمه الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل
مخاطب ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء من مات على الكفر ويغفر لمن يشاء لمن تاب
عن الكفر والله على كل شيء قدير من التعذيب والمغفرة وغيرهما قدير قادر
قدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر اي لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره
بما يلوح منهم من اثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكا
فيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر
وقوعهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها من الذين قالوا تبيين لقوله الذين
يسارعون في الكفر امنا مفعول قالوا بافواههم متعلق بقالوا اي قالوا بافواههم
امنا ولم تؤمن قلوبهم في محل النصب على الحال ومن الذين هادوا معطوف على من الذين
قالوا اي من المنافقين واليهود ورفع سماعون للكذب على انه خبر مبتدا

منهم

منهم اي هم سماعون والضمير للفريقين او سماعون مبتدا وخبره من الذين هادوا
وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يتسمعون
منك ليكذبوا عليك بان يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل وا
التغيير سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي سماعون منك لاجل قوم اخرين من اليهود
وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يزيلونه ويميلونه
عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا موضع
يحرفون صفة لقوم كقوله لم ياتوك او خبر لمبتدا محذوف اي هم يحرفون والضمير مرد
ود على لفظ الكلم يقولون ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحر
فون جاز ان يكون حالا من الضمير في يحرفون فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا
به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروه واياكم واياه فهو الباطل روي ان شر
يفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما
لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسالوا رسول الله عليه السلام عن ذلك
وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم
بالرجم فابوا ان ياخذوا به ومن يرد الله فتنته ضلاله وهو حجة على من يقول يريد الله
الايمان ولا يريد الكفر فلن تملك له من الله شيئا فقطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم
عن ايمان هؤلاء اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم عن الكفر لعلمه منهم اختيار
الكفر وهو حجة لنا عليهم ايضا لهم في الدنيا خزي للمنافقين فضيحة
ولليهود جزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي في التخليد في النار سماعون للكذب
كرر للتاكيد اي هم سماعون ومثله اكالون للسحت وهو كل ما لا يحل كسبه
وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة
في الحكم وكانوا ياخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وبالتخفيف مكي
وبصري وعلي وابو جعفر فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم فيه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وقيل نسخ
التخيير بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا فلن يقدروا
على الاضرار بك لان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
ان الله يحب المقسطين العادلين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله
تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي

الذين يدعون الإيمان به فيها حكم الله حال من التوراة وهو مبتدأ خبره عندهم ثم يتولون من بعد
ذلك عطف على يحكمونك ثم يعرضون عن تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم
لا يرضون به وما أولئك بالمؤمنين بك وبكتابك كما يدعون إنا أنزلنا التوراة فيها هدى يهدي
للحق ونور يبين ما استبهم من الأحكام يحكم بها النبيون الذين أسلموا انقادوا لحكم
الله في التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح أو يراد بإجرائها التعريض
باليهود أنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم للذين هادوا تابوا
من الكفر واللام تتعلق بيحكم والربانيون والأحبار معطوفان على النبيون أي الزهاد والعلماء
بما استحفظوا قيل يجوز أن يكون بدلا من بها في يحكم بها من كتاب الله من التغيير
والتحريف والاستحفاظ للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا والاستحفاظ من الأنبياء
وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله
في حكوماتهم وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة
أذية أحد واخشون في العدام من بالياء فيهما وعند أبي عمرو في الوصل ولا تشتروا
بآياتي ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا
الناس ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون قال ابن عباس رضي
الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وإن لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود
رضي الله عنه هو عام في اليهود وغيرهم وكتبنا عليهم فيها وفرضنا على اليهود في
التوراة أن النفس بالنفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق والعين بالعين
مفقوءة بالعين والأنف بالأنف مجدوع بالأنف والأذن بالأذن مقطوعة بالأذن والسن بالسن مقلوعة بالسن
والجروح قصاص أي ذات قصاص والقصاص هو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص
وإلا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت
وقوله أن النفس بالنفس لا ينفي قتل الحر بالعبد والمسلم بالذمي والرجل بالمرأة والعين
بالعين نصب نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه
أن ورفعها على العطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس إجراء
لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح والأذن بسكون الذال
حيث كان نافع والباقون بضمها وكذا السحت كالسحت والسحق فمن تصدق من
أصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق
بإحسانه قال عليه السلام من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه
ومن لم يحكم بينهم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون بالامتناع عن ذلك وقفينا معنى

قفيت

فقفيته الشيء بالشيء جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه ومنه القافية إذا اتبعته على آثارهم
على آثار النبيين الذين أسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة هو حال
من عيسى لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه
من التوراة أي وآتيناه الإنجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا فنصبه مصدقا حال
لعطفه على ثابتا الذي تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابتا الذي قام
مقامه فيه وهدى وموعظة انتصبا على الحال بعطفهما على مصدقا للمتقين لأنهم ينتفعون
به وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الأمر وأصله
الكسر وإنما سكن استثقالا للفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم
حمزة على أنها لام كي أي وقفينا ليؤمنوا وليحكم ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفا
سقون الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى يجوز أن تحمل
على الجحود في الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لأن الفاسق المطلق والظالم
المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم
في حكمه فاسق في فعله وأنزلنا إليك الكتاب أي القرآن بالحق في
فيه للحضور الحق بسبب الحق وإثباته وتبيين الصواب من الخطأ مصدقا
حال من الكتاب لما بين يديه لما تقدمه نزولا وإنما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه
من الكتاب المراد به جنس الكتب المنزلة لأن القرآن مصدق لجميع كتب الله وكان
حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد
والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون
ومهيمنا عليه وشاهدا لأنه يشهد له بالصحة والثبات فاحكم بينهم بما أنزل الله
بما في القرآن ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق نهي أن يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا
على قولهم ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدي بعن وكأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك
من الحق متبعا أهواءهم والتقدير عادلا عما جاءك لكل جعلنا منكم أيها الناس
شرعة شريعة ومنهاجا وطريقا واضحا واستدل به من قال إن شريعة من قبلنا لا تلزمنا
لأن إنزال التوراة على موسى ثم إنزال الإنجيل على عيسى ثم إنزال القرآن على محمد
عليه السلام وبيان لبيان الشرائع بحسب الحكم به فعلا في الأول والحكم بها

التشنوي في الثاني ولتحكم اهل الانجيل في الثالث فاحكم بينهم بما انزل الله ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة ولكن ليبلوكم
ليعاملكم معاملة المختبر فيما آتاكم من الشرائع المختلفة فيعتبر كل منكم بما اقتضته
الحكمة فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسارعوا نحوها قبل الفوات بالوفاة و
والمراد بالخيرات كل ما امر الله تعالى به الى الله مرجعكم استئناف في معنى التعليل لا
ستباق الخيرات جميعا حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لانه والتقدير
اليه رجوعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون فيخبركم بما تشكون منه من الجزاء الفاصل
بين المحق منكم والمبطل والعامل منكم والمفرط في العمل وان احكم معطوف على الكتاب
اي انزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوا
ءهم واحذرهم ان يفتنوك اي يصرفوك وهو مفعول له اي مخافة ان يفتنوك
وانما حذروه وهو مامون الفتنة لقطع اطماع القوم عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا
عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنو
بهم اي بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك
وهو الابهام لتعظيم التولي وفيه تعظيم الذنوب فان بعضها مهلك فكيف بكلها
وان كثيرا من الناس لفاسقون لخارجون عن امر الله افحكم الجاهلية يبغون يطلبون وبل
لك تسامح خاطبه بنو النضير في تفاضلهم على بني قريظة وقد قال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وسيل طاوس
عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية وقرا ابن عامر تبغون ومن احسن
منه او حكما وهو استفهام في معنى النفي اي لا احد احسن من الله حكما لقوم يوقنون
واللام في لقوم يوقنون للبيان كما في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتفطنون بان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه وقال ابو
علي معنى لقوم عند قوم لان اللام وعند يتقاربان في المعنى وتوالى النهي عن موالاة اعداء
الدين يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اي لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم
وتستنصرون بهم وتواخونهم وتعاشرونهم معاشرة المومنين ثم علل النهي بقوله
بعضهم اولياء بعض وكلهم اعداء المومنين وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة ومن
يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في

وجوب

وجوب مجانبة المخالف في الدين ان الله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشد الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفرة فترى الذين في قلوبهم مرض نفاق يسارعون فيهم حال ومفعول ثان لاحتمال ان يكون
فترى من رؤية العين او القلب فيهم في معاونتهم على المسلمين وموالاتهم يقولون اي في
انفسهم كقوله على ما اسروا نخشى ان تصيبنا دائرة اي حادثة تدور بالحال التي يكون
عليها فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده
اي يامر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي المنافقون
على ما اسروا في انفسهم من النفاق نادمين فيصبحوا يقول الذين امنوا اي يقول بعضهم
لبعض عند ذلك ويقول بصري عطف على ان ياتي ويقول بغير واو شامي وحجازي على انه
جواب قائل يقول فماذا يقول المومنون حينئذ فقيل يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله
جهد ايمانهم انهم لمعكم اي اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار
وجهد ايمانهم مصدر في تقدير الحال اي مجتهدين في توكيد ايمانهم حبطت اعمالهم ضاعت
اعمالهم التي عملوها رياء وسمعة لا ايمانا وعقيدة وهذا من قول الله شهادة لهم بحبوط
الاعمال وتعجيبا من سوء اعمالهم فاصبحوا خاسرين في الدنيا والعقبى لفوات المعونة
ودوام العقوبة يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه من يرجع منكم عن دين الاسلام
الى ما كان عليه من الكفر من يرتدد مدني وشامي فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يرضى
عنهم اعمالهم ويثني عليهم بها ويطيعونه ويوثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه
السلام حيث اخبر بما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفيه صحة خلافة
عمر رضي الله عنهما وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان
وقال هذا وذووه ولو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس والراجع الى
من الجزاء الى الاسم المتضمن معنى الشرط محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم
اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو ضد الصعوبة فقد سهى
لان ذلولا لا يجمع على اذلة قال الجوهري الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم اذلاء واذلة
بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول بينة الذل على المومنين ولم يقل للمو
منين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل
والتواضع اعزة على الكافرين اشداء عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المومنين
كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته يجاهدون في
سبيل الله يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم واعزة واذلة ولا يخافون
لومة لائم الواو يحتمل ان تكون للحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنا

وعبر بانهم كانوا من الذين اليهود واخلاصهم حوا في بيس المومنين خافوا اولياوهم اليهود
ولا يعلمون شيئا مما يعملون انهم بلغ غيظهم فيه لومهم من جهتهم واما المومنون فجاهدوا
نعم لله لا يخافون لومة لايم وان تكون العطف اي من صفتهم المجاهدة في سبيل الله
وهم صلابة في دينهم اذا اشتغلوا بامر من امور الدين لا يمنعهم لومة لايم واللومة المرة
من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغة كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من
اللوام ذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء
خوف اللائمة فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع كثير الفواضل عليم بمن هو اهلها عقب
النهي عن موالاة من تجب معاداتهم عقبه بذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله
ورسوله والذين امنوا وانما جيء اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولي وان كان المذ
كور جماعة تنبيها على ان الولاية لله اصل ولغيره تبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسو
له والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع ومحل الذين يقيمون الصلوة الرفع على البدل
من الذين امنوا او على هم الذين او النصب على المدح ويوتون الزكاة والواو في وهم را
كعون للحال اي يوتونها في حال ركوعهم في الصلاة وقيل انها نزلت في علي رضي الله
عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره
فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه
واحدا ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والاية تدل على جواز الصدقة
في الصلوة وعلى ان الفعل القليل لا يفسد الصلوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا
يتخذه وليا ويكون ... فان حزب الله هم الغالبون من اقامة الظاهر مقام المضمر اي فا
نهم هم الغالبون او المراد بحزب الله الرسول والمومنون اي ومن يتولهم فقد تولى
حزب الله واعتضد بمن لا يغالب واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم اي اصابهم
وروي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال
من المسلمين يوادونهما فنزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعبا يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم بل يقابل
بالبغضاء والمنابذة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اي
المشركين وهو عطف على الذين المنصوب والكفار بالجر عطف على الذين
المجرور اي من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار اولياء واتقوا الله في موالاة
الكفار ان كنتم مومنين حقا لان الايمان يابى موالاة اعداء الدين واذا نا
ديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم
لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكانهم لا عقل لهم

وفيه

199

وفيه دليل على ثبوت الامامة بنص الكتاب لا بالاجماع ... قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل يعني هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان
بالله وبالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون وهو معطوف على المجرور اي وما
تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون والمعنى عاديتمونا لانا
اعتقدنا توحيد الله وصدقنا انبياءه وفسقتم بمخالفتكم لنا في ذلك ويجوز ان تكون
الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون قل هل انبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله اي ثوابا وهو نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة ضع
بالاحسان لكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب اليم وكان المقصود
من عقوبة المسلمين مستوجبين العقوبة فقيل لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة
من اهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة الى المتقدم ومن الذي نقمتم من ايماننا
ثوابا اي جزاء ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من
لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة يعني اصحاب السبت والخنازير اي كفار اهل
مائدة عيسى او كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم
مسخوا خنازير وعبد الطاغوت اي العجل او الشيطان لان عبادتهم العجل من الشيطان
وهو عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله
اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة وهو معطوف
على القردة والخنازير اي جعل الله منهم عبد الطاغوت اولئك شر مكانا الملعونون
شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله للمبالغة واضل عن سواء السبيل
عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله
عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله تعالى بشانهم واذا جاءوكم قالوا امنا وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك وقد خرجوا
وهم قد خرجوا به ولذا دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ... قالوا امنا في السوال
ذلك وفيه حالهم والله اعلم بما كانوا يكتمون من النفاق وترى كثيرا منهم من اليهود
يسارعون في الاثم الكذب والعدوان الظلم او الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى
غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة واكلهم السحت الحرام لبيس ما
كانوا يعملون لبيس شيئا عملوه لولا هلا وهو تحضيض ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبيس ما كانوا يصنعون هذا ذم للعلماء وذاك
للعامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد اية في القرآن حيث انزل تارك النهي

عن البخل والجود وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا
بما قالوا بل يداه مبسوطتان روي ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا عليه السلام
كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من اكثر الناس مالا فعند ذلك قال
فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الاخرون فاشركوا فيه وغل اليد
وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه
يستعمل في ملك يعطي ويمنع من غير استعمال اليد ولو اعطى الاقطع الى المنكب
عطاء جزيلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد فقال بسط
الباس كفيه في صدره فجعل للباس الذي هو من المعاني كفا ومن لم ينظر في علم البيان
يتحير في تاويل امثال هذه الاية وقوله غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا ابخل خلق
الله وتطابق حالهم بحسب كلامها غلت واما تثنية اليد في بل يداه مبسوطتان وهي
مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية
السخاء ونفي البخل عنه وغاية ما يبذله السخي ان يعطيه بيديه ينفق كيف يشاء
تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي يزدادون عند نزول القران
لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بايات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب
كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم
نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل كلما حاربوا
رسول الله نصر عليهم ويسعون في الارض فسادا ويجتهدون
في الارض فسادا ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
من كتبهم والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب امنوا برسول الله صلى الله عليه
وسلم وبما جاء به مع ما عددنا من سيئاتهم واتقوا وقرنوا ايمانهم بالتقوى لكفرنا عنهم
سيئاتهم ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم مع المسلمين ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل اي اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم من ربهم من سائر كتب الله لانهم
مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القران لاكلوا من

فو

من فوقهم يعني الثمار من فوق رؤوسهم ومن تحت ارجلهم يعني الزروع او هو
عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الاية ان العمل
بطاعة الله سبب لسعة الرزق وهو كقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا الايات وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله
بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى
التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوا عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف و
واصحابه وغيرهم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك واي شيء
انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ
جميعه كما امرتك فما بلغت رسالاته وقرئ رسالته فلم تبلغ
اذا ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد شيئا منها قط وذلك ان بعضها ليس باولى
بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها كلها كما ان من لم يؤمن ببعضها
كان كمن لا يؤمن بكلها لكونها في حكم شيء واحد
والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به قالت الملحدة
لعنهم الله هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لمن امرته كل هذا الطعام فان لم تاكله
فانك ما اكلته فقلنا هذا امر بتبليغ الرسالة في المستقبل اي بلغ ما انزل اليك من ربك
في المستقبل وان لم تفعل اي وان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكانك لم تبلغ الرسالة
اصلا او بلغ ما انزل اليك من ربك الان ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فان لم تبلغ
كنت كمن لم يبلغ اصلا او بلغ ذلك غير خائف احدا فان لم تبلغ على هذا الوصف
فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ والله يعصمك من الناس
يعصمك منهم فلا يقدرون عليه وان شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته او نزلت
بعد ما اصابه ما اصابه والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين
لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك قل يا اهل الكتاب لستم على شيء على دين

يعتد به حتى يسمى شيئا لبطلانه حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم يعني
القران وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اذ زادهم اصابة زيادة الكفر
والطغيان الى الغير ان يطرين النسبيب ولا تاس على القوم الكافرين فلا تاسف عليهم
فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك ان الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون ودل عليه
قوله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
والذين هادوا والصابئون والنصارى قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء
وخبره محذوف والنية التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين
امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والصابئون كذلك اي من امن بالله واليوم الاخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر
كقوله فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب اي فاني لغريب وقيار
كذلك ودل الكلام على انه خبر ان ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لانه لا يعمل
لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق
وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى
اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على ان
الصابئين وهم ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم
الايمان فما الظن بغيرهم وعمل من امن بالله رفع على ما ابتدا وخبره فلا خوف عليهم والفاء
لتضمن المبتدا معنى الشرط او الجملة كما هي خبر ان والراجع الى اسمها محذوف تقديره من
امن منهم لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليعرفوهم على
ما يأتون ويذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع
محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم
من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم عصوا وقوله فريقا كذبوا جواب
مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية
الحال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شانهم وانتصب فريقا وفريقا
على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل
مختص باليهود منهم قتلوا زكرياء ويحيى وحسبوا ان لا تكون حمزة وعلي وابو عمرو وعلي
ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشأن وتنزل حسبانهم

لقوته

161

لقوته في صدورهم منزلة العلم فلذا ادخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق فتنة بلاء و
عذاب اي وحسبوا بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب الرسل
وسد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد مفعولي حسب فعموا
عموا فلم يبصروا ابدا او لا يسمعوا او فعموا عن الدين وصموا عن الحكم ثم تاب الله
عليهم ورزقهم التوبة ثم عموا وصموا كثير منهم هو بدل من الضمير في الواو وهو بدل البعض
من الكل او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون فيجازيهم
بحسب اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله في عبادته غير الله فقد حرم الله عليه الجنة
التي هي دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين
من انصار اي ما لهم من انصار وهو من كلام الله تعالى او من كلام عيسى عليه السلام
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي ثالث ثلاثة الهة وهذا اشكال فيه نظر قال في ا
الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلاثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه
هو الله لان الله تعالى ربما تجلى في بعض الازمان في شخص فتجلى في ذلك الوقت
في شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى افعال لا يقدر عليها الا الله
وبعضهم ذهبوا الى الالهية ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم
ومن في قوله وما من اله للاستغراق اي وما اله قط في الوجود الا الله
موصوف بالوحدانية الا اله واحد وهو الله وحده لا شريك له وفي قوله وان لم ينتهوا عما
يقولون ليمسن الذين كفروا منهم البيان كالتي في فاجتنبوا الرجس من الاوثان يدعو فعل
ليمسن الظاهر موضع المضمر تكرير الشهادة عليهم بالكفر او لل
التبعيض والمعنى الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا انواع العذاب اليمة
عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه الا يتوبون
يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه
وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن
مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا
رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله واتى بما اتوا كما ابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى
لم يكن منه لا لالهيته بل الله ابرأ الاكمه والابرص واحيا على يده كما احيا العصا

خبر وجعلها الصديقة تشعر بعلو موسى وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى
وأمه صديقة أي وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم
ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه ثم بعدهما
عما نسب إليهما بقوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما
يتبعه من الهضم والنقض لم يكن إلا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وغير ذلك مما
يدل على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام انظر كيف نبين لهم الآيات أي الأعلام
من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ثم انظر أنى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع
الحق وتأمله بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن العلم بعد البيان
قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا هو عيسى عليه السلام
أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال
ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه
البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله تعالى وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع
على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون
قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون
أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه يا أهل
الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى في رفعه فوق قدره باستحقاق
الألوهية وغلو اليهود وضعهم عن استحقاق النبوة غير الحق صفة
لمصدر محذوف أي غلوا غير الحق غلوا باطلا ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
أي أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي عليه السلام وأضلوا
كثيرا ممن شايعهم وضلوا لما بعث رسول الله عليه السلام عن سواء السبيل حين كذبوه
وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم
قيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داوود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا
قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد المائدة
عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير
وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ذلك اللعن بسبب
عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى

بعضهم

بعضهم بعضا عن منكر فعلوه عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي
بعد الفعل أنهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه وعن مثل منكر فعلوه أو عن منكر
أرادوا فعله أو المراد لا يتناهون عن منكر فعلوه وعن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا
فعله بل يصرون عليه يقال تناهى عن الأمور وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه ثم عجب
من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله لبئس ما كانوا يفعلون وفيه دليل على أن
ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عنه ترى كثيرا منهم
يتولون الذين كفروا هم منافقوا أهل الكتاب كانوا يتولون المشركين ويظاهرونهم
لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم لبئس شيئا قدموه لأنفسهم سخط الله
عليهم أي موجب سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون أي في جهنم ولو كانوا يؤ
منون بالله إيمانا خالصا بلا نفاق والنبي أي محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه
يعني القرآن ما اتخذوهم أولياء ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين
تدل على نفاقهم ولكن كثيرا منهم فاسقون مستمرون في كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو
كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه يعني التوراة لما اتخذوا
المشركين أولياء كما يواليهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم
فلا دين لهم أصلا لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود هو مفعول ثان لتجدن
وعداوة تمييز والذين أشركوا عطف عليهم ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا
إنا نصارى اللام تتعلق بعداوة ومودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى
بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم
قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا أي علماء وعبادا
وأنهم لا يستكبرون علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم
قسيسين ورهبانا وأن فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه
دليل على أن العلم أنفع شيء وأهدى إلى الخير وإن كان علم القسيسين وكذا علم الآخرة
وإن كان في راهب والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول
ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع
القرآن كما روي عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون

بالحبشة والمشرق يكونون وهم يبكون عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال نعم فيه سورة
تنسب اليها ثم قرأ الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتاك
حديث موسى فبكى النجاشي وكذا فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض من الدمع تمتلي من الدمع
حتى تفيض لان الفيضان يكون من الامتلاء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض
الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت
اعينهم كانها تفيض بانفسها من الدمع ابتداء وتبيين مما عرفوا من الحق وكان من اجله ومن في من الحق
لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا والتبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم
فكيف اذا عرفوا كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة يقولون حال من ضمير الفاعل
في عرفوا ربنا امنا بمحمد عليه السلام والمراد انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا
مع الشاهدين مع امة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة
لتكونوا شهداء على الناس قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك
وما لنا لا نومن بالله انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع
في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم
بذلك وما لنا مبتدأ وخبر ولا نومن حال اي غير مومنين كقوله ما لك قائما
وما جاءنا من الحق يعني محمدا والقرآن ونطمع حال من ضمير الفاعل
في نومن والتقدير ونحن نطمع ان يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين الانبياء والمومنين
فاثابهم الله بما قالوا اي بقولهم ربنا امنا وتضمن فيهم لذلك جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين وفيه دليل على ان الاقرار داخل في الايمان
كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية في ان الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا
لكن الثناء بفيض الدمع في السياق وبالاحسان في السياق يدفع ذلك واني
يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
وما هم بمومنين نفى الايمان عنهم مع قولهم امنا بالله لعدم التصديق بالقلب
قال اهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة اشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء
والرضا بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه الثلاثة فليس بصادق في دعواه والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا اثر الرد في حق الاعداء والاول اثر القبول
للاولياء ونزل في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا
المسوح

المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم
او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلوى
والعسل وقال ان المومن حلو يحب الحلاوة وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد
السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذج
وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه
الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن
يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذج ويقول لا اودي شكره قال افيشرب
الماء البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته
عليه في الفالوذج ولا تعتدوا ولا تجاوزوا الحد الذي حد عليكم في تحريم او تحليل
او لا تعتدوا وتحرموا ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات
ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا حلالا حال مما رزقكم الله
واتقوا الله تاكيد للوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مومنون لان الايمان
به يوجب التقوى فيما امر به ونهى عنه لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين
الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو ان يحلف على شيء يرى انه كذلك وليس كما ظن
وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزلت الاية قالوا كيف
بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله تعالى ما يجري على اللسان من غير قصد
ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية
كوفي غير حفص عقدتم والعقد العزم على الوفاء ولا يمين المقصود فلا كفارة في
الغموس وعند الشافعي رحمه الله تعالى العقد بالقلب ويمين الغموس معقودة
فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يواخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المواخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث
ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته اي فكفارة نكثه او فكفارة معقودة الايمان
والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها اطعام عشرة مساكين
هو ان يغديهم ويعشيهم ويجوز ان يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل واحد
نصف صاع من بر او صاع من شعير او صاع من تمر وعند الشافعي رحمه الله تعالى

مد لكل مسكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي غداء وعشاء من بر اذ الاوسط ثلاث
مرات مع ادام او وكذا من تمر او شعير او كسوتهم عطف على اطعام او على محل
من اوسط وهو بمعنى ان من اوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود في الكلام وهو ثوب
يغطي به العورة وعن ابن عمر رضي الله عنه ازار وقميص او رداء او تحرير رقبة مؤمنة
او كل رقبة لاطلاق النص وشرط الشافعي رحمه الله تعالى الايمان حملا للمطلق على
المقيد في كفارة القتل ومعنى او التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث فمن لم يجد
احداها على الاطلاق بان يملك اكثر من قوته وقوت عياله فصيام ثلاثة ايام متتابعات
لقراءة ابي وابن مسعود ذلك الذي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم وفي
ذكر الحنث لوقوع العلم ان الكفارة انما تجب بنقض العقد ولا يجوز التكفير قبل
الحنث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا الا ان يكون الحنث خيرا ولا تحلفوا اصلا
كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرونه
نعمة فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
اي القمار والانصاب الاصنام لانها تنصب فتعبد والازلام وهي القداح التي هي رجس
نجس او خبيث مستقذر من عمل الشيطان لانه يحمل عليه ويكلف عليه والضمير في
فاجتنبوه يرجع الى الرجس او الى عمل الشيطان او الى المذكور او الى المضاف المحذوف
كانه قيل انما تعاطي الخمر والميسر من حيث صدر الجملة ولو افاد حسن لعلكم
تفلحون اكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة
الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل
الشيطان ولا ياتي منه الا الشر البحت وامر بالاجتناب وجعل الاجتناب
من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلوة ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين
اصحاب الخمر والقمار وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات
الصلوة وخص الصلوة من بين الذكر بالاعادة لزيادة درجتها كانه قال وعن الصلوة
خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما
آخرا لان الخطاب مع المومنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب
الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والاشعار

ان ذلك

ان الذي جعلنا من اعمال اهل الشرك وكانه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر
ثم افردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به
كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والزواجر فهل انتم مع هذه
الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا
وكونوا حذرين خاشعين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل
سيئة وعمل كل حسنة فان توليتم عن ذلك فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين
اي فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما
ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتم ونزل فيمن تعاطى شرب الخمر والميسر قبل
التحريم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا
من الخمر واكلوا من مال القمار قبل تحريمهما اذا ما اتقوا الشرك وآمنوا بالله وعملوا الصالحات
بعد الاعمال ثم اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم وآمنوا بتحريمهما ثم اتقوا سائر المحرمات
او ثابتوا على الشرك والتوقي عن المحرمات والتوقف عن الشبهات واحسنوا الى الناس
والله يحب المحسنين ولما ابتلاهم الله بالصيد في عام الحديبية وهم محرمون و
كثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ومعنى
ليبلونكم ليختبرنكم وهو من الله تعالى لاظهار ما علم من العبد على ما علم لا ليعلم ما لم يعلم ومن
للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد او لبيان الجنس ليعلم الله من يخافه بالغيب ليعلم
الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده
انه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء
فله عذاب اليم فالمراد بقوله بشيء من الصيد ليعلم انه ليس من الفتن العظام وتناله
صفة لشيء يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد اي المصيد اذ القتل انما يكون فيه
وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح في محل النصب على الحال من ضمير
الفاعل ومن قتله منكم متعمدا حال من ضمير الفاعل اي ذاكرا لاحرامه
او عالما ان ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه او رمى صيدا
وهو يظن انه ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد في الآية مع ان محظورات
الاحرام يستوي فيها العمد والخطا لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه

عن ابن عمر في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت
الصيد وانت محرم فنزلت ولان اللفظ جعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ
وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ فجزاء مثل ما قتل برفع الجزاء والمثل اي فعليه
جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي
خير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين
يوما وعند محمد والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد
له نظير من النعم كان كما مر وجزاء مثل ما قتل على الاضافة عند غيرهم والاصل فجزاء مثل ما
قتل اي فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد ثم من ضرب زيد
من النعم حال من الضمير في قتل اذ المقتول يكون من النعم او صفة لجزاء يحكم به
يحكم به ذوا عدل منكم حكمان عدلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة
لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل
المطلق في الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى او بالمعنى لا بالصورة
لصورته او بالصورة بلا معنى ولان القيمة اريد فيما لا مثل له صورة اجماعا
فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك فان قلت فقوله من النعم يأبى المثل
بالقيمة قلت من النعم بيان لما يشتري بها هديا او طعاما او يصوم
كما خير الله تعالى في الاية فكان من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد
وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا او اهداه فقد جزى بمثل
ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الاية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام
او الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار
واما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا
لا نظير له قوم حينئذ ثم خير بين الطعام والصيام ففيه نبو عما في الاية
الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء
الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم هديا حال من الهاء في به اي يحكم
به في حال الهدي بالغ الكعبة صفة لهديا لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه
الكعبة ان يذبح بالحرم واما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعي رحمه الله

تعالى

تعالى في الحرم او كفارة معطوف على جزاء طعام بدل من كفارة او خبر مبتدا محذوف
اي هي طعام او كفارة من طعام مساكين كما تقول خاتم فضة اي خاتم من فضة
او عدل ذلك بكسر العين قال الفراء العدل ما عدل الشيء من غير جنسه كالصوم والاطعام
والعدل مثله من جنسه ومنه عدل الحمل قال بعضهم عدل غلام بالكسر
اذا كان من جنسه وان اريد قيمته قيمته ولم يكن من جنسه قيل عدل غلام بالفتح
ذلك اشارة الى الطعام صياما تمييز للعدل كقولك مثله رجلا والخيار في ذلك الى
القاتل وعند محمد رحمه الله تعالى الى الحكمين ليذوق وبال امره متعلق بقوله فجزاء
اي فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه
والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا
اي ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف
لكم من الصيد قبل التحريم ومن عاد الى قتل الصيد بعد التحريم او في ذلك الاحرام فينتقم
الله منه بالجزاء وهو خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام
ممن تعدى حدوده او حدود الاسلام احل لكم صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل
ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر
واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة رحمه الله متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا
لكم وللسيارة والمسافرين والمعنى احل لكم طعامه تمتيعا لتأكلونه طريا
ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر
وحرم عليكم صيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كالبط فانه بري لانه يتولد في البر والبحر له مرعى كالناس ما دمتم حرما محرمين واتقوا
الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة
الكعبة البيت الحرام بدل او عطف بيان على جهة المدح مفعول ثان او حال قياما بمعنى قيام
وقياما للناس اي انتعاشا لهم في امر دينهم ونهوضا الى اغراضهم في معاشهم
ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وانواع منافعهم وقيل يكون علما
لم ينظر واحد لم يؤخذ والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة
لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله او اريد
به جنس الاشهر الحرم وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والهدي ما اهدي

الى مكة والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج
فيه اظهر ذلك الذي جعل الكعبة قياما والحرام والهدي من حفظ حرمة الاحرام في الصيد
وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اي لتعلموا
ان الله يعلم مصالح ما في السموات وما في الارض حكيم الا وهو بكل شيء عليم اعلموا ان الله
شديد العقاب لمن استحل الحرم والاحرام وان الله غفور لانه لمن عظم الشعائر رحيم
رحيم بالعاني الملتجي الى البلد الحرام ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر
به وان الرسول فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر
في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم قل لا يستوي
الخبيث والطيب لما اخبر انه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر انه لا يستوي خبيثهم وطيبهم
بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث اي الكافر ويثيب الطيب اي المسلم ولو اعجبك كثرة الخبيث
فاتقوا الله وانه والطيب وان قل على الخبيث وان كثر وقيل هو عام في حلال المال وحرامه
وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديهم يا اولي الالباب اي العقول الخالصة لعلكم
تفلحون كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء امتحانا فنزل يا ايها الذين امنوا
لا تسالوا عن اشياء ان قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين اصله شيئاء بهمزتين
بينهما الف وهي فعلاء من لفظ شيء وهمزتها الثانية للتانيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهي
مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الاولى التي هي
لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها
اي قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة للاشياء اي
وان تسالوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم
تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم اي تغمكم وتشق عليكم وتؤمروا بتحملها فتعرضوا
انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسالتكم
فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بما يعجز لا فرط والضمير في قد سالها
لا يرجع الى اشياء حتى يعدى بعن بل يرجع الى المسالة التي دلت عليها لا تسالوا
اي قد سال هذه المسالة قوم من قبلكم من الاولين ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها كافرين
دين كما عرف في بني اسرائيل ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها
وامتنعوا

تنصرف

وامتنعوا من ركوبها وحلبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل
اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكانت
الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فان كان السابع ذكرا اكله الرجال وان كان انثى ارسلت
في الغنم وكذا ان كان ذكرا وانثى وقالوا وصلت اخاها والوصيلة بمعنى الواصلة
واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه
ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب بتحريمهم ما حرموا ونسبتهم هذا التحريم اليه واكثرهم لا يعقلون ان الله
لم يحرم ذلك وهم عوامهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اي هلموا الى حكم الله
ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان
اباؤهم الجهال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان
اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اي الى الحق [illegible] انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف
اهتداؤه بالحجة يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم انتصب انفسكم بعليكم وهو من
اسماء الافعال اي الزموا اصلاح انفسكم والكاف والميم في عليكم في موضع
جر لان اسم الفعل هو الجار والمجرور ولا على وحده لا يضركم رفع على الاستئناف
او جزم على جواب الامر وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد من ضل اذا اهتديتم
كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة يتمنون دخو
لهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها لا يضركم الضلال
من دينكم اذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما
مع القدرة عليهما لا يعجز الى الله مرجعكم رجوعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
ثم يجزيكم على اعمالكم روي ان خرج بديل مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين
مع عدي وتميم وكانا نصرانيين الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه
متاعه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله
ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما
بالاناء فجحدوا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين امنوا شهادة

بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ارتفع اثنان لانه خبر المبتدا وهو شهادة
بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او لانه فاعل شهادة بينكم اي فيما فرض عليكم
ان يشهد اثنان واتسع فاضيف الى المصدر واذا احضر ظرف للشهادة وحين الوصية
ولو وجبة بدون الاختيار لسقط الابتلاء فيعقل الى الوصية وحضور الموت مشارفته
وظهور امارات بلوغ الاجل ذوا عدل صفة لاثنين منكم من اقاربكم لانهم اعلم باحوال
الميت او اخران عطف على اثنان من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض سافرتم فيها
وانتم فاعل فعل يفسره الظاهر فاصابتكم مصيبة الموت او منكم من المسلمين ومن غيركم
من اهل الذمة وقيل هو منسوخ اذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول
الاسلام لقلة المسلمين تحبسونهما تقفونهما للحلف هو استيناف كلام او صفة لقوله
او اخران من غيركم اي او اخران من غيركم محبوسان وان انتم ضربتم في الارض
فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف من بعد الصلاة من بعد صلاة
العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله تعالى صلاة العصر او الظهر لان اهل
الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم واستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم
وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي فيقسمان بالله فيحلفان ان
ارتبتم شككتم في امانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو لا نشتري وجواب
الشرط محذوف اغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم في شانهما فحلفوهما به
بالله او بالقسم ثمنا عرضا من الدنيا ولو كان اي المقسم له ذا قربى اي لا نحلف بالله كا
ذبين لاجل المال ولو كان من يقسم له قريبا منا ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي
امر الله بحفظها وتعظيمها انا اذا ان كتمنا لمن الاثمين وقيل ان اريد بهما الشاهدان
فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما فان عثر فان اطلع
على انهما استحقا اثما فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين فاخران
فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم
ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت
خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادة

تهما

تهما الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما على هما الاوليان كانه قيل
ومن هما فقيل الاوليان او هما بدل من الضمير في يقومان او من اخران استحق عليهم الاوليان
حفص اي من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما
للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين الاولين حمزة وابو بكر على انه وصف
للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح وسموا اولين لانهم كانوا اولين في الذكر
في قوله شهادة بينكم فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اي ليميننا احق
لصوابه من يمين هذين الوصيين الخائنين وما اعتدينا وما تجاوزنا الحق في يميننا انا اذا لمن الظالمين
ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى اقرب ان ياتوا اي الشهداء على
نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها كما حملوها بلا خيانة فيها او يخافوا ان ترد
ايمان بعد ايمانهم اي تكرر ايمان شهود اخر بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم
واتقوا الله في الخيانة واليمين الكاذبة واسمعوا سماع قبول واجابة والله لا يهدي القوم
الفاسقين الخارجين عن الطاعة فان قلت ما معنى او هنا قلت معناه ذلك ادنى ان
ان ياتوا بالشهادة بالحق والصدق اما لله او لخوف العار والافتضاح برد الايمان
وقد احتج به انهما قد ادعيا فحلفا على ما ظهر كذبهما اد عيا الشراء فيما كتما
فانكرت الورثة وكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء يوم منصوب يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم ما الذي اجابتكم اممكم حين دعوتموهم الى الايمان وهذا السؤال
توبيخ لمن انكرهم وماذا منصوب باجبتم نصب المصدر او اذكروا يوم يجمع
بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم
جمعه او ظرف لقوله لا يهديه اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصبه
كما قال الشيخ رحمه الله تعالى على معنى اي اجابة اجبتم قالوا لا علم لنا باخلاص قومنا
دليله انك انت علام الغيوب او بما احدثوا بعدنا دليله كنت انت الرقيب عليهم او قالوا ذلك
تادبا اي علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكانه لا علم لنا اذ قال الله بدل من يوم يجمع
يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك حيث طهرتها واصطفيتها على نساء
العالمين والحال منهما اذ ايدتك قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام ايد به لتثبيت
الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الاثام

دليله تكلم الناس في المهد حالا اي تكلمهم طفلا اعجازا وكهلا تبليغا واذ علمتك معطوف
على اذ ايدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج واذ كففت واذ اوحيت الكتاب والحكمة
الكتاب والحكمة الخط والكلام المحكم الصواب والتوراة والانجيل واذ تخلق تقدر من الطين كهيئة الطير هيئة
مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان
يخلقها عيسى وينفخ فيها والضمير يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا
الضمير في فتكون طيرا باذني وهو عطف وتبرئ الاكمه والابرص باذني على تخلق واذ تخرج
الموتى باذني من القبور احياء باذني قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية واذ
كففت بني اسرائيل عنك اي اليهود اذ هموا بقتلك اذ جئتهم ظرف لكففت بالبينات
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ساحر حمزة وعلي واذ اوحيت الهمت الى الحواريين
الحواريون
الخواص او الاصفياء ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون
مخلصون من اسلم وجهه اذ قال الحواريون اي اذكر اذ قالوا يا عيسى ابن مريم عيسى نصب على اتباع حركته
حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو هل يستطيع ربك هل يفعل او هل يطيعك ربك ان سألته فـ
يستطاع واطاع بمعنى كاستجاب واجاب هل تستطيع ربك علي اي هل تستطيع
سؤال ربك نحو واسأل القرية والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله
ان ينزل علينا مائدة من السماء هي الخوان اذا كان عليه الطعام من ماده
اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه قال اتقوا الله في اقتراح الايات بعد ظهور المعجزات
ان كنتم مؤمنين ان الايمان يوجب التقوى قالوا نريد ان ناكل منها تبركا وتطمئن قلوبنا
وتزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ونعلم ان قد صدقتنا اي نعلم صدقك
عيانا كما علمناه استدلالا ونكون عليها من الشاهدين بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال
لزيادة العلم لا للتعنت قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
اي تكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا والعيد السرور
العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا لاولنا واخرنا بدل من
لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا او ياكل منها اخر الناس
كما ياكل اولهم او للمتقدمين منا والاتباع واية منك على صحة نبوتي ثم اكد ذلك
بقوله وارزقنا وانت خير الرازقين واعطنا ما سألناك وانت خير المعطين قال الله
اني منزلها عليكم بالتشديد مدني وشامي وعاصم وعد بالانزال وشرط عليهم
شرطا

شرطا بقوله فمن يكفر بعد منكم اي بعد انزالها فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا
كالسلام بمعنى التسليم والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب
به لم يكن بد من الباء احدا من العالمين عن الحسن ان المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا
الى يوم القيامة لقوله واخرنا والصحيح انها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة
تطير بها الملائكة عليها كل طعام الا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاءوا
او وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الجمهور على ان هذا السؤال يكون
يوم القيامة دليله سياق الاية وسياقها وقيل خاطبه به حين رفعه الى السماء
دليله اذ قال سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول ما ليس
لي بحق ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته ان صح اني قلته فيما
مضى فقد علمته والمعنى اني لا احتاج الى الاعتذار لانك تعلم اني لم اقله ولو قلته
علمته لانك تعلم ما في نفسي ذاتي ولا اعلم ما في نفسك ذاتك فنفس الشيء ذاته وهو
يئه والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين
معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به
اي ما امرتهم الا بما امرتني به ثم فسر ما امر به فقال ان اعبدوا الله ربي وربكم وان مفسرة
بمعنى اي وكنت عليهم شهيدا رقيبا ما دمت فيهم مدة كوني فيهم فلما توفيتني قبضتني كنت
انت الرقيب عليهم الحفيظ وانت على كل شيء شهيد من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال الزجاج علم
عيسى ان منهم من امن ومنهم من اقام على الكفر فقال في جملتهم ان تعذبهم
اي تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لاياتك مكذبين لانبيائك
وانت العادل في ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر
لهم اي لمن اقلع منهم وامن فذلك تفضل منك وانت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد
حكيم في ذلك او عزيز قوي قادر على الثواب حكيم لا يعاقب الا عن حكمة وصواب
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم برفع اليوم والاضافة على انه خبر
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم المستمر في دنياهم واخرتهم والجملة من المبتدا
والخبر النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف
اي قال الله لعيسى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة لهم

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم بالسعي المشكور ورضوا
عنه بالجزاء الموفور ذلك الفوز العظيم لانه باق بخلاف الفوز في الدنيا فانه عن
فان لله ملك السموات والارض وما فيهن عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه الها
آخر وهو على كل شيء قدير من المنع والاعطاء والايجاد والافناء نسأله ان يوفقنا
لمرضاته وان يجعلنا من الفائزين بجناته انه على كل شيء قدير. سورة الانعام مكية

سورة الانعام

وهي مائة وخمس وستون آية كوفي بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله تعليم
والمعنى مع ذكر بعض الاستغناء اي الحمد لله وان لم تحمدوه الذي خلق السموات والارض
جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت سبعا عند الجمهور
فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال البعض وجعل يتعدى الى مفعول
واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا
كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية
بقدم النور والظلمة وافرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شيء تختلف باختلاف
ذلك الشيء نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد
منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات لقوله
عليه السلام خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه النور اهتدى
ومن اخطأه ضل ثم الذين كفروا [illegible] بربهم يعدلون يسوون به الاوثان تقول
عدلت هذا بهذا اي ساويته به والباء في بربهم صلة العدول لا الكفر او ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون عنه اي يعرضون عنه فيكون الباء صلة الكفر وصلة يعدلون اي عنه
محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما
خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته او على
خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم الاستبعاد
ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته هو الذي خلقكم من طين من لابتداء الغاية
اي ابتدأ خلق اصلكم يعني آدم منه ثم قضى اجلا اي حكم اجل الموت واجل مسمى
عنده اجل القيامة او الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث
وهو البرزخ او الاول النوم والثاني الموت او الثاني هو طول [illegible] وهو اجل
مسمى في معلوم واجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وان كان نكرة والخبر

ظرف

169

ظرف وحقه التأخير لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة ثم انتم تمترون
تشكون من المرية او تجادلون من المراء ومعنى ثم استبعاد ان يمتروا فيه بعد
ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم وهو الله مبتدأ وخبر في السموات وفي الارض
متعلق بالاسم على معنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذي في
السماء اله وفي الارض اله او وهو المعروف بالالهية فيهما او وهو الذي يقال له الله
فيهما والاول تفريع على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق يعلم سركم وجهركم
خبر بعد خبر او كلام مبتدأ اي هو يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون من الخير والشر
ويثيب عليه ويعاقب وما تأتيهم من آية من للاستغراق وفي من آيات ربهم
للتبعيض اي وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب
فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم اي بما هو اعظم آية واكبرها وهو القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عنه
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون وما في انباء الشيء الذي كانوا به
يستهزئون وهو القرآن اي اخباره واحواله يعني سيعلمون باي شيء استهزءوا وذلك
عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام
وعلو كلمته الم يروا يعني المكذبين كم اهلكنا من قبلهم من قرن هو مدة انقضاء
اهل كل عصر وهو ثمانون سنة او سبعون سنة مكناهم في موضع جر صفة لقرن وجمع
على المعنى في الارض ما لم نمكن لكم التمكين في البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط اهل
مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال
والاستظهار باسباب الدنيا وارسلنا السماء المطر عليهم مدرارا كثيرا وهو من ابنية المبالغة
وجعلنا الانهار تجري من تحتهم من تحت اشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار
والثمار وسقيا الغيث المدرار فاهلكناهم بذنوبهم ولم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا
من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم ولو نزلنا عليك كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه
بايديهم هو للتأكيد لئلا يقولوا سكرت ابصارنا من الممتنع عليهم لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا انزل عليه ملك

النبي عليه السلام ملك يكلمه انه نبي فقال الله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر لقضي امر هلا
كهم ثم لا ينظرون لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته
زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين من قضاء الامر و
عدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان معاجلة الشر اشد من نفس
الشر ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا تارة
يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا
لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية
الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ما يلبسون ولخلطنا واشكلنا عليهم من امره
اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة الانسان
هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته عليهم
واشكلته عليهم ثم سلى نبيه على ما اصابه من استهزاء قومه بقوله ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الشيء الذي
كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل استهزائهم به ومنهم متعلق
بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل الدال المكسور عند ابي عمرو وعاصم
لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء قل سيروا في الارض ثم انظروا
كيف كان عاقبة المكذبين والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا
عن السير في فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى
سيروا في الارض ثم انظروا اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر
في اثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات
والارض من استفهام وما بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره قل لله
تقرير لهم اي هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره
كتب على نفسه الرحمة اصلها ايجابا ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره اذ لا يجب على
الله شيء للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا مؤكدا وهو منجزه لا محالة وذكر النفس
للاختصاص ورفع الوسائط ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر
على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم لا ريب فيه في اليوم
او في الجمع الذين خسروا انفسهم نصب على الذم اي اريد الذين خسروا انفسهم

بل

باختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وقال الاخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم اي ليجمع
هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم والوجه هو الاول لان سيبويه قال لا يجوز مررت
بي المسكين ولا بك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الياء او الكاف لانهما في غاية الو
ضوح فلا يحتاجان الى البدل والتفسير وله عطف على الله ما سكن في الليل والنهار من السكنى
حتى يتناول الساكن والمتحرك او من السكون ومعناه ما سكن وتحرك فيهما واكتفى
باحد الضدين عن الاخر كقوله تقيكم الحر اي الحر والبرد وذكر السكون لانه اكثر من الحركة
وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا انه خالق الكل ومدبره وهو السميع العليم
سميع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان
قل اغير الله اتخذ وليا ناصرا او معبودا وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما ادخل
الهمزة الاستفهام على مفعول اتخذ لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا
لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم فاطر السموات والارض بالجر صفة لله اي مخترع
هما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان
في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا
يرزق اي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين
ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظا
لقيل وان لا اكون امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم اي اني اخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة ان عصيت ربي جملة
للشرط معترض بين الفعل والمفعول به محذوف الجواب وهو جائز اي فاني
من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الرحمة العظمى وهي النجاة من يصرف حمزة وعلي
وابو بكر اي من يصرف الله عنه العذاب وذلك الفوز المبين النجاة الظاهرة وان يمسسك
الله بضر من مرض وفقر او غير ذلك من البلايا فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه
الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته
وهو القاهر فوق عباده مبتدا وخبر اي الغالب المقتدر وفوق عباده خبر بعد خبر اي عال عليهم
بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره من بلوغه وهو الحكيم في تنفيذ مراده الخبير باهل
القهر من عباده قل اي شيء اكبر شهادة اي شيء مبتدا واكبر خبره وشهادة

تمييز واي كلمة يراد بها بعض ما يضاف اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها
مسمى باسم ما اضيف اليه وقوله قل الله جواب اي الله اكبر شهادة فالله مبتدا
والخبر محذوف فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم الشيء على الله تعالى وهذا
لان الشيء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيئا ولذا نقول
الله تعالى شيء لا كالاشياء ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني
وبينكم ويجوز ان يكون الجواب الله شهيد بيني وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم
فاكبر شيء شهادة شهيد له واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ اي ومن بلغه القران الى قيام
الساعة في الحديث من بلغه القران فكانما رأى محمدا صلى الله عليه ومن في محل النصب
بالعطف على كم والمراد به اهل مكة والعائد اليه محذوف اي ومن بلغه وفاعل بلغ
ضمير القران ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى استفهام انكار وتبكيت قل لا اشهد
بما تشهدون به وكرر قل توكيدا انما هو اله واحد وما كافة عن العمل وهو مبتدا واله صفته وواحد
خبران وهذا الوجه اوقع وانني بريء مما تشركون به الذين آتيناهم الكتاب يعني
اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل يعرفونه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحليته ونعته الثابت في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد
لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم
انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن اظلم استفهام
يتضمن معنى النفي اي لا احد اظلم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير موضعه واشنعه
اتخاذ المخلوق معبودا ممن افترى على الله كذبا فيصفه بما لا يليق به او كذب
بآياته بالقران والمعجزات انه الهاء والشان لا يفلح الظالمون جمعوا بين امرين
باطلين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا الملائكة
بنات الله وسموا القران والمعجزات سحرا ويوم نحشرهم هو معمول به والتقدير واذكر
يوم نحشرهم جميعا حال من الضمير المفعول ثم نقول للذين اشركوا مع الله غيره توبيخا
وبالياء فيهما يعقوب اين شركاؤكم آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله الذين كنتم
تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان ثم لم تكن بالياء حمزة وعلي فتنتهم
كفرهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه
اعمارهم وقاتلوا عليه الا جحوده والتبري منه والحلف على الانتفاء من التدين به
او ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وبرفع الفتنة مكي وشامي

وحفص

وحفص غير انه بالتاء ورفع الفتنة وغيرهم جعل الفتنة اسم تكن وان قالوا الخبر اي لم تكن
فتنتهم الا مقالتهم ومن قرا بالياء ونصب الفتنة جعل ان قالوا اسما مذكرا اي لم يكن
فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة ربنا حمزة وعلي على
النداء اي يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله انظر يا محمد كيف كذبوا على
انفسهم بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون
سعة رحمة الله وشفاعة الرسول للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا فلنكتم
الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فاذا قال الله لهم اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم
وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون الهيته وشفاعته ومنهم من يستمع اليك
حين تتلو القران روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما ادري ما يقول الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لا
اراه حقا فقال ابو جهل كلا وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو الغطاء
مثل عنان واعنة ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا يمنع من السمع ووحد
الوقر لانه مصدر وهو عطف على اكنة وهو حجة لنا في الاصلح على المعتزلة وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا حتى هي التي
يقع بعدها الجمل والجملة من قوله اذا جاءوك وفي يقول الذين كفروا ويجادلونك
في موضع الحال ويجوز ان تكون جارة ويكون اذا جاءوك في موضع الجر بمعنى حتى
وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ
تكذيبهم الايات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون
ان هذا القران الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله اكاذيب وواحد الاساطير
اسطورة وهم اي المشركون ينهون عنه ينهون الناس عن القرآن
او عن الرسول واتباعه والايمان به وينأون عنه ويبعدون عنه بانفسهم فيضلون
ويضلون وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون اي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان
كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل عني به ابو طالب لانه كان ينهى
قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به
والاول اشبه ولو ترى جوابه محذوف اي ولو ترى [illegible] لشاهدت امرا
عظيما اذ وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او حبسوا على الصراط

جوف النار فقالوا يا ليتنا نرد تمنوا الرد إلى الدنيا اليوم ... وتم تمنيهم ثم ابتدأوا
بقوله ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين أنا إن رددنا لم نكذب فالواو ... ولا نكذب
ونحن لا نكذب ونكون ويجوز أن يكون معطوفا على جواب التمني بالواو وبإضمار أن معناه إن رددنا
لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما في ونكون شامي بل للإضراب عن الوفاء بما تمنوا أي
ليس بهم الوفاء بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبل في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم
وقيل هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه أو في أهل الكتاب
وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوا
إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وإنهم لكاذبون فيما وعدوا
من أنفسهم لا يوفون به وقالوا عطف على لعادوا أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا إن هي إلا
حياتنا الدنيا كما كانوا يقولونه قبل معاينة القيامة أو على قوله وإنهم لكاذبون أي
وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وهي كناية عن الحياة
أو هو ضمير القصة وما نحن بمبعوثين ولو ترى إذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتو
بيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه أو وقفوا على جزاء ربهم
قال جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال
أليس هذا البعث الذي تكذبون بالموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب بالبعث
وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق قالوا بلى وربنا أقروا و
أكدوا الإقرار باليمين قال الله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها أو هو مجرى على ظاهره لأن منكر البعث منكر الر
ؤية حتى غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له إذا جاءتهم الساعة أي القيامة
سميت لأن مدة تأخرها مع تأبدها يجيء كساعة واحدة بغتة فجاءة وانتصابها على
الحال يعني باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة وهي ورود الشيء على
صاحبه من غير علمه بوقته قالوا يا حسرتنا نداء تفجع معناه يا حسرة احضري فهذا
أوانك على ما فرطنا فيها ... في الحياة الدنيا أو في الساعة أي قصرنا في شأنها و...
... وهم يحملون أوزارهم آثامهم على ظهورهم خص الظهور لأن المعهود
حمل الأثقال على الظهور كما عهد الكسب بالأيدي وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يزول
عنهم وقيل إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا
عملك السيء ... ألا ساء ما يزرون بئس شيئا
يحملونه ... وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو جواب لقولهم

إن هي

إن هي إلا حياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد إلى الهزل وقيل
ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو وقيل ما أعمال الدنيا إلا لعب ولهو لانقضائها
لا تنفع ولا منفعة فيها بخلاف أعمال الآخرة فإنها المنافع الحقيقية وللدار الآخرة خير
صفتها ولدار الآخرة بالإضافة شامي أي ولدار الساعة الآخرة لأن الشيء لا يضاف
إلى صفته وخبر المبتدأ على القراءتين للذين يتقون وفيه دليل على أن ما سوى أعمال
المتقين لعب ولهو أفلا تعقلون بالتاء مدني وحفص ... فإنهم لا يكذبونك
وإنما يكذبون ما جئت به ... أي قد علمنا إن الشأن ليحزنك الذي يقولون فإنهم
لا يكذبونك لا ينسبونك إلى الكذب والتخفيف نافع وعلي من أكذبه إذا وجده
كاذبا ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أقام الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة
على أنهم ظلموا في جحودهم والباء تتعلق بيجحدون أو بالظالمين كقوله فظلموا
بها والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا
يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله لأن تكذيب الرسول تكذيب المرسل
ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على
أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك
إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني فصبروا والصبر
حبس النفس على المكروه على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم حتى أتا
هم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين إنهم لهم المنصورون أي النصر ... ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض
أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين ... لتكون من ...
والعاقبة للمرسلين ... كان يكبر على النبي صلى الله
عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم ويحب مجيء الآيات ليسلموا فنزل وإن كان كبر عليك عظم وشق عليك
إعراضهم عن الإسلام فإن استطعت أن تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض
حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو سلما في السماء ... فتأتيهم منها
بآية فافعل وهو جواب فإن استطعت وهو جواب وجواب وإن كان كبر والمعنى
أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وأنه لو استطاع
أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم ولو شاء الله

لجمعهم على الهدى لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن علم انهم يختارون الكفر
لم يشأ ان يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ ابو منصور رحمه الله فلا تكونن
من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك اي من اشتد حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم
سمعهم بقوله انما يستجيب الذين يسمعون اي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك
بقلوبهم والموتى مثل لانهم كالموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك
فلا وقالوا لولا نزل عليه هلا نزل عليه آية من ربه كما نقترح من جعل الصفا ذهبا وتوسيع
ارض مكة وتفجير الانهار خلالها قل ان الله قادر على ان ينزل آية كما اقترحوا ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية او لا يعلمون ما عليهم في الآية من البلاء
لو انزلت وما من دابة هي اسم ما يدب ويقع على المذكر والمؤنث في الارض في موضع جر صفة
لدابة ولا طائر يطير بجناحيه قيد الطيران بالجناحين لنفي المجاز لان غير الطائر قد يقال
فيه طار اذا اسرع الا امم امثالكم في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر امرها
ما فرطنا ما تركنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت
ما وجب ان يثبت او الكتاب القرآن وقوله من شيء اي من شيء يحتاجون اليه فهو
مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة ودلالة واقتضاء ثم الى ربهم يحشرون يعني
الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء
من القرناء ثم يقول كوني ترابا وانما قال الا امم مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق
فيهما ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال
والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون بالحق خائضون في الظلمات
اي ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه صم وبكم خبر الذين
ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بانه فعال لما يريد من يشإ الله
يضلله اي من يشإ الله ضلاله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم وفيه دلالة
خلق الافعال وارادة المعاصي ونفي الاصلح قل ارأيتكم وبتليين الهمزة مدني وبتركه
علي ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال الكم فاخبروني بما علمتم والضمير الثاني لا محل
له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارأيتكم ان اتاكم عذاب
الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون اي تخصون
آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها ان كنتم صادقين

بل اياه

في ان الاصنام آلهة فادعوها لتخلصكم بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة
بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار
بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم فاخذناهم بالبأساء والضراء
بالبؤس والضراء والبأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال
لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند
نزول الشدائد فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفي
التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه
لم يكن لهم عذر في ترك التضرع ولكن قست قلوبهم فلم ينزجروا بما ابتلوا به وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون وصاروا معجبين باعمالهم التي زينها الشيطان فلما نسوا
ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم فتحنا عليهم
ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شامي حتى اذا فرحوا بما اوتوا
من الخير والنعم اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون آيسون متحسرون واصل الابلاس الاطراق
حزنا لما اصابه او ندما على ما فاته واذا للمفاجأة فقطع دابر القوم الذين ظلموا
اي اهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم احد والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب
الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم او احمدوا الله على اهلاك
من لم يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
بان اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم فسلب العقول والتمييز من اله غير الله يأتيكم به
بما اخذ وختم عليه من رفع بالابتداء واله خبره وغير صفة لاله وكذا يأتيكم والجملة
في موضع مفعولي ارأيتم وجواب الشرط محذوف انظر كيف نصرف الآيات نكررها
ثم هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدوف الاعراض عن الشيء
قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة بان لم تظهر اماراته او جهرة بان ظهرت امارته
وعن الحسن ليلا او نهارا هل يهلك الا القوم الظالمون ما يهلك هلاك تعذيب وسخط
الا الذين ظلموا انفسهم بكفرهم وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالجنان

ومنذرين للمومنين والكفار ولم نرسلهم ليقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم
بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة فمن امن واصلح اي دام على اصلاحه
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلا خوف يخافون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم
العذاب جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الالام بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
اي قسمه بين الخلق وارزاقه ومحل ولا اعلم الغيب النصب عطفا على محل عندي
خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول ولا اقول لكم
اني ملك اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم
الغيوب ودعوى الملائكية وانما ادعي ما كان لكثير من البشر وهو النبوة ان اتبع
الا ما يوحى الي اي ما اخبركم الا بما انزل الله علي قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال
والمهتدي او لمن اتبع ما اوحي اليه ومن لم يتبع او لمن يدعي المستقيم وهو النبوة
والمحال وهو الالهية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا ان ما
ادعيته ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه وانذر به بما يوحى
الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المسلمون المقرون بالبعث الا انهم مفرطون
في العمل فينذرهم بما اوحي اليه او اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم لعلهم يتقون يدخلون في زمرة اهل التقوى ولما امر عليه الصلاة والسلام بانـ
ـذار غير المتقين ليتقوا امر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي واثنى عليهم بانهم يواظبون على دعاء ربهم اي عبادته
ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام ومعناه يصلون صلاة الصبح
والعصر او الصلوات الخمس الغداة تشملهما ووسمهم بالاخلاص في عباداتهم بقوله
يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب
وعمار واضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء الاسقاط لجالسناك فقال
عليه السلام ما انا بطارد المومنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما فطلبوا بذلك
كتابا فدعا عليا رضي الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى عليه
السلام بالصحيفة واتى الفقراء فعانقهم ما عليك من حسابهم من شيء كقوله

ان

ان حسابهم الا على ربي وما من حسابك عليهم من شيء وذلك انهم طعنوا في دينهم
واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك
لا يتعداك اليهم فتطردهم جواب النفي وهو ما عليك من حسابهم فتكون من الظالمين
جواب النهي وهو لا تطرد ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب
لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن
العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء ليقولوا اي الاغنياء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
اي انعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء انكارا لان يكون
امثالهم على الحق ممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا
اليه اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يشكر نعمته واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا
فقل سلام عليكم اما ان يكون امر بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امر بان يبدا
هم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم
بالرحمة وعدا موكدا انه الضمير للشان من عمل منكم سوءا بجهالة في موضع الحال
اي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة او جعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة
ثم تاب من بعده من بعد السوء او العمل واصلح واخلص توبته فانه غفور رحيم انه فانه
نفتحهما وعاصم الاول بدل الرحمة والثانية خبر مبتدا محذوف اي فشانه انه غفور رحيم
انه فانه مدني الاول بدل الرحمة والثانية مبتدا انه وفانه غيرهم على الاستيناف كان
الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل
حمزة وعلي وابو بكر سبيل المجرمين مدني غيرهم بالرفع وفتح السبيل مع التاء والياء
لانها تذكر وتونث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول يقال استبان
الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات
القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى
اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك
التفصيل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله اي صرفت وزجرت بادلة
العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في
طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان
للسبب الذي منه وقعوا في الضلال قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال

وما انا من المهتدين من وما انا من المهتدين في شيء يعني انكم كفرتم وما ابتغي ان يكون الهوى
متبعا لي على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي اي على معرفة من ربي وانه
لا معبود سواه على حجة واضحة وكذبتم به حيث اشركتم به غيره وقيل على بينة
من ربي على حجة من جهة ربي وهو القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تاويل
البرهان او البيان او القرآن ثم عقبه بما دل على انهم جعلوا يستعجلون العذاب
فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة
من السماء ان الحكم الا لله في تاخير عذابكم يقص الحق حجازي وعاصم اي يتبع الحق
والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قضى الباقون يقضي الحق اي القضاء الحق في كل
ما يقضي من التاخير والتعجيل ... فحذف ... يقص وقوله وهو خير الفاصلين اي
القاضين بالقضاء ... الفصل هو القضاء سقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ
وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون
من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي والله اعلم بالظالمين
فهو ينزل عليهم العذاب في وقت يعلم انه اردع وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهو ... العذاب والرزق وما غاب عن العباد من
الثواب والعقاب والاجال والاحوال جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان
المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم
مفاتحها وكيفية فتحها توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده
لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في
المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعنده مفاتح الغيب ... اسبل الله
الستر على غيبه ويعلم ما في البر من النبات والدواب والبحر من الحيوان والجواهر و
غيرهما وما تسقط من ورقة الا يعلمها ما للنفي ومن للاستغراق اي يعلم عددها واحوالها
قبل السقوط وبعده ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة
وداخل في حكمها وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها
ومعنى الا في كتاب مبين واحد وهو علم الله او اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل اي يقبض انفسكم عن التصرف بالنوم في المنام ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم
فيه من الآثام ثم يبعثكم فيه ثم يوقظكم في النهار او القبور ثم يبعثكم في النهار

ويعلم

179

ويعلم ما جرحتم فيه وغلب في الكسب للاثم وليس فيه انه لا يعلم ما جرحتم بالليل ولا انه
يتوفاكم بالنهار وهذا من تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ليقضى اجل مسمى
ليوفى الاجل على الاستكمال ثم اليه مرجعكم رجوعكم بالبعث بعد الموت ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم ... في هذا الكلام ... سببه من هذه
الحواس وما يقبض عند النوم ثم يرد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي تحيى بها
النفس فانه لا يقبض الا عند انقضاء الاجل المراد بالارواح المعاني والقوى التي
تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والبطش والشم ومعنى ثم يبعثكم
فيه اي يوقظكم ويرد اليكم ارواح الحواس ثم رد اليها فكذا يحيي الانفس بعد موتها
وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكا
تبون ليكون ذلك ازجر للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا ان صحائفهم تعرض على
رؤوس الاشهاد حتى اذا جاء احدكم الموت حتى لغاية حفظهم الاعمال اي في دار المهلة
يكتب مع المكلف مدة الحياة الى ان ياتيه الممات توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك
الموت واعوانه توفته واستوفيه بالامالة حمزة رسلنا ابو عمرو وهم لا يفرطون اي
لا يتوانون ولا يؤخرون ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه اي رد المتوفون برد الملا
ئكة مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وهذا
... الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب
عن حساب جميع الخلق في مقدار حلب شاة وقيل ... حين من الفناء مع من
... ينجيكم عباس من ظلمات البر والبحر مجازا عن مخاوفهما واهوالهما او
ظلمات البر الصواعق والبحر الامواج وكلاهما في الغيم والليل تدعونه حال من ضمير
المفعول في ينجيكم تضرعا معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال وكذا وخفية
اي مسرين في انفسكم حيث كان ابو بكر ... وخفية عاصم وبالامالة حمزة
وعلي ... لئن انجيتنا والمعنى يقولون لئن خلصتنا من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين
لله ... ينجيكم بالتشديد كوفي منها من الظلمات ومن كل كرب غم وحزن ثم انتم
تشركون ولا تشكرون قل هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة فاللام
يحتمل للعهد والجنس على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط
وعلى اصحاب الفيل الحجارة ومن تحت ارجلكم كما اغرق قوم فرعون وخسف بقارون
او من قبل ... وسفلتكم او هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم

في قلوبهم مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم تشايع اماما ومعنى خلطهم ان ينشب
القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال ويذيق بعضكم بأس بعض يقتل بعضهم
بعضا والباس السيف وعنه عليه السلام سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من
فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني
واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به بالقرآن او بالعذاب قومك وهو الحق اي الصدق
او لابد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم انما انا منذر لكل نبإ
لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون واعلامهم به مستقر وقت استقرار
وحصول لا بد منه وسوف تعلمون تهديد واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اي القرآن
يعني يخوضون في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون
ذلك فاعرض عنهم ولا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره غير القرآن
مما يحل فحينئذ يجوز ان تجالسهم واما ينسينك الشيطان ما نهيت عنه بان يشغلك
نسي وانسى واحد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين وما على الذين
يتقون من حسابهم من حساب هؤلاء الذين يخوضون في القرآن تكذيبا واستهزاء
من شيء اي وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى تذكرة ووعظا لهم ووعظ على العلماء اذا سمعوهم
يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم ومحل ذكرى
نصب والجر محذوف لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم
وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث
سخروا به واستهزءوا ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم
واللهو ما يشغل الانسان من هوى او طرب وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به
وعظ بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء
كسبها واصل الابسال المنع ليس لها من دون الله ولي ينصرها بالقوة ولا شفيع
يدفع عنها بالمسألة ولا وقف في كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس
والمعنى وذكر بالقرآن كراهة ان تبسل نفس عادمة وليا ولا شفيعا بكسبها وان تعدل كل
عدل نصب على المصدر وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى
بمثله وفاعل لا يؤخذ منها ضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ.

اشارة

اشارة الى التحذير من اتخاذ دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ والخبر الذين ابسلوا بما كسبوا
وقوله لهم شراب من حميم اي ماء سخين خبر ثان لاولئك والتقدير اولئك المبسلون
ثابت لهم شراب من حميم او مستأنف وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بكفرهم
قل لابي بكر يقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو اباه الى عبادة الاوثان اندعوا انعبد
من دون الله الضار النافع ما لا ينفعنا ان عبدناه ولا يضرنا ان تركناه
ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ هدانا الله للاسلام وانقذنا من
عبادة الاصنام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به الغيلان ومردة الجن
والكاف في محل النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انكص مشبهين
من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان
معناه طلبت هويه في الارض في المهمه حيران حال من مفعول استهوته اي تائها
ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه
الى الهدى الى ان يهدوه الى الطريق [illegible] سمي الطريق المستقيم بالهدى ائتنا
وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما يقال
ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام
التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله
وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وامرنا محله نصب بالعطف على محل
ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا
لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلاة واتقوه وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي
للاسلام ولاقامة الصلاة والتقوى وهو الذي اليه تحشرون يوم القيامة وهو الذي
خلق السماوات والارض بالحق بالحكمة او محقا ويوم يقول كن فيكون [illegible]
الجواب قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة
قولك الصدق اي قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين
والمعنى انه خلق السماوات والارض بالحق والحكمة وحين
يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون
شيئا من السماوات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب وله الملك
مبتدأ وخبر يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك في الصور هو القرن بلغة اليمن وجمع
صورة عالم الغيب هو عالم الغيب والشهادة اي السر والعلانية وهو الحكيم
في الافناء والاحياء الخبير بالحساب والجزاء واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو اسم

أبيه أو لقبه لأنه لا خلاف بين النسابين أن اسم أبيه تارخ وهو عطف بيان لأبيه
ووزنه فاعل أتتخذ أصناما آلهة استفهام توبيخ أي أتتخذها آلهة
وهي لا تستحق الإلهية إني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك أي وكما أريناه
قبح الشرك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض أي نريه ببصيرته لطائف خلق
السموات والأرض ونري حكاية حال ماضية والملكوت أبلغ من الملك لأن الواو
والتاء تزادان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر إلى ما فيهن
حتى انتهى نظره إلى العرش وفرجت له الأرضون السبع حتى نظر إلى ما فيهن
وليكون من الموقنين فعلنا ذلك أو ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما أيقن
بيانا فلما جن عليه الليل أي أظلم وهو عطف على قال إبراهيم لأبيه وقوله وكذلك
نري إبراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه رأى كوكبا أي الزهرة
أو المشتري وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد
أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم
أن النظر الصحيح مؤد إلى أن هذه الأشياء منها ما لا يصلح دليل الحدوث فيها وأن لها
محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها
فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه قال هذا ربي أي قال لهم هذا ربي في زعمكم
أو المراد أهذا استهزاء بهم وإنكارا عليهم والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة
الصوت والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو
غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته
فيبطله بالحجة فلما أفل غاب قال لا أحب الآفلين أي لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين
عن حال إلى حال المنتقلين من مكان إلى آخر المحتجبين فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع
قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم
الضالين نبه قومه على أن من اتخذ القمر إلها فهو ضال وإنما احتج عليهم بالأفول
دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال لأن الاحتجاج به أظهر لأنه انتقال
من خفاء واحتجاب فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وإنما ذكر لأنه أراد الطالع
أو لأنه جعل المبتدأ مثل الخبر لأنهما لشيء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة

التأ

177

التأنيث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وإن كان الثاني أبلغ
تفاديا من علامة التأنيث هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه
فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها
وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والأول أظهر لقوله يا قوم
إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي للذي دلت
هذه المحدثات على أنه منشئها حنيفا حال أي مائلا عن الأديان كلها إلى الإسلام
وما أنا من المشركين ولما ذكر الله تعالى استسلامه وحاجه قومه في توحيد الله ونفي الشرك حكاه عنه
قال أتحاجوني في الله أي في وحدانيته وقد هدان إلى التوحيد والياء في
هدان محذوفة ولا أخاف ما تشركون به جواب لتخويفهم إياه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال ولا أخاف ما تشركون به
أي لا أخافهم في وقت إلا أن يشاء ربي شيئا أي إلا وقت مشيئة ربي شيئا لأنها لا تقدر على منفعة
والمضرة إلا إذا شاء وهو أن يصيبني بمكروه من جهتها وسع ربي كل شيء علما
فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح
والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم
معبوداتكم وهي مأمونة الخوف ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به
بإشراكه عليكم سلطانا أي حجة إذ الإشراك لا يكون عليه حجة والمعنى وما لكم تنكرون
على أنفسكم الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف
فأي الفريقين أي فريق الموحدين والمشركين أحق بالأمن من العذاب إن كنتم تعلمون
ولم يقل أينا احترازا من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا
ولم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك عن الصديق رضي الله عنه أولئك لهم الأمن وهم مهتدون
تم كلام إبراهيم عليه السلام وتلك حجتنا إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه
السلام على قومه من قوله فلما جن إلى وهم مهتدون آتيناها إبراهيم على قومه حجة
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي وفيه نقض قول المعتزلة
إن ربك حكيم عليم بالأهل وهبنا له لإبراهيم إسحاق ويعقوب
كلا هدينا أي كلهم والنصب بهدينا ونوحا هدينا ونوحا هدينا من قبل من قبل
إبراهيم ومن ذريته الضمير لنوح أو لإبراهيم والأول أظهر لأن يونس ولوطا لم يكونا
من ذرية إبراهيم داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون والتقدير وهدينا
وهدينا من ذريته هؤلاء وكذلك نجزي المحسنين أي نجزي المحسنين جزاء مثل ما

والكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وذكريا ويحيى وعيسى والياس كل
اي كلهم من الصالحين وذكر عيسى معهم دليل على ان النسب يثبت من قبل الام ايضا
لانه جعله من ذرية نوح وهو لا يتصل به الا بالام وبذلك اجيب الحجاج حين انكر ان
يكون بنوا فاطمة اولاد النبي صلى الله عليه وسلم واسماعيل واليسع والليسع
حيث كان بلامين حمزة وعلي ويونس وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة والرسالة
ومن ابائهم في موضع النصب على كلا اي وفضلنا بعض ابائهم وذرياتهم واخوانهم
وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك اي ما دان به هؤلاء المذكورون هدى الله يهدي
به من يشاء من عباده فيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء
هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما
رفع لهم من الدرجات لحبط عنهم ما كانوا يعملون لبطلت اعمالهم كما قال لئن اشركت
ليحبطن عملك اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والحكمة او فهم
الكتاب والنبوة وهي اعلى مراتب البشر فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة
او بالنبوة بالبيان والشجر او فالق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة والفلق
الشق عن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت
من الغصن النامي من الحب اليابس ومخرج الميت من الحي الحب اليابس من النبات
النامي او الانسان من النطفة والنطفة من الانسان او المومن من الكافر والكافر
من المومن احتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لانهم انكروا البعث واع
لمهم ان الذي خلق هذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم وانما قال ومخرج الميت
بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف على فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحي من الميت
موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات
والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان دليله قوله
يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله اي ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية
لا الاصنام فانى توفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره [illegible]
بما ذكر فالق الاصباح هو مصدر سمي به الصبح اي شاق عمود الصبح عن سواد
الليل او خالق نور النهار وجاعل الليل وجعل الليل كوفي لان اسم الفاعل الذي قبله
بمعنى المضي فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى سكنا مسكونا
فيه مرفوعه لتسكنوا فيه اي يسكن فيه الخلق عن كد المعيشة الى نوم الغفلة

اوعى

178

او عن وحشة الخلق الى الانس بالحق والشمس والقمر انتصابهما باضمار فعل يدل عليه
جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا على حسبان لان حسبان
الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير
بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما
وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم وخلقها لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر اي في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه
مشتبهات الطرق بالظلمات قد فصلنا الايات لقوم يعلمون قد بينا الايات
الدالة على التوحيد لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة هي ادم
عليه السلام فمستقر ومستودع فمستقر بالكسر مكي وبصري فمن فتح القاف كان
المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستو
دع اسم مفعول يعني فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر
فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع قد فصلنا
الايات لقوم يفقهون وانما قيل يعلمون ثم ويفقهون هنا لان الدلالة ثم اظهر
وهنا ادق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة
الطف فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر اوفق وهو الذي انزل من السماء
ماء من السحاب مطرا فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف
النامي اي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة فاخرجنا منه
من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر وهو ما تشعب من اصل
النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل الذي تراكب
حبه ومن النخل من طلعها قنوان هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها
بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق
ونظيره صنو وصنوان دانية قريبة من المجتني لانحنائها بثقل حملها او لقصر ساقها
وفيه اكتفاء اي وغير دانية لطولها كقوله سرابيل تقيكم الحر والبرد
وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب
وكذا والزيتون والرمان وجنات الاعشى اي وثم جنات من اعناب اي مع

النخل مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا
والافتعال والتفاعل على بنية يكثران كثيرا وتقريبه والزيتون مشتبها وغير متشابه
والرمان كذلك يعني بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم
انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف تخرجه ضعيفا لا ينتفع به وينعه نضجه
اي انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع نظر اعتبار واستدلال على
قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون به وكذا الاية
ما بعده ثمره وهو على جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمار وثمر وجعلوا لله شركاء الجن
اي جعلوا لله شركاء فمفعولين جعلوا كان الجن ... لله شركاء وقرئ ان شركاء الجن
مفعولين فقدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام ان يتخذ لله شريك من كان
ملكا او جنيا او غير ذلك والمعنى انهم اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم
فجعلوهم شركاء لله وخلقهم اي وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا
لخالقه والجملة حال او وخلق الجاعلين له شركاء فكيف يعبدون غيره وخرقوا له
اي اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وهو من خرق الثوب
اذا شقه اي افتعلوا له بنين كقول اهل الكتاب بنين في المسيح وعزير وبنات كقول بعض
العرب في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير ... لقوله بنين وبنات بغير علم
من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن جهالة او هو
حال من فاعل خرقوا اي جاهلين بما قالوا سبحانه وتعالى عما يصفون من الشريك
والولد بديع السموات والارض من ابدع الشيء فهو بديع وهو من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها يعني بديع سمواته وارضه او هو بمعنى المبدع اي مبدعهما
وهو خبر مبتدا محذوف او مبتدا وخبره انى يكون له ولد وهو دال على تعالى
ولم تكن له صاحبة اي من اين يكون له ولد والولد لا يكون متحققا الا من الاجسام ولا يكون
الا من صاحبة ولا صاحبة له وان الولادة من صفات الاجسام ومحض عن الاجسام
ولا يكون جسما حتى يكون والدا وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم اي ما من شيء
الا هو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه
المحتاج ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده
اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء وقوله فاعبدوه
مسبب عن مضمون الجملة اي من استجمع له هذه الصفات كان هو الحقيق

بالعبادة

179

بالعبادة فاعبدوه لا تعبدوا من دونه من بعض خلقه وهو على كل شيء وكيل اي مع تلك
الصفات متولي لكل شيء من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار
لا تحيط به او ابصار من سبق ذكرهم وتمسك المعتزلة بهذه الاية لا يستقيم لان المنفي
هو الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده وما لا
يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية
منزلة الاحاطة من العلم به فكان هذا على ان مورد الاية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية
اذ نفي الادراك عما يستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح
بنفي الادراك مع تحقق الرؤية اذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة
التناهي والحدود عن الذات فكانت الاية حجة لنا عليكم ولو امعنوا النظر فيها
لاغتنموا التقصي عما عن تعديها ومن ينفي الرؤية يلزمه نفي انه معلوم موجود
والا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود فهذا لان الرؤية تحقق
الشيء بالبصر كما هو فان كان المرئي في الجهة يرى فيها وان كان لا في جهة يرى لا في جهة
وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك الابصار وهو اللطيف العالم بدقائق الامور
ومشكلاتها الخبير العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر
قد جاءكم بصائر من ربكم البصيرة نور القلب الذي به يستبصر القلب كما ان البصر نور
العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر
الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه وضل فعليها فعلى نفسه عمي واياها
ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله
هو الحفيظ عليكم الكلام في وكذلك نصرف الايات في موضع صفة لمصدر محذوف
اي نصرف الايات تصريفا مثل ما تلونا عليك وليقولوا جوابه محذوف اي وليقولوا
درست نصرفها ومعنى درست وان كتب اهل الكتاب دارست مكي وابو عمرو
واي دارست اهل الكتاب درست تلك من اي قدمت هذه الايات ومضت كما قالوا
اساطير الاولين اي القرآن وان لم تجر له ذكر لكونه معلوما او الايات لانها
في معنى القرآن ... اللام الثانية حقيقة وفي الاولى لام العاقبة والصيرورة اي
ليصير عاقبة امرهم الى ان يقولوا درست وهو كقوله فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير
قرة عين ولكن صارت عاقبة امرهم الى العداوة فكذا الايات صرفت للتبيين

ولم نصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه
به وليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك الذي علم في لقوم يعلمون الحق من الباطل قيل
اتبع ما اوحي اليك من ربك ولا تتبع اهواءهم لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي
لا محل له من الاعراب او حال من ربك مؤكدة واعرض عن المشركين في الحال الى ان يرد الامر
بالقتال او ولا تلتفت الى آرائهم والمفعول محذوف ولو شاء الله ما اشركوا بين انهم لا يشركون مع
مع مشيئة الله تعالى ولو علم منهم اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار
الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته وما جعلناك عليهم حفيظا مراعيا لاعمالهم
ماخوذا باجرامهم وما انت عليهم بوكيل بمسيطر وكان المسلمون يسبون آلهتهم
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله بقوله ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله منصوب على جواب النهي عدوا ظلما وعدوانا بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار عملهم وهو
كقوله افمن زين له سوء عمله فرءاه حسنا فان الله يضل من يشاء وهو حجة لنا في الاصلح
ثم الى ربهم مرجعهم مصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم
عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم جهد مصدر وقع موقع الحال اي جاهدين في
الاتيان باوكد الايمان لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله
وهو قادر عليها لا عندي فكيف آتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية
المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم
لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون
مجيئها فقال تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي
به من انهم لا يؤمنون انها بالكسر مكي وبصري وابو بكر على ان الكلام تم قبله
اي وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت
لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح كقوله وحرام على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون لا تؤمنون شامي وحمزة ونقلب افئدتهم
عن قبول الحق وابصارهم وابصارهم عن رؤية الحق عند نزول الآية التي اقترحوها
فلا يؤمنون بها قيل هو عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم اي وما
يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم فلا يفقهون
ولا يبصرون كما لم يؤمنوا به اول مرة كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون
بها ونذرهم وتخليهم يعمهون متحيرين وما يشعركم انا نذرهم في طغيا

نهم

نهم يتحيرون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة
وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كفلاء
بصحة ما بشرنا به وانذرنا جمع قبيل وهو الكفيل قبلا مدني وشامي اي عيانا
وكلاهما نصب على الحال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فيؤمنوا
وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآيات ولكن اكثرهم يجهلون ان
هؤلاء لا يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما
جعلنا لك اعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء اعداء لما فيه من الابتلاء
الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين
الانس والجن على البدل من عدوا او على انه المفعول الاول وعدوا مفعول ثان يوحي
بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن
الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد من
شياطين الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني
فيجرني الى المعاصي عيانا وقال عليه السلام قرناء السوء شر من شياطين الجن
زخرف القول ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي غرورا خدعا
واخذا على غرة وهو مفعول له ولو شاء ربك ما فعلوه اي الايحاء يعني ولو شاء الله
لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه اجزل في الثواب فذرهم
وما يفترون عليك وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولتميل الى زخرف القول قلوب الكفار وهو معطوف
على غرورا اي ليغروا ولتصغى اليه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون
من الآثام افغير الله ابتغي حكما اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم
بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز
مفصلا حال من الكتاب اي مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق
وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه
ما عندهم وموافقته له بقوله والذين آتيناهم الكتاب اي عبد الله بن سلام واصحابه
يعلمون انه منزل شامي وحفص من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين من الشاكين
فيه اي ان السامع او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق

والمراد جميع ذكرهم وكفرهم به وتمت كلمة ربك اي ما تكلم به كلمات ربك حجازي وشامي
وابو عمرو اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا في وعده وعدلا في
وعيده امره ونهيه وانتصبا على التمييز او الحال لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك
وهو السميع لاقرار من اقر العليم لاصرار من اصر والسميع لما يقولون العليم بما يضمرون
وان تطع اكثر من في الارض اي الكفار لانهم الاكثرون يضلوك عن سبيل الله دينه
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا
يخرصون يكذبون في ان الله حرم عليهم كذا واحل لهم كذا ان ربك هو اعلم من يضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي هو يعلم الكفار والمومنين من رفع بالابتداء ولفظها
لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجملة نصب بيعلم المقدر لا باعلم لان افعل لا يعمل
في الاسم الظاهر النصب ويجوز الجر وقيل تقديره اعلم من يضل بدليل قوله وهو اعلم
بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مومنين هو مسبب عن انكار اتباع
المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين
انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوه مما قتلتم فقيل
للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة اي على ذبحه
دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتكم او مات حتف انفه وما لكم الا تاكلوا ما الاستفهام
في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر اي واي غرض لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر
اسم الله عليه وقد فصل لكم بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم
الميتة فصل وحرم كوفي غير حفص وبفتحهما مدني وحفص وبضمهما غيرهم
الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة اي شدة المجاعة
الى اكله وان كثيرا ليضلون ليضلون كوفي باهوائهم بغير علم اي
يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ان ربك
هو اعلم بالمعتدين بالمتجاوزين من الحق الى الباطل وذروا ظاهر الاثم وباطنه علانيته
وسره او الزنا في الحوانيت والصديقة في السر او الشرك الجلي والخفي
ان الذين يكسبون الاثم سيجزون يوم القيامة بما كانوا يقترفون يكتسبون
في الدنيا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عند الذبح وانه وان اكله لفسق
وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم

بقولهم

بقولهم لا تاكلوا مما قتله الله وباكلوا مما تذبحون بايديكم والاية تحرم متروك
التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث او بجعل الناسي ذاكرا تقديرا وان اطعتموهم
في استحلال ما حرمه الله انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد
اشرك به ومن حق المتدين ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الاية من
التشديد العظيم ومن اول الاية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله او فسقا
اهل لغير الله به وقال ان الواو في وانه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على
الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولا تاكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون
ما سواه حلالا بالعمومات المحللة منها قوله قل لا اجد الاية فقد عدل عن ظاهر اللفظ
او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه لان الايمان حياة القلوب ميتا
مدني وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به والمراد به اليقين كمن مثله
اي صفته في الظلمات خابط فيها ليس بخارج منها لا يفارقها ولا يتخلص منها
وهو حال قيل المراد بهما حمزة وابو جهل والاصح ان الاية عامة لكل من هداه الله
ولكل من اضل الله فبين ان مثل المهتدي مثل الميت الذي احيي وجعل مستضيئا يمشي
في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص
منها كذلك اي كما زين للمومن ايمانه زين للكافرين من زين الله تعالى كقوله
زينا لهم اعمالهم ما كانوا يعملون اي اعمالهم وكذلك اي وكما جعلنا في مكة صناديدها
ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها ليتجبروا على الناس
فيها ويعملون بالمعاصي واللام على ظاهرها عند اهل السنة وليست بلام العاقبة
وخص الاكابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرئاسة والسعة ادعى لهم
الى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
ثم سلى رسوله عليه السلام ووعده النصرة بقوله وما يمكرون الا بانفسهم
لان مكرهم يحيق بهم وما يشعرون انه يحيق بهم اكابر مفعول اول والثاني
في كل قرية ومجرميها بدل من اكابر او الاول والثاني مجرميها والثالث اكابر والتقدير
مجرميها اكابر ولما قال ابو جهل زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا
صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا

وحى كما يأتيه واذا جاءتهم اي الاكابر اية معجزة او اية من القران تامرهم بالايمان
قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله اي نعطى من الايات مثل ما اعطي الانبياء
فاعلم ان الله تعالى انه اعلم بمن يصلح للنبوءة فقال الله اعلم حيث يجعل رسالته مكي وحفص
رسالاته غيرهما حيث مفعول به والفاعل محذوف وتقديره يعلم موضع رسالته
سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار ذل وهوان عند الله في القيامة وعذاب شديد
في الدارين من القتل والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون في الدنيا فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام يوسع وينور قلبه قال عليه السلام اذا دخل النور في القلب
انشرح وانفسح فقيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزول الموت ومن يرد الله ان يضله يجعل صدره ضيقا ضيقا
مكي حرجا مدني وابو بكر بالغاية الضيق حرجا غيرهما وصفا بالمصدر كانما يصعد
في السماء كانه كلف ان يصعد الى السماء اذا دعي الى الاسلام من ضيق صدره
عنه اذا ضاق عليه الارض فطلب مصعدا في السماء او كحائر الراي طائر القلب
في الهواء يصعد مكي من صعد يصاعد ابو بكر واصله يتصاعد الباقون يصعد واصله
يتصعد كذلك يجعل الله الرجس العذاب في الاخرة واللعنة في الدنيا على الذين لا
يومنون وهذا يعني حجة لنا على المعتزلة في ارادة المعاصي وهذا صراط ربك اي طريقه
الذي اقتضته الحكمة وسنته في شرح صدر من اراد هدايته وجعله ضيقا
لمن اراد ضلاله مستقيما عادلا مطردا وهو حال موكدة قد فصلنا الايات
لقوم يذكرون يتعظون لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة
اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل افة وكدر او السلام
التحية سميت دار السلام لقوله تحيتهم فيها سلام الا قيلا سلاما سلاما
عند ربهم في ضمانه وهو وليهم محبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون
باعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون او هو وليهم في الدنيا بالتوفيق للاعمال
وفي العقبى بتحقيق الامال ويوم نحشرهم جميعا وبالياء حفص اي واذكر يوم نحشر
هم او يوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا
وجعلتموهم اتباعكم كما تقول استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس

الذين

الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس
بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس
حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم في اغوائهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت
لنا يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع
الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم خالدين فيها
حال والعامل معنى الاضافة كقوله تعالى ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فمصبحين
حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة اذ معناه الممازجة والمضامة والمثوى
ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شيء الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد
كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير
او يحكم فيما يفعل باوليائه واعدائه عليم باعمالهم فيجزي كلا وفق عمله
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نتبع بعضهم بعضا في النار او نسلط بعض
بعضهم على بعض او نجعل بعضهم اولياء بعض بما كانوا يكسبون بسبب
ما كسبوا من الكفر والمعاصي ثم يقال لهم يوم القيامة على وجه التوبيخ يا معشر
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث
الى الانس رسلا منهم لانهم به انس وعليه ظاهر النص وقال الاخرون الرسل
من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك
وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان او رسلهم رسل
نبينا كقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي يقرؤون كتبي وينذ
رونكم لقاء يومكم هذا يوم القيامة قالوا شهدنا على انفسنا بوجوب الحجة
علينا وتبليغ الرسل الينا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين بالرسل ذلك الاشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وهو خبر
مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان مصد
رية ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشان والحديث لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم
غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عنه ولكل من المكلفين
درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وبه استدل ابو يوسف ومحمد رحمهما الله

على ان الجزاء بالثواب والطاعات لا فرق في عقيب ذكر التفضيل وما ربك بغافل عما يعملون
بالياء عند ابن عامر والتاء للباقين وربك الغني عن عبادة وعن عبادتهم ذو الرحمة عليهم
بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها الظلمة ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم
آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام انما ما يجي
الذي توعدون من البعث والحساب والثواب والعقاب لآت حين اي لكائن
وما انتم بمعجزين بفائتين بل يدرككم العذاب من موانع وعن علة الملائكة تكون مصدرا و اسم
مكان مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن ويعني المكان يقال مكان ومكانة ومقام
ومقامة وقوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى
استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها ويقال للرجل
اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه اني عامل على
مكانتي التي انا عليها اي تثبتوا على كفركم وعداوتكم فاني ثابت على الاسلام وعلى
مصابرتكم وهو امر تهديد ووعيد دليله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار
اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا من لطيف الكلام انه لا يفلح
الظالمون اي الكافرون ومكاناتكم حيث كان ابو بكر يكون حمزة وعلي وموضع من
رفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم ونصب اذا كان بمعنى الذي وجعلوا لله مما ذرأ
من الحرث والانعام نصيبا اي وللاصنام نصيبا واكتفى بدلالة قوله فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا بزعمهم علي وكذا ما بعده اي زعموا انه لله والله
لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة فما كان لشركائهم فلا يصل الى
الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والت
والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها
والذبائح عندها روي انهم كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله
واشياء منها لالهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه
للاصنام واذا زكى ما جعلوه للاصنام تركوه لها وقالوا ان الله غني وانما ذلك
لحبهم لالهتهم وايثارهم لها وفي قوله مما ذرأ اشارة الى انه كان اولى بان يجعل
له الزاكي لانه هو الذي ذرأه ثم ذم صنيعهم بقوله ساء ما يحكمون في ايثار
الهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وموضع ما رفع اي ساء الحكم
حكمهم

حكمهم او نصب اي ساء حكما حكمهم وكذلك زين لكثير من المشركين اي كما
زين لهم تجزية المال زين واد البنات قتل هو مفعول زين اولادهم شركاؤ
هم هو فاعل زين ويقرأ زين بالضم قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر شامي
على اضافة القتل الى الشركاء اي الشياطين والفصل بغير الظرف وهو المفعول
وتقديره زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم اولادهم ليردوهم ليهلكو
هم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا
عليه من دين اسماعيل حتى زالوا عنه الى الشرك ولو شاء ربك ما فعلوه وفيه دليل على
ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او و
فتراهم لا يضرك الا افتراء عليهم لا عليك ولا علينا وقالوا هذه انعام وحرث حجر
للاوثان حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم
لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء
والزعم والزعم قول بالظن يشوبه الكذب وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب
والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها حالة الذبح وانما يذكرون عليها اسماء
الاصنام افتراء عليه هو مفعول له اي جال فقسموا انعامهم قسم حجر وقسم لا يركب
وقسم لا يذكر عليها اسم الله ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا
يفترون وعيد وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل
منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة وهو خبر ما للحمل
على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم حملا على اللفظ او ان التاء للمبالغة كنسابة
وان يكن ميتة اي وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن ميتة ابو بكر اي وان تكن الاجنة ميتة
وان تكن ميتة شامي على كان التامة يكن ميتة مكي لتقدم الفعل وتذكير الضمير فهم فيه
شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء
سيجزيهم وصفهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم انه حكيم
في جزائهم عليم باعتقادهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم كانوا يئدون بناتهم

مخافة السبي والفقر قتلوا مكي وشامي سفها بغير علم لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله
هو رازق أولادهم وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها افتراء على
الله مفعول له قد ضلوا وما كانوا مهتدين إلى الصواب وهو الذي أنشأ خلق جنات من الكروم
معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الأرض لم تعرش يقال عرشت
الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان والنخل والزرع مختلفا في اللون
والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لأن النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون
مختلفا أكله وهو كقوله فادخلوها خالدين أكله ثمره أكله حجازي وهو في الأكل دون كل
والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لأنه معطوف عليه أو لكل واحد والزيتون والرمان
متشابها في اللون وغير متشابه في الطعم كلوا من ثمره من ثمر كل واحد وفائدة إذا أثمر
أن يعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وآتوا حقه
عشره وهو حجة لأبي حنيفة رحمه الله تعالى في تعميم العشر يوم حصاده بصري وشامي وعاصم
ويكسر الحاء غيرهم وهما لغتان ولا تسرفوا بإعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا
إلى أنه لا يحب المسرفين اعتراض ومن الأنعام حمولة وفرشا عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما
يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار
كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها
كلوا مما رزقكم الله أي مما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية ولا تتبعوا
خطوات الشيطان طرقه في التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية إنه لكم عدو مبين
فاتهموه على دينكم ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا من الضأن اثنين ومن المعز اثنين زوجين
اثنين يريد الذكر والأنثى والواحد إذا كان وحده فهو فرد فإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا
وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج والضأن
والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكي وشامي وأبو عمرو وهما لغتان
والهمزة في قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين للإنكار والمراد بالذكرين
الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز والمعنى إنكار
أن يحرم الله من جنس الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل
الإناث وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها طورا وأولادها كيفما
كانت ذكورا وإناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم

وانتصب

وانتصب الذكرين بحرم وكذا أم الأنثيين أي أم حرم الأنثيين وكذا أما اشتملت
نبئوني بعلم أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم إن كنتم صادقين
في أن الله حرمه ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين منهما
أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم ما تحمل الإناث منهما أم كنتم شهداء أم منقطعة أي بل
أكنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم
ولما كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه تهكم بهم في قوله
أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل فمن أظلم ممن افترى
على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين
أي الذين في علمه أنهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غير
أجنبي من المعدود وهو أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم
فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق
إلا للتأكيد قل لا أجد فيما أوحي إلي أي في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لأن وحي السنة
فيحرم غيره أو من الأنعام لأن الآية في رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية
والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس
محرما حيوانا حرم أكله على طاعم يطعمه على آكل يأكله إلا أن يكون ميتة إلا أن يكون الشيء
ميتة أن تكون مكي وشامي ميتة شامي أو دما مسفوحا مصبوبا سائلا لا
في العروق لا الكبد والطحال أو لحم خنزير فإنه رجس نجس أو فسقا عطف على المنصوب
قبله وقوله فإنه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أهل لغير الله به صفة
له أي أهل صفة لفسقا أو رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمي بالفسق لتوغله
في باب الفسق فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على
مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر أي ما له أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الإبل
والنعام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما أي حرم عليهم لحم كل ذي ظفر
وشحمه وكل شيء منه ولم يحرم من البقر والغنم إلا الشحوم إلا ما حملت
ظهورهما إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة أو الحوايا أو ما اشتمل
على الأمعاء واحدها حاوياء أو حاوية أو ما اختلط بعظم وهو الإلية أو المخ
ذلك مفعول ثان لقوله جزيناهم والمعنى جزيناهم ذلك جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم

وإنا لصادقون فيما أخبرنا به وكيف يشكوا من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية
لهم بفعلهم لتحليل الحرام حيث قال وشحومهما فالان [illegible] فإن كذبوك فيما أوحينا إليك
من هذا فقل ربكم ذو رحمة واسعة ويمهل المكذبين فلا يعجل عليهم بالعقوبة
ولا يرد بأسه عذابه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين إذا جاء ولا تغتر بسعة رحمته عن خوف
نقمته سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ولكن شاء فهذا عذرنا يعنون أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم
ما أحل الله بمشيئة الله ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كذلك كذب الذين من قبلهم
أي كتكذيبهم إياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك
لأنهم يقولون عن اعتقاد بل على وجه الاستهزاء ولأنهم جعلوا مشيئته حجة لهم على أنهم
معذورون به وهو أمر [illegible] المشيئة أو معنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن
ابن رضي الله عنه ومن أبى الشرك [illegible] من الكل [illegible] من التعض
[illegible] ومن الحجة الكبرى فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكر لئلا يجعل التناقض حتى ذاقوا
بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما
قلتم فتخرجوه لنا فتظهروه إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون تكذبون قل فلله الحجة
البالغة عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته فلو شاء لهداكم
أجمعين أي فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة قل هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم
وقربوهم ويستوي في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين
وبنو تميم تؤنث وتجمع الذين يشهدون أن الله حرم هذا أي ما زعموه محرما فإن شهدوا
فلا تشهد معهم ولا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد
معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو تبع
الدليل لم يكذب مصدقا بالآيات موحدا لله والذين لا يؤمنون بالآخرة هم المشركون وهم
بربهم يعدلون يسوون الأصنام قل للذين حرموا الحرث والأنعام تعالوا هو من الخاص الذي
صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم
أتل ما حرم ربكم عليكم من صلة حرم ألا تشركوا به شيئا أن مفسرة لفعل
التلاوة ولا للنهي وبالوالدين إحسانا وأحسنوا بالوالدين إحسانا وإنما كان الخطاب
إحسانا نهى [illegible] الإحسان ذكره الحمد لأنه وكذا حكم ما بعده من إيماء أو أمر
ولا تقتلوا أولادكم من إملاق من أجل فقر ومن خشيته لقوله خشية إملاق نحن نرزقهم

وإياهم

وإياهم لا رزق العبيد على مولاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
وبين الخلق وما بطن ما بينه وبين الله ما ظهر بدل من الفواحش ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم ذلكم وصاكم به أي المذكور
مفصلا أمركم ربكم بحفظه لعلكم تعقلون لتعقلوا عظمها عند الله ولا تقربوا مال
اليتيم إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن وهي حفظه وتنميته حتى يبلغ
أشده مبلغ حكمه وإذ دفعوه إليه واحده شد كفلس وأفلس وأوفوا الكيل والميزان
بالقسط بالتسوية والعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها لا تكليف إلا بما يسعها ولا
تعجز عنه وإنما تبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط
الذي لا زيادة فيه ولا نقص مما فيه حرج فأمر بلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو
عنه وإذا قلتم فاعدلوا فاصدقوا ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة
أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وبعهد
الله أوفوا يوم الميثاق أو ما عاهدتم من الأيمان والنذور والعهد أو ما ألزمكم به من أحكام ذلكم وصاكم
به لعلكم تذكرون بالتخفيف حيث كان حمزة والكسائي وحفص على حذف إحدى
التاءين وغيرهم بالتشديد أصله تتذكرون فأدغم في الذال لتتعظوا وأن هذا
صراطي ولأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام وأن بالتخفيف شامي
وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وإن كسرا بالابتداء حمزة وعلي
مستقيما حال فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين اليهودية و
النصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم عن سبيله
فتفرق بكم ما بدا به سبيلا بالصرف عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام
روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشد صراط
الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب ست خطوط ممالة ثم قال هذه سبل على كل سبيل
منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثني عشر
طريقا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الآيات
محكمات لم ينسخهن شيء من الكتب وعن كعب إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون لتكونوا على رجاء التقوى ذكرا ولا تعقلون ثم
تذكرون ثم تتقون لأنهم إذا عقلوا تفكروا وتذكروا أي اتعظوا فاتقوا المحارم

ثم آتينا موسى الكتاب تماما أي ثم أخبركم أنا آتينا وهو عطف على قل أي ثم قل
أو ثم مع الجملة تأتي بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد على الذي أحسن على من كان محسنا
صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى
عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر
به وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون إليه في دينهم وهدى ورحمة
لعلهم أي لعل بني إسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون فيصدقون وهذا أي القرآن كتاب أنزلناه
مبارك كثير الخير فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون أن تقولوا كراهة أن تقولوا
أو لئلا تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أي أهل التوراة
وأهل الإنجيل وهذا دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب وإن كنا عن دراستهم عن تلاوة
كتابهم لغافلين لا علم لنا بشيء منه إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها
وبين النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن والخطاب
لأهل مكة والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد عليه السلام كيلا يقولوا
يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما
أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا
وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا أيام العرب فقد جاءكم بينة من ربكم
أي صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان
القاطع فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذف وهدى ورحمة لمن تأمل فمن أظلم ممن كذب بآيات
الله بعدما عرف صحتها وصدف عنها أعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن
آياتنا سوء العذاب وهو النهاية في النكاية بما كانوا يصدفون بإعراضهم هل ينظرون
أي امتنعوا من الإيمان بالوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يتعذرون من الضلالة فما ينتظرون
في ترك الإيمان بعدها إلا أن تأتيهم الملائكة أي ملائكة الموت لقبض أرواحهم
بالنقص أو يأتي ربك أي أمر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لأن الإتيان
متنقلا به وإفادة منصوص عليه محكم في حق الله أو يأتي بعض آيات ربك
أي أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك يوم يأتي بعض آيات
ربك لا ينفع نفسا إيمانها لأنه ليس بإيمان اختيار بل هو إيمان دفع العذاب والبأس
عن أنفسهم لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا أو كسبت في إيمانها خيرا إخلاصا أي لا يقبل
إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها ولا يقبل إخلاص المنافق أيضا أو توبة وتقديره

مخالفة

كلام

لا ينفع

لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل قل انتظروا إحدى الآيات الثلاث
إنا منتظرون بكم إحداها إن الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه وصاروا فرقا كاختلاف
اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها
في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة
كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية
إلا واحدة وهي السواد الأعظم وهي ما أنا عليه وأصحابي وقرأ حمزة وعلي
فارقوا وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع إماما لست منهم في شيء أي من السؤال
عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فيجازيهم
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها تقديره عشر حسنات أمثالها إلا أنه
أقيم صفة الجنس المميز مقام الموصوف ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها
وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل إنني هداني ربي إلى صراط
مستقيم دينا قيما نصب على البدل من محل إلى صراط لأن معناه هداني
صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما قيما فيعل من قام كسيد من ساد
هو أبلغ من القائم قيما كوفي وشامي وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ملة
إبراهيم عطف بيان حنيفا حال من إبراهيم وما كان من المشركين بالله خلافا لقريش
قل إن صلاتي ونسكي أي عبادتي والناسك العابد أو ذبحي أو حجي ومحياي
ومماتي وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح لله رب العالمين
خالصة لوجهه ومحياي ومماتي بسكون الياء الأولى وفتح الثانية مدني وبعكسه
غيره لا شريك له في شيء من ذلك وبذلك من الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام
كل نبي متقدم على إسلام أمته قل أغير الله أبغي ربا جواب عن دعائهم له إلى عبادة
آلهتهم والهمزة للإنكار أي منكر أن أطلب ربا غيره وتقديم المفعول للإنكار
بأنه أهم وهو رب كل شيء وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره
ولا تكسب كل نفس إلا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الأديان التي فرقتموها وهو الذي جعلكم خلائف
الأرض لأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأمته خاتم الأمم أو لأن بعضهم
يخلف بعضا أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم

فوق بعض في الشرف والرزق وغير ذلك درجات مفعول ثان او التقدير الى درجات او هي
واقعة موقع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة ليبلوكم فيما آتاكم فيما اعطاكم
من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغني
بالفقير والمالك بالمملوك ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم
لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من اول الانعام
حين يصبح وكل الله تعالى له سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم
القيامة سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات بصري وست آيات
كوفي ومدني بسم الله الرحمن الرحيم المص قال الزجاج في تفسيره ما قال ابن عباس
رضي الله عنه انا الله اعلم وافصل كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفته
والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه شك منه وسمي الشك حرجا لان الشاك
ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل
من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم
فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فامنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم والنهي
متوجه الى الحرج وفيه من البلاغة ما فيه والفاء للعطف اي هذا كتاب انزل اليك
لتنذر به او للنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين
على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه وذكرى للمؤمنين في محل النصب باضمار
فعلها اي لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير او الرفع بالعطف على كتاب
اي هو كتاب وهو ذكرى للمؤمنين او بانه خبر مبتدأ محذوف او الجر بالعطف على محل لتنذر
اي للانذار وللذكرى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه
من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة
الاوثان والاهواء والبدع قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله عز وجل وتتبعون غيره
وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة تتذكرون شامي
وكم من قرية تبيين وكم اهلكناها اهلكنا اهلها او اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى
الصلاة فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى
بائتين يقال بات بياتا حسنا او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم
بأسنا بائتين او قائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاء زيد هو فارس بلا واو
لانه لو عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو

سورة الاعراف

فلا يكن في صدرك
بمعنى انه لا حرج في
صدرك واللام في
لتنذر به متعلق بـ
انزل اي انزل للتبليغ

الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وهي هنا واو الوقت لانهما وقتا الغفلة
فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط عليه السلام اهلكوا بالليل وقت
السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا وهم نائمون او نهارا
وهم قائلون فما كان دعواهم دعاؤهم وتضرعهم اذ جاءهم بأسنا لما جاءهم اوائل
العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين اعترفوا بالظلم على انفسهم والشرك حين لم ينفعهم
ذلك ودعواهم اسم كان وان قالوا الخبر ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم
ارسل مسند الى اليهم اي فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم عما اجابوا به رسلهم
ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان
منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا
غائبين عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به
بالسنتهم وشهدت عليهم انبياؤهم والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها
وهو مبتدأ خبره يومئذ اي يوم يسأل الله عز وجل الامم ورسلهم فحذفت الجملة
وعوض عنها التنوين الحق اي العدل صفته ثم قيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان
اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة عن القضاء والسوية والحكم العادل
والله تعالى اعلم بكيفيته فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله
الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم فاولئك هم
المفلحون الفائزون ومن خفت موازينه هم الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل
فلا يكون في ميزانهم خير فتخف موازينهم فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا
بآياتنا يظلمون يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها غير موضعها اي جحودها
وترك الانقياد لها ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم
فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما
يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها والوجه تصريح الياء لانها اصلية بخلاف
صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همز تشبيها بصحائف قليلا ما تشكرون مثل
قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور
ثم صورناه بعد ذلك دليله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن
من الساجدين ممن سجد لآدم عليه السلام قال ما منعك الا تسجد ما رفع اي اي شيء منعك

من السجود للاراءة بدليل ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب
اي ليعلم ان لا فيه دليل على ان الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه
به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وتحقيره اصل ادم عليه
السلام قال انا خير منه خلقتني من نار وهو جوهر نوراني وخلقته من طين وهو ظلمة في
وقد اخطا الخبيث بل الطين افضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك
داع الى التوبة والاستغفار وفي النار الطيش والحدة والترفع وذلك داع الى
الاستكبار والتراب عمدة الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والافناء
والتراب مظنة الامانة والانماء والطين يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل
غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقولنا في القياس اول من قاس ابليس قياس
على ان القياس عند مثبتيه مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للامر المنصوص وكان
الجواب لما منعك ان يقول منعني كذا وانما قال انا خير منه لانه لما استانف قصة واخبر
فيها عن نفسه بالفضل على ادم عليه السلام وبعلة فضله عليه علم منها الجواب كانه
قال منعني من السجود لمثله ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب قال فاهبط منها
من الجنة او من السماء لانه كان فيها وهي مكان المطيعين المتواضعين والفاء في اهبط جواب
لقوله انا خير منه اي ان كنت تتكبر فاهبط فما يكون لك ان تتكبر فيها وتعصي فا
خرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه يذمك كل انسان
ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار قال انظرني الى يوم يبعثون
امهلني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة قال انك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم اي النفخة الاولى وانما اجيب الى الاولى لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الا
حباب اي هو اهون علي من يسيء فكيف من يحبني وانما جسره على السؤال مع وجود الزلة منه
في الحال علمه بحلم ذي الجلال قال فبما اغويتني اضللتني اي فبسبب اغوائك اياي
والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك اقسم او تكون الباء للقسم
اي فاقسم باغوائك لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام
مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصب
به على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر اي على الظهر وعن طاووس انه كان في
المسجد الحرام فجاء رجل قدري فقال له طاووس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل
له فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهو يقول انا اغوي نفسي ثم لا

تيتهم

188

لآتينهم من بين ايديهم اشككهم في الاخرة ومن خلفهم ارغبهم في الدنيا وعن ايمانهم من قبل الحسنات
وعن شمائلهم من قبل السيئات وهو جمع شمال يعني ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها
العدو في الاغلب وعن شقيق ما من صباح الا قعد الشيطان على اربع مراصد من بين
يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ومن خلفي
فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وعن يميني فياتيني
من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم
لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لابتداء الغاية وفي الاخرين عن بدل على الا
نحراف ولا تجد اكثرهم شاكرين مومنين قاله ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
او سمعه من الملائكة باخبار الله اياهم قال اخرج منها من الجنة او من السماء مذءوما
معيبا من ذامه اذا ذمه والذام والذيم العيب مدحورا مطرودا من رحمة الله واللام في
لمن تبعك منهم موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط
منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب اجمعين ويا ادم وقلنا يا ادم بعد اخراج
ابليس من الجنة اسكن انت وزوجك الجنة اتخذاها مسكنا فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا فتصيرا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان
وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد ورجل موسوس بكسر الواو
ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه القاها اليه
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما ليكشف لهما ما ستر عنهما من
عوراتهما وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل
مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب
همزة كما في اويصل في تصغير واصل واصله وويصل فقلبت الواو همزة كراهة
لاجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالالف في وارى فكما لم يجب همزها في واعد
لم يجب في ووري وهذا لان الواوين اذا التقتا ففيهما من الثقل ما لا يكون فيهما
اذا كانت الثانية ساكنة وذا امر يدرك بالضرورة فالتزموا ابدالها في موضع
الثقل لا في غيره وقرأ عبد الله اوري بالقلب وقال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغ
نيا عن الغذاء وقرئ ملكين كقوله وملك لا يبلى او تكونا من الخالدين من الذين

لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقاسمهما وأقسم لهما إني لكما لمن الناصحين
وأخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنه
منهما من اثنين فدلاهما فنزلهما إلى الأكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم
بالله وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له
فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الأكل منها وهي السنبلة أو الكرم بدت
لهما سوآتهما ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من
أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الأظفار أي كالظفر بياضا
في غاية اللطف واللين فبقي عند الأظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم وطفقا وجعلا
يقال طفق يفعل كذا أي جعل يخصفان عليهما من ورق الجنة يجعلان على عوراتهما
من ورق التين أو الموز ورقة فوق ورقة ليستترا بها كما تخصف النعل وناداهما ربهما
ألم أنهكما عن تلكما الشجرة هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ وروي أنه قال لآدم ألم يكن
لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ما ظننت أن أحدا يحلف
بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا بكد يمين وعرق جبين فلما
هبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز
وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين فيه دليل لنا على المعتزلة لأن الصغائر عندهم مغفورة قال اهبطوا
الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لأن إبليس هبط من قبل ويحتمل أنه هبط إلى
السماء ثم هبطوا جميعا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو في موضع الحال أي متعادين
يعاديهما ويعاديانه ولكم في الأرض مستقر استقرار أو موضع استقرار ومتاع
وانتفاع بعيش إلى حين إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم عليه
السلام وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي
ملائكة ربي فإنما أصابني ما أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا
وحنطته وكفنته في وتر من الثياب ثم حفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند
وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده قال فيها تحيون في الأرض وفيها تموتون ومنها تخ
رجون للثواب والعقاب تخرجون حمزة وعلي يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا جعل
ما في الأرض منزلا من السماء لأن أصله من الماء وهو منها يواري سوآتكم يستر عوراتكم

وريشا

وريشا لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين
لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم ولباس التقوى ولباس الورع الذي يقي العقاب
وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء
الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر أو ذلك صفة المبتدأ وخير
خبر المبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير أو لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف
أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل لباس أهل
التقوى من الصوف والخشن ولباس التقوى مدني وشامي وعلي عطفا على لباسا
أي وأنزلنا عليكم لباس التقوى ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده
يعني إنزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة
على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهارا للمنة
فيما خلق من اللباس ولما في العري من الفضيحة وإشعارا بأن التستر من التقوى يا بني
آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة لا يخدعنكم ولا يضلنكم بأن لا تدخلوا
الجنة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال أي أخرجهما
نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما والنهي في الظاهر للشيطان
وفي المعنى لبني آدم أي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم ليريهما سوآتهما عوراتهما
إنه الضمير للشأن والحديث يراكم هو وقبيله تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة
العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون وقبيله وذريته أو جنوده من الشياطين
خبر وهو عطف على الضمير في يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لأن معمول الفعل
هو المستكن فيه دون هذا البارز وإنما يعطف على ما هو معمول الفعل من حيث لا ترونهم
قال ذو النون إن كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه
وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون
فيه دلالة خلق الأفعال وإذا فعلوا فاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم حول
البيت عراة وشركهم قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها أي إذا فعلوها اعتذروا
بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها حيث أقرنا
عليها إذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان لأن أحدهما تقليد للجهال والثاني
افتراء على ذي الجلال قل إن الله لا يأمر بالفحشاء إذ المأمور به لا بد أن يكون حسنا
وإن كان فيه على أنه علم ما عرف في أصول الفقه أتقولون على الله ما لا تعلمون

استفهام انكار وتوبيخ قل امر ربي بالقسط بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف
يامر بالفحشاء واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا
عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها في كل وقت سجود او في كل مكان
سجود وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بداكم
تعودون كما انشاكم ابتدا يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتدا الخلق
والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم
المسلمون وفريقا اي اضل فريقا حق عليهم الضلالة وهم الكافرون انهم اي الفريق الذي حق
عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله اي انصارا ويحسبون انهم مهتدون
وفيه حجة لنا على اهل الاعتزال في الهداية والاضلال يا بني ادم خذوا زينتكم لباس
زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة ان ياخذ الرجل
احسن هيئته للصلاة لان الصلاة مناجاة الرب عز وجل فيستحب لها التزين والتعطر
كما يجب الستر والتطهر وكلوا من اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا بالشروع في الحرام
وفي مجاوزة الشبع انه لا يحب المسرفين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق
حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب كله في نصف اية من
كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم
الاديان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه وهو قوله وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع
رسولنا الطب في الفاظ يسيرة وهو قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية راس
كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا ثم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله قل من حرم زينة الله من الثياب وكل
ما يتجمل به التي اخرج لعباده اي اصلها يعني القطن من الارض والقز من الدود
والطيبات من الرزق والمستلذات من الماكل والمشارب وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة
وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا
غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم
فيها احد ولم يقل للذين امنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين امنوا على طريق
الاصالة والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهي مبتدا خبره للذين امنوا في الحياة

الدنيا

الدنيا ظرف للخبر او خالصة خبر ثان او خبر مبتدا محذوف اي هي خالصة غيره نصبها
على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر اي هي ثابتة للذين امنوا في الحياة
الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة كذلك نفصل الايات نميز الحلال من الحرام
لقوم يعلمون انه لا شريك له قل انما حرم ربي الفواحش ما تفاحش قبحه
اي تزايد ما ظهر منها وما بطن سرها وعلانيتها والاثم اي شرب الخمر او كل ذنب والبغي
والظلم والكبر بغير الحق متعلق بالبغي ومحل وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
حجة النصب كانه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصري وفيه
تهكم اذ لا يجوز ان ينزل برهانا على ان يشرك به غيره وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل
وقت معين ياتيهم فيه عذاب الاستيصال ان لم يومنوا وهو وعيد لاهل مكة
بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون فيه ساعة لانها اقل ما يستعمل في الامهال
يا بني ادم اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط
لان ما الشرط ولذا لزمته فعلها النون الثقيلة او الخفيفة رسل منكم يقصون عليكم
اياتي يقراون عليكم كتبي وهو في موضع رفع صفة لرسل وجواب الشرط
فمن اتقى الشرك واصلح العمل منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
منكم باياتنا واستكبروا عنها تعظموا عن الايمان بها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول
على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم
من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا ملك الموت واعوانه وحتى غاية لنيلهم
نصيبهم واستيفائهم له وهي حتى التي يبتدا بعدها الكلام والكلام هنا الجملة
الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يقبضون ارواحهم وهو حال
من الرسل اي متوفيهم ومن قالوا اين ما كنتم تدعون موصولة باين في خط المصحف وحقها ان تكتب
مفصولة لانها موصولة والمعنى اين الالهة الذين تعبدون من دون الله ليدفعوا عنكم
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر قال ادخلوا اي يقول الله
تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا في امم في موضع الحال اي كائنين

في جملة امم مصاحبين لهم قد خلت مضت من قبلكم من الجن والانس من كفار الجن والانس
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة النار لعنت اختها شكلها في الدين اي التي
ضلت بالاقتداء بهم حتى اذا اداركوا فيها اصله تداركوا اي تلاحقوا واجتمعوا في النار
فابدلت التاء دالا واسكنت للادغام ثم ادغمت ثم ادخلت همزة الوصل جميعا حال
قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهم القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم
لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء
اضلونا فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا من النار قال لكل ضعف للقادة بالغواية والاغواء
وللاتباع بالكفر والاقتداء ولكن لا تعلمون ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون ابو بكر
اي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من
فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم
علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون بكسبكم
وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل او من قول الله لهم جميعا
والوقف على فضل ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء
اي لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة اذ هي في السماء او لا تصعد ارواحهم
اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين الى السماء او لا يصعد لهم عمل صالح
او لا تنزل عليهم البركة وبالتاء مع التخفيف ابو عمرو وبالياء معه حمزة وعلي ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط حتى يدخل البعير في ثقب الابرة اي لا يدخلون الجنة
ابدا لانه علقه بما لا يكون والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل
ذلك الجزاء الفظيع الذي وصفنا نجزي المجرمين اي الكافرين بدلالة التكذيب
لآيات الله والاستكبار عنها لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية
جمع غاشية وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها الا طاقتها والتكليف الزام ما فيه كلفة اي مشقة
اولئك مبتدأ والخبر اصحاب الجنة والجملة خبر الذين ولا نكلف نفسا الا وسعها
اعتراض بين المبتدا والخبر هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل حقد
كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني
لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار حال من هم في صدور
هم والعامل فيها معنى الاضافة وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما هو وسيلة

الى

الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي وبلا واو شامي على انها
جملة موضحة للاولى لولا ان هدانا الله اللام لتوكيد النفي اي وما
كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله
لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون
ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا واظهارا لما اعتقدوا ونودوا ان تلكم الجنة ان مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة
والهاء ضمير الشأن او بمعنى اي كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها اعطيتمو
ها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة بما كنتم تعملون بسبب اعمال
كم لا بالتفضل لانها لا تستحق بالعمل بل هو محض فضل الله ووعده على الطاعات كالميراث
من الميت ليس بعوض عن شيء بل هو صلة خالصة وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله
تعالى ان المعتزلة خالفوا الله فيما اخبر ونوحا عليه السلام واهل الجنة والنار
وابليس لانه تعالى قال يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقال نوح ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال اهل الجنة وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله وقال اهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما اغويتني
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ان مخففة من الثقيلة او مفسرة وكذلك
ان لعنة الله على الظالمين ما وعدنا ربنا من الثواب حقا حال فهل وجدتم ما وعد ربكم
من العذاب حقا وتقديره وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وانما قالوا لهم
ذلك شماتة باصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى قالوا نعم وبكسر العين حيث كان علي
فاذن مؤذن بينهم نادى مناد وهو ملك يسمع اهل الجنة والنار ان لعنة الله
على الظالمين ان لعنة الله مكي وشامي وحمزة وعلي الذين يصدون عن سبيل الله
يمنعون عن دينه ويبغونها عوجا مفعول ثان ليبغون اي ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض
وهم بالآخرة كافرون وبينهما اي بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب وهو
السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو
السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك
رجال من افاضل المسلمين او من آخرهم دخولا في الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم
او من لم يرض عنه احد ابويه او اطفال المشركين يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء

بسيماهم بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد
الوجوه وزرقة العيون ونادوا اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم انه سلام
او اي سلام لم يدخلوها اي اصحاب الاعراف ولا محل له لانه استئناف كان سائلا سال
عن اصحاب الاعراف فقيل له لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها او له محل وهو
صفة لرجال واذا صرفت ابصارهم ابصار اصحاب الاعراف وفيه ان صارف ابصارهم
ابصارهم ليس لهم وانما يستخبروا تلقاء جهة اي ناحية اصحاب النار وراوا ما هم
فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاستعاذوا بالله من ذلك وسالوا
الرحمة ان لا يجعلهم معهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا من رؤساء الكفرة يعرفونهم
بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
تستكبرون واستكباركم عن الحق والناس ثم يقولون لهم اهؤلاء مشيرا الى من يحسبونهم
مستضعفين من فقراء المؤمنين الذين اقسمتم حلفتم في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين
كصهيب وسلمان ونحوهم لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهو داخل في صلة
الذين تقدير اقسمتم عليه بان لا ينالهم الله برحمة اي يدخلهم الجنة بحسب فقرهم
لعقولهم فيقال للاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين
وعرفوهم بسيماهم وقالوا لهم ما قالوا لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء ان مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق
النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة او اريد والقوا علينا
مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها
وانما سالوا ذلك مع اياسهم من الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد قالوا
ان الله حرمهما على الكافرين هو تحريم منع كما في وحرمنا عليه المراضع وتقدم هذا لهم
ايضا او نصبنا ما يحرمه ما او يحرمه وصف الكافرين بقوله الذين اتخذوا دينهم لهوا
ولعبا حرموا واحلوا ما شاؤوا او دينهم عيدهم وغرتهم الحياة الدنيا اغترتهم ويكون
البقاء فاليوم ننساهم نتركهم في العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا
بآياتنا يجحدون كنسيانهم وجحودهم ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بيناه بالحلال والحرام
والمواعظ والقصص على علم عالمين بتفصيل احكامه وهدى ورحمة حال من
منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه لقوم يؤمنون هل ينظرون ينتظرون

الا تاويله عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من
الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه واعرضوا عنه قد
جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤوا بالحق فاعترفوا واين لا ينفعهم فهل لنا
من شفعاء فيشفعوا لنا جواب الاستفهام او نرد جملة معطوفة جملة فهل لنا داخلة
معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقع
فعل يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيدا او عطف على تقديره هل يشفع لنا شافع
او هل نرد فنعمل جواب الاستفهام ايضا غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدون من الاصنام ان ربكم الله الذي خلق
السماوات والارض في ستة ايام اي اراد السماوات والارض وما بينهما وقد فصلها في
حم السجدة اي من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا والاعلام بالتاني
في الامور وان لكل عمل يوما ولان انشاء شيء بعد شيء ادل على عالم مدبر مريد يصرفه
على اختياره ويجريه على مشيئته ثم استوى استولى على العرش اضاف الاستيلاء
الى العرش وان كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات لان العرش
اعظمها واعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما يقوله
المشبهة باطل لانه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الان كما كان لان التغير
من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق والحسن وابي حنيفة ومالك رضي الله عنهم
ان الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والايمان به واجب والجحود به كفر
والسؤال عنه بدعة يغشي الليل النهار يغشي مخففة ومشددة وعلى ابو بكر اي يلحق الليل
بالنهار او النهار بالليل يطلبه حثيثا حال من الليل اي سريعا والطالب هو
الليل كانه لسرعة مضيه يطلب النهار والشمس والقمر والنجوم اي وخلق
الشمس والقمر والنجوم مسخرات حال اي مذللات والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره شامي الشمس مبتدا والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات
بامره هو امر تكوين ولما ذكر انه خلقهم مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر
اي هو الذي خلق الاشياء وله الامر تبارك الله كثر او دام بره من البركة النماء
او من البروز والثبات ومنه البركة رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية نصب
على الحال اي ذوي تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا

وتملقا قال عليه السلام انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا
انه معكم اينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا انه لا يحب
المعتدين المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعلى انه نبه على ان
جهر اصواتهم بالدعاء وعن ابن الصلاح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب
في الدعاء وعن النبي عليه السلام سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان
يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب
اليها من قول او عمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
اي بالمعصية بعد الطاعة او بالشرك بعد التوحيد او بالظلم بعد العدل وادعوه خوفا
وطمعا حالان اي خايفين من الرد طامعين في الاجابة او من النيران وفي الجنان او من
العقاب وفي الثواب او من غيب العاقبة وفي كمال الهداية او من العدل وفي الفضل ان رحمة
الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به للاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او الترحم او لانه صفة موصوف
محذوف اي شيء قريب او لتشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او للاضافة الى المذكر
وهو الذي ارسل الرياح نشرا الريح مكي وحمزة وعلي نشرا حمزة وعلي مصدر نشر وا
نتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا او على الحال اي
منتشرات نشرا عاصم تخفيف بشر جمع بشير لان الرياح تبشر بالمطر نشرا شامي
تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور اي ناشرة للمطر بين يدي
رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم حتى اذا اقلت حملت ورفعت وا
شتقاقه من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا
بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال
لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه مطر
ولسقيه ميت مدني وحمزة وعلي وحفص فانزلنا به الماء بالسحاب او بالسوق وكذلك
فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى
لعلكم تذكرون فيوديكم التذكر الى الايمان بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل
واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته
باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه
واقع

واقع في مقابلة نكدا والذي خبث صفة للبلد اي والبلد الخبيث لا يخرج اي نباته الا
حذف للاكتفاء الا نكدا هو الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو
المومن ولا يوثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله
له بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف
الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المومنون ليتفكروا فيها ويعتبروا
بها لقد ارسلنا جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا نوحا الى قومه ارسل وهو ابن خمسين
سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو اسم ادريس عليه
السلام فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره على قالوا بالجر على المحل كانه
قيل ما لكم اله غيره فلا تعبدوا احدا غيره والجر على اللفظ اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم اي يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملا
اي الاشراف والسادة من قومه انا لنراك في ضلال مبين في ذهاب عن
الطريق الصواب والروية رؤية القلب قال يا قوم ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال
كما قالوا لان الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه
قال ليس بي شيء من الضلال ثم استدرك لتاكيد نفي الضلال فقال ولكني رسول
من رب العالمين لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته في معنى كونه على
الصراط المستقيم فكان في الغاية القصوى من الهدى ابلغكم رسالات
ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر
والنواهي والمواعظ والبشائر والنذائر ابلغكم ابو عمرو وهو كلام مستانف
بيان لكونه رسول رب العالمين وانصح لكم واقصد صلاحكم بالاخلاص يقال
نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة
وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك او النهاية في صدق العنا
ية واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه
على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين او عجبتم الهمزة للانكار والواو
للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم وذلك انهم

كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال
البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة لينذركم ليحذركم عاقبة كفركم ولتتقوا ولتوجد
منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى إن وجدت
منكم فكذبوه فنسبوه إلى الكذب فأنجيناه والذين معه وكانوا أربعين رجلا
وأربعين امرأة قيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك يتعلق
بمعه كأنه قيل والذين صحبوه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين
عن الحق يقال عمي في البصر وعم في البصيرة وإلى عاد وأرسلنا إلى عاد وهو عطف
على نوح أخاهم واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم
لأنهم بمجيء واحد رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم ألزم هودا عطف بيان لأخاهم
وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله
غيره أفلا تتقون والإمالة بغير وغيره كما في قصة نوح عليه السلام لأنه على تقدير سؤال
سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ الذين كفروا
من قومه وإنما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح لأنه في أشراف
قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فأريد التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف
قوم نوح عليه السلام مؤمن إنا لنراك في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث
تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعني أنه متمكن فيها غير
منفك عنها وإنا لنظنك من الكاذبين في ادعائك الرسالة قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين فيما أدعوكم إليه
أمين على ما أقول لكم وأعاد الهنا وأنا لكم ناصح أمين لقولهم وإنا لنظنك من الكاذبين
أي ليقابل الاسم بالاسم وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفا
هة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا
لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم
وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم
ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض

أو في

أو في مساكنهم وإذ مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم
وزادكم في الخلق بسطة طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستين ذراعا
وأطولهم مائة ذراع بصطة بحاذ عن عاصم وعلى حاله فاذكروا آلاء الله
في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى
نحو إنى وآنا لعلكم تفلحون ومعنى المجيء في قالوا أجئتنا أن يكون لهود
عليه السلام مكان معتزل عن قومه فيتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد آباؤنا أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبا
دة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه فأتنا
بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فيه أن العذاب نازل بنا قال قد وقع عليكم
أي قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب
إليك بعض المطالب قد كان من ربكم رجس عذاب وغضب سخط أتجادلونني
في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم
تسمونها آلهة وهي خالية عن معنى الإلهية أنتم وآباؤكم ما نزل
الله بها من سلطان حجة فانتظروا نزول العذاب إني معكم من المنتظرين
فأنجيناه والذين معه أي من آمن به برحمة منا وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا
بآياتنا أي استأصلناهم والدابر الأصل أو الكائن خلف الشيء وقطع دابرهم استئصالهم وتدمير
هم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين فائدة نفي الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب
بآيات الله الإشعار بأن الهلاك خص المكذبين وقصتهم أن عادا قد تبسطوا
في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء
فبعث الله إليهم هودا فكذبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا
إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج عند بيته الحرام فأوفدوا إليه قيل بن عنز ولقيم
ابن هزال ومرثد بن سعد وكان يكتم إيمانه بهود عليه السلام وأهل مكة إذ ذاك
العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا
عليه بظاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا

في تراوح فواطعا قيل انهم اسقوا عادا اما كفة تسقيهم فانشا الله عز وجل
سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فاختار السوداء على ظن انها اكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال
له المغيث ولما راوها قالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا
هود والمومنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود وارسلنا
الى ثمود وقال الى ثمود تاويل الحي او بالعشار فاصل لانه اسم ابيهم الاكبر ومنع
الصرف بتاويل القبيلة وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم اية ظاهرة شاهدة على صحة
نبوته وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله وهي الصادقة تخصيص
وتعظيم لانها بتكوينه تعالى بلا اصلاب ولا ارحام لكم اية حال من الناقة والعامل
معنى الاشارة في هذه كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي له اية وهم
ثمود لانهم عاينوها فذروها تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة
الله فذروها تاكل في ارض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤونتها ولا تمسوها
بسوء لا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لاية الله فياخذكم
جواب النهي عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض والمباءة
المنزل اي انزلكم في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا اي في
الصيف وتنحتون الجبال بيوتا للشتاء وبيوتا حال مقدرة نحو خط هذا الثوب
قميصا اذ الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة فاذكروا
الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها
وخلفوهم في الارض وعمروا اعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية
الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وافسدوا
في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح
من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فلما
نذرهم وقالوا ان يخرج من صخرة بعينها ناقة عشراء فطلع وعاد به فتمخضت
تمخض النتوج فولدت فخرج منها ناقة كما شاء واخرج جنوع ورهاس

قومه

قومه قال الملا الذين استكبروا من قومه وقال الشامي الذين استضعفوا الذين
استضعفوهم رؤساء الكفار لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا
باعادة الجار وفيه دليل على ان البدلية حيث كان في تقرير اعادة العامل
والضمير في منهم راجع الى قومه وهو بدل على ان استضعافهم كان مقصورا على
المومنين او الى الذين استضعفوا وهو بدل على ان المستضعفين كانوا مومنين وكافرين
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا على سبيل السخرية قالوا انا بما ارسل به
مومنون وانما صار هذا جوابا عنه لانهم سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله
امرا معلوما مسلما كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به لا شبهة فيه وانما الكلام
في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون ولذلك قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم
به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المومنون معلوما مسلما
فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم وان كان العاقر قدار بن سالف لانه كان برضاهم
وكان قدار احمر ازرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا علي
اشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الاخرين قاتلك وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه
واستكبروا وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل
في ارض الله او شانه ربهم وهو دينه وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت
من المرسلين فاخذتهم الرجفة الصيحة التي زلزلت بها الارض واضطربوا لها فاصبحوا
في دارهم في بلادهم او مساكنهم جاثمين ميتين قعودا يقال الناس جثم اي قعود
لا حراك بهم ولا يتكلمون فتولى عنهم لما عقروا الناقة وقال يا قوم عتوا فاخبرهم
انه ستقع عليهم وسالة رسول ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين تامر بالهوى الاستعلاء
الهوى والنصيحة منقطعة لعدم الفصحة والكثرة وصيغة تحويل النصيحة دون الغيو
هم الناقة كان يوم الاربعاء قال صالح تعيشون بعد ثلاثة ايام تصبح وجوهكم
اول يوم مصفرة وفي الثاني محمرة وفي الثالث مسودة ويصبحكم العذاب في الرابع وكان كذلك
وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فلما علم انهم هلكوا رجع
بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا اذ قال لقومه اي واذكروا لوطا واذ بدل منه
اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد
من العالمين والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من الاولى
مزايدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق من العالمين التبعيض وهو

بالنساء مستنزعة التي عليهم اولا بقوله أتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انكم اول
من عملها انكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون
للانكار انكم على الاخبار مستانف وحفص يقال اتى المراة اي غشيها شهوة مفعول
له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ولا ذم اعظم منه لانه
وصف لهم بالبهيمة من دون النساء اي لا من النساء بل انتم قوم مسرفون اضراب
على الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وانكم قوم عادتهم
الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا
المعتاد الى غير المعتاد وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
اي لوطا ومن امن به يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة
وتعظيم امرها ولكنهم جاءوا بشيء اخر لا يتعلق بكلامه انهم اناس يتطهرون يدعون
الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما عابوهم بما يتمدح
به فانجيناه واهله ومن يختص به من ذويه او من المومنين الا امراته كانت من الغابرين
من الباقين في العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل
سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم
نوعا من المطر عجيبا قالوا امطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم
وامطرت حجارة على مسافريهم قال ابو عبيدة امطر في العذاب ومطر في الرحمة فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين الكافرين والى مدين وارسلنا الى مدين وهو اسم قبيلة اخاهم
شعيبا يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل
والموازين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم اي معجزة
وان لم تذكر في القرآن فاوفوا الكيل والميزان اتموهما والمراد فاوفوا الكيل ووزن الميزان
او يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا
حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم
وبخس يتعدى الى مفعولين وهما الناس واشياءهم تقول بخسته زيدا حقه اي
نقصته اياه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا
فيها بعدما اصلح فيها الصالحون من الانبياء والاولياء واضافته كاضافة بل مكر
الليل والنهار اي بل مكركم في الليل والنهار ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل
والميزان

والميزان وترك البخس والافساد في الارض خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة
ان كنتم مومنين مصدقين لي في قولي ولا تقعدوا بكل صراط بكل طريق توعدون
من امن بشعيب بالعذاب وتصدون عن سبيل الله عن العبادة من امن به بالله
وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتبغون
لسبيل الله عز وجل اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوا
هم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي لا تقعدوا موعدين
وصادين عن سبيل الله وباغينها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به
غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله عز وجل
ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها
بالبركة والنماء فكثروا وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين اخر امر من قبلكم من الامم
كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت
به وطائفة لم يومنوا فاصبروا فانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان
ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله
تعالى منهم او عظة للمومنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى ان يحكم الله
بينهم وينتقم لهم منهم او هو خطاب للفريقين اي ليصبر المومنون على اذى الكفار
والكافرون على ما يسوءهم من ايمان من امن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب
وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور قال الملا الذين استكبروا
من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي
لتكونن احد الامرين اما اخراجكم او عودكم في الكفر قال اولو كنا كارهين الهمزة
للاستفهام والواو للحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا مع كوننا
كارهين قالوا نعم قال شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم وهو
قسم على تقدير حذف اللام اي والله لقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها خلصنا فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم
والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت اراد عود قومه الا انه نظم نفسه
في جملتهم وان كان بريئا منه اجرى الكلام على حكم التغليب وما يكون لنا
وما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا الا ان يكون سبق في

في مشيئته إذ لا نحيط بها إلا الله كما قال إن أعلمنا بمشيئته تعالى حكمها ولا نعلمها وسع
ربنا كل شيء علما تمييز أي هو عالم بكل شيء فيعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم
كيف تنقلب على الله توكلنا في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا للازدياد ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق احكم والفتاحة الحكومة القضاء والفتح يجيء بمعنى
من المعنيين لما أسمى ... أو سمى أهل عمان القاضي فتاحا وأنت خير الفاتحين كقوله
وأنت خير الحاكمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون
مغبونون بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف أو باتباعه لا تربح تجارتكم غبنا وإنما ... على
آبائهم والتسوية وجواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط إنكم
إذا لخاسرون محذوف سد مسده الجواب فأخذتهم الرجفة الزلزلة فأصبحوا في دارهم
جاثمين ميتين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا
فيها غني بالمكان أقام الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كانوا هم الخاسرين الرد
لقولهم إنكم إذا لخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا كأن لم يقيموا في دارهم لا الذين اتبعوا شعيبا
فإنهم الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه
وفي هذا الاستئناف والتكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم وما جرى عليهم
فتولى عنهم بعد أن نزل بهم العذاب وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم فكيف آسى أحزن على قوم كافرين اشتد حزنه على قومه ثم أنكر
على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا أهل الحزن عليهم لكفرهم
واستحقاقهم ما نزل بهم أو أراد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والتحذير مما
حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم وما أرسلنا في قرية من نبي فيه حذف
من نبي فكذبوه أي فكذبوه إلا أخذنا أهلها بالبأساء بالبؤس و
الفقر والضراء الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم أو هما نقصان
النفس والمال لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية
الكبر ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من
البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة حتى عفوا كثروا وعفوا في أنفسهم
وأموالهم من قولهم عفا النبات إذا كثر ومنه قوله عليه السلام وأعفوا

اللحى

اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس
بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا مثل ما مسنا وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم
عليه فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب اللام في ولو أن أهل القرى
للإشارة إلى القرى التي دل عليها وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى
الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا الشرك مكان تكذيبهم لفتحنا عليهم
لفتحنا لهم بركات من السماء والأرض أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كل وجه
ولكن كذبوا الأنبياء فأخذناهم بما كانوا يكسبون بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن يكون
اللام للجنس أفأمن أهل القرى عطف على فأخذناهم أن يأتيهم بأسنا عذابنا بياتا ليلا أي وقت
بيات يقال بات بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى نهارا والضحى
في الأصل ضوء الشمس إذا أشرقت في العلو والواو في أفأمن وأوأمن حرف عطف دخل
عليهما همزة الإنكار والمعطوف عليه فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى
يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى
فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا
أن يأتيهم بأسنا ضحى أو أمن ... ويجوز العطف بأو والمعنى إنكار الأمن
من أحد هذين الوجهين من إتيان العذاب ليلا أو ضحى فإن قلت كيف دخل همز الاستفهام
على حرف العطف وهو ينافي ... الاستفهام فله الصدر في المفرد لا في عطف جملة
على جملة لأنه على استئناف جملة بعد جملة وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي لهم
أفأمنوا تكرير لقوله أفأمن أهل القرى مكر الله أخذه العبد من حيث لا يشعر و
من الاستدراج ... وصف الحق ... لهم ... بما هم عليه وقالت ابنة
الربيع بن خثيم لأبيها مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام فقال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات
أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون إلا الكافرون
الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار أولم يهد للذين يرثون الأرض
من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أن لو نشاء مرفوع بأنه فاعل يهد وأن
مخففة من الثقيلة أي أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم
أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم
وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى

التي يطبع بمعنى أن الآية وختم على قلوبهم فهم لا يسمعون الوعظ قاله
المعنى نقص عليك من أنبائها تقول هذا على أنه مبتدأ وخبر وحال ويكون
القرى صفة وأنباءها ونقص خبرا والمعنى ذلك القرى المذكورة من قوم نوح إلى قوم شعيب
نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غير هذه لم نقصها عليك والقصد تسلية ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل بما كذبوا به من آيات الله
قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل
أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين مع تتابع الآيات
واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين
لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس
على الإطلاق يعني أن أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان والآية اعتراض
أو للأمم المذكورين فإنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة قالوا لئن أنجيتنا
لنكونن من الشاكرين ثم نكثوا وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة
والوجود بمعنى العلم بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك إلا في
المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم الضمير للرسل في قوله
ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم موسى بآياتنا بالمعجزات الواضحات إلى فرعون وملائه فظلموا
بها فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم
أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وآمن بها ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا
بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين حيث صاروا مغرقين وقال موسى يا فرعون
يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة فكأنه قال يا ملك
مصر واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان إني رسول من رب العالمين
إليك فقال فرعون كذبت فقال موسى حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق أي أنا
حقيق جدير بقول الحق أو واجب على قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق
على نافع أي واجب على أن لا أقول على الله إلا الحق أي الصدق وعلى هذه القراءة
تقف على العالمين وعلى الأول يجوز الوصل على جعل حقيق وصفا لرسول وعلى
بمعنى الباء كقراءة أبي أي أنا رسول حقيق بأن لا أقول أو تعلق على بمعنى الفعل
في الرسول أي أنا رسول حقيق حقيق بالرسالة أو تعلقت على أن لا أقول على الله

إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم بما بينت رسالتي فأرسل معي بني إسرائيل فخلهم يذهبوا
معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي
غلب فرعون نسل الأسباط واستعبدوهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين
اليوم الذي دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام قال
إن كنت جئت بآية من عند من أرسلك فأت بها أي فأحضرها عندي لتصح
دعواك ويثبت صدقك فيها إن كنت من الصادقين فألقى موسى عليه السلام عصاه من يده فإذا هي
ثعبان مبين ظاهر أمره روي أنه كان ذكرا أصفر أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل
في الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث
قبل ذلك وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا
فصاح فرعون يا موسى خذه وأنا أومن بك فأخذه موسى فعاد عصا ونزع يده
من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين أي فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظر
إلا إذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه روي أنه أرى فرعون
يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها في جيبه ونزعها فإذا هي بيضاء غلب
شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة
قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل إلى الناس
العصا حية والآدم أبيض وهذا الكلام قد عزي إلى فرعون في سورة الشعراء
وأنه قاله للملأ وهنا عزي إليهم فيحتمل أنه قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم
وقولهم هنا أو قاله ابتداء فتلقته منه الملأ فقالوه لأعقابهم يريد أن يخرجكم
من أرضكم يعني مصر فماذا تأمرون تشيرون من آمرته فأمرني بكذا إذا شاورته
فأشار عليه برأي وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا إن هذا لساحر عليم
يريد أن يخرجكم قالوا أرجه بسكون الهاء عاصم وحمزة أي أخره واحبسه أي أخر
أمره ولا تعجل وكأنه هم بقتله فقالوا أخره واحبسه ولا تقتله لئلا يظن
أنه صادق وأرسل في المدائن حاشرين جامعين يأتوك بكل ساحر عليم
سحار حمزة وعلي يأتوك بكل سحار مثله في المهارة أو يخير منه وجاء السحرة
فرعون يريد وأرسل إليهم فحضروا فقالوا إن لنا لأجرا على الخبر والإثبات
إيجاب الأجر العظيم حجازي وحفص ولم يقل فقالوا لأنه على تقدير سؤال سائل ما قالوا

إذا جاءوا وأجيب بقوله قالوا إن لنا لأجرا الجعل على الغلبة والتنكير للتعظيم كأنهم
قالوا لابد لنا من أجر عظيم إن كنا نحن الغالبين قال نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين
عندي فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا أو سبعين ألفا أو بضعة
وثلاثين ألفا قالوا يا موسى إما أن تلقي عصاك وإما أن نكون نحن الملقين ما معنا وفيه دلالة
على أن رغبتهم في أن يلقوا قبله حيث أكدوا ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر قال
لهم موسى عليه السلام ألقوا تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المتناظرون
قبل أن يتخاوضوا في الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم
وقلة مبالاة بهم واعتمادا على أن المعجزة لن يغلبها السحر أبدا فلما ألقوا سحروا أعين
الناس أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه روي أنهم ألقوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها
بعضا واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بالحيلة
وجاءوا بسحر عظيم في باب السحر أو في عين من رآه وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك
فإذا هي تلقف تبتلع ما تلقفه فحذف الهاء يأفكون ما موصولة أو مصدرية بمعنى
ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك
روي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت
عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة
قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت
وبطل ما كانوا يعملون من السحر فغلبوا هنالك أي فرعون وجنوده والسحرة
وانقلبوا صاغرين وصاروا أذلاء مبهوتين وألقي السحرة ساجدين وخروا سجدا
لله كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا فكانوا
أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهارون بدل مما قبله قال فرعون آمنتم به على الخبر فعل وهذا توبيخ منه لهم
ويجوز أن يكون في معنى الأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد
قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها
أهلها إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء
لغرض لكم وهو أن تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني إسرائيل فسوف تعلمون
وعيد أجمله ثم فصله بقوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف من كل شق طرفا

ثم

ثم لأصلبنكم أجمعين هو أول من قطع من خلاف وصلب قالوا إنا إلى ربنا منقلبون
فلا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته أو إنا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون
ننقلب إلى الله فيحكم بيننا وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب
منا إلا الإيمان بآيات الله أراد وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو
الإيمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
ربنا أفرغ علينا صبرا أي اصبب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا وأكثره
علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء أو أفرغ وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام
وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض أرض مصر بالإسلام
ويستحلوا فيها ويذرك وآلهتك عطف على ليفسدوا والمعنى قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم
أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ذلك قوله أنا ربكم الأعلى قال فرعون مجيبا للملأ سنقتل أبناءهم ونستحيي
نساءهم وإنا فوقهم قاهرون سنعيد ما كنا محنا بهم من قتل الأبناء ليعلموا
أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا
ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على
يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه قال موسى لقومه استعينوا
استعينوا بالله واصبروا قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل
أبناءهم تسلية لهم ووعدا لهم بالنصر عليهم إن الأرض اللام للعهد أي أرض مصر
أو للجنس فيتناول أرض مصر بتناولا أوليا لله يورثها من يشاء من عباده فيه
تمنية إياهم أرض مصر والعاقبة للمتقين بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين
منهم ومن القبط وإخلاء هذه الجملة عن الواو لأنها مستأنفة بخلاف قوله
وقال الملأ لأنها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون قالوا
أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى
إلى أن استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء
لوعد النصر قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض تصريح بما رمز
إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في

ارضهم وينظر كيف تعملون فيه من الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر
النعمة وكفرها ليجازيكم من العمل ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل
على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب المنصور زيادة
لعمرو فلم توجد فقرا عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر
له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا ءال فرعون بالسنين بمعنى
القحط وهي جمع سنة والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونقص من الثمرات
قيل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات لاهل الحاضر لعلهم يذكرون ليتعظوا
فينتهوا عما هم عليه من الكفر وان الناس في حال الشدة اضرع
خدودا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها ولو اصابه
في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية
فاذا جاءتهم الحسنة الصحة والخصب قالوا لنا هذه اي نحن الذين نستحقها
وان تصبهم سيئة جدب ومرض يطيروا اصله يتطيروا وادغمت التاء في الطاء والاية
موضع التشاؤم واصل التشاؤم بموسى ومن معه تشاءموا بهم وقالوا هذا بشؤ
مهم ولولا مكانهم لما اصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في
السيئة ونكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته واما السيئة
فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا الشيء منها الا انما طائرهم اي سبب خيرهم وشرهم
عند الله في حكمه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة
فالكل من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وقالوا مهما تاتنا به من اية
لتسحرنا بها اعاد الضمير [مونثا] حملا على معنى مهما [...] ضمير الهاء المجرور
المذكورة الجزاء في قوله فما نحن لك بمؤمنين وانما سموها اية [...]
ان الطوفان [...] استهزاء [...] وهو المذهب [...]
[...] موضع [...] اية [...] والضمير [...]
[...] على الاعجاز [...] على المعنى
لانها في معنى الاية وانما سموها اية اعتبارا لتسميته موسى او قصدوا بذلك
الاستهزاء فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل
قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة

لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدرون ان يخرجوا من ديارهم وقيل دخل الماء في بيوت
القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل
من الماء قطرة او هو الجدري او الطاعون والجراد فاكلت زروعهم وثمارهم وسقوف
بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء والقمل وهو الدبا وهو
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها او البراغيث او كبار القردان والضفادع وكانت
تقع في طعامهم وشرابهم حتى اذا تكلم الرجل تقع في فيه والدم اي الرعاف
وقيل صار ماؤهم كله دما حتى ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعا على اناء
فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وقيل سال عليهم النيل دما
ءايات حال من الاشياء المذكورة مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل
انها من ءايات الله او مفصلات بين كل ءايتين منهن شهر واستكبروا عن الايمان بموسى
وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز العذاب اي الطوفان وما بعده او الطاعون
المذكور [...] ادع لنا ربك بما عهد عندك ما المصدرية
اي بعهده عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع اي ادع الله لنا متوسلا
اليه بعهده عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة
فيعذبون فيه [...] ما تقدم لهم من الاهمال وكشف العذاب الى [...] اذا هم
ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجاوا النكث ولم يؤخروه فانتقمنا
منهم هو ضد الانعام كما ان العقاب ضد الثواب فاغرقناهم في اليم هو البحر
الذي لا يدرك قعره او هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان
المستقين به يقصدونه بانهم كذبوا بءاياتنا وكانوا عنها غافلين
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها [...]
فيها [...] واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان القبط
يستضعفونهم [...] مشارق الارض ومغاربها
يعني ارض مصر والشام التي باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وكثرة
الانهار والاشجار وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل هو قوله عسى

ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض او من قوله ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض الى ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة وعلى
صلة تمت اي مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا
بسبب صبرهم وحسبك فيه دليلا على ان الصبر محمود العاقبة وان من قابل البلاء بالجزع
وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج ودمرنا واهلكنا ما كان يصنع
فرعون وقومه من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون
من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وبضم الراء شامي وابو بكر وهذا
اخر قصة بني اسرائيل مع فرعون ثم ذكر ما احدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الايات
العظام وتجاوزهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مما راى من بني اسرائيل بالمدينة وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي انه عبر بهم
موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله
فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها وكانت
تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما
نعكف عليه كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت
الجملة بعدها قال يهودي لعلي رضي الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه
فقال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم قال انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم
على اثر ما راوا من الاية الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده ان هؤلاء يعني عبدة
تلك التماثيل متبر مهلك من التبار ما هم فيه اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي
هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء اسم ان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة
خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم
البتة وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا من عبادة الاصنام باطل مضمحل
قال اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو
فضلكم على العالمين حال اي على عالمي زمانكم واذ انجيناكم من ال فرعون انجاكم
شامي يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها
وهو استيناف او حال من المخاطبين او من ال فرعون يقتلون ابناءكم ويستحيون
ويستحيون نساءكم يقتلون نافع وفي ذلكم اي في الانجاء او في العذاب بلاء

نعمة

نعمة او محنة من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة لاعطاء التوراة واتممناها
بعشر روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم
اتاهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سال الله موسى ربه الكتاب فامره ان
يصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك
فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك
فامره ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك فتم ميقات ربه ما وقت
له من الوقت وضربه له اربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد ولقد
اجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هنا وقال موسى لاخيه هارون هارون عطف
بيان لاخيه اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امور
بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه
ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص اي اختص
مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه بلا واسطة ولا كيفية وروي انه كان يسمع الكلام من كل
جهة وذكر الشيخ في التاويلات ان موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام
الله وكان اختصاصه باعتبار انه سمع صوتا تولى تخليقه من غير ان يكون ذلك الصوت
مكتسبا لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله
تعالى فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسال الرؤية بقوله قال رب
ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني ذاتك انظر اليك يعني مكني من رؤيتك
بان تتجلى لي حتى اراك وارني مكي وبكسر الراء مختلسة ابو عمرو وبكسر الراء
مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه
السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سال واعتقاد جواز ما لا يجوز
على الله تعالى كفر قال لن تراني بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين
باقية وهو دليل لنا ايضا لانه لم يقل لن ارى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا
لاخبر لانه ليس بمرئي اذ الحالة حالة الحاجة الى البيان ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه بقي على حاله فسوف تراني وهو دليل لنا ايضا لانه

علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه
كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا
ولم يقل اندك وما اوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد لو لم يوجده لانه مختار في
فعله ولانه تعالى ما ايس موسى عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه
كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين حيث سأل انجا
ابنه من الغرق فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ ابو
منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما قاله الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة
وعلما ورؤية حتى راى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين
جهل منكري الرؤية وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالما بانه لا يرى ولكن طلب قومه
ان يريهم ربهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب
الرؤية ليبين الله تعالى انه ليس بمرئي باطل اذ لو كان كما زعموا لقال ارهم ينظروا اليك
ثم يقول لهم لن يروني ولانه لو كان جائزا لما اخر موسى عليه السلام الرد عليهم
بل كان يرد عليهم وقت فرط كلامهم لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه
السلام بعث لتغييره لا لتقريره الا ترى انهم لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم
آلهة لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون جعله دكا
مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان وخر موسى
صعقا حال اي سقط مغشيا عليه فلما افاق من صعقته قال سبحانك تبت
اليك من السؤال في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك او بانك لا تعطى
الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله ارني انظر اليك ارني
آية اعلم بها بطريق الضرورة كاني انظر اليك لن تراني لن تطيق معرفتي بهذه
الصفة ولكن انظر الى الجبل فاني اظهر له آية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر
مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لانه قال ارني انظر اليك ولم يقل
اليها وقال لن تراني ولم يقل لن ترى آيتي وكيف يكون معناه لن ترى آيتي وقد اراه
اعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اخترتك
على اهل زمانك برسالاتي هو اسفار التوراة برسالتي حجازي وبكلامي وبتكليمي

اياك

اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين
على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي
التوراة يوم النحر ولما كان هارون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى
عليه السلام وكتبنا له في الالواح الواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة الواح وقيل
سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة من كل شيء
في محل النصب على انه مفعول كتبنا موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل
منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم
من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير
لم يقرأها كلها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى فخذها فقلنا
له خذها عطفا على كتبنا والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء بقوة
بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو
حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يأخذوا بما هو
ادخل في الحسن واكثر للثواب لقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم ساوريكم
دار الفاسقين اي دار فرعون وقومه وهي مصر او منازل عاد وثمود والقرون المهلكة
كيف اقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم
او جهنم ساصرف عن آياتي عن فهمها [illegible] والنون [illegible] فلوب [illegible]
ليس يمكنون حكمة القرآن الذين يتكبرون يتطاولون على الخلق ويانفون عن قبول
الحق وحقيقته التكلف للكبرياء التي اختصت بالباري عز قدرته في الارض بغير
الحق هو حال اي يتكبرون بغير استحقاق لان التكبر بالحق لله تعالى وحده وان يروا كل
آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد طريق الصلاح
الهدى او طريق الهدى الرشد حمزة وهما كالسقم والسقم لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي الضلال يتخذوه سبيلا ومحل ذلك الرفع اي ذلك الصرف بانهم كذبوا
باياتنا بسبب تكذيبهم وكانوا عنها غافلين غفلة عناد واعراض لا غفلة
سهو وجهل والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة هو من اضافة المصدر الى المفعول

في ايديهم ولعايتهم الآخرة ومشاهدتهم اهوالها حسبما اعد الله لهم حين والذين كانوا يجزون
ما كانوا يعملون وهو ذكر بيان الاحوال التي كانت بين ارسال الغرق وموسى من بعده
من بعد ذهابه الى الطور من حليهم واضافته اليهم مع انها كانت عواري في ايديهم
لان الاضافة تكون بادنى ملابسة وفيه دليل على انه من حلف ان لا يدخل دار
فلان فدخل دارا استعارها فهذا على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا
غيرها من املاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على اموال الكفار يوجب زوال
ملكهم عنها ثم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاسند اليهم والحلي جمع حلي
وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلي للاتباع عجلا مفعول
اتخذ جسدا بدل منه اي بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد له خوار هو صوت
البقر والمفعول الثاني محذوف اي الها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال
الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لا يقدر على كلام
ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر
قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق بما ركز في العقول من
الادلة وبما انزل في الكتب ثم ابتدأ فقال اتخذوه الها واقدموا على هذا الامر المنكر
وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل واصله ان
من شأن من اشتد ندمه ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وسقط
مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم
اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في ايديهم من ذلك مكروه وان
استحال ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل
في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه
بعيونهم قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة
وعلي والانتصاب على النداء لنكونن من الخاسرين المغبونين في الدنيا والآخرة
ولما رجع موسى من الطور الى قومه بني اسرائيل غضبان حال من موسى عليه السلام
اسفا حال اي حزينا قال بئسما خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي
والخطاب لعبدة العجل من السامري واشياعه او لهرون ومن معه

من

203

من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني في
حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله وفاعل
بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره
بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي بعد ما كنت
احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عن عبادة البقر حين قالوا اجعل
لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف اعجلتم
اسبقتم بعبادة العجل امر ربكم وهو اتياني لكم بالتوراة بعد اربعين ليلة
واصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى تركتم والقى الالواح
ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله وكان في نفسه شديد الغضب
وكان هارون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى
فتكسرت فرفعت ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل
كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة واخذ براس اخيه بشعر راسه غضبا عليه
حيث لم يمنعهم من عبادة العجل يجره اليه عتابا عليه لا هوانا به وهو حال
من موسى قال ابن ام بني ام بالفتح على العلم بجعلهما اسما واحدا وبكسر الميم
حمزة وعلي وشامي واصله امي فحذفت الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان
ابن امه وابيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها اعون على العطف
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني اي اذلوني وقهروني ولم يبالوا بي بالوعظ
والانذار ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي فلا تشمت بي الاعداء الذين
عبدوا العجل اي لا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي ولا
تجعلني مع القوم الظالمين اي قرينا لهم بغضبك علي فلما اتضح له عذر اخيه
قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه وينفي الشماتة عنه باشراكه معه في
الدعاء والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق اخي ولاخي ان فرط في حسن الخلافة وادخ
خلنا في رحمتك عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا
العجل الها سينالهم غضب من ربهم هو ما امروا به من قتل انفسهم توبة وذلة

في الحياة الدنيا خزي وخروجهم من ديارهم فالغربة تورث الاعتراف وضرب الجزية عليهم
وكذلك نجزي المفترين المتكبرين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا
الهكم واله موسى والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا ثم رجعوا الى الله
تخلى من بعدها وآمنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها اي السيئات او التوبة لغفور
الستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها
خبر الذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جنايتهم
اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان عظمت فعفوه اعظم ولما كان
الغضب لشدته كانه هو الآمر لموسى بما فعل قيل ولما سكت عن موسى الغضب
وقال الزجاج معناه سكن وفي رواية اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما
نسخ منها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
دخلت اللام لتقوي المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره واختار موسى قومه
اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل سبعين رجلا قيل اختار من قومه اثني عشر
سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان
فقعد كالب ويوشع لميقاتنا للاعتذار عن عبادة العجل فلما اخذتهم الرجفة
الزلزلة الشديدة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل بما كان منهم من
عبادة العجل اي بقتل القبطي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اتهلكنا
عقوبة بما فعل الجهال منا وهم اصحاب العجل ان هي الا فتنتك ابتلاؤك وهو
راجع الى قوله انا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى تلك الفتنة التي اخبرتني
بها وهو ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر والخير فتنة تضل بها اي الفتنة
من تشاء من علمت منهم اختيار الضلالة وتهدي من تشاء من علمت منهم اختيار الهدى
انت ولينا مولانا القائم بامورنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا
واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة حياة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الآخرة
الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد
وهو التائب قال عذابي من صفته اني اصيب به من اشاء اي لا اعفو عنه ورحمتي وسعت
كل شيء اي من صفة رحمتي انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر الا وعليه
اثر

اثر رحمتي في الدنيا فسأكتبها فسأثبتها للذين يتقون الشرك من امة محمد عليه السلام ويؤتون
الزكاة المفروضة والذين هم بآياتنا بجميع كتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها
الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات
الامي الذي يجدونه اي يجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عند
هم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف بخلع الانداد وانصاف العباد
وينهاهم عن المنكر عبادة الاصنام وقطيعة الارحام ويحل لهم الطيبات ما حرم على
عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها وما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله
عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث كالدم
والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة
ونحوهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم هو الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم
وقطع الاعضاء الخاطئة احبارهم تفادي على الجمع والاغلال التي كانت عليهم
هي الاحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية
وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وكتابة الذنوب على ابواب
البيوت وشبهها بالاغلال فالذين آمنوا به بمحمد عليه السلام
وعزروه وعظموه او منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو واصل التعزير المنع
ومنه التعزير لانه منع عن معاودة القبيح كالحد ونصروه واتبعوا النور الذي
انزل معه اي القرآن ومع متعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي
والعمل بسنته اولئك هم المفلحون الفائزون بكل خير والناجون من كل شر
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله
عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
والارض في محل النصب باضمار اعني وهو نصب على المدح لا اله الا هو بدل من الصلة
وهي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان
للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت
بيان لاختصاصه بالالوهية اذ لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره فآمنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته اي الكتب المنزلة

واتبعوه لعلكم تهتدون ولم يقل فامنوا بالله وبي نحو قوله انه رسول الله الذي
ليجري على الصفات التي اجريت عليه ولما في الصفات من بيان البلاغة وللاجل الاية
وجب الايمان به هو هو الاستعمال الموصوف بانه النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته
نه كاينا ما كان او غير من اطوار القصة وتعلق امر التحقيق بعد المسلم ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق اي يهدون الناس محقين او بسبب الحق الذي هم عليه
وبه يعدلون وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين
امنوا بمحمد عليه السلام ليلة المعراج او هم عبد الله بن سلام واصحابه وقطعناهم
وصيرناهم قطعا اي فرقا [illegible] من بعض اثنتي عشرة اسباطا كقوله
اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة
من اثني عشر ولدا من اولاد يعقوب عليه السلام تمييز ما عدا العشرة
مفرد وكان ينبغي ان يقال اثني عشر سبطا الا ان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة
قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة امما بدل من
اثنتي عشرة اي وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وكل واحدة
كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب
بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم
هو اسم جمع غير تكسير وظللنا عليهم الغمام وجعلناه يظلهم [illegible] وانزلنا
انا عليهم المن والسلوى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا [illegible]
البلاد [illegible] ولكن كانوا انفسهم يظلمون
انفسهم [illegible] واذ قيل لهم اسكنوا هذه
القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر
لكم خطيئاتكم تغفر لكم مدني وشامي خطيئاتكم [illegible] خطاياكم ابو عمرو خطيئتكم
شامي سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا
عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية
وكلوا منها وبين قوله في البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول
والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون
بينهما وترك ذكر الرغد لا ينافي اثباته وقوله تغفر لكم خطاياكم سنزيد
المحسنين

المحسنين موعد بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف
مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذا زيد
منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وسلهم
واسأل اليهود عن القرية ايلة او مدين وهذا السؤال للتقريع بقديم كفرهم التي كانت
حاضرة البحر قريبة منه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطياد
هم يوم السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية
اهلها كانه قيل واسالهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من
بدل الاشتمال اذ تاتيهم منصوب بيعدون او بدل بعد بدل حيتانهم جمع حوت
ابدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها يوم سبتهم شرعا ظاهرة على
وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذ يعدون في تعظيم هذا اليوم
وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه ويوم لا
يسبتون لا تاتيهم ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك
البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في
الاعراب امة منهم جماعة من صلحاء القرية الذين ايسوا من وعظهم بعدما ركبوا
الصعب والذلول في موعظتهم لاخرين لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما
الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ
لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله لئلا ننسب في النهي
عن المنكر الى التفريط معذرة حفص [illegible] اي نعتذر [illegible] وعظناهم للمعذرة
ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا [illegible] فلما نسوا اهل القرية [illegible] ما ذ
كرهم به الصالحون ترك الناسي ما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء عن الفساد الشديد
واخذنا الذين ظلموا [illegible] المنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين مع الفسقة وقيل
هلكت فرقة [illegible] وهم الذين اعتدوا الحيتان بعذاب بئيس شديد يقال بؤس يبؤس
باسا اذا اشتد فهو بئيس بيس شامي بئس مدني بيئس على وزن فيعل ابو بكر
غير حماد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين

أي جعلناهم قردة أذلاء خاسئين مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا
والعذاب البئيس هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون
أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على أنها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت
وإذ تأذن ربك أي أعلم وأجري مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم
وهو قوله ليبعثن عليهم أي كتب على نفسه ليسلطن على اليهود إلى يوم القيامة من
يسومهم من يذيقهم سوء العذاب وكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث
محمد عليه السلام فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر إن ربك لسريع العقاب
للكفار وإنه لغفور رحيم للمؤمنين وقطعناهم فرقناهم في الأرض أمما فرقا فيها فلا تخلو
بلد عن فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم
دون ذلك ومنهم أناس على غير هذا الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك
الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم والخصب والجدب لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون فخلف من (والسيئات)
بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح ورثوا الكتاب التوراة ووقفوا على ما
فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها يأخذون عرض هذا الأدنى
هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا
وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه
من الرشا في الأحكام وعلى تحريف الكلم وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الأخذ أو إلى الجار والمجرور
أي لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون
عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أي الميثاق
المذكور في الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا أي فقد أخذ عليهم
الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله إلا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه وقرؤوا ما فيه أي ما في الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لأنه (ما فيه)
تقرير وكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير
من

من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا والمحارم أفلا تعقلون أنه كذلك
بالتاء مدني وحفص والذين يمسكون بالكتاب يمسكون أبو بكر والإمساك والتمسك
والتمسيك الاعتصام والتعلق بالشيء وأقاموا الصلاة خص الصلاة مع أن التمسك
بالكتاب يشتمل على كل عبادة لأنها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر إنا لا نضيع أجر
المصلحين أي إنا لا نضيع أجرهم وجاز أن يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وإنا لا
نضيع اعتراض وإذ نتقنا الجبل فوقهم واذكر إذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا
فوقكم الطور كأنه ظلة هي كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وظنوا أنه واقع بهم
وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها
وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل
لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل واحد
منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفا من سقوطه
فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر يقولون هي السجدة التي
رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على
احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه
لعلكم تتقون ما أنتم عليه وإذ أخذ ربك من بني آدم أي واذكر إذ أخذ من ظهورهم
بدل من بني آدم والتقدير وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم ومعنى أخذ
ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلاب آبائهم وأشهدهم على أنفسهم ألست
بربكم قالوا بلى شهدنا هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة
على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة
بين الهدى والضلالة فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست
بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك
أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها
العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه
عليه أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا
ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه
قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك

وادلة التوحيد منصوبة لهم ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا
السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التف
التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون عن شركهم نفصلها الى هذا
ذهب المحققون من اهل التفسير وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى اخرج
ذرية ادم مثل الذر واخذ عليهم الميثاق انه ربهم بقوله الست بربكم فاجابوه
ببلى قالوا وهي الفطرة التي فطر الناس عليها وقال ابن عباس رضي الله عنهما اخرج
الله من ظهر ادم ذريته واراهم اياه كهيئة الذر واعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك
اخذ عليهم الميثاق ان يعبدوني قيل كان ذلك قبل الدخول في الجنة بين مكة والطا
يف ظهورهم ولم يقل من ظهر ادم ولانه لا يتذكر ذلك الاعطاء بحيث يحتج به ذرياتهم مدني
وشامي ان يقولوا او تقولوا ابو عمرو واتل عليهم على اليهود نبأ الذي اتيناه آياتنا
هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ
منها فخرج من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان
فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين
روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به حتى فعل
وكان عنده اسم الله الاعظم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها
بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها واتبع هواه في ايثار
الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه اي تزجره
وتطرده يلهث او تتركه غير مطرود يلهث والمعنى فصفته التي هي مثل في الخسة
والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به سواء
حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك
ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا حرك اما الكلب فيلهث في الحالين وكان
مقتضى الكلام ان يقال ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته
فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه ابلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب
على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعى
بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب

قيل

قيل معناه هو ضال وعطاء ونزل وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح هرجا
او نزل ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرؤوا نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس
باقتراب مبعثه فاقصص القصص اي قصص بلعام الذي هو نحو قصصهم لعلهم
يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا
اي مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر اي ساء المثل مثلا وانتصاب
مثلا على التمييز وانفسهم كانوا يظلمون معطوف على كذبوا فيدخل في حيز الصلة
اي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم او منقطع عن الصلة اي
وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص اي وخصوا
انفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي حمل على اللفظ ومن يضلل اي
ومن يضلله فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت
المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت في حق الفريقين فدل انه من الله
تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر
آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك
وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافي بين هذا وقوله وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون لانه انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده واما من علم انه يكفر
به فانما خلقه لما علم انه يكون منه فالحاصل ان من علم منه في الازل انه يكون منه
العبادة خلقه للعبادة ومن علم انه يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام
يراد به الخصوص وقول المعتزلة ان هذه اللام لام العاقبة لما كان عاقبتهم جهنم
جعل كانهم خلقوا لها فرارا عن ارادة المعاصي عدول عن الظاهر لهم قلوب لا يفقهون
بها الحق ولا يتفكرون فيه ولهم اعين لا يبصرون بها الرشد ولهم آذان لا يسمعون بها
الوعظ اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر
بل هم اضل من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسل وارتكبوا الفضول
فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارها حيث
يختارون النار وكيف يستوي المكلف المأمور والمخلى المعذور فالآدمي روحاني

الشهوات سماوي أرضي فإن غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وإن غلب
هواه روحه فاقته بهائم الأرض أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الأسماء
الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه ك
القديم قبل كل شيء، والباقي بعد كل شيء، والقادر على كل شيء، والعالم بكل شيء،
والواحد الذي ليس كمثله شيء، ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور
والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالمتفضل والعفو ومنها
ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الإجلال
كالعظيم والجبار والمتكبر فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء. وذروا الذين يلحدون
في أسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء
الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخي يا رفيق لأنه لم يسم
نفسه بذلك ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة سيجزون في
الآخرة سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا [illegible] الجنة لأنه في مقابلة ولقد ذرأنا
لجهنم وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون في أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة
إلى الدين وفيه دلالة أن إجماع كل عصر حجة والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر
الله نعمه مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا
معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة
من الله وتقريب وإنما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاس
تصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة وأملي لهم عطف
على سنستدرجهم أي أمهلهم إن كيدي متين أخذي شديد سماه كيدا لأنه شبيه
بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي صلى الله
عليه وسلم إلى الجنون نزل أولم يتفكروا ما بصاحبهم بمحمد عليه السلام وما نافية بعد
وقف أي أولم يتفكروا ولم يعرفوا ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم من جنة جنون
إن هو إلا نذير مبين منذر من الله موضح إنذاره أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت
السموات والأرض الملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما
يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد وأن عسى أن مخففة من الثقيلة
والأصل وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجر بالعطف على ملكوت
والمعنى

والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم
يموتون عما قريب فيسارعون إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة
الأجل وحلول العقاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو متعلق
بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق
منه يريدون أن يؤمنوا به من يضلل الله فلا هادي له أي يضلله الله ونذرهم بالياء
عراقي وبالجزم حمزة وعلي عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله
لا يهده أحد ويذرهم وبالرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم الباقون بالنون
في طغيانهم كفرهم يعمهون يتحيرون ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى
تكون نزل يسألونك عن الساعة وهي من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة
بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها عند الله على طولها كساعة
من الساعات عند الخلق أيان مرساها استفهام مرساها فعلان منه أي متى وقت
مرساها إرساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الإدخال أو وقت إرسائها أي إثباتها
والمعنى متى يرسيها الله قل إنما علمها عند ربي أي علم وقت إرسائها عنده
قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة
وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها
لوقتها إلا هو لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده ثقلت في السموات
والأرض أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويتمنى أن يتجلى
له وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يخافون شدائدها
وأهوالها لا تأتيكم إلا بغتة فجأة على غفلة منكم يسألونك كأنك حفي عنها
عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة عن الشيء
والتنقير عنه استحكم علمه فيها أصل هذا التركيب للمبالغة ومنه إحفاء الشار ب
أو عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها قل إنما علمها
عند الله وكرر يسألونك وإنما علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كأنك حفي
عنها وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن

الحسن رحمه الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الله ان العبودية و براءة
عما يختص بالربوبية علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع
ضرر كالمماليك الا ما شاء الله من النفع والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لا
استكثرت من الخير وما مسني السوء اي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار
الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا تارة ومغلوبا
اخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت
لاعتددت من الخصب للجدب والسوء الفقر وقيل وما مسني الجنون ان انا الا عبد
ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب واللام في لقوم يؤمنون يتعلق بالنذير
والبشير لان النذارة والبشارة انما ينفع فيهم او بالبشير وحده والمتعلق
بالنذير محذوف اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة
هي نفس ادم عليه السلام وجعل منها من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسد ادم من ضلع من اضلاعه
ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل لان الجنس الى الجنس اميل خصوصا اذا كانت بعضا
منه كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعد
ما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم فلما تغشاها
جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى
من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما تستثقله فمرت به فمضت به الى وقت
ميلاده من غير اخراج ولا ازلاق او حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به
وقعدت فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها دعوا الله ربهما دعا ادم وحواء ربهما ومالك
امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن اتيتنا صالحا لئن وهبت لنا
ولدا سويا قد صلح بدنه او ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح لنكونن من الشاكرين
والضمير في اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما اتاهما صالحا
اعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما
له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذا فيما اتاهما
اي اتى اولادهما دليله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحواء
بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى
وعبد مناة وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم
او يكون

او يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ال
قصي اي هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن
اليها فلما اتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما اتاهما حيث سميا
اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون
لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك اشركوا نافع وابو بكر اي ذوي شرك وهم
الشركاء ايشركون ما لا يخلق شيئا يعني الاصنام وهم يخلقون اجريت الاصنام مجرى اولي
العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها الالهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق
شيء وهم يخلقون لان الله خالقهم والضمير في وهم يخلقون للعابدين اي ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم مخلوقون الله فليعبدوا خالقهم او للعابدين والمعبودين وجمعهم
كاولي العلم تغليبا للعابدين ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون
عنهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم
اي وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم
ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
عن دعائهم في انه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم فالعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤوس الاي
ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم مخلوقون
مملوكون امثالكم فادعوهم لجلب نفع او دفع ضر فليستجيبوا لكم فليجيبوا ان كنتم
صادقين في انهم الهة ثم ابطل ان يكونوا عباد امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها يتناولون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم
اذان يسمعون بها اي فلم تعبدون ما هو دونكم قل ادعوا شركاءكم واستعينوا
بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه ابو عمرو
في الوصل فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم وكانوا قد خوفوه الهتهم فامر ان يخاطبهم
بذلك وبالياء يعقوب ان وليي الله الذي نزل الكتاب اوحي الي وعزني
برسالته وهو يتولى الصالحين ومن سنته ان ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم والذين تدعون
من دونه من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم

بصورة من قبل حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون خذ العفو هو
ضد الجهد اي ما عفا لك من اخلاق الناس وافعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما
يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا وامر بالعرف
بالمعروف والجميل من الافعال او هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع
واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم واغض
ما جهل بك عليه السلام بقوله صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك
وعن الصادق امر الله نبيه عليه السلام بمكارم الاخلاق وليس في القرآن اجمع
لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما يحملنك منه نخس
بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ النخس
كانه ينخس الناس اغراء الغضب لقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا
يعتريني انه سميع لنزغه عليم بدفعه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
طيف مكي وبصري وعلي ابي حمزة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف
طيفا وعن ابي عمرو وهما واحد وهي الوسوسة وهذا تاكيد لما تقدم من وجوب
الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا اصابهم ادنى
نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم
مبصرون فابصروا السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته ان يفروا منه الى الله
فيزدادوا بصيرة من الله بالله واخوانهم واما اخوان الشيطان من شياطين
الانس فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم
يمدونهم من الامداد مدني ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا
يرجعوا وجاز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين
والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير في اخوانهم
والشيطان مفرد لان المراد به الجنس واذا لم تاتهم باية مقترحة قالوا لولا اجتبيتها
هلا اختلقتها اي اختلاقها كما اختلقت ما قبلها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي
ولست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون به واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون

ظاهره

ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل
معناه اذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي
الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح و
اذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل
وغيرها تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما دون
الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال لفضل هذين
الوقتين وقيل المراد ادامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي
الغدوات والاصال جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو العشي ولا تكن من الغافلين من الذين
يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك مكانة ومنزلة لا مكانا ومسافة
يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ويسبحونه وينزهونه عما لا يليق
به وله يسجدون ويخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره سورة الانفال مدنية
وهي خمس او ست او سبع وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن
الانفال قل الانفال لله والرسول النفل الغنيمة لانها من فضل الله تعالى وعطائه والا
نفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين
ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم
فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين
ذكر الله والرسول ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه
حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد
فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متاخين في الله واصلحوا ذات بينكم
احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق وقال
الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل اي فاتقوا الله وكونوا
مجتمعين على ما امر الله ورسوله به وقال عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر
اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا
فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء واطيعوا الله ورسوله
فيما امر به في الغنائم وغيرها ان كنتم مؤمنين كاملي الايمان انما المؤمنون الكاملون

الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له من جلاله وعزه و
سلطانه واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمانينة
لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه او زادتهم ايمانا بتلك الايات
لانهم لم يومنوا باحكامها قبل وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون ولا يفوضون امورهم
الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
جمع بين اعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة
والصدقة اولئك هم المومنون حقا هو صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المومنون
ايمانا حقا او هو مصدر موكد للجملة التي هي اولئك هم المومنون كقولك هو عبد الله
حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امومن انت قال ان كنت تسالني عن
الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب
فانا به مومن وان كنت تسالني عن قوله انما المومنون الاية فلا ادري امنهم انا ام لا وعن
الثوري من زعم انه مومن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية
اي كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المومنين حقا فلا يقطع بانه مومن حقا وبهذا
يتشبث من يقول انا مومن ان شاء الله وكان ابو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك
وقال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال
بلى وعن ابراهيم التيمي قل انا مومن حقا فان صدقت اثبت عليه وان كذبت فكفرك
اشد من كذبك وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مومن
حقا وقد احتج عبد الله على احمد فقال ايش اسمك قال احمد فقال تقول انا احمد
حقا او انا احمد ان شاء الله فقال انا احمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثني
وقد سماك الله في القران مومنا تستثني لهم درجات مراتب بعضها فوق
بعض على قدر الاعمال عند ربهم ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم
صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب الكاف في كما اخرجك ربك من بيتك في محل
النصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله
والرسول ثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون
وهو من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه
فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اخراجا متلبسا بـ

الحكمة

211

بالحكمة والصواب وان فريقا من المومنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال
كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا
منهم ابو سفيان فاخبر جبريل عليه السلام النبي عليه السلام فاخبر اصحابه فاعجبهم
تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج ابو جهل
بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت
طريق الساحل ونجت فابى وسار بمن معه الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه
لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا فاستشار النبي عليه السلام اصحابه وقال العير احب اليكم
ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم رد عليهم فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند
غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن
عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الا
نصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما
قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد
ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله
لكاني انظر الى مصارع القوم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان
فريقا من المومنين لكارهون قال الشيخ ابو منصور رحمه الله يحتمل انهم منافقون
كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل ان يكونوا مخلصين ويكون ذلك كراهة طبع
لانهم غير متاهبين له يجادلونك في الحق الحق الذي جادلوا فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعدما تبين بعد
اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير
وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت وهم

ينظرون لشبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال
من يجر إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها
لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وما كان
فيهم إلا فارسان وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين إذ منصوب باذكر وإحدى مفعول
ثان أنها لكم بدل من إحدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير وإذ يعدكم
الله أن إحدى الطائفتين لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أي العير
وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم أي تتمنون
أن يكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الأخرى
ويريد الله أن يحق الحق أي يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة
وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قليب بدر
ويقطع دابر الكافرين آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر ومنه قطع دابرهم عبارة
عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور والله تعالى
يريد معالي الأمور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار
لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم ليحق الحق متعلق
بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك والمعنى [illegible]
الاختصاص أي ما فعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر
ومحقه وليس هذا بتكرار لأن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل
من اختيار ذات الشوكة على غيرها ونصرتهم عليها ولو كره المجرمون المشركون ذلك
إذ تستغيثون ربكم بدل من إذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل
والاستغاثة أنهم لما علموا أنه لابد من القتال جعلوا يدعون الله يقولون أي رب
انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وهو طلب الغوث وهو التخلص
من المكروه فاستجاب لكم فأجاب وأصله بأني ممدكم بأني ممدكم فحذف الجار وسلط
عليه استجاب فنصب محله بألف من الملائكة مردفين مدني غيره بكسر
الدال في الكسر على أنهم أردفوا غيرهم أردف كل ملك ملكا آخر وبالفتح
على أنه أردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفه إذا تبعه وأردفته إياه إذا أتبعته

وما

وما جعله الله أي الإمداد الذي دل عليه ممدكم إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
به قلوبكم يعني أنكم إذا استغثتم وتضرعتم لقلتكم وكان الإمداد بالملائكة
بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر إلا من عند الله أي
ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة
وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره الله واختلف في قتال
الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها
أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي في صور الرجال
عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال
أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة
فقال هم غلبونا لا أنتم وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون
المؤمنين وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا إن الله عزيز بنصر أوليائه
حكيم بقهر أعدائه إذ يغشيكم بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بإضمار
اذكر يغشيكم مدني النعاس الذي والفاعل هو الله على الغير أنه يغشاكم
النعاس مكي وأبو عمرو أمنة مفعول له أي إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي
لأمنكم أو مصدر أي فأمنتم أمنة والنوم يزيل الرعب ويريح النفس منه صفة
لها أي أمنة حاصلة لكم من الله وينزل بالتخفيف مكي وبصري وبالتشديد
غيرهم عليكم من السماء ماء مطرا ليطهركم به بالماء من الحدث والجنابة ويذهب عنكم عليكم
رجز الشيطان وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش والجنابة من الاحتلام لأنه
من الشيطان وقد وسوس إليهم أن لا نصرة مع الجنابة وليربط على قلوبكم بالصبر
ويثبت به الأقدام أي بالماء إذ كانت أقدامهم تسوخ في الرمل أو بالربط لأن القلب
إذا تمكن فيه الصبر تثبت الأقدام في مواطن القتال إذ يوحي بدل ثالث من إذ يعدكم
أو منصوب بيثبت ربك إلى الملائكة أني معكم بالنصر فثبتوا الذين آمنوا بالبشرى
وكان الملك يسير أمام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب هو امتلاء القلب من الخوف الرعب [illegible] وعلى
فاضربوا خطاب للمؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على أنهم قاتلوا فوق الأعناق أي أعالي

الاعناق التي هي المذابح تطييرا للروس او اراد الروس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام
واضربوا منهم كل بنان هي الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل
والشوى لان الضرب اما ان يقع على مقتل او غير مقتل فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين
ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدا خبره
بانهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم اي مخالفتهم وهي
مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة
والمخاصمة لان هذا في عدوة وذا في عدوة وهذا في جانب وذا في عدوة وخصم ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لكل احد وفي ذلكم للكفرة
على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه والواو
في وان للكافرين عذاب النار بمعنى مع اي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي
لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا
حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا
من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر فلا تولوهم الادبار فلا
تنصرفوا عنهم منهزمين اي اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تدبروا
فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من المومنين او من الفريقين اي اذا
لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال مائلا للقتال وهو
الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب او متحيزا
منضما الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان
من ضمير الفاعل في يولهم فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبيس المصير ووزنه
متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناؤه متفعل متحوز ولما كسروا
اهل مكة وقتلوا واسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخرا قتلت واسرت نزل
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره
ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه
وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا اشتغل بعينيه فانهزموا وما رميت يا محمد اذ رميت ولكن
الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها انت لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها

لما

لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت
ذلك الاثر العظيم وفي الاية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله
تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه اثبت الفعل من العبد بقوله
اذ رميت ثم نفاه عنه واثبته لله تعالى بقوله وما رميت ولكن الله رمى ولكن الله
قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامي وحمزة وعلي وليبلي المومنين وليعطيهم منه
بلاء حسنا عطاء جميلا والمعنى واحسن الى المومنين فعل ما فعل وما فعله
الا لذلك ان الله سميع لدعايهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن
ومحله الرفع اي الامر ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم اي
المراد ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين موهن كيد شامي وكوفي غير حفص
موهن كيد غيرهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وقيل ان تستفتحوا
خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين اي وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو اي الانتهاء خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم
ولن تغني عنكم فئتكم جمعكم شيئا ولو كثرت عددا وان الله مع المومنين بالفتح مدني وشامي
وحفص اي ولان الله مع المومنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويويده قراءة
عبد الله والله مع المومنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه
عن رسول الله صلى الله عليه لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع
الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال
لا ينفع في فلان او يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اي ولا تتولوا عن هذا الامر وا
امتثاله واصله ولا تتولوا فحذف احدى التاءين تخفيفا وانتم تسمعون اي وانتم
تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم
مومنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ادعوا
السماع وهم المنافقون او اهل الكتاب وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين
فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن
طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها اشبه سماعكم سماع

من الايوم ثم قال ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اي ان شر
من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه
جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا وابعدوا ما ميزوا به من العقل
ولو علم الله فيهم في هولاء الصم البكم خيرا صدقا او رغبة للاسماع لجعلهم سا
معين حتى يسمعوا اسماع المصدقين ولو اسمعهم لتولوا عنه اي ولو اسمعهم وصدقوا
الارتدوا بعد ذلك ولم ينتفعوا به وهم معرضون عن الايمان يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير لان دعوة الرسول هي دعوة الله فعله الاول الاستجابة ل
رسول الله كالاستجابة لله والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال لما يحييكم الدعوة الحقة
والنفس بحياة يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت
قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او المجاهدة الكفار لانهم لو
جاهدوا لغلبوهم وقتلوهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه اي يمنعه فيفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن
من اخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله
او بينه وبين ما يضمره بقلبه من حول العبادة فيفسخ عزائمه وانه اليه تحشرون واعلموا
انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة واتقوا
فتنة عذابا او ذنبا الذي عليه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهو جواب الامر اي ان اصابتكم لا تصيب
الظالمين منكم خاصة ولكن تعمكم وجاز ان يدخل النون المؤكدة في جوابه لان
الامر فيه معنى النهي كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحنك ومن
منكم التبعيض واعلموا ان الله شديد العقاب اذا عاقب واذكروا اذ انتم قليل العدد
في الارض واذكروا وقت كونكم اقلة اذ انتم مستضعفون في الارض ارض مكة
قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس ان الناس كانوا لكم اعداء
مضادين فاواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم
بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها
الذين امنوا لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه والرسول بان لا تستنوا به وتخو
نوا جزم عطف على لا تخونوا اي ولا تخونوا اماناتكم فيما بينكم بان لا تح
فظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله او وانتم تعلمون انكم تخونون
يعني ان الخيانة توجد منكم عمدا لا عن سهو او وانتم علماء تعلمون حسن الحسن
وقبح

وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه
ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد
ادخلت عليه النقصان فيه واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي سبب الوقوع
في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم
على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تحرصوا على طلب ذلك الاجر وتزهدوا
في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه
والاسلام باعزاز اهله او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم
في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى طلع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات
وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية
في الدنيا والاخرة ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم
اي الصغائر والله ذو الفضل العظيم على عباده واذ يمكر بك الذين كفروا لما فتح
الله عليه ذكر مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه
من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اس
لمت الانصار فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في متشاورين
امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا الشيخ من نجد دخلت مكة فسمعت
باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه
منها وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم
من يقاتلكم من قومه ويخلصوه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه
على جمل فتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس
الراي ما رايتم يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا
العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم
رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله

صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن له في الهجرة فامر
عليا فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه
وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا
وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليحبسوك
او يوثقوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة ويمكرون ويخفون المكايد له
ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي
مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا كان عليه السلام يقرا القرءان ويذكر
اخبار القرون الماضية فقال النضر بن الحارث لو شئنا لقلنا مثل هذا
وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واحاديث العجم فنزل
واذا تتلى عليهم ءاياتنا اي القرءان قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الا
وهذا صلف منهم ووقاحة لانهم دعوا الى ان ياتوا بسورة من مثل القرءان فلم ولين
ياتوا به واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك اي القرءان هو الحق من عندك هذا اسم
كان وهو فصل والحق خبر كان روي ان النضر لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له
النبي عليه السلام ويلك هذا كلام الله فرفع النضر راسه الى السماء وقال ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اي ان كان القرءان هو الحق
فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او ائتنا بعذاب اليم
بنوع اخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل
من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا للرسول
اللهم ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا
ان كان هذا هو الحق فاهدنا اليه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللام لتا
كيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم لانك بعثت
رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين
اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجرت عنهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم
اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم او معناه وما كان الله
معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله

من

من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله ابدا وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد
الحرام وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمومنين
من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت الحرام والحرم فنصد من نشاء وندخل
من نشاء فقيل وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم
للدين ان يكونوا ولاة امر الحرم ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين وقيل
الضميران راجعان الى الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك كانه استثنى من كان
يعلم وهو يعاند او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلا
صح تهم عند البيت الا مكاء صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو
فعال من مكا يمكو اذا صفر وتصدية وتصفيقا تفعلة من الصدى او لانهم
كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون
نحو ذلك اذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه فذوقوا
العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر بما كنتم تكفرون بسبب كفركم ونزل
في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا كلهم من قريش كان يطعم
كل واحد منهم كل يوم عشر جزر ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وهو سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم تكون عاقبة انفاقها
ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر
وهو من دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما اخبر والذين كفروا
والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه في
ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الطيب اي الفريق الطيب
من المومنين متعلقة بيحشرون ليميز حمزة وعلي ويجعل الخبيث الفريق الخبيث
بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه فيجعله في جهنم اي الفريق الخبيث
اولئك اشارة الى الفريق الخبيث اولئك هم الخاسرون انفسهم واموالهم

قل للذين كفروا اي لاجلهم [illegible] ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد
سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين بالاهلاك
في الدنيا والعذاب في العقبى او معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا
غفر لهم ما سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا
اسلم لم يكن عليه قضاء العبادات المتروكة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين
باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله
بما يعملون بصير يثيبهم على اسلامهم وان تولوا اعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا
فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته نعم المولى
لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره والمخصوص بالمدح محذوف
واعلموا انما غنمتم ما بمعنى الذي ولا يجوز ان تكتب الا مفصولا اذ لا
صلة له او [illegible] موصول الوجه ان يكون ما شاكله وغنمتم صلته
والعائد محذوف والتقدير الذي غنمتموه من شيء بيانه قيل حتى الخيط
والمخيط فان لله خمسه والفاء انما دخلت لما في الذي من معنى المجازاة
وان وما عملت فيه في موضع رفع على انه خبر المبتدأ تقديره فالحكم ان لله
خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فالخمس كان
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خمسة اسهم لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولذوي قرابته من بني هاشم وبني عبد المطلب دون بني عبد
شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم
وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم
هم ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان على ستة لله والرسول سهمان
وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من
الخلفاء رضي الله عنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله

احق

احق ان يرضوه ان كنتم امنتم بالله في اعلموا انه وارضوا بهذه القسمة ولا
[illegible] الرضا بالحكم والعمل بالعلم وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم
امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر يوم التقى الجمعان
الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات والملائكة
والفتح يومئذ ويوم بدل من يوم الفرقان والله على كل شيء قدير يقدر ان ينصر
القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر اذ انتم بدل من يوم الفرقان او التقدير
اذكروا اذ انتم بالعدوة شط الوادي وبالكسر فيهما مكي وابو عمرو الدنيا
القربى الى جهة المدينة تانيث الادنى وهم بالعدوة القصوى البعدى
عن المدينة تانيث الاقصى وكلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب
الواو ياء كالعليا تانيث الاعلى واما القصوى فكالقود في مجيئه على
الاصل والركب اي العير وهو جمع راكب في المعنى اسفل منكم نصب على الظرف
اي مكانا اسفل من مكانكم يعني في اسفل الوادي بثلاثة اميال وهو
مرفوع المحل لانه خبر المبتدا ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم
على موعد تلتقون فيه للقتال لاختلفتم في الميعاد لخالف بعضكم بعضا فثبطكم
قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ولكن
جمع بينكم بلا ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء
كلمته واللام تتعلق بمحذوف اي ليقضي الله امرا كان ينبغي ان يفعل
وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
القضاء يحتمل الحكم اي ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا او ليتم امرا كان
قد اراده وما اراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام واهله
وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضي ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
بينة حيي نافع وابو بكر والادغام لالتقاء المثلين والاظهار
لان حركة الثاني غير لازمة لانك تقول في المستقبل يحيى والادغام

اكثر استنفر البلاد والعباد الكفر وان الاسلام ابي ليصور لهي من كفر عن
وضوح بينة لا عن مخالطة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر الاسلام
من العلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك
به وقد اكدوا وجه بدر من الايات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا
لنفسه مغالطا لها ولهذا ذكر الويفتن وان العمي كانه استعار منهم مواتهم
وصلوا واذا كله مشاهدة ليعلم الخلق ان النصرة والغلبة انما تكون الكرة
وان اسبابه بيد الله تعالى وفي ذلك الدلالة الواضحة القصوى التي انما يمكن ان يكون
مكان فيها الماء وكانت ارض للابل بها والماء بالعدوة الدنيا وهي خبار
تسوخ فيها الارجل لا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور
العدو ومع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان
وان الله لسميع لاقوالكم عليم بنياتكم وعقابه وبما على من امره ثوابه احيائهم
الله نصبه باضمار اذكر او هو متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في منامك قليلا اي حقيرا وذلك ان الله تعالى اراهم
اياه حقيرا فاخبر بذلك اصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم
على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم
في الامر امر القتال وتفرقتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم عصمكم وانعم بالسلامة
من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضمير ان مفعولان اي
واذ يبصركم اياهم اذ التقيتم وقت اللقاء في اعينكم قليلا هو نصب على الحال
وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا
ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه
لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جانبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة
وكانوا الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انما هم اكلة جزور وقيل قد
قللهم في اعينهم قبل القتال ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة
بهم ثم تفجاهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز ان يبصروا الكثير قليلا

بان

بان يبتلي الله بعضهم ببعض او تحوّل في عيونهم او يستخلون له الكثير
كما هو وحرف في اعين الحول حتى يرون الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الا
حول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديكان واحد فقال ما لي لا ارى هذين
الديكين اربعة ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور فيحكم فيها
بما يريد يوم القيامة ثم وعلى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة
اذا حاربتم جماعة من الكفار وفي ذلك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا
الكفار واللقاء اسم غالب القتال فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله
كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوهم
وكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل
ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت
متوزعة عن غيره واطيعوا الله ورسوله في امر الجهاد والثبات
مع العدو وغير ذلك ولا تنازعوا فتفشلوا فتجبنوا وهو منصوب
باضمار ان ويدل عليه وتذهب ريحكم اي دولتكم يقال هبت رياح فلان
اذا دالت له الدولة ونفذ امره شبهت في نفوذ امره وتمشيته بالريح وهبوبها
وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور واصبروا في القتال مع العدو وغيره ان الله مع الصابرين
اي معينهم وحافظهم ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول نفروا
ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم
بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها
العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا
كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم
ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى

والكآبة والخزي من خشية الله تعالى مخلصين أعمالهم لله والبطر أن تشغله
تكثر النعمة عن شكرها ويصدون عن سبيل الله دين الله والله بما يعملون محيط
عالم وهو وعيد وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنكم لا تغلبون ولا غالب مبني نحو
لا رجل لكم في موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم وإني جار لكم
أي مجير لكم أو همهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم فلما تراءت الفئتان فلما
تلاقى الفريقان نكص الشيطان هاربا على عقبيه أي رجع القهقرى وقال إني
بريء منكم أي رجعت عما ضمنت لكم من الأمان روي أن إبليس تمثل لهم في صورة
سراقة بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معه راية فلما رأى الملائكة نكص
فقال له الحارث بن هشام أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون الملا
ئكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك فبلغ ذلك
سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا
أنه الشيطان إني أخاف الله أي عقوبته والله شديد العقاب إذ يقول
المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض هو من صفة المنافقين أو أريد
الذين هم على حرف لم يتمكنوا تمكنا في الإقدام في الإسلام غر هؤلاء دينهم يعنون
أن المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الف
ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله يكل إليه أمره فإن الله عزيز غالب يسلط
القليل الضعيف على الكثير القوي حكيم لا يسوي بين وليه وعدوه ولو ترى
ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي
إلى معنى الاستقبال إذ نصب على الظرف يتوفى الذين كفروا يقبض أرواحهم
الملائكة فاعل يضربون حال منهم وجوههم إذا أقبلوا وأدبارهم ظهورهم
وأستاههم إذا أدبروا أو وجوههم عند الإقدام وأدبارهم عند الانهزام
وقيل في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر والوجه
الأول لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله قراءة

ابن

هذا الجزء من النسفي [illegible]

وأؤخر أخرى استقصارا لقوة البشر عن إدراك هذا الوطر
وأخذا سبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه
بتوفيق الله والعوائق كثيرة وأتممته في مدة يسيرة وسميته بمدارك
التنزيل وحقائق التأويل وهو الميسر لكل عسير وهو
على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير. فاتحة الكتاب
مكية وقيل مدنية والأصح أنها مكية ومدنية نزلت بمكة
حين فرضت الصلاة ثم بالمدينة حين حولت القبلة إلى الكعبة
وتسمى أم القرآن [illegible] ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن
وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه
السلام فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء
والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من
كل داء إلا السام وسورة المثاني لأنها تثنى في كل صلاة وسورة
الصلاة لأنها [illegible] وسورة الحمد
والأساس فإنها أساس القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما
إذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالأساس وإنما تستفتح
بالاستعاذة بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة
والشام على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها
من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب
أبي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم
في الصلاة وقراء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل
سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون
بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع الأمر بتجريد
القرآن وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك
مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث أبي هريرة
رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله تعالى قسمت الصلاة أي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي
ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني

عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا
قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك
نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل واذا قال
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي
ما سأل فالابتداء في قوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست
من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها
جاعلا والحديث مذكور في صحاح المصابيح وما ذكرنا الا
بصدد الا ان التسمية اية من القرآن نزلت للفصل بين
السور عنه تادبا [illegible] والاسلام في المبسوط وانما يرد ان
لو لم نجعلها اية من القرآن [illegible] وتعد [illegible] في الكلام
وتعلقت الباء بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان
الذي يتلو التسمية مقروء وكما ان المسافر اذا حل
او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله
احل وبسم الله ارتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله
ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وانما قدر
المحذوف متاخرا لان الاهم من الفعل المتعلق به هو
المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء الهتهم فيقولون
باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى
اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير
الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها اول
سورة نزلت في قول [illegible] فكان الامر بالقراءة اهم فكان تقديم
الفعل اوقع ويجوز ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة
وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير متعد الى مفعول وهو
وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي بعده واسم الله
تعالى يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت
بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وفيه تعليم عباده

طيبه

ان علامي تتوقى بالنار وذوقوا ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون عذاب
الحريق اي مقدمة عذاب النار وذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم به او يقال
لهم يوم القيامة ذوقوا [illegible] ذلك بما قدمت [illegible] الا [illegible]
ايديكم اي كسبتم وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى او من كلام الملائكة
[illegible] وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب
بسبب بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب
الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او النفي انواع الظلم الكثير
في كداب ال فرعون في محل الرفع اي دأب هؤلاء مثل دأب ال فرعون ودأبهم
عادتهم وعملهم الذي داموا عليه اي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل قريش
او من قبل ال فرعون كفروا تفسير لدأب ال فرعون بايات الله فاخذهم الله
بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب [illegible] على [illegible] في التكذيب
واجري عليهم مثلما فعل بهم في التعذيب ذلك العذاب [illegible] بان الله
لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا واما بانفسهم بسبب ان الله [illegible]
في حكمته ان يغير نعمة [illegible] حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال [illegible] لم يكن لال فرعون
[illegible] حال مرضية [illegible] وقال [illegible] المسخوطة [illegible] تغير الحال
المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى الاسخط [illegible]
كانوا [illegible] الاصول [illegible] عبدة اصنام [illegible] بعث [illegible] بالايات
[illegible] فاحل [illegible] ما كانوا فيه
الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقولون
مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كداب ال فرعون [illegible] تكرير [illegible] والان في الاولى
الاخذ بالذنوب بالايات الله وهنا [illegible] الاهلاك والاستئصال [illegible]
من قبلهم كذبوا بايات ربهم وفي قوله بايات ربهم زيادة دالة على كفران
النعم وجحود الحق فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون [illegible] وكل
وكلهم [illegible] وقتلى [illegible] كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون [illegible]
فلا يتوقع منهم الايمان الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة

عاهدوا وهم لا يتقون الله في غدرهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتم
من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون
وشر المصرين الناكثون للعهود فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن
بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة
والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجترئ عليك بعدهم احد اعتبارا
بهم واتعاظا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به وتطرد به من عداهم
لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين
خيانة نكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء
على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ
اليهم اي حاصلين على استواء في العلم ان الله لا يحب الخائنين الناقضين للعهد
للعهود ولا تحسبن بالياء وفتح السين شامي وحمزة ويزيد وحفص وبالتاء
وفتح السين ابو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم الذين كفروا سبقوا فاتوا وافلتوا
من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن
ادراكهم انهم شامي اي لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل
غير ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ
بالتاء فالذين كفروا مفعول اول والثاني سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا
فاعل وسبقوا مفعول تقديره ان سبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة اي انهم
سبقوا فسد مسد المفعولين او يكون الفاعل مضمرا اي ولا يحسبن محمد الكا
فرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بينا من عدم تفرده
بها وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا لهم ايها المومنون
لهم لناقضي العهد او لجميع الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به
في الحرب من عددها وفي الحديث الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا على المنبر وقيل
هي الحصون ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله او هو جمع ربيط
كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل وميكائيل
ترهبون به بما استطعتم عدو الله وعدوكم اي اهل مكة وآخرين من
دونهم من غيرهم وهم اليهود او المنافقون او اهل فارس او كفرة الجن في الحديث

ان

ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل
الخيل يرهب الجن لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم وما تنفقوا
من شيء في سبيل الله يوف اليكم يوفر عليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون في الجزاء بل
تعطون على التمام وان جنحوا مالوا جنح له واليه مال للسلم بكسر السين ابو بكر
وهو مونث الصلح وضدها وهو الحرب فاجنح لها فمل اليها وتوكل على الله ولا تخف
من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم
انه هو السميع لاقوالك العليم باحوالك وان يريدوا ان يخدعوك بمكر او يغدروا
فان حسبك الله كافيك الله هو الذي ايدك قواك بنصره وبالمومنين جميعا او بالا
نصار والف بين قلوبهم قلوب الاوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي بلغت عداوتهم مبلغا لو انفق
منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر عليه ولكن الله الف بينهم
بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التواد والتحاب
واماط عنهم التباغض والتماقت انه عزيز يقهر من يخذلونك حكيم ينصر
من يتبعونك يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين الواو بمعنى مع وما
بعده منصوب والمعنى كفاك وكفى تباعك من المومنين الله ناصرا ويجوز ان
يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المومنين قيل اسلم مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت
يا ايها النبي حرض المومنين على القتال التحريض المبالغة في الحث على الامر
من الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا
هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا غلبوا عشرة
امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده بانهم قوم لا يفقهون بسبب ان الكفار
قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثبا
تهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو
يرجو النصر من الله فكان عليهم ان لا يفروا وثبت الواحد للعشرة ثم

ثقل ذلك عليهم فنسخ وخفف عنهم مقاومة الواحد للاثنين بقوله الان خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ضعفا عاصم وحمزة فان يكن منكم مائة صابرة بالفتح
فيهما كوفي وافق النص وفي الاولى والمراد الضعف في البدن يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين وتكرير مقاومة الجماعة
عند للاكثر منهما مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة
لا تتفاوت اذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذا
بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ما كان لنبي ما صح له ولا استقام ان يكون له
اسرى ان تكون بصرى حتى يثخن في الارض الاثخان كثرة القتل والمبالغة
فيه من الثخانة وهي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر باشاعة القتل في
اهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعده روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار
ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من
عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه
السلام مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام حيث قال فمن تبعني فانه
مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فا
ديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد
فلما اخذوا الفداء نزلت الاية تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم
الفداء سماها عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه والله يريد الاخرة اي
ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان والقتل والله عزيز يغلب الاعداء
حكيم في عتاب الاولياء لولا كتاب من الله لولا حكم من الله سبق ان لا يعذب احدا
على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لانهم نظروا في ان استبقاءهم
ربما كان سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفي عليهم
ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم او ما كتب الله تعالى في اللوح ان لا يعذب

اهل

اهل بدر وان لا يؤاخذ قبل البيان والاعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة جواز
الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب منشرا ومن الله صفته اي لولا
كتاب من الله ثابت من الله وسبق صفة اخرى له وخبر المبتدا محذوف اي لولا
كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز ان يكون خبرا لان الاسم لا
يظهر خبرها ابدا لمسكم لنالكم واصابكم فيما اخذتم من الفداء عذاب
عظيم روي ان عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء
تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا
منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي فكلوا مما
غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت
وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف
ومعناه قد احللت لكم الغنائم فكلوا حلالا مطلقا عن العتاب والعقاب
من جهة الفعل وهو نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا
حلالا طيبا لذيذا هنيئا او حلالا بالشرع طيبا بالطبع واتقوا الله فلا تقدموا
على شيء لم يعهد اليكم فيه ان الله غفور لما فعلتم من قبل رحيم باحلال ما غنمتم
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى
جمع اسير من الاسارى ابو عمرو وجمع اسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص
ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه
فداه او يثيبكم في الاخرة ويغفر لكم والله غفور رحيم روي انه قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه
وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني
وارجو المغفرة وكان له عشرون عبدا ان ادناهم ليتجر في عشرين الف
كان يقول انجز الله احد الوعدين وانا على ثقة من الاخر وان يريدوا خيانتك
نقض ما عاهدوك عليه من الاسلام بالردة او منع ما ضمنوا من الفداء

فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم
فامكنك منهم اي اظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكنك منهم ان عادوا الى الخيانة
والله عليم بالمآل حكيم فيما يفعل ان الذين امنوا وهاجروا من مكة حبا لله ورسوله
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله هم المهاجرون والذين آووا ونصروا
اي آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم وهم الانصار اولئك بعضهم اولياء
بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة
والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض وقيل اراد به النصرة والمعاونة والذين امنوا ولم يهاجروا من مكة ما لكم
من ولايتهم من توليهم في الميراث وِلايتهم حمزة وقيل هما واحد من شيء حتى يهاجروا
فكان لا يرث المومن الذي لم يهاجر ممن امن وهاجر ولما ابعد الذين لم يهاجروا واسم الاعلان
وكانت الهجرة مرتبة فضل وابتدا الهجرة تكبير كبيرة دال على ان صاحب الكبيرة
لا يخرج من الايمان وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر اي
ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونتكم فواجب عليكم ان تنصروهم على
الكفار الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا
يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والله بما تعملون بصير تحذير عن تعدي حد
الشرع والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه
نهي المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم
وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا
تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث
تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة
تكن فتنة في الارض وفساد كبير تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين
ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا والذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا
لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل
والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والحق لهم مغفرة ورزق كريم
لا منة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لان هذه الاية واردة للثناء عليهم مع الموعد الكريم
والاولى للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة وها

جروا

وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم الحقهم منكم تفضيلا او ترغيبا واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض واولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ التوارث
بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القرآن وهو
اية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ويقتضي
من جملته علم ما فيه من احكامه وقسم الناس اربعة اقسام قسم امنوا وهاجروا
وقسم امنوا ونصروا وقسم امنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يومنوا
والله تعالى اعلم سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون وقيل مائة
وثلاثون وقيل تسع وعشرون [illegible] ولها اسماء اخر التوبة
والمقشقشة والمبعثرة والمشردة والمخزية والفاضحة والمثيرة والحافرة
والمنكلة والمدمدمة لان فيها التوبة على المومنين وهي تقشقش من النفاق اي
تبرئ منه وتبحث عن اسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها
وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفي ترك في اولها
التسمية اقوال منها قول ابن عباس رضي الله عنهما ان بسم الله
امان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا نزلت عليه سورة قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وتوفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة
الانفال لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما
وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع وقيل اختلفت
اختلف الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة
سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما
فرجة لقول من قال هما سورتان ولم تكتب بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة
براءة من الله ورسوله اي هذه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف اي هذه براءة واصلة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان او مبتدأ لتخصصها
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم والخطاب للمومنين في الواو والحكم الا انه
ورسوله قد بري من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فسيحوا
في الارض اربعة اشهر وسيروا في الارض كيف شئتم والسيح السير على مهل

روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم
وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامر ان يسيحوا في الارض اربعة
اشهر امنين اين شاءوا ولا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر
الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع
من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد وامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا بكر على الموسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم
فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر انه
الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير
او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم رسول
ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا
يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا
وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم او عشر من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر
من ربيع الاخر وكانت حرما لانهم امنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب
لان ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة القتال في الاشهر الحرم وان ذلك قد
نسخ واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين
مذلهم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام
عم كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان في معنى
الايذان وهو الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة
الاولى والثانية ان الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجوب الاعلام
بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة
جهة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد
ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة
لان الوقوف بعرفة معظم افعال الحج او يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف
والنحر والحلق والرمي ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ان الله بريء

223

من المشركين اي بان الله حذفت صلة الاذان تخفيفا ورسوله عطف على
المنوي في بريء او على الابتداء وحذف الخبر اي ورسوله بريء وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان وبالجر على الجوار او على القسم كقوله لعمرك وحكي ان اعرابيا
سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا بريء منه فلببه الرجل الى عمر
فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر
والغدر فهو اي التوب خير لكم من الاصرار على الكفر وان توليتم عن التوبة
او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين
الله ولا فائتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا بعذاب اليم مكان بشارة
المؤمنين بنعيم مقيم الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من قوله فسيحوا
في الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم
سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد اي وفوا
بالعهد ولم ينقضوه وقرئ لم ينقضوكم اي عهدكم وهو ابلغ لكن المشهور
ابلغ لانه في مقابلة التمام ولم يظاهروا عليكم احدا ولم يعاونوا عليكم عدوا
فاتموا اليهم عهدهم فادوه اليهم تاما كاملا الى مدتهم الى تمام مدتهم والاستثناء
بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين لكن الذين لم ينكثوا
فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله
يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك
فاذا انسلخ مضى وخرج الاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا
فاقتلوا المشركين الذين ينقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم
وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف
في البلاد واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه
على الظرف فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم ان
الله غفور رحيم يستر الكفر والغدر بالاسلام رحيم بهم برفع القتل قبل الاداء بلا

لنزاع وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله احد مرتفع
بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر اي وان استجارك احد استجارك والمعنى
وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستامنك
ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره
ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك مأمنه داره التي يأمن فيها
ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى وليس له الاقامة
في دارنا ويمكن من الرجوع ذلك اي الامر بالاجارة في قوله فاجره بانهم قوم لا يعلمون
بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من
اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
رسوله كيف استفهام في معنى الاستنكار اي مستنكر ان يثبت لهؤلاء عهد
فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك
ذلك بقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام اي ولكن الذين عاهدتم منهم
ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم
فما استقاموا لكم فما اقاموا على وفاء العهد فاستقيموا لهم على الوفاء وما شرطية
اي فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين يعني ان التقى
بصرفهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم تكرار لاستبعاد ثبات المشركين
على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما اي كيف يكون لهم عهد وحالهم
انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان
والمواثيق لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلفا ولا قرابة ولا ذمة عهدا يرضونكم
بافواههم بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدا في وصف حالهم
من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتابى
قلوبهم الايمان والوفاء بالعهد واكثرهم فاسقون ناقضون للعهد او متمردون
في الكفر لا مروءة تمنعهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد
ذلك في بعض الكفرة من التفادي عنهما اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله
فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس الصنيع

صنيعهم

صنيعهم لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون ولا تكرار لان الاول على الخصوص
حيث قال فيكم والثاني على العموم لانه قال في مؤمن واولئك هم المعتدون
المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدأ في الدين لا في النسب ونفصل الآيات
ونبينها لقوم يعلمون يفهمون فيتفكرون فيها وهو اعتراض كانه قيل وان
تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين التائبين
وعلى المحافظة عليها وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم اي نقضوا
العهود الموكدة بالايمان وطعنوا في دينكم وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر
فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك او زعماء
قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام
طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث
عهده وخرج من الذمة ائمة بهمزتين كوفي وشامي الباقون بهمزة واحدة
غير ممدودة بعدها ياء مكسورة واصلها اأممة لانها جمع امام
كعماد واعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وادغمت
في الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين اخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية
ياء فلكسرها انهم لا ايمان لهم وانما اثبت لهم الايمان في قوله
وان نكثوا ايمانهم لانه اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم
على الحقيقة وهو دليل لنا على ان يمين الكافر لا يكون يمينا ومعناه عند
الشافعي رحمه الله انهم لا يوفون بها لان يمينهم يمين عنده حيث
وصفها بالنكث لا ايمان شامي اي لا اسلام لعلهم ينتهون متعلق
بفقاتلوا ائمة الكفر وما بينهما اعتراض اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم
انتهاؤهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه
على المسيء ثم حرض على القتال فقال الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم
التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة وهم بدءوكم
اول مرة اي بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم ان تقاتلوهم وبخهم
على ترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد

واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب أتخشونهم توبيخ على الخشية
منهم فالله أحق أن تخشوه بأن تخشوه فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين فاخشوه
فإن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه ولما وبخهم
الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به بقوله قاتلوهم ووعدهم النصر ليثبت
قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله يعذبهم الله بأيديكم قتلا ويخزهم أسرا وينصركم
عليهم ويغلبكم عليهم ويذهب غيظ قلوبهم طائفة من المؤمنين وهم خزاعة ويشف صدور قوم مؤمنين
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبإ قدموا مكة فأسلموا فلقوا
من أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون إليه فقال
أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما لقوا منهم من المكروه وقد
حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته ويتوب الله على من
يشاء ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا
فقد أسلم ناس منهم كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهو رد على
المعتزلة قولهم إن الله تعالى يشاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون بل
باختيارهم والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم في قبول التوبة
أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم أم منقطعة والهمزة
فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركوا على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص
منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
أي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد
دلت على أن تبين ذلك متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم
وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل
ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد
بنفي العلم نفي المعلوم كقولك ما علم الله مني ما قيل فيّ تريد ما وجد ذلك مني
والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين والله خبير بما تعملون
من خير أو شر فيجازيكم عليه ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام أن يعمروا مسا
جد الله مسجد الله مكي وبصري يعني المسجد الحرام وإنما جمع في القراءة
بالجمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل
بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل
تحته

تحته المسجد الحرام المقدم وهو صدر الجنس وهو آكد إذ طريقه
طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك
بذلك شاهدين على أنفسهم بالكفر بإظهارهم الشرك وعبادتهم الأصنام وهو حال من
الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة
متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون
إنما يعمر مساجد الله عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها
وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لأنها بنيت
للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة و
لم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام لما علم أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول
لاقترانهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها أو دل عليه بقوله
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله تنبيه على الإخلاص والمراد
الخشية في أبواب الدين بأن لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف إذ
المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها وقيل كانوا يخشون
الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من
المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع
بأعمالهم لأن عسى كلمة إطماع والمعنى إنما تستقيم عمارة هؤلاء ويكونون
منتفعا بها عند الله دون من سواهم أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله
والله لا يهدي القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيا
نة والوقاية ولابد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير
سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين
وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما
بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا
لقول العباس حين أسر وطفق علي يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقطيعة الرحم ترك مساويكم وترع محاسننا فقيل ولكم محاسن فقال نعمر المسجد
ونسقي الحاج ونفك العاني فقيل افتخر العباس بالعمارة وشيبة بالعمارة
وعلي رضي الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا الذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من السقاية
والعمارة واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة
الواصف وتعريف المعرف لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم خالدين فيها
ابدا ان الله عنده اجر عظيم لا ينقطع قالوا لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة جعل
الرجل يقول لابنه ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك
ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته او ولده فيقول تدعنا بلا شيء فيضيع
فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم
واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ايثروه واختاروه ومن يتو
لهم منكم اية ومن يتول الكافر من بعد فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباو
كم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقاربكم وعشيرتكم [illegible]
واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفا
قها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى ياتي الله بامره وهو عقوبة عاجلة او اجلة او فتح مكة
والله لا يهدي القوم الفاسقين والاية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة
عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا تجد عند اورع الناس ما يستحب له دينه
على الاباء والابناء والاموال وحظوظ الدنيا لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن
التي نصر الله فيها النبي والمومنون ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقاماتها
ومواقفها ويوم اي واذكر يوم حنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة
بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف فلما
التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت هذه الكلمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ بدل من يوم اذ اعجبتكم كثرتكم فاخرجت المسلمين
كلمة

كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا الكثرة في الجنود
فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده
وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجام دابته وابو
سفيان بن الحارث ابن عمه اخذ بركابه وقال للعباس صح بالناس وكان
صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك ونزلت
الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان
من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان
وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها
وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك
دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم
عن اعدائكم فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم انزل
الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا
لم تروها يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف او خمسة الاف او ستة عشر الفا
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب
الله من بعد ذلك على من يشاء وهم الذين اسلموا منهم والله غفور يستر
كفر العدو بالاسلام رحيم بنصر الولي بعد الانهزام يا ايها الذين امنوا انما المشر
كون نجس اي ذو نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا
لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا
يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم
النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا
ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا وهو
عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهبنا

ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعي
يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهي المشر
كين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب
منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب
فسوف يغنيكم الله من فضله من الغنائم او المطر والنبات او من متاجر ...
الى الاسلام ان شاء هو باحوالكم في تحقيق امالكم تعليم لتعليق الامور بمشيئة
الله تعالى لينقطع الامال اليه ان الله عليم باحوالكم حكيم في تحقيق امالكم او عليم
بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد ونزل في اهل الكتاب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة ولا باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف
ما يجب حقيقة يزعمون ان لا اكل فيها ولا شرب ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة او لا يعملون بما في التوراة والانجيل
ولا يدينون دين الحق ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال دان فلان
بكذا اذا اتخذه دينه معتقده من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين قبله واما المجوس
فملحقون باهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف
مشركي العرب لما روى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على
الجزية الا من كان من العرب حتى يعطوا الجزية الا ان يقبلوها وسميت
جزية لانها تجب على اهلها ان يجزوه اي يقضوه او هي جزاء على الكفر على التحصيل
في تذليل عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة وكذا قالوا اعطى بيده اذا انقاد
وقالوا نزع يده عن الطاعة او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا
مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ وهم صاغرون اي تؤخذ منهم
على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو
قائم والمتسلم جالس ويتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية يا
ذمي وان كان يؤديها ويزج في قفاه وتسقط بالاسلام وقالت اليهود
كلهم او بعضهم عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير
اسم عجمي وللعجمة والتعريف امتنع صرفه ومن نونه وهو عاصم وعلي فقد

جعله

227

جعله عربيا وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم
اي قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فما هو الا لفظ يفوهون به
فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة يضاهئون قول الذين كفروا من قبل
لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا يعني ان الذين كانوا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول
قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او الضمير للنصارى اي يضاهي
قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم يضاهيون
عاصم واصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم
امراة ضهياء وهي التي اشبهت الرجال لانها لا تحيض كذا قاله الزجاج قاتلهم
الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد
قيام البرهان اتخذوا اي اهل الكتابين احبارهم علماءهم ورهبانهم نساكهم
اربابا الهة من دون الله حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل
الله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونواهيهم والمسيح ابن مريم عطف
على احبارهم اي اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا يجوز الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا للواحد لا اله الا هو
سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الاشراك يريدون ان يطفئوا نور الله با
فواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون مثل
حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد
ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية
القصوى من الاشراق ليطفئه اجرى يابى مجرى لا يريد ولذا وقع
في مقابلته يريدون ولذا لا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا هو الذي ارسل رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى بالقرآن ودين الحق الاسلام ليظهره ليعليه
على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين ولو كره
المشركون يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال
الناس استعار الاكل للاخذ بالباطل بالرشا في الاحكام ويصدون

ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة يجوز
أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين
فيهم أخذ الرشا وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق في سبيل الخير ويجوز أن
يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل
الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان
باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا ولعل كان كثير من
الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف يقتنون الأموال ويتصرفون فيها
وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والاقتناء مباح
لا يذم صاحبه ولا ينفقونها في سبيل الله الضمير راجع إلى المعنى لأن كل واحد منهما
جملة وافية وعدة دنانير ودراهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو إلى الكنوز
أو إلى الأموال ومعناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله فإني وقيار بها
لغريب وقيار كذلك وخصا بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما قانون التمول
وأثمان الأشياء وذكر كنزهما دليل على ما سواهما فبشرهم بعذاب أليم ومعنى
قوله يوم يحمى عليها في نار جهنم أن النار تحمى عليها أصله تحمى النار فقيل يحمى
لأن الفعل إذا أسند عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم
تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
وخصت هذه الأعضاء لأنهم كانوا إذا رأوا الفقير عبسوا وإذا ضمهم
وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم أو معناه
يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما
كنزتم لأنفسكم يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم
أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وهو توبيخ فذوقوا ما كنتم تكنزون
تكنزون أي وبال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين إن عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله من غير زيادة والمراد بيان أن أحكام
الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالأهلة دون الشمسية
في كتاب الله فيما أثبته وأوجبه من حكمه أو في اللوح يوم خلق السماوات والأرض
منها أربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة

للحج

للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب إياه
أي تعظيمه ذلك الدين القيم أي الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجا
هلية يعني أن تحريم الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل وكا
ن العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت
النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم أو في الاثني عشر أنفسكم بارتكاب
المعاصي وقاتلوا المشركين كافة حال من الفاعل أو المفعول كما يقاتلونكم
كافة جميعا واعلموا أن الله مع المتقين أي ناصرهم حثهم
عن التقوى بضمان النصر لأهلها إنما النسيء بالهمز مصدر نسأه إذا أخره
وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغا
رات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه
ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا
يحرمون من شهور العام أربعة أشهر زيادة في الكفر أي هذا الفعل
منهم زيادة في كفرهم يضل به الذين كفروا أي يضل به الذين كفروا بالنسيء والتعليم
يحلونه عاما ويحرمونه عاما للنسيء أي إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عا
ما رجعوا فحرموه في العام القابل ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا
العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو
أحد الواجبين واللام تتعلق بيحلونه ويحرمونه أو بيحرمونه فحسب وهو
الظاهر فيحلوا ما حرم الله أي فيحلوا بمواطأة العدة وحدها
من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها
زين لهم سوء أعمالهم زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم ال
القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم الكافرين حال اختيارهم الضلالة على
الباطل يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا اخرجوا في سبيل الله
اثاقلتم تثاقلتم وهو أصله أدغم التاء في الثاء فصارت
ثاء ساكنة فجلبت ألف الوصل ليبتدأ بالساكن أي تباطأتم إلى الأرض
ضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى أي ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم

مشاق السفر ومتاعبه وملتم الى الاقامة بداركم وديارهم وكان ذلك في غزوة
تبوك استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو
وشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها
بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم بالحياة الدنيا وغرورها
من الآخرة بدل الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل الا تنفروا
الى الحرب يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا
عظيم على التثاقل فليحذروا عن دهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين
وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم
في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول
لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة والله على
كل شيء قدير من التبديل والتغيير وغيرهما الا تنصروه فقد نصره الله ان لم تنصروه
فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله
على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت اذ اخرجه الذين كفروا اسند
الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج وكان
همهم اخرجه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله
وابو بكر وانتصابه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه والغار هو نقب في اعلا
ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول
بدل ثان لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون
فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم ذهب
دين الله تعالى فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا
الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون
حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة
ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة
فانزل الله سكينته ما الفي في قلبه من امنته التي تسكن عندها وعلم
انهم لا يصلون اليه عليه على النبي عليه السلام او على ابي بكر لانه كان

يخاف

يخاف وكان النبي عليه السلام ساكن القلب وايده بجنود لم تروها هم الملائكة
يحرسونه اوجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته او ايده بالملائكة يوم
بدر والاحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا الشرك او دعوتهم الى الكفر
السفلى وكلمة الله دعوته الى الاسلام هي العليا وكلمة الله بالرفع
بالعطف والاولى على الاستئناف اوجه اذ فيه ترك مخالفة عالية والله عزيز
حكيم في تدبيره في النفور اهل الجنة حكيم يدل اهل الشرك انفروا خفافا وثقالا
لنشاطكم له او ثقالا لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم او ثقالا
لكثرة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا
ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومرضى اخرجوا وجاهدوا
باموالكم وانفسكم ايجاب الجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال
والحاجة في سبيل الله ذلكم خير لكم ذلكم الجهاد خير لكم من تركه
ان كنتم تعلمون كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل في المتخلفين عن غزوة
تبوك من المنافقين لو كان عرضا هو ما عرض لك من منافع الدنيا يعني الدنيا
عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنيمة
قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا وسطا غير بعيد والقاصد المعتدل لا
تبعوك لوافقوك في الخروج ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة الشاقة
وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم من دلائل النبوة لانه اخبر عما
سيكون بعد القفول فقالوا كما اخبر وبالله متعلق بسيحلفون او هو من
جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين
عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد
جوابي القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة
واستطاعة الابدان كانهم تمارضوا يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون
او حال منه اي مهلكين والمعنى انهم يهلكون بالحلف الكاذب او حال
من خرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة

مشاق السفر ومتاعبه الى ما هم الا اقامة بداركم ودياركم وهذا ادخل في غزوة
تبوك استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو
وشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها
بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (ارضيتم بالحياة الدنيا من
الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة) في جنب الآخرة (الا قليل الا تنفروا)
الى الحرب (يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا)
عقوبتهم على التثاقل ... ولا يقدح تثاقلهم في نصرة دينه
وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم
في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير في ولا تضروه للرسول
لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعده كائن لا محالة (والله على
كل شيء قدير) من التبديل والتعذيب وغيرهما (الا تنصروه فقد نصره الله) الا تنصروه
فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله
على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت (اذ اخرجه الذين كفروا) اسند
الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم
اخرجوه (ثاني اثنين) احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله
وابو بكر وانتصابه على الحال (اذ هما) بدل من اذ اخرجه (في الغار) هو نقب في اعلى
ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول)
بدل ثان (لصاحبه) ابي بكر (لا تحزن ان الله معنا) بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون
فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم ذهب
دين الله تعالى فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا
الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون
حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة
ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة
(فانزل الله سكينته) ما القى عليه من الامنة التي سكن عندها وعلم
انهم لا يصلون اليه (عليه) على النبي عليه السلام او على ابي بكر لانه كان
يخاف

يخاف وكان النبي عليه السلام ساكن القلب (وايده بجنود لم تروها) هم الملا
ئكة صرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن ان يروه او ايده بالملائكة يوم
بدر والاحزاب وحنين (وجعل كلمة الذين كفروا) اي دعوتهم الى الكفر
(السفلى وكلمة الله) دعوته الى الاسلام (هي العليا) وكلمة الله بالرفع
بالعطف والاوجه على الاستئناف ... (والله عزيز)
ينصره في ... (حكيم) ... (انفروا خفافا وثقالا)
لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم او خفافا
لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا
ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا (وجاهدوا
باموالكم وانفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال
والحاجة (في سبيل الله ذلكم خير لكم) ذلكم الجهاد خير لكم من تركه
(ان كنتم تعلمون) ... ونزل في المتخلفين عن غزوة
تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا ... الدنيا
عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما
(قريبا) سهل المنال (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا ...
(لاتبعوك) لوافقوك في الخروج (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة الشاقة
(وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) من دلائل النبوة لانه اخبر بما
سيكون بعد القفول فقال كما اخبر وبالله متعلق بسيحلفون او هو من
جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين
عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد
جوابي القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة
واستطاعة الابدان كانهم تمارضوا (يهلكون انفسهم) بدل من سيحلفون
او حال منه اي مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب او حال
من فاعل لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة

بما تحملها في تلك الشقة والله يعلم انهم لكاذبون فيما يقولون عفا الله
عنك كناية عن الزلة لان العفو من ادب لها وهو من لطف العتاب بتصدير
العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث
لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو
ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك
بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر فيهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى
فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام
انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع انه ذا الطول لكن الافضل هو بحسب
نبوته على ترك الافضل لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا
ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
والله عليم بالمتقين عدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله
واليوم الاخر يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا وارتابت
قلوبهم شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم فهم في ريبهم يترددون
يتحيرون لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر ولو ارادوا الخروج
للغزو الخروج او الجهاد لاعدوا له عدة اهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو ارادوا
الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله
انبعاثهم نهوضهم للخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة
انبعاثهم فثبطهم فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط
التوقف عن الامر بالتزهيد فيه وقيل اقعدوا اي قال بعضهم لبعض او قاله
الرسول عليه السلام غضبا عليهم او قاله الشيطان بالوسوسة مع القاعدين
هو ذم لهم والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود في البيوت
لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم معكم الا خبالا فسادا وشرا والاستثناء
متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الا خبالا والاستثناء المنقطع ان يكون
المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوهم خيرا الا خبالا
والمستثنى

والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء
فكان استثناء متصلا لان الخبال بعضه ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم
بالنميمة والتمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته
انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب
اسرع من الماشي وخط في المصحف ولاوضعوا بزيادة الالف لان الفتحة
كانت تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد
بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها الفا اخرى ونحوه
اولا اذبحنه يبغونكم حال من الضمير في اوضعوا الفتنة اي يطلبون ان يفتنوكم
بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم
اي يطلعون لهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس او مطيعون لهم
يسمعون كلام المنافقين ويجيبون بانهم ربما قالوا قولا اثر في قلوب ضعفة
قلوب المومنين في بعض الاحوال وقوله [illegible] والله عليم بالظالمين اي نمامون
يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم والله عليم بالظالمين بالمنافقين لقد ابتغوا
الفتنة تفريق الناس او بان يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة او بالرجوع
يوم احد من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل
والمكائد ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك
وظهر امر الله وغلب دينه وعلى شرعه وهم كارهون اي على رغم منهم
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن
لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت او لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك
هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر
بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني
الا في الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
وان جهنم لمحيطة بالكافرين الان لان اسباب الاحاطة معهم او هي تحيط
بهم يوم القيامة ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا قد اخذنا
امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع

ويتولوا عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا اي قضى من خير او شر هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه
وعلى الله فليتوكل المومنون وحق المومنين ان لا يتوكلوا على غير الله قل هل تر
بصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين وهي النصرة والشهادة ونحن
نتربص بكم احدى السوأتين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة
من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر
فتربصوا بنا ما ذكرنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا في وجوه البر
طوعا او كرها حال اي طائعين او مكرهين [illegible] وعلى وجه الامر ومعناه
لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه استغفر لهم او لا تستغفر لهم
اي سواء [illegible] والمعلومة او نبا والمعلقة ان تعلقه اي [illegible]
انهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم والموطئ [illegible] [illegible]
جاز عكسه وقوله [illegible] عليه السلام [illegible]
عليهم ولا يقبل [illegible] وقوله [illegible] من الله ورسوله
وكون [illegible] [illegible] الا انهم منافقون [illegible]
والانفاق سواء عليهم كالاكراه انكم كنتم قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم
[illegible] منهم [illegible] ولا [illegible]
وعلى انهم كفروا انهم [illegible] وان تقبل [illegible] وما
منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله ورسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى
جمع كسلان ولا ينفقون الا وهم كارهون [illegible] يرون بها
وجه الله [illegible] او كرها وسلبه عنهم [illegible]
[illegible] انهم يتاولونه من [illegible] رسول الله [illegible] وما كانوا
عنهم [illegible] [illegible] [illegible] فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا [illegible]
[illegible] والتعب [illegible] والمغانم [illegible] الدنيا
وان الله انما اعطاهم [illegible] ليعذبهم [illegible]
في ابواب الخير [illegible] [illegible] اموالهم [illegible] اولادهم او

يجعلها

يجعلها او يحبطها او يحسدها او البخل بها او الخوف عليها وكل هذا عذاب
وتزهق انفسهم وهم كافرون وتخرج ارواحهم واصل الزهوق
الخروج بصعوبة ودلت الاية على بطلان القول بالاصلح لانه اخبر ان اعطاء
الاموال والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى الكفر
لان ارادة العذاب ارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الاماتة على الكفر
ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون
يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ
مكانا يلجؤون اليه متحصنين من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غير
انا او مدخلا او نفقا ينحجرون فيه وهو مفتعل من الدخول لولوا اليه لاقبلوا نحوه
وهم يجمحون يسرعون اسراعا [illegible] ومنهم من
يلمزك يعيبك في الصدقات يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذا المفاجاة اي وان لم يعطوا
منها فاجؤوا السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه
صلاح اهله لانه عليه السلام استعطف قلوب اهل مكة يوم حنين بتوفير
الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله
وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم
رضوا ما اعطاهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم
وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة
اخرى فيوتينا رسول الله اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنينا ويخولنا
فضله لراغبون ثم بين مواضع الصدقة التي توضع فيها فقال انما الصدقات
للفقراء والمساكين فخص جنس الصدقات على الاصناف المعدودة اي هي
مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك
انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف
الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهب مالك وعن حذيفة
وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف

منها وكذا إجزاؤه وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف
وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لأن عنده ما يكفيه للحال
والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئا فهو أضعف حالا منه وعند الشافعي
رحمه الله على العكس والعاملين عليها هم السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم
على الإسلام أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم
على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الإسلام وفي الرقاب
هم المكاتبون يعانون منها والغارمين الذين ركبتهم الديون وفي سبيل الله
فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله
وعدل عن اللام إلى في للإيذان بأنهم أرسخ في الاستحقاق للتصدق
عليهم ممن سبق ذكره لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصد
قات ويجعلوا مظنة لها وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح
لهذين على الرقاب والغارمين وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر
المنافقين ليدل على أن كل من هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة
دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لأطماعهم وإشعارا بأنهم بعدا
عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قا
سمها وسهم المؤلفة سقط بإجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله
عنه لأن الله تعالى أعز الإسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا بمعنى
خاص ينتهي بذهاب ذلك المعنى فريضة من الله في معنى المصدر المو
كد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم والله عليم
بالمصلحة حكيم في القسمة ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن
الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي
هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن
قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى
بما هو مدح له وثناء عليه فقال قل أذن خير لكم كقولك رجل صدق تريد
الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو
أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك
ثم

ثم فسره كونه أذن خير بأنه يؤمن بالله أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة
ويؤمن للمؤمنين ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وعدي فعل الإ
يمان بالباء إلى الله تعالى لأنه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به وإلى
المؤمنين باللام لأنه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصد
قه لكونهم صادقين عنده ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبو عن
الباء ورحمة بالعطف على أذن وقرأ حمزة عطفا على خير أي هو أذن خير وأذن
رحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله للذين آمنوا منكم أي وهو رحمة للذين
آمنوا منكم أي أظهروا الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر
ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو وهو رحمة للمؤمنين
حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم في الدارين يحلفون بالله لكم ليرضوكم
الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ويتخلفون عن الجهاد
ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا
عنهم فقيل لهم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين أي إن كانوا
مؤمنين كما يزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق
وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضاء الله ورضاء رسوله فكانا في حكم
شيء واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشني أو والله أحق أن يرضوه
ورسوله كذلك ألم يعلموا أنه أي أن الأمر والشأن من يحادد الله ورسوله
مجاوزة الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فأن له على حذف
الخبر أي فحق أن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون
خبر بمعنى الأمر أي ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنزل بالتخفيف
مكي وبصري تنبئهم بما في قلوبهم من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لأن السورة
إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم أو الأول للمؤمنين والثالث للمنافقين
وصح ذلك لأن المعنى يعود إليه قل استهزءوا أمر تهديد إن الله مخرج ما تحذرون
مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون
أن يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالإسلام وأهله حتى قال

بعضهم وحده ابن عرفة تجلوت ما ينوا انه لا ينها قبل التقي يعف نعذب وليس هنا
لتقهم ليقولوا انما كنا نخوض ونلعب بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير
في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد
ان يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا
على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله والله ما كنا في شيء من
امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر اي ولئن سالتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض
ونلعب قل ابالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون ولم يعبا
باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون بالاستهزاء وبانه
ثابت موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ
به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء لا تعتذروا لا تشتغلوا
باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم فاظهرتم
كفركم بالاستهزاء بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان يعف عن طائفة منكم بتوبتهم
واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين
على النفاق غير تائبين منه نعذب طائفة على عاصم المنافقون والمنافقات
الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين بعضهم من
بعض اي كانهم نفس واحدة وفيه نفي ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم
في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل
على مضادة حالهم لحال المومنين فقال يامرون بالمنكر بالكفر والعصيان
وينهون عن المعروف عن الطاعة والايمان ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصد
قات والانفاق في سبيل الله نسوا الله تركوا امره او غفلوا ذكره فنسيهم
فتركهم من رحمته وفضله ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق
الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم
بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي اي النار
حسبهم فيه دلالة على عظم عذابها وانه بحيث لا يزاد عليه ولعنهم الله

واهانهم

واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين ولهم عذاب مقيم
دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظا
هر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب
ان اطلع على اسرارهم الكاف في كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم محلها رفع اي انتم مثل الذين من قبلكم او
نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا
بخلاقهم اي تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير
اي ما خلق للانسان بمعنى قدر من خير وخضتم في الباطل كالذي خاضوا كالفوج الذي
خاضوا او كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل واللهو وانما قدم فاستمتعوا
بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الاولين بالاستمتاع
بما اوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة
وطلب الفلاح في الاخرة ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم اولئك حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة في مقابلة قوله وءاتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة
واولئك هم الخاسرون ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم
نوح هو بدل من الذين وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم
قوم شعيب والموتفكات مدائن قوم لوط وائتفاكهن انقلاب احوالهن
عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم فما صح منه
ان يظلمهم باهلاكهم لانه حكيم ولا يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض في التنا
صر والتراحم يامرون بالمعروف بالطاعة والايمان وينهون عن المنكر عن الشرك
والعصيان ويقيمون الصلوة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله
اولئك سيرحمهم الله السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد
كما تؤكد الوعيد في سانتقم منك يوما ان الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه
فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه وعد الله المو
منين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة يطيب
فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللولو والياقوت الاحمر والزبرجد
في جنات عدن هو علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرف ان الذي

والتي وصفها الوصف المعارف بالجملة وهي مدينة في الجنة ورضوان من الله اكبر
من رضوان الله الاكبر من ذلك لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ذلك اشارة
الى ما وعدوا او الى الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا
يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا
ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد
بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها ومأواهم جهنم وبئس المصير
جهنم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال
الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا
فنحن اشر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق
وانت اشر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف
بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق و
تكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر يعني
ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير او هو استهزاؤهم فقال الجلاس يا رسول
الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم
واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد
لانه قال وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من قتل محمد عليه السلام
او قتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا ابن ابي وان لم يرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله وذلك انهم كانوا حين قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل
للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى
فان يتوبوا عن النفاق يك التوب خيرا لهم وهي الاية التي تاب عندها
الجلاس وان يتولوا يصروا على النفاق يعذبهم عذابا اليما في الدنيا والاخرة
بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب
ومنهم من عاهد الله روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني
مالا فقال عليه السلام قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال
والذي

والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة
والجمعة فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ما هذه
الا جزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال
ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك
في زمن عثمان رضي الله عنهم لئن آتانا من فضله اي المال لنصدقن لنخرجن
الصدقة والاصل لنتصدقن ادغمت التاء في الصاد لقربها منها ولنكونن
من الصالحين باخراج الصدقة فلما آتاهم من فضله اعطاهم الله ما تمنوا
بخلوا به منعوا حق الله ولم يعطوا الا الحقوق وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون
مصرون على الاعراض فاعقبهم نفاقا في قلوبهم فاورثهم البخل نفاقا
متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه الى يوم يلقونه اي جزاءه فعاقبهم
وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بسبب اخلافهم
ما وعدوا الله من التصديق والصلاح وكونهم كاذبين فيه جعل خلف
الوعد ثلث النفاق الم يعلموا يعني المنافقين ان الله يعلم سرهم ما اسروه
من النفاق بالعزم على اخلاف ما وعدوه ونجواهم وما يتناجون به فيما
بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام
الغيوب فلا يخفى عليه شيء الذين محله النصب او الرفع على الذم او الجر
على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم يلمزون المطوعين يعيبون المتبرعين
من المؤمنين في الصدقات متطوعين ويروى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حث فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف

صلى الله عليه وسلم مالي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي
فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى
صولحت تماضر امرأته على ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بعدي بمائة وسق
من تمر والذين عطف على المطوعين لا يجدون إلا جهدهم طاقتهم وعن نافع جهدهم بالفتح وهما
واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت
ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فلمزهم المنافقون
وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن صاع أبي عقيل لله غني عنه
فيسخرون منهم فيستهزئون بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء
ولهم عذاب أليم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يستغفر لأبيه في مرضه نزل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوم إذا
دام ومعنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم
إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم والسبعون جار مجرى المثل
في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية إذ لو استغفرت لهم في حياتهم
لن يغفر الله لهم والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وإن بالغت في الاستغفار
فلن يغفر الله لهم وقد وردت الأخبار بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة
لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد أن العدد
قليل وكثير فالقليل ما دون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقه وأدنى الكثير
الثلاثة وليس فيها غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الأشفاع
اثنان وأول الأوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من
النوعين لأن فيها أوتارا ثلاثة وأشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لأن ما جاوز
العشرة فهو إضافة الآحاد إلى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر إلى
عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكرير ثلاث مرات وكذا
إلى المائة فالسبعون تجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة
منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لأقصاه فجاز
أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم ذلك إشارة إلى اليأس
من المغفرة بأنهم بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله ولا غفران للكافر

الطغيان والله

والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الإيمان ما داموا مختارين للكفر و
الطغيان فرح المخلفون المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم
والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله مخالفة له وهو
مفعول له أو حال أي بعده أو مخالفة أو مخالفين له وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله أي لم يجعلوا ما جعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم
في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي
الإيقان وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين تثبيطا قل نار
جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة
فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا أي فيضحكون قليلا على وجههم لتخلفهم في الدنيا
ويبكوا كثيرا جزاء في العقبى إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب
لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا
يكتحلون بنوم جزاء بما كانوا يكسبون من النفاق فإن رجعك الله أي ردك من
تبوك وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق ومنهم من هلك
فاستأذنوك للخروج إلى غزوة بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي أبدا وبسكون
الياء حمزة وعلي وأبو بكر ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول
مرة أو ما دعيتم إلى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين مع من تخلف
بعذر سأل ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنا أن يكفن النبي صلى الله عليه وسلم
أباه في قميصه ويصلي عليه ففعل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه
السلام لا ينفعه في الكفر وكنت أرجو أن يؤمن به ألف من قومه فنزل ولا تصل على
أحد منهم من المنافقين يعني صلاة الجنازة وروي أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه
يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم مات صفة الأحد أبدا ظرف لتصلي
وكان عليه السلام إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل ولا تقم على
قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي
إذ أنهم ليسوا أهلا للصلوة عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله ولا تعجبك
أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم

وهم كافرون التكرير للمبالغة والتأكيد وان يكون على حال من المخاطب
لا يفعله وان يعتقد انه مهم ولان كل اية في فرقة غير الفرقة الاخرى
واذا انزلت سورة يجوز ان يراد بسورة تمامها وان يراد بعضها كما يقع القران
والكتاب على كله وعلى بعضه ان امنوا بالله هو المفسرة وجاهدوا مع رسو
له استاذنك اولو الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القا
عدين مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع الخوالف
اي النساء جمع خالفة وطبع الله على قلوبهم ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق
فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الهلاك
والشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف
هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات تناول منافع
الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات واولئك هم المفلحون الفا
يزون بكل مطلوب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
الفوز العظيم قوله اعد دليل على انها مخلوقة وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن
لهم هو من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما فعل
ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم الذين
يعتذرون بالباطل قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن
لنا في التخلف وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا
ولم يعتذروا فظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار
ليس على الضعفاء كالهرمى والزمنى ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
هم الفقراء من مزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم وضيق في التخلف اذا نصحوا
لله ورسوله بان امنوا في السر والعلن واطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ما
على المحسنين المعذورين الناصحين من سبيل اي لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب
عليهم والله غفور يغفر لهم تخلفهم رحيم بهم ولا على الذين اذا ما اتوك
لتحملهم لتعطيهم الحمولة قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة

اي

اي اذا ما اتوك قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا هو جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع
اي تسيل وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض
ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز
ان يكون قلت لا اجد استينافا وكانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم
تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء
كالاعتراض حزنا مفعول له الا يجدوا ما ينفقون لئلا يجدوا ما ينفقون
ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون ابو موسى الاشعري
واصحابه او البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار انما السبيل على الذين يستاذنونك
في التخلف وهم اغنياء استيناف وقوله رضوا استيناف كانه قيل ما بالهم
استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي بالانتظام
في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم
يعتذرون لانفسهم عذرا باطلا اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا
تعتذروا بالباطل لن نومن لكم لن نصدقكم وهو علة للنهي عن الاعتذار لان غرض
المعتذر ان يصدق بما يعتذر به قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء تصد
يقهم لانه تعالى اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم
مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون ام
تثبتون على كفركم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون اليه
وهو عالم كل سر وعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم
على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعا
تبوهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل
لترك معاتبتهم اي ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم ارجاس لا
سبيل الى تطهيرهم وماواهم جهنم ومصيرهم النار يعني وكفتهم
النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون
يحلفون لكم لترضوا عنهم اي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم
ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان
رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة

لعاجل عقوبته واجلها وانما قيد الدليل لئلا يتوهم ان رضا المومنين يقتضي رضا الله
عنهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسو
تهم وبعدهم عن العلم والعلماء واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل
الله على رسوله منهم يعنى حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله
عليه السلام ان الجفا والقسوة في الفدادين يعنى الاكرة لانهم يفدون اى
يصيحون في حروثهم والفديد الصياح والله عليم باحوالهم حكيم في امهالهم
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق اى يتصدق مغرما غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا
تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم
الدوائر اى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه
فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء اى عليهم تدور
المصائب والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين السوء مكي وابو
عمرو وهو الضرر والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في مقا
بلة قولك رجل صدق والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصد
قة عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما
ينفق في الجهاد والصدقات قربات اسباب القربة عند الله وهو مفعول
ثان ليتخذ وصلوات الرسول اى دعاءه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصد
قين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى
الا انها اى النفقة او صلوات الرسول قربة لهم قربة نافع وهذا شهادة
من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق
لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات
الامر وتمكنه وكذا سيدخلهم الله في رحمته جنته وما في السين
من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة
منه بمكان اذا خلصت من صاحبها ان الله غفور يستر عيب المخل رحيم
يقبل جهد المقل والسابقون مبتدا الاولون صفة لهم من المهاجرين تبيين لهم
وهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او بيعة الرضوان والانصار

عطف

عطف على المهاجرين اى ومن الانصار وهم اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين اتبعوهم باحسان
من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والخبر رضي الله عنهم باعمالهم الحسنة
ورضوا عنه بما افاض الله عليهم من نعمته الدينية والدنيوية واعد لهم عطف
على رضي جنات تجري تحتها الانهار من تحتها مكي خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم وممن حولكم يعنى حول بلدتكم وهي المدينة من الاعراب منافقون
وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر
المبتدا الذي هو ممن حولكم والمبتدا منافقون ويجوز ان يكون جملة معطوفة على
المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اى تمهروا فيه
على ان مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما
مبتدا او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهار
تهم فيه بقوله لا تعلمهم اى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك
لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اى لا يعلمهم
الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات
قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين سنعذبهم
مرتين هما القتل وعذاب القبر او الفضيحة وعذاب القبر او اخذ الصدقات
من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم اى عذاب النار
واخرون اى قوم اخرون سوى المذكورين اعترفوا بذنوبهم اى لم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم
بانهم بيس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم
ما نزل في المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكان عادته كلما قدم
من سفر فراهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا الا يحلوا انفسهم
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم

ان لا احلهم حتى اكون انا الذي احلهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي
خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ
من اموالهم صدقة خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه
او التوبة والاثم وهو من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما اي شاة بدرهم فالواو
بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق فتناسبا او المعنى خلط كل واحد
منهما بالاخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن
تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت
الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين
ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء عسى الله ان يتوب عليهم
ان الله غفور رحيم ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على
التوبة خذ من اموالهم صدقة كفارة لذنوبهم وقيل هي الزكاة تطهرهم عن الذنوب
وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب او لغيبة المؤنث والتاء في وتزكيهم للخطاب
لا محالة بها بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى
الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة
ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها ان صلواتك صلاتك كوفي غير ابي
بكر قيل الصلوة اكثر من الصلوات لانه للجنس سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن
قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع لدعائك او سميع لاعترافهم بذنوبهم
عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم الم يعلموا
المراد المتوب عليهم اي الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت ويأخذ الصدقات ويقبلها اذا صدرت عن خلوص
النية وهو للتخصيص اي ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل
التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وان الله هو التواب كثير قبول
التوبة الرحيم يعفو الحوبة وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون اي ان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله و
عباده كما رأيتم وتبين لكم او غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي
انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا

لا

لا يكلمون ولا يجالسون ما لهم وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عا
قبة الاصرار والذهول عن التوبة وستردون الى عالم الغيب ما غاب عن الناس
والشهادة ما يشاهدونه فينبئكم بما كنتم تعملون تنبيه تذكير ومجازاة
عليه واخرون مرجون لامر الله بغير همز مدني وكوفي غير ابي بكر من ارجيته
وغيرهم مرجئون من ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة اي واخرون من المتخلفين
موقوفون الى ان يظهر امر الله فيهم اما يعذبهم ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب
عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
والضابط مكة يخلفون عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة
الذين خلفوا والله عليم باحوالهم حكيم في جزائهم واما للشك وهو راجع الى
العباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة روي انه عليه السلام
امر اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه
من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر
اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله
تعالى والذين اتخذوا مسجدا تقديره ومنهم الذين اتخذوا والذين بغير وا
و مدني وشامي وهو مبتدأ خبره محذوف اي جزيناهم روي ان بني عمرو
بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم
فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا
ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب
اذا قدم من الشام وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلو
نك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد
قباء وقالوا للنبي عليه السلام بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ونحن نحب ان تصلي
لنا فيه فقال اني على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله تعالى صلينا فيه
فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال لوحشي قاتل
حمزة ومعن بن عدي وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة

أبو عامر بالشام ضرارا مضارة لإخوانهم أصحاب
مسجد قباء وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لأنهم كانوا يصلون مجتمعين
في مسجد قباء فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وإرصادا وإعدادا
لأجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى
ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار من قبل متعلق بحارب
أي من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ما أردنا
ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين
والله يشهد إنهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه أبدا للصلاة لمسجد أسس على
التقوى اللام للابتداء وأسس نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة من أول يوم من أيام وجوده قيل القياس فيه مذ لأنه لابتداء الغاية في الزمان
ومن لابتداء الغاية في المكان والجواب أن من عام في الزمان والمكان أحق أن تقوم فيه
مصليا فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت
مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد
قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر
يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا
نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله
عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الأحجار ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون
أن يتطهروا وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب
بالتوبة ومعنى محبتهم التطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء
ومعنى محبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه
أفمن أسس بنيانه وضع أساس ما يبنيه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس
بنيانه على شفا جرف هار هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى
أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه
على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في

قلة

قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا
عما ينافي التقوى والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر
أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي
أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف والألف
ليست بألف فاعل إنما هي عينه وأصله هور فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفمن أسس بنيانه
أم من أسس بنيانه شامي ونافع جرف شامي وحمزة ويحيى هار بالإمالة أبو عمرو و
حمزة في رواية ويحيى فانهار به في نار جهنم فطاح به الباطل في نار جهنم
ولما جعل الجرف الهاري مجازا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي
هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية
جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من
مسجد الضرار حين انهار والله لا يهدي القوم الظالمين لا يوفقهم للخير
عقوبة لهم على نفاقهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك
وعظم عليهم إلا أن تقطع قلوبهم شامي وحمزة وحفص أي تتقطع عن قلوبهم
تقطع لئلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه
وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر
التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما
هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار أو معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم والله عليم بنياتهم حكيم في جزائهم
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مثل الله إثابتهم
بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالشراء وروي تاجرهم فأغلى
لهم الثمن وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها فقال بيع والله ربيح لا نقيله ولا نستقيله
فخرج إلى الغزو واستشهد يقاتلون في سبيل الله بيان محل التسليم
فيقتلون ويقتلون أي تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون
ويقتلون حمزة وعلي وعدا عليه مصدر أي وعدهم بذلك وعدا حقا صفته

أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيل الله وعد ثابت قد أثبته
في التوراة والإنجيل والقرآن وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه
ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم
منا فكيف بأكرم الأكرمين ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وأي تجارة أبلغ فإنكم تبيعون فانيا بباق وذلك
هو الفوز العظيم قال الصادق ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها التائبون
رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره العا
بدون أي الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر أي التا
ئبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا عن الشرك
وتبرؤوا من النفاق الحامدون على نعمة الإسلام السائحون الصائمون لقوله عليه السلام
سياحة أمتي الصيام أو طلبة العلم لأنهم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه أو السا
ئحون في الأرض للاعتبار الراكعون الساجدون المحافظون على الصلوات الآمرون بالمعروف
بالإيمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي ودخلت الواو
للإشعار بأن السبعة عقد تام أو للتضاد بين الأمر والنهي كما في قوله ثيبات وأبكارا
والحافظون لحدود الله أوامره ونواهيه أو معالم الشرع وبشر المؤمنين
المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام أن يستغفر لأبي طالب فنزل
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى
أي ما صح الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم
من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر إبراهيم فقال وما كان
استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه أي وعد أبوه إياه أن يسلم
أو وعدها إبراهيم أباه أن يستغفر وهو قوله لأستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها
أباه ومعنى استغفاره سؤال المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام
الذي به يغفر له فلما تبين له لإبراهيم من جهة الوحي أنه عدو لله بأن يموت
كافرا أو انقطع رجاؤه عنه تبرأ منه وقطع استغفاره إن إبراهيم لأواه هو
المتأوه شفقا وفرقا ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف لأبيه الكافر
حليم هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول
لأرجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون أي ما أمر الله

باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور
لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه
بعد بيان الحظر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما
يجب اتقاؤه للنهي وأما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف إن الله بكل
شيء عليم إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي أي تاب عليه بإذنه للمنافقين في التخلف
عنهم كقوله عفا الله عنك والمهاجرين والأنصار فيه بعث للمؤمنين على التوبة
وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين
والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة في غزوة تبوك ومعناه في وقتها
والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر يعتقب
العشرة على البعير الواحد ومن الزاد حتى تزودوا التمر المدود والشعير
المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما
مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الإبل وعصروا فرثه
وشربوه وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط من بعد ما كاد يزيغ
قلوب فريق منهم عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم
ليس خلق الله مثله أي ليس الشأن خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص ثم تاب عليهم
تكرير للتوكيد إنه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة أي وتاب على الثلاثة وهم كعب
بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهو عطف على النبي الذين خلفوا عن الغزو
حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت برحبها أي مع سعتها وهو مثل للحيرة
في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا وضاقت
عليهم أنفسهم أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط
الوحشة والغم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وعلموا أنه لا ملجأ من سخط الله
إلا إلى استغفاره ثم تاب عليهم بعد خمسين يوما ليتوبوا ليكونوا
في جملة التوابين إن الله هو التواب الرحيم عن أبي بكر الوراق أنه قال التوبة
النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة
هذه الثلاثة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين في إيمانهم

لم
ية
لغي بهم

دون المنافقين او مع الذين لم يلحقوا او مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا
ولا انكل على أن لا اطلع نخبة لانه امر بالكون مع الصادقين وقبول قولهم ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله المراد نفي النهي وخص هولاء
بالذكر وان استوى كل الناس في ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه ولا يرغبوا ولا
يضنوا بانفسهم عن نفسه عما يصيب نفسه اي لا يختاروا ابقاء انفسهم على نفسه
بالشح بل امروا ان يصحبوه في الباساء والضراء ويلقوا انفسهم بين يديه في كل
شدة ذلك اي النهي عن التخلف بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما عطش ولا نصب
تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله في الجهاد ولا يطئون موطئا ولا يدوسون
مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم يغيظ
الكفار يغضبهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يصيبون
منهم اصابة بقتل او اسر او جرح او كسر او هزيمة الا كتب لهم به عمل صالح
عن ابن عباس رضي الله عنهما لكل روعة سبعون الف حسنة يقال نال منه منالا
منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وفيه دليل على ان من قصد خيرا
كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وعلى ان المدد
تشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطء ديارهم مما يغيظهم وقد اسهم (?)
سهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب والموطئ اما مصدر
كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه ان الله
لا يضيع اجر المحسنين اي انهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم ولا ينفقون نفقة
في سبيل الله صغيرة ولو تمرة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش
العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال
واكام يكون منفذ السيل هو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي
وقد شاع في استعمال بمعنى الارض الا كتب لهم ذلك الامر من الانفاق وقطع الوادي
ليجزيهم الله متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء احسن ما كانوا يعملون
اي يجزيهم على كل واحد جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لاجرهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي اي ان نفير الكافة عن اوطانهم
لطلب العلم غير صحيح للافضاء الى المفسدة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير
العامة فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة اي من كل جماعة كبيرة
جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة

فيه

فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا مرمى همتهم الى
التفقه انذار قومهم وارشادهم اذا رجعوا اليهم دون الاغراض الخسيسة من التصدر
والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس لعلهم يحذرون ما يجب اجتنابه
قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما انزل
في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا
جميعا عن التفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى
سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطع عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد
بالحجاج اعظم اثرا من الجهاد بالنصال والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد
الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم
النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير
للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربون
منكم من الكفار القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب
فالاقرب اوجب وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز
ثم الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل
كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم وليجدوا فيكم غلظة شدة وعنفا في
القتال قبل القتال واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والغلبة واذا ما انزلت سورة
ما صلة مؤكدة فمنهم من المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه
السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين وايكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول
المومنين للحث والتنبيه فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يقينا
وثباتا او خشية او ايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا
وهم يستبشرون ويفرحون بزيادة التكليف وبشارة النفس بها (?) واما الذين في قلوبهم
مرض شك ونفاق فهو فساد يحتاج الى علاج كالفساد في البدن فزادتهم رجسا
الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم وماتوا وهم كافرون هو اخبار عن اصرارهم
وهم عليه الى الموت اولا يرون يعني المنافقين وبالتاء خطاب للمؤمنين انهم
يفتنون يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون
عن نفاقهم ولا يعتبرون او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يتوبون
عما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون لما يقع بهم من الاصطلام واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين

هل يراكم من احد من المسلمين لتفرقوا فان لا احد على استماعهم فيخلصنا الحد
فنخاف ان نفتضح بينهم او اذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين اشارة بعضهم
الى بعض هل يراكم من احد فنقوم من حضرته صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا عن حضرة النبي
عليه السلام مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن فهم القرءان بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى لا يفقهوا القرءان لقد جاءكم رسول محمد عليه السلام
من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم عزيز عليه ما عنتم شديد
عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع
في العذاب حريص عليكم على ايمانكم بالمومنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم
قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تولوا
وان اعرضوا عن الايمان بك ولم يصدقوك فقل حسبي الله ولا تستعن الا بالله وفوض امورك
اليه فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم لا اله الا هو عليه توكلت فوضت
امري اليه وهو رب العرش هو اعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء
العظيم بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعز عن ابي ان اخر اية نزلت لقد جاءكم
رسول من انفسكم سورة يونس مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور وهي
مائة وتسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم الر ونحوه مما الرمز به وعلم واحد
وهو تعديد للحروف على طريق التحدي تلك ايات الكتاب اشارة الى ما تضمنته
السورة من الايات والكتاب السورة الحكيم ذي الحكمة لاشتماله عليها
او المحكم عن الكذب والتناقض والهمزة في اكان للناس عجبا لانكار
التعجب والتعجب منه وعجبا خبر كان وعجبا خبره واللام في للناس
متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر
الناس خوفهم وهي مفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وبشر الذين امنوا
ان لهم بان لهم ومعنى اللام في للناس انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون
منه والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم
دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله
الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان
وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا
الا بشرا امثالهم وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما
يختار للنبوة من جمع اسبابها والغنى والتقدم في الدنيا ليس من اسبابها
والبعث

والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى كيف يكون عجبا انما العجب والمنكر
في العقول تعطيل الجزاء قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة
ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت
النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها وقيل العلاء فرهم في الخير
واضافتها الى صدق لانه على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة او مقام صدق
او سبق السعادة قال الكافرون ان هذا الكتاب لسحر مبين مدني وبصري وشامي ومن قرا
لساحر فهذا اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين
في تسميته سحرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
اي استولى فعز تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود يدبر الامر يقضي ويقدر على
مقتضى الحكمة الامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش ولما ذكر
ما يدل على عظمته شانه وملكه من خلق السموات والارض والاستواء على العرش اتبعها
اتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور عن قضائه
وتقديره وكذا قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على عزته وكبريائه
ذلكم الله العظيم الموصوف بما وصف به الله ربكم وهو الذي يستحق العبادة فاعبدوه
وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان او ملك فضلا عن جماد لا يضر
ولا ينفع افلا تذكرون افلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود
المصلح النافع اليه مرجعكم جميعا وعد الله حال اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه
فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع او مكان الرجوع وعد الله مصدر موكد
لقوله اليه مرجعكم حقا مصدر موكد لقوله وعد الله انه يبدوا الخلق ثم يعيده
استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم بالقسط
بالعدل وهو متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم
اي بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا لان الشرك ظلم ان الشرك لظلم عظيم
وهذا الوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون ولوجه كلامي هو الذي جعل الشمس ضياء الياء فيه منقلبة عن واو
ضوء لكسرة ما قبلها وتقلب همزة لانها الحركة اصلح والقمر نورا والضياء
اقوى من النور فلذا جعله للشمس ونور القمر اي وقدره منازل اي

وقدره ذا منازل او قدر له منازل والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين اي عدد السنين والشهور
ولم يكتف بالسنين لاشتمالها على الشهور والحساب وحساب الآجال والمواقيت المقدرة
بالسنين والشهور ما خلق الله ذلك المذكور الا بالحق ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة
ولم يخلقه عبثا يفصل الآيات مكي وبصري وحفص وبالنون غيرهم لقوم يعلمون
فينتفعون بالتأمل فيها ان في اختلاف الليل والنهار في مجيء كل واحد منهما خلف الآخر
او في اختلاف لونيهما وما خلق الله في السموات والارض من الخلائق لآيات لقوم يتقون خصهم
بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر الى النظر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه
اصلا ولا يخطر ببالهم لغفلتهم عن التفكر بالحقائق او لا يؤملون حسن لقائنا كما
يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآ
خرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا
يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها ولا
يقف عليهم لا خبر ان اولئك مأواهم النار فاولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبره
والجملة خبر اولئك والباء في بما كانوا يكسبون يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو
جوزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب
ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذا جعل تجري من تحتهم
الانهار بيانا له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها او يهديهم
في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر
اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله
النار وهذا دليل على ان الايمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل
الصالح في جنات النعيم متعلق بتجري او حال من الانهار دعواهم فيها سبحانك اللهم
اي دعاؤهم لان اللهم نداء الله ومعناه اللهم انا نسبحك اي يدعون الله بقولهم سبحانك
اللهم تلذذا بذكره لا عبادة وتحيتهم فيها سلام اي يحيي بعضهم بعضا بالسلام
او هو تحية الملائكة اياهم واضيف المصدر الى المفعول او تحية الله لهم وآخر دعواهم
وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان الحمد لله رب العالمين اي يقولوا الحمد لله رب
العالمين ان مخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشأن قيل اول كلا
مهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء
عليه ويتكلمون بينهما بما ارادوا ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير

اصله

اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله
لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم الخير فوضع استعجالهم والمراد اهل مكة
وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء اي ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما
نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقضي اليهم
اجلهم شامي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيا
نهم شركهم وضلالهم يعمهون يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله
متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم
في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم
واذا مس الانسان اصابه والمراد به الكافر الضر دعانا اي دعا الله لازالته لجنبه في
موضع الحال بدليل عطف الحالين اي او قاعدا او قائما عليهم اي دعانا مضطجعا
وفايدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يخلو عن احدها لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه
الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض او قاعدا
لا يقدر على القيام او قائما لا يطيق المشي فلما كشفنا عنه ضره ازلنا ما به مر كان
لم يدعنا الى ضر مسه اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر
عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به والاصل كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين المجاوزين الحد في الكفر
زين الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا اشركوا وهو ظرف لاهلكنا
والواو في وجاءتهم رسلهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالحجج اي وما كانوا ليؤمنوا اي بقوا ولم يهلكوا لان الله تعالى علم منهم انهم
يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا او اعتراض واللام لتأكيد النفي يعني
ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فايدة في امهالهم
بعد ان لزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي القوم
المجرمين وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله ثم جعلناكم
خلائف في الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد عليه السلام اي استخلفنا
كم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر كيف تعملون اي لننظر اتعملون
خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر

لا معنى له استفهام او غير صحيح ان يتقول عليه عاقل والحجج انه لمنطق مما ادعوه واكفى
تعملون اذا لا اعتبار بما ضيعتم او لا اغترار بما عندكم قال عليه السلام الدنيا حلوة خضرة
وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
حال قال الذين لا يرجون لقاءنا لما اغاظهم ما فيها من ذم عبادة الاوثان والو
عيد لاهل الكفر ائت بقرآن غير هذا او بدله ليس فيه ما يغيظنا من ذم الاوثان
او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها
وامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب
آية رحمة وان يسقط ذكر الآلهة دون الاول قل ما يكون لي ما يحل لي ان ابدله من تلقاء نفسي
من قبل نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي ولا اتبع الا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان
ولا تبديل لان الذي اتيتكم به من عند الله لا من عندي ثم اكد قوله اني اخاف ان عصيت ربي
بالتبديل من عند نفسي عذاب يوم عظيم اي يوم القيامة واما الاتيان بغيره فلان ذلك لا
يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون
لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل انهم يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا او بدله من
جهة الوحي لقوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغرضهم من هذا
اقتراح الكيد او العنت اما العنت فاقتراح ائت بقرآن غير هذا ان يعلموا انه من عنده
وانه قادر على مثله واما الكيد فلانه اذا اتى به واما اقتراح التبديل فاختبار الحال وانه
ان وجد منه تبديل فيجعلوا التبديل حجة عليه ويحكموا الافتراء على الله قل لو شاء
الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله تعالى واظهاره امرا عجيبا
خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرا عليكم
كتابا فصيحا غالبا كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا
بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى ولا ادراكم
به ولا اعلمكم الله به على لساني فقد لبثت فيكم عمرا من قبله
من قبله اي من قبل القرآن اي مدة عمر فيما بينكم اربعين سنة ولم تعرفوني متعاطيا
شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه
افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت
قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
تحتمل انه يريد افتراء المشركين على الله انه ذو شريك وولد وان يكون تفاديا مما اضا

فوه

فوه اليه من الافتراء او كذب بآياته بالقرآن بان نسبه الى الكذب على الله والمكذب
بآياته في الكفر سواء انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان تركوا
عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها ويقولون هؤلاء اي الاصنام شفعاؤنا عند الله اي
في امر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث او لعلهم يعتقدون ان بعثوا فهم
لا يبعث الله من يموت او يوم القيامة ان يكن بعث ونشور قل اتنبئون الله بما لا يعلم
اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم له واذا لم يكن معلوما له
وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئا وقوله في السماوات ولا في الارض تاكيد لنفيه
لان ما لم يوجد فيهما فهو معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون نزه ذاته عن ان يكون
له شريك وبالتاء حمزة وعلي وما موصولة او مصدرية اي الشركاء الذين يشركونهم
او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة
من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد ادم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
بتاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
فيما اختلفوا فيه فيميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة وهي ان هذه الدار دار
تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه
اي آية من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب
فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني
معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات واذا اذقنا الناس
اهل مكة رحمة خصبا وسعة من بعد ضراء مستهم يعني القحط والجوع اذا لهم
مكر في آياتنا اي مكر في آياتنا بالطعن فيها والانكار لها روي ان الله تعالى سلط القحط
سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا
يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله عليه السلام ويكيدونه واذا الاولى
للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجاة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون اي وان تصبهم سيئة قنطوا واذا اذقنا الناس رحمة
مكر واول المكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية الخلق ومعنى
مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم وانما قال قل الله اسرع مكرا

ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجاة دالة على ذلك كانه قال [illegible]
من بعد ضراء مستهم او من بعد ما جاوزوا موضع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم
من مس الضراء ان رسلنا يعني الحفظة يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافيا
لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء يسهل هو الذي يسيركم في البر والبحر
يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية في البحار
ويخلق فيكم السير يتيسر لكم ذلك حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن وجرين اي السفن
بهم بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة بريح طيبة لينة الهبوب والاضافة
والاعلام وفرحوا بها بتلك الريح الطيبة واستقامتها جاءتها اي الفلك او الريح الطيبة
اي تلقتها ريح عاصف ذات عصف اي شديدة الهبوب وجاءهم الموج هو ما علا على
الماء من كل مكان من البحر او من جميع امكنة الموج وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
جعل احاطة العدو مثلا في الاهلاك دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك
لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون لئن انجيتنا من هذه الاهوال او من هذه
الريح لنكونن من الشاكرين لنعمتك مومنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون في
الفلك غاية التسيير في البحر والمجيء بالجملة الشرطية بعد حتى بما في حيزها كانه
قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحالة وكانت كيت وكيت من مجيء الريح العاصفة
وتراكم الامواج والظن بالهلاك والدعاء بالانجاء والجواب اذا كنتم جاءتها ودعوا
بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به فلما انجاهم اذا هم
يبغون في الارض يفسدون فيها بغير الحق بالباطل اي مبطلين يا ايها الناس انما بغيكم على
انفسكم [illegible] متاع الحياة
الدنيا [illegible] على انفسكم [illegible]
على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته ويجوز ان يكون خبرا بغيكم على امثالكم
الكم او هو خبر ومتاع خبر بعد خبر او متاع خبر مبتدا محذوف اي هو متاع الحياة
الدنيا وفي الحديث اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة
وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه
كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ثم الينا مرجعكم
فننبئكم بما كنتم تعملون فنخبركم به ونجازيكم عليه انما مثل الحياة الدنيا كماء

انزلناه

انزلناه من السماء من السحاب فاختلط به نبات الارض اي فاشتبك بسببه حتى خالط
بعضه بعضا مما ياكل الناس من الحبوب والثمار والبقول والانعام من الحشيش
حتى اذا اخذت الارض زخرفها زينتها بالنبات واختلاف الوانه وازينت وتزينت به وهو
اصله تزينت فادغم في الزاي وهو كلام فصيح جعلت الارض اخذة زخرفها
على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت
بغيرها من الوان الزين وظن اهلها اهل الارض انهم قادرون عليها متمكنون
من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا عذابنا وهو ضرب
زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم ليلا او نهارا فجعلناها
فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن
كان لم يغن زرعها اي كان لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه
ليستقيم المعنى بالامس هو مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن اصلا
كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فينتفعون بضرب الامثال وهذا من
التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال
بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين
الارض بخضرته ورفيفه والتشبيه على حكم التشبيه المركب فهو هنا
تشبيه او كذلك تشبيهها بحال عموم الحياة الى ان قال الم تر ان الله كما
ساق الماء وانزل من السماء وانبت به زروعا فاصبحت من بعد خضرتها الهشيم
والبذر فكذلك الحياة على اختلاف الالوان والطعوم الطيبة شبيه بالشباب
والنشوء والانتصاب والزهرة والبهجة والكهولة وهي الكمال وجواذب المحبة
ويشغلك عن الطريقة والخيبة والحذر ويدوم الالم والشوق والندم
والبعث والحسرة والجزع وطبع المتاع ثم يرى مرجعه مضافة كما بغير الحرث
حصادا فيرى ايام الحياة كما فيه النبات مضى اقتضاء حيث في الحسرة نفس
بالامس لم يعد ربيع الحياة وهو عن الفرض في البعث وكل المال الذي ينبغي
يقيم عليه وذلك كثيرة ولا يدري تجاوز الحد كما لا يدري من اضل الاولاد واحذر الامال لاعلوا
منزلة كما ان صاحب الماء لا يعدو امرا وحصر اعماله نال صاحبه والاكم
خلدوا بالنجاة كمضاح ماء يتجاوز بالاحفاد والنجاة كما هو حايل عن المجاوزوا
للمواد الى المجاز الى المحيط لا يعتبر ولهذا يقال بالصلاة لمن اختلت الفطرة
عن فتنة الامواج الفاجعة المضطربة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة

الى الاسلام وكذا المال ينتقل عن اناس الى غيرهم دون انتفاع كما ان الماء لا يجتمع الا بسيرا لسيل
ثم يجري ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف والله يدعو الى دار السلام هي الجنة اضافها
الى اسمه تعظيما لها او السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل
لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي من يشاء
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم الى الاسلام او طريق السنة فالدعوة عامة على
لسان الرسول بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والكفاية والمعنى
يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون للذين احسنوا امنوا
بالله ورسوله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة وزيادة رؤية الرب عز وجل كذا عن
ابي بكر وحذيفة وابن عباس وابي موسى الاشعري وعبادة بن الصامت رضي الله
عنهم وفي بعض التفاسير اجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله تعالى
وعن صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة يقول الله تبارك وتعالى
تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار
قال فيكشف الحجاب فينظرون الى الله فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم
ثم تلى للذين احسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث
بهذه العبارة وقال انه حديث موضوع مع انه مرفوع فوا وجه صاحب المصابيح
في الصحاح وقيل الزيادة المحبة في قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله
ورضوان ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر
هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
والذين كسبوا عطف على للذين احسنوا اي وللذين كسبوا السيئات فيكون الشرط
جزاء سيئة بمثلها الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او التقدير جزاء سيئة
مقدرة بمثلها وترهقهم ذلة ذل وهوان ما لهم من الله من عاصم من عقابه اي لا يعصمهم
احد من سخطه وعقابه كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اي جعل عليها
غطاء من سواد الليل اي هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان
لاغشيت فمظلما حال من الليل او على من قوله قطعا من الليل على هذه القراءة مظلما
صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه اغشيت لان من الليل صفة لقطعا
فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة او معنى الفعل في من الليل
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم اي الكفار وغيرهم جميعا حال
ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل
بكم

بكم انتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم
عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت
بينهم في الدنيا وقال شركاؤهم من عبدوه من دون الله من اولي العقل او الاصنام
ينطقها الله عز وجل ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث
امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم وهو كقوله ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم اي كفى الله شهيدا وهو تمييز ان كنا عن عبادتكم لغافلين
ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية هنالك في ذلك المقام
او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق
ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود
وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت تتلوا حمزة وعلي اي تتبع ما اسلفت
لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت
من خير او شر كذا عن الاخفش وردوا الى الله مولاهم الحق ربهم الصادق
ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم
وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم
ما كانوا يدعون انهم شركاء او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من
الكذب وشفاعة الالهة قل من يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد
الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما من الافات مع كثرتها
في المدة الطويلة وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي اي الحيوان والفرخ والزرع والمومن والعالم من النطفة والبيضة
والحب والكافر والجاهل وعكسها ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم
كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فسيجيبونك عند سوالك
ان القادر على هذه هو الله فقل افلا تتقون الشرك في العبودية اذا اعترفتم
بالربوبية فذلكم الله ربكم اي من هذه قدرته الله ربكم الحق الثابت ربوبيته

فلا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال اي لا واسطة بين الحق
والضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد
الى الشرك كذلك اي مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك كلمات شامي ومدني اي كما حق
الحق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت
كلمة ربك على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم
لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان او حق عليهم كلمة الله ان ايمانهم
غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل اي لانهم لا يؤ
منون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده الزاما لهم بيعيده وهم غير معترفين
بالاعادة يعني المبتدأ كاعادة الليل والنهار واعادة الازهار والنبات قل الله يبدؤا
الخلق ثم يعيده امر نبيه بان ينوب عنه في الجواب يعني انه لا يدعهم مكابرتهم ان ينطقوا
بكلمة الحق فتكلم عنهم فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن قصد السبيل قل هل من
شركائكم من يهدي الى الحق يرشد اليه قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يقال هداه للحق والى الحق فيجمع بين اللغتين
ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة
وعلي امن لا يهدي بمعنى لا يهتدي لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكي
وشامي وورش باشمام الهاء فتحة ابو عمرو وبفتح الهاء وفتح الياء عاصم
غير يحيى والاصل يهتدي وهو قراءة عبد الله فادغم التاء في الدال وفتحت الهاء
بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى
لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدني غير ورش والمعنى ان الله
وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين
للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما وفقهم والهمهم ووقفهم على الشرائع
بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد يهدي الى
الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي
لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام لا يهتدي
من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح
منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان تجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم

كيف

كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام
انها الهة وانها شفعاء عند الله والمراد بالاكثر الجميع الا ظنا بغير دليل وهو
اقتداؤهم باسلافهم ظنا انهم مصيبون ان الظن لا يغني من الحق وهو العلم شيئا في موضع
المصدر اي اغناء ان الله عليم بما يفعلون من اتباع الظن وترك الحق وما كان هذا القرآن
ان يفترى من دون الله اي افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام ان يكون مثله
في علو امره واعجازه مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب
المنزلة وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب
الله عليكم لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال
ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين
متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم
ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا
انتم على وجه الافتراء بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم
فانتم مثله في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي وادعوا
من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله ان كنتم
صادقين انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله بل سارعوا
الى التكذيب بالقرآن في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره
وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما
يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في ولما ياتهم
تاويله انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء
وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل
العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه
لما كرر عليهم التحدي وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله
فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم
يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل
تدبرها عنادا او تقليدا للاباء ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله

ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب
ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه
من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه ويبلغوا
حد الاعجاز وقبل ان يجربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به بالنبي او بالقرءان اي يصدق به في نفسه
ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به لا يصدق ويشك فيه
او يكون للاستقبال اي منهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فقل لي
عملي ولكم عملكم جزاء عملي ولكم جزاء عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
فكل مؤاخذ بعمله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت
القرءان وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم افانت تسمع الصم
ولو كانوا لا يعقلون اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقو
لهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع
سلب العقل والسمع فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ومنهم ناس ينظرون اليك
ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون افانت تهدي العمي
ولو كانوا لا يبصرون اتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر
فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس واما العمى مع الحمق فجهد
البلاء يعني انهم في الياس من ان يقبلوه ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول
لهم ولا ابصار ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولكن
الناس شيئا وعلى اي يظلمهم بسلب الة الاستدلال ولكنهم ظلموا انفسهم
بتركهم الاستدلال حتى عموا وصموا او هم احياء ويوم نحشرهم وبالياء حفص كأن
لم يلبثوا الا ساعة من النهار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا او في قبورهم لهول
ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك
عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كان لم
يلبثوا حال منهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وكان مخففة
من الثقيلة واسمها محذوف اي كانهم ويتعارفون بينهم حال او مستانف

على

على تقدير كانهم يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على ارادة القول اي يتعا
رفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا
في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئ
ناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك بعض الذي نعدهم
من العذاب او نتوفينك قبل عذابهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
اي واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه
في الاخرة ثم الله شهيد على ما يفعلون ذكر الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب
كانه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو ولكل امة رسول
بعث اليهم ليدعوهم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات
فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي
الرسول وعذب المكذبون او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنتسب اليه وتدعى
به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم وهم لا يظلمون
لا يعذب احد بغير ذنب ولما قال واما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب استعجلوه
لما وعدوا من العذاب نزل ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب ان كنتم صادقين
ان العذاب نازل وخطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا من مرض
او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من
ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا
يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لكل امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح
المحفوظ فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتاخرون فلا تستعجلوا
قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلونه بياتا نصب على الظرف اي وقت بيات
وهو الليل وانتم ساهون نائمون لا تشعرون او نهارا وانتم مشتغلون بطلب
المعاش والكسب ماذا يستعجل منه المجرمون اي من العذاب والمعنى
ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يو
جب الاستعجال والاستفهام في ماذا يتعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا
يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال
او تعرفوا الخطا فيه ولم يقل ماذا تستعجلون منه لانه اريد الدلالة على موجب

نحو الاستعجال وهو لا حاجة او ما تستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان اتيتك
ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم او ثم اذا ما وقع العذاب امنتم به جواب
الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقو
عه حين لا ينفعكم الايمان ودخول الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء
افامن اهل القرى اوامن اهل القرى ءالان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد
وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون اي بالعذاب تكذيبا واستهزاء
ءالان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام وقرع ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المضمر قبل الان ذوقوا عذاب الخلد اي الدوام هل تجزون الا بما كنتم
تكسبون من الشرك والتكذيب ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو
وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود قل اي
بمعنى نعم وربي قسم والله انه لحق ان العذاب كائن لا محالة وما انتم بمعجزين بفو
تين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك واشركت وهو
صفة لنفس اي ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض ما في الدنيا اليوم من خزائنها
واموالها لافتدت به جعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه
ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب واخفوها وهم رؤساؤهم من السفلة
اذا اظهروها او اخفوها لعجزهم عن النطق لشدة الامر واسر من الاضداد وقضي بينهم بالقسط
بين الظالمين والمظلومين او على الاخذ الظلم وهم لا يظلمون ثم اتبع ذلك الا
علام بان له الملك كله بقوله الا ان لله ما في السماوات والارض وكيف يقبل الفداء
وانه المثيب المعاقب وما وعدوه من الثواب والعقاب فهو حق بقوله الا ان وعد
الله بالثواب والعقاب حق كائن ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت هو
القادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شيء واليه ترجعون والى حسابه
وجزائه المرجع فيخاف ويرجى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي قد
جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التي
تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب كما في القران من الاوامر والنواهي الزاجرة عن كل
مرغوب وزاجر عن كل مرهوب اذ الامر يقتضي حسن المامور فيكون مرغوبا فيه
يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا النهي وشفاء لما في الصدور اي
صدوركم من العقائد الفاسدة وهدى من الضلالة ورحمة للمؤمنين لمن امن به منكم

قل

قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا
فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير والفاء لاختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء
داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح او بفضل الله
وبرحمته فليعتنوا عليه بذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام في الحديث
من هداه الله للاسلام وعلمه القران ثم شكى الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم
يلقاه وفي الاية هو خير مما يجمعون وبالتاء شامي فليفرحوا يجمعون قل ارايتم ما
انزل الله لكم من رزق ما منصوب بانزل او بارايتم اي اخبروني وبه فجعلتم منه حراما وحلالا
فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكو
رنا ومحرم على ازواجنا وجعل لكم الارزاق تخرج من الارض ولكنها تنبعث اسبابها من السماء نحو
المطر الذي به تنبت الارض النبات والشمس التي بها تنضج الاثمار ويانع الثمار اضيف
انزالها الى السماء قل الله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني
الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه او على الله تفترون
ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه او الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل افترون
على الله تقرير للافتراء والاية زاجرة عن التجوز فيما يسال عن الاحكام وباعثة على و
جوب الاحتياط فيه وان يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان
ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ويسندون الكذب
اليه يوم القيامة منصوب بالظن وهو كفر واقع فيه اي شيء ظن المفترين
في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو
وعيد عظيم حيث ابهم امره ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل
ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه ال
النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شان ولا تكون في امر والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والشان الامر وما تتلوا منه من الشان لانه كان فيه وما تتلوا من القران
من قران لان كلام جزء منه وان اضمار قبل الذكر تفخيم له او من الله عز وجل
ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء محصين
عليكم اذ تفيضون فيه تخوضون من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب عن

ربك وما يبعد وما يغيب وبكسر الزاي على حفص كان من مثقال ذرة وزن نملة صغيرة
في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ورفعهما حمزة على الابتداء والخبر
الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ ونصبهما غيرهما على نفي الجنس
وقدمت الارض على السماء هنا وفي سبا قدمت السموات لان العطف بالواو حكمه
حكم التثنية الا ان اولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة او هم الذين
تولى هداهم بالبرهان الذي اتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه او هم المتحابون
في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها او هم المومنون المتقون بدليل
الاية الثانية لا خوف عليهم اذا خاف الناس ولا هم يحزنون اذا حزن الناس الذين امنوا
منصوب باضمار اعني او انه صفة الاولياء او مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف
اي هم الذين امنوا وكانوا يتقون الفرائض والمعاصي لهم البشرى في الحياة الدنيا
ما بشر الله به المومنين المتقين في غير موضع من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
هي الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا لان مدة الوحي
ثلاث وعشرون سنة وكان في اول ستة اشهر منها يوحى في النوم بالانذار وستة اشهر
من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزءا او هي محبة الناس له والذكر
الحسن او لهم البشرى عند النزع بان يرى مكانه في الجنة وفي الاخرة هي الجنة
لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اختلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم
مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع
بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت ولا يحزنك
قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك ان العزة
استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله ان الغلبة
والقهر في ملكة الله لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم
وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا او بنعز لك
عن ان يصيبوك بسوء وذلك والعلم والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة
مقول الكفار جميعا حال هو السميع لما يقولون العليم بما يدبرون ويعزمون
عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء
وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليوذن ان هولاء اذا كانوا له وفي ملكته
ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما هم من لا يعقل

اخوان لا

احق ان لا يكون له ندا او شريكا وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما نافية
اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله
في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن الا ظنهم انهم شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون
ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا او استفهامية اي واي شيء يتبعون وشركاء
على الاول منصوب بيدعون وعلى الثاني بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة والمحذوف مفعول يدعون او موصولة
معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله
شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه اي جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار
والنهار مبصرا مضيئا لتبصروا فيه مطالب ارزاقكم ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب بهم
من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به
او فقير ليستعين به او ذليل ليتشرف به والكل امارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج
كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعي ان يكون مركبا وكل مركب
ممكن وكل ممكن محتاج الى الغير فكان هذا دليلا واستحال القديم ان يكون له ولد
له ما في السموات وما في الارض ملكا ولا يجتمع الملك والولد ان عندكم من سلطان بهذا
ما عندكم من حجة بهذا القول والباء صلة ان يتعلق بقوله ان عندكم فيما تقولون
سلطان وكانه نفى عنهم البرهان وجعلهم غير عالمين فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون
قل ان الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون لا ينجون من النار
ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا اي افتراوهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حتى
يقيمون به رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم
الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد المخلد بما كانوا يكفرون بكفرهم
واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل
لصار اذ ظرفا للقول واتل ليس كذلك واذكر اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين مقامي مكاني يعني نفسه
كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم الف
سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري بايات الله لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة

فاموا على ارجلهم يحطونهم ليكون مكانهم نبيا وكلامهم منهم ما فعلوا فعلى الله توكلت
اي فوضت امري اليه فاجمعوا امركم ثم من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه وشركاءكم
الواو بمعنى مع اي فاجمعوا امركم مع شركائكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة
اي غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة او ملتبسا في خفية والغمة
السترة من غمه اذا ستره ومنه الحديث لا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر
به والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرون
به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي ما هو حق عندكم من هلاكي
كما يقضي الرجل غريمه او اصنعوا ما امكنكم ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم
فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سالتكم من اجر فاوجب التولي او ثقل سالتكم
من اجر فعاتبني ذلك الاجر لتوليكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني عليه
به في الاخرة اي ما نصحتكم الا لله لا لغرض من اغراض الدنيا وفيه دلالة منع اخذ الاجر
على تعليم القران والعلم الديني وامرت ان اكون من المسلمين من المستسلمين
لاوامره ونواهيه اجري بفتح الياء مدني وشامي وابو عمرو وحفص فكذبوه فداموا على
تكذيبهم فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف يخلفون الهال
كين بالغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عليه السلام عن مثله وتسلية
له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم اي هودا وصالحا وابراهيم ولوطا
وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
فاصروا على الكفر بعد المجيء بما كذبوا به من قبل من قبل مجيئهم بها يعني انهم
كانوا قبل بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك
الطبع نختم على قلوب المعتدين المجاوزين الحد في التكذيب ثم بعثنا من بعدهم من بعد
الرسل موسى وهارون الى فرعون وملايه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا
عن قبولها واعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا
عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا
على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله قالوا
لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق بعيد عن السحر
قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم هو انكار ومقولهم محذوف اي هذا السحر
ثم استانف انكارا اخر فقال اسحر هذا خبر ومبتدا ولا يفلح الساحرون اي لا يظفر

قالوا

قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام او عبادة
فرعون وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر والعظمة والعلو
في الارض ارض مصر وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به ويكون بالياء حماد ويحيى
وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم سحار حمزة وعلي فلما جاء السحرة قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدا وجئتم صلتها
والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله
السحر بهمزة الاستفهام ابو عمرو على الاستفهام وعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء
جئتم به اهو السحر ان الله سيبطله سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته بل يدمره
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه او بظهور الاسلام بعداته
بالنصرة ولو كره المجرمون ذلك فما امن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه على
خوف من فرعون الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه
وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع
الخوف او الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن من ال فرعون واسية امراته
وخازنه وامراة خازنه وماشطته والضمير في وملايهم يرجع الى فرعون بمعنى
ال فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب ياتمرون او الى الذرية او على
خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم دليله قوله ان يفتنهم ان يعذبهم
فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم
والفساد وفي الكبرياء والعتو في ادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم
بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون
ان كنتم مسلمين لله كلاه في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا انفسهم لله اي يجعلوها
له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط فقالوا
على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله قبل تو
كلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء
في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذابا يعذبوننا او يفتنو
ننا عن ديننا اي يضلوننا والفاتن المضل عن الحق ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي من

من تحبيسهم وتعذيبهم واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا
تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر
بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه
واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى
ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية
من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون
على ذلك في اول الاسلام بمكة واقيموا الصلوة في بيوتكم حتى تامنوا وبشر المؤمنين
يا موسى ثنى الخطاب اولا لان اختيار موضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع
لان اتخاذ المساجد والصلوة فيه واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام
بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة
هي ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك واموالا نقودا ونعما وضيعة
في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ليضلوا الناس عن طاعتك ولا وقف على الدنيا
لان قوله ليضلوا متعلق باتيت وربنا تكرار الاول للالحاح في التضرع قال الشيخ ابو
منصور رحمه الله تعالى انه لما علم منهم انهم يضلون الناس عن سبيله اتاهم ما اتاهم
ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما فتكون الاية حجة على المعتزلة
ربنا اطمس على اموالهم اي اهلكها واذهب اثارها لانهم يستعينون بنعمتك على
معصيتك والطمس المحو والاهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئتها
منقوشة وقيل سائر اموالهم كذلك واشدد على قلوبهم اطبع على قلوبهم
واجعلها قاسية فلا يؤمنوا جواب الدعاء الذي هو اشدد حتى يروا العذاب الاليم اي
الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان
باس فلم يقبل وانما دعا عليهم بهذا لما ايس من ايمانهم وعلم بالوحي انهم لا يؤمنون
واما قبل ان يعلم انهم لا يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعاء لانه ارسل اليهم
ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون
كفرا قال قد اجيبت دعوتكما قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن
فثبت ان التامين دعاء فكان اخفاؤه اولى والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما
كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والتبليغ
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة
وحكمة

وحكمة الامهال بعد كان بين الدعاء والاجابة اربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون
وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامي وخطأه بعضهم لان النون
الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهي او هو
حال من تقديره فاستقيما غير متبعين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو دليل لنا
على خلق الافعال فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته بغيا تطاولا
وعدوا ظلما وانتصبا على الحال او على المفعول له حتى اذا ادركه الغرق ولا وقف عليه
لان قال آمنت جواب اذا انه بالكسر حمزة وعلي على الاستيناف بدل من امنت وبالفتح
غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الايمان لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال امنت ثم قال وانا
من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول
ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وكلمة واحدة تكفي في حالة الاختيار آلان قال
جبريل اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك
قيل قال في الاخير حين الجمه الغرق والعامل فيه اتؤمن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
من الضالين المضلين عن الايمان روي ان جبريل عليه السلام اتاه بفتيا ما قول الامير
في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه
فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده
الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم
ننجيك نلقيك بنجوة من الارض فرمى به الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع
الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص
منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك كانت له
درع من ذهب يعرف بها وقال ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو مثل قولهم
هو باجرامه اي ببدنه كله واعضائه او باجزائه او بدروعك لانه ظاهر بينها
لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في
انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وقيل اخبرهم موسى بهلاكه
فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك
من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعي
من الربوبية محال وانه مع ما كان فيه من عظم الملك آل امره الى ما ترون

لتحصيل دينه بالظن بغيره وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرا
ئيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات
فما اختلفوا في دينهم حتى جاءهم العلم اي التوراة وهم اختلفوا في تاويلها
كما اختلفت امة محمد عليه السلام في تاويل الآيات في القرآن والمراد العلم بمحمد
عليه السلام واختلاف بني اسرائيل هم اهل الكتاب اختلافهم في صفته وانه هو
او ليس به بعدما جاءهم العلم انه هو ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالجزاء فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك مما فيه ذكر بني اسرائيل وهم علماء اهل الكتاب ووصفهم
بان العلم قد جاءهم اذ رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبا في التوراة والانجيل
وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم اراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن او بصحة نبوة
محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك وقال ان وقع لك شك فرضا وتقديرا او بسبيل
من خالجته شبهة ان يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وادلته او بمباحثة
العلماء فسل علماء اهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث
يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم
بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق
من ربك اي ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما اتاك هو الحق
الذي لا مجال فيه للشك فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا وقف عليه للعطف
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين اي فاثبت ودم على ما انت
عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله وهو على طريقة التهييج والا
لهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت
اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا
اسال بل اشهد انه الحق او خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد امته
اي وان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا او الخطاب
لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن او ان للنفي اي ما كنت
في شك فاسال اي لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرا
هيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وان قلت انما تجوز للنبي اذا كان يجوز الا
كقوله ان الكافرون الا في غرور فلقد ثاك غير لازم الا ترى الى قوله ان امتكما

م

من احق من يعذر فان للنفي وليس بجحود ان الذين حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول
الله الذي كتبه عليهم في اللوح المحفوظ واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا
او قوله لاملأن جهنم الآية ولا وقف على لا يؤمنون لان ولو جاءتهم كل آية تتعلق
بما قبلها حتى يروا العذاب الاليم اي عند الباس فيؤمنون ولا ينفعهم او عند
القيمة ولا يتقبل منهم فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من
القرى اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون
الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبل الله ايمانها منها بوقوعه في وقت الا
ختيار الا قوم يونس استثناء من القرى وهو استثناء اي ولكن قوم يونس او متصل
والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصا
به على اصل الاستثناء لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ومتعناهم الى حين اي آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعثه الى نينوى من ارض
الموصل فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح
وعجوا اربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب واولادها فحن بعضها الى بعض واظهروا
الايمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ
من توبتهم ان ردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه
اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب الى شيخ من بقية علمائهم
فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها
فكشف عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت
وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا
مجتمعين على الايمان متفقين عليه لا يختلفون فيه اخبر عن كمال القدرة ونفوذ
المشيئة انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن من علم منه
اختيار الايمان به ولم يشأ الكفر ممن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة
المراد بالمشيئة القسر والالجاء اي لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء
ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
اي ليس لك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الي لان الايمان فعل

الحين وعلمه ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتاويله عند نزال الله
تعالى لو شاء لاعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤ
منون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق واما استعماله في جانبه بمعنى النفي لا الا
افانت يا محمد تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه
على التصديق وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله بمشيئته او بخطابه او بتو
فيقه وتسهيله او بعلمه ويجعل الرجس اي العذاب او السخط او الشيطان و
تسليط الشيطان على الذين لا يعقلون لا ينتفعون بعقولهم ونجعل حماد ويحيى
قل انظروا انظر استدلال اعتبار ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر باختلاف
الليل والنهار وخروج الزرع والثمار وما تغني الآيات ما نافية والنذر والرسل المنذ
رون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا ينتفع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون فهل
ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مضى وقائع الله فيهم كما يقال ايام
العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا معطوف
على كلام محذوف يدل عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم
ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن منهم كذلك
حقا علينا ننجي المؤمنين اي مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض اي حق ذلك حقا ننجي بالتخفيف علي وحفص قل يا اي
ها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني
فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي الاصنام
ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم يميتكم وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف
ويتقى ويعبد دون من دون الله ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين اي بان اكون
يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحي الي في كتابه وان اقم وجهك
للدين اي واوحي الي اي اقم ليشاكل قوله امرت اي استقم مقبلا بوجهك على ما
امرك الله او استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا حنيفا حال من الدين او الوجه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان دعوته ولا يضرك ان خذ
لته فان فعلت فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا
فانك اذا من الظالمين اي جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة
عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك وان يمسسك الله بضر

مرض

مرض فلا كاشف له لذلك الضر الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد لفضله فلا راد
لما اراده يصيب به بالخير من يشاء من عباده فتح الآية على عباده كل ... الى
غيره والى هيبة الآلهة والاعتماد الا عليه وهو الغفور المكفر بالبلاء الرحيم المتف
ضل بالعطاء انتج النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله
هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لا يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل
احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذا ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريد
لك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان وهو الحقيق بان توجه اليه العبا
دة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته ولعله ذكر المس في احدهما والارادة في الآخر ليدل على انه
الارادة تكون للامرين للارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما
يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس في
احدهما على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده قل يا ا
يها الناس يا اهل مكة قد جاءكم الحق القرآن او الرسول من ربكم فمن اهتدى
اختار الهدى واتبع الحق فانما يهتدي لنفسه فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضل
فانما يضل عليها ومن اختار الضلالة فما ضر الا نفسه ودل اللام على وعلى على معنى
النفع والضر وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم انما انا بشير ونذير
واتبع ما يوحى اليك بالتبليغ واصبر على تكذيبهم وايذائهم حتى يحكم الله لك
بالنصر عليهم والغلبة وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر
فلا يحتاج الى بينة وشهود سورة هود عليه السلام مكية مائة
وثلاث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هذا
كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته صفة له اي نظمت نظما رصينا
محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم ثم فصلت كما تفصل القلائد
بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا
سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة او فصل فيها ما

سورة هود عليه السلام مكية

يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وليس معنى ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال
من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اي
من عنده احكامها وتفصيلها الا تعبدوا الا الله مفعول له اي لئلا تعبدوا
او ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل لا تعبدوا الا الله او امركم
الا تعبدوا الا الله انني لكم منه اي من الله نذير وبشير اي امركم بالتوحيد وان
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا
اليه بالطاعة يمتعكم متاعا حسنا بطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة
مرضية في عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم ويؤت كل
ذي فضل فضله ويعطي في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه
جزاء فضله لا يبخس منه وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
هو يوم القيامة الى الله مرجعكم رجوعكم وهو على كل شيء قدير فكان قادرا
على اعادتكم الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل
على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه
كشحه ليستخفوا منه ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على
على ازورارهم الا حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها اي يريدون الاستخفاء
حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقوله نوح عليه السلام
جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون اي لا
تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء
والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافع
عنهم قيل نزلت في المنافقين انه عليم بذات الصدور بما فيها وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها تفضلا لا وجوبا ويعلم مستقرها مكانه من الارض ومسكنه
ومستودعها حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل في
كتاب مبين كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح
المحفوظ يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام من الاحد الى الجمعة تعليما للتاني وكان عرشه على الماء
اي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه

دليل

دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض وقيل بدأ بخلق
ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فاقر الماء على متنها ثم
وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش على الماء اعظم اعتبار لاهل الافكار
ليبلوكم اي خلق السموات والارض وما بينهما للممتحن فيهما ولم يخلق هذه الاشياء
لانفسها ايكم احسن عملا اي اشكر وعنه صلى الله عليه وسلم احسنكم عقلا واورع
عن محارم الله واسرع في طاعة الله فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه
ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم اي ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم
كيف تعملون ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين اشارة الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه
سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلي يريدون الرسول
والساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب عذاب الآخرة او عذاب يوم بدر
الى امة الى جماعة من الاوقات معدودة معلومة او قلائل والمعنى الى حين معلوم
ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء
استهزاء الا يوم يأتيهم العذاب ليس العذاب مصروفا عنهم ويوم منصوب
بخبر ليس اي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم وحاق بهم واحاط بهم
ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا يستعجلونه وانما وضع يستهزءون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء ولئن اذقنا الانسان
هو الجنس منا رحمة نعمة من صحة وامن وجدة واللام في لئن لتوطئة القسم ثم نزعناها
منه ثم سلبناه تلك النعمة المذوقة وجواب القسم انه ليئوس شديد اليأس
من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير
صبر ولا تسليم لقضائه كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله
نساء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته وسع عليه النعمة بعد الفقر
الذي نالته ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر
فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين
صبروا في المحنة والبلاء وعملوا الصالحات وشكروا في النعمة والرخاء
اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة كانوا يقترحون عليه آيات

تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به
كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا
لا يعتدون بالقران ويتهاونون به وكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم
واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك
ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم وضائق به صدرك بان تتلوه
عليهم ولم يقل ضيق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان افسح
الناس صدرا ولانه اشكل بتارك ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
او جاء معه ملك هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه
ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم
بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا والله على كل
شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل
امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم
ولا مبال بسفههم واستهزائهم ام يقولون ام منقطعة افتراه الضمير لما
يوحى اليك قل فاتوا بعشر سور تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول
المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز
عنه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله في الحسن والجزالة ومعنى
مثله امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور
لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله ارخى معهم
العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي فاتوا انتم ايضا بكلام مثله
مختلق من عند انفسكم فانتم عرب مثلي فصحاء وادعوا من استطعتم من دون الله
الى المعاونة في المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا
انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله وحده
وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله
لك فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم او لان
رسول الله والمومنين كانوا يتحدونهم او الخطاب للمشركين والضمير في لم
يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة

على

على المعارضة لعلمهم بالعجز عنها فاعلموا انما انزل بعلم الله اي باذنه او بامره
فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل
الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا على انه منزل
من عند الله وعلى التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوصل اليهم
اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة
والرزق وهم الكفار او المنافقون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الاخرة ما صنعوه او صنيعهم اي لم يكن
لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا
وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح
والعمل الباطل لا ثواب له افمن كان على بينة من ربه امن كان يريد الحياة الدنيا
كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يعني ان بين الفريقين
تفاوتا بينا واراد بهم من امن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على
بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه يشهد بصحته وهو القران منه من الله او من
القران فقد مر ذكره انفا ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التوراة اي
ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القران كتاب موسى عليه السلام اماما
كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما
حالان اولئك اي من كان على بينة يومنون به بالقران ومن يكفر به بالقران من الاحزاب
يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالنار موعده مصيره ومورده فلا تك في مرية شك منه من القران او من الموعد
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يومنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
اولئك يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الا
شهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة
والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا الا لعنة الله
على الظالمين الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كاصحاب وصاحب

او شهيد كشريف واشراف الذين يصدون عن سبيل الله يصرفون عن دينه
ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالارتداد وهم بالآخرة هم كافرون هم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا
ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء من يمنعهم
فيستروهم منه ويمنعوهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى
هذا اليوم يضاعف لهم العذاب لانهم اضلوا الناس عن دين الله يضعف مكي وشامي
ما كانوا يستطيعون السمع اي استماع الحق وما كانوا يبصرون الحق اولئك
الذين خسروا انفسهم حيث اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم و
بطل عنهم وضاع عنهم ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها
لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون الصفة والصلوة وفي لا جرم اقوال احدها
ان لا رد للكلام السابق اي ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله ما
مضى وانهم في محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم في الآخرة وقيل
نفيها ان لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا وان في موضع رفع بانه فاعل
لحقا اي حق خسرانهم وقال الفراء معناها لا محالة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
الصالحات واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع و
التواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى
والاصم وفريق المومنين بالبصير والسميع هل يستويان يعني الفريقين مثلا
تشبيها وهو نصب على التمييز افلا تذكرون فتنتفعون بضرب المثل ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي باني والمعنى ارسلناه ملتبسا
بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما
فتح في كان والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامي ونافع وعاصم وحمزة
على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع
الالم فيه فقال الملأ الذين كفروا من قومه يريد الاشراف لانهم يملؤون
القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ما نراك
الا بشرا مثلنا اراد وانه ينبغي ان يكون ملكا او ملكا وما نراك اتبعك

الا الذين

الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل بادي الراي وبالهمزة ابو عمرو والراي وبغير همز
ابو عمرو اي اتبعوك ظاهر الراي من بدا يبدو اذا ظهر او من بدا يبدا اذا فعل
الشيء اولا وانتصابه على الظرف في اصله وقت حدوث ظاهر رايهم او اول رايهم
فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة
من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المومنين لفقرهم وتاخرهم
في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ما كانوا
يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر
المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زال عنهم
ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه وما نرى لكم
علينا من فضل في مال وفضل دال عنوا نوحا واتباعه بل نظنكم كاذبين اي نوحا
في الدعوة وانتم في الاجابة والتصديق حتى تواطأتم على الدعوة والاجابة تسببا
للرياسة قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة برهان من ربي وشاهد منه
يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده يعني النبوة فعميت عليكم خفيت فعميت
حمزة وعلي وحفص اي اخفيت اي فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم
دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة
جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره انلزمكموها اي الحجة وانتم
لها كارهون لا تريدونها والواو دخلت هنا تتمة الميم وعن ابي عمرو اسكان
الميم ووجهه ان الحركة خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا وهو لحن لان الحركة
الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر ويا قوم لا اسألكم عليه على تبليغ
الرسالة لانه مدلول قوله اني لكم نذير مالا اجرا يثقل عليكم ان اديتم او على ان ابيتم
ان اجري مدني وشامي وابو عمرو وحفص الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا جواب
لهم حين سألوا طردهم ليومنوا به انفة من المجالسة معهم انهم ملاقوا ربهم
فيشكونني اليه ان طردتهم ولكني اراكم قوما تجهلون تتسافهون على المومنين
وتدعونهم اراذل او تجهلون لقاء ربكم وانهم خير منكم ويا قوم من ينصرني
من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم افلا تذكرون تتعظون ولا اقول
لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى

لكم علينا من فضل (ولا اعلم الغيب) حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم
وهو معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب
(ولا اقول اني ملك) حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا (ولا اقول للذين تزدري اعينكم) ولا
احكم على من استرذلتم من المومنين لفقرهم (لن يوتيهم الله خيرا) في الدنيا والاخرة
لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (الله اعلم بما في
انفسهم) من صدق الاعتقاد وانما علي قبول ظاهر اقرارهم اذ لا اطلع على خفي
اسرارهم (اني اذا لمن الظالمين) ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه
به واصله تزتري فابدلت التاء دالا (قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا
فاتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) في وعيدك (قال انما ياتيكم به الله ان شاء)
اي ليس الاتيان بالعذاب الي وانما هو الى من كفرتم به (وما انتم بمعجزين) اي لم تقدروا على
الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي) هو اعلام موضع الغي ليتقى والرشد ليقتفى والمعنى ان نصحي
لا ينفعكم (ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) ان يضلكم وهذا الشرط
دخل على شرط فيكون الثاني مقدما في الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم
لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح وفي ذلك دليل ان في ارادة المعاصي (هو ربكم واليه ترجعون)
فيجزيكم على قضية ارادته (ام يقولون) فيجازيكم اعمالكم (ام) بل (يقولون
افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي) ان صح اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي
يقال اجرم الرجل اذا اذنب (وانا بريء) ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى (مما تجرمون)
من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (واوحي الى نوح انه لن
يومن من قومك الا من قد امن) اقناط من ايمانهم وانه غير متوقع وفيه دليل على ان
للايمان حكم التجدد كانه قال ان الذي امن يومن في تجدد الوقت وعلى ذلك تخرج
الزيادة التي ذكرت في الايمان في القران (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن
حزن بائس مستكين والابتئاس افتعال من البوس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا
تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت انتقامي من اعدائك (واصنع الفلك
باعيننا) هو في موضع الحال اي اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا
كان معه من الله عيونا تكلاه ان يزيغ في صنعته عن الصواب (ووحينا) وانا نوحي اليك
ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعلم كيف صنعة
الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوجو الطائر (ولا تخاطبني في الذين ظلموا)

وا

من العذاب
في وعيدك

ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون)
محكوم عليهم بالاغراق فقد قضي به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك)
حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه) ومن عمله السفينة وكان
يعملها في برية في ابعد موضع من الماء وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت
نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون)
منا عند رؤية الهلاك روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج
في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع او الفا ومائتي ذراع وعرضها خمسين ذراعا او
ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن
الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام
وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم
عليه السلام وجعله معترضا بين النساء والرجال (فسوف تعلمون من ياتيه)
من في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه (عذاب يخزيه) ويعني به
اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (ويحل عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم)
وهو عذاب الاخرة (حتى) هي التي يبتدا بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط
والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد
وما بينهما من الكلام حال من يصنع اي يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه
سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استيناف على تقدير سؤال سائل او قال جواب
وسخروا بدل من مر او صفة لملا (اذا جاء امرنا) عذابنا (وفار التنور) وهو كناية
عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر
لحواء فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض (قلنا احمل فيها)
في السفينة (من كل زوجين اثنين) تفسيره في سورة المومنين (واهلك الا من سبق عليه
القول) عطف على اثنين وكذا (ومن امن) اي واحمل اهلك والمومنين من غيرهم
واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك
الا للعلم بانه يختار الكفر وتقديره وارادته جل خالق العباد عن ان يقع في الكون
خلاف ما اراد (وما امن معه الا قليل) قال عليه السلام كانوا ثمانية واهله وبنوه
الثلاثة ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين
وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية

وسبعين نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها
ومرساها بسم الله متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما
لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقوله خفوق النجم
ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من اسمية غير متعلقة بما قبلها
وهي مستانفة وجئ بعضها ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها
ومرساها بذكر الله تعالى اي بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا اراد ان تجري
قال بسم الله فجرت وكان اذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست وقرئ مجراها
بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدرا او وقتا وقرئ ... ان ربي لغفور
رحيم ... حيث خلصهم ... وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا
فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم في موج
اي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر
وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله
شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها ونادى نوح ابنه كنعان وقيل
كان اسمه يام والجمهور على انه ابنه الصلبي وقيل كان ربيبا له وكان في معزل
عن ابيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده وفي معزل عن دين ابيه
يا بني بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك
يا بنيا وغيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة اركب معنا في السفينة
اي اسلم واركب ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء
يمنعني من الغرق قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم
وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله
من المومنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم
معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله
ونجاهم يعني السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل لكن من رحمه الله
فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وحال بينهما الموج
بين ابنه والجبل او بين نوح وابنه فكان من المغرقين فصار او كان

في علم الله

في علم الله وقيل يا ارض ابلعي ماءك انشفي وتشربي والبلع النشف ويا سماء اقلعي
امسكي وغيض الماء نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعدي وقضي الامر
وانجز ما وعد الله نوحا من اغراق قومه واستوت واستقرت السفينة بعد ان طافت
في الارض كلها ستة اشهر على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين
اي سحقا للقوم قوم نوح الذين ظلموا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ابعد البعد البعيد
من حيث الهلاك والموت ولذلك اختص بدعاء السوء والنظر في هذه الاية من اربع
جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية
وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض
الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء
فغاض وان نقضي امر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضي وان نسوي
السفينة على الجودي فاستوت وابقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد
بالمامور الذي لا يتاتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجازم
النافذ في تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وان السموات والارض منقادة
لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيها تغييرا وتبديلا كانها
عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره
والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه
هذا نظم الكلام فقال عز وجل قيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها
قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم قال
مخاطبا لها يا ارض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار
لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما
وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوي الارض
بالماء في الانبات كتقوي الاكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض
على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس
المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم قال
وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض
الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا ولم يصرح بقائل يا ارض ويا سماء

سلوكها في كل واحد منها لسبيل الكناية أن تلك الأمور العظام لا تكون إلا
قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول
غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ولا أن يكون الغائض والقاضي والمسوي غيره
ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلما لأنفسهم
إظهارا لمكان السخط ولأن ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم ومن جهة
علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها
وذلك أنه اختير يا دون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولأنها دالة على بعد المنادى
الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة والملكوت وإبداء العزة والجبروت وهو تبعيد
المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرض بالياء لأن الإضافة تشتمل على
القرب ولم يقل يا أيتها الأرض للاختصار واختير لفظ الأرض والسماء لكونهما أخف وأدور
واختير ابلعي على ابتلعي لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين أقلعي وقيل أقلعي ولم
يقل عن المطر وكذا لم يقل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت اختصارا
واختير غيض على غيّض وقيل الماء دون أن يقال ماء الطوفان والأمر ولم يقل أمر نوح
وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي
إجراء على نحو قيل وغيض اعتبار البناء للفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري
بهم إرادة للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار
هذا من حيث النظر في تركيب الكلم وأما من حيث النظر في ترتيب الجمل فذلك أنه قدم
النداء على الأمر فقيل يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي ولم يقل ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء
جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد
عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء وابتدئ
به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها
ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضي الأمر أي أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء
نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما
ترى نظم المعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد
ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما
ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات

سلسلة على اللسان كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في
الرقة ومن ثمة أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية ولله در
شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الآية
مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور ونادى نوح ربه فقال رب
نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله إن ابني من
أهلي أي بعض أهلي لأنه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبه فهو بعض أهله وإن وعدك
الحق وإن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به وقد وعدتني
أن تنجي أهلي فما بال ولدي وأنت أحكم الحاكمين أي أعلم الحكام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم
على غيره إلا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد
لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر قال يا نوح إنه ليس من
أهلك ثم علل لانتفاء كونه من أهله بقوله إنه عمل غير صالح وفيه إيذان بأن قرابة الدين
غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك وإن كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك
ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته
عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فإنما هي إقبال وإدبار والتقدير إنه ذو
عمل وفيه إشعار بأنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهله وهذا
لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه أبوته عمل غير صالح علي أي عملا غير صالح قال الشيخ
أبو منصور رحمه الله تعالى كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه لأنه
كان ينافق وإلا لا يحتمل أن يقول إن ابني من أهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال
مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذي عنده
كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لرسولنا عليه السلام ويضمرون الخلاف
له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أي من الذين وعدت النجاة
لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر فلا تسألني اجتزاء بالكسرة عن الياء
كوفي تسألني بصري تسألنّي مدني تسألنّ شامي بحذف الياء واجتزاء بالكسرة
والنون دون التأكيد تسألن مكي ما ليس لك به علم بجواز مسألته إني أعظك
أن تكون من الجاهلين هو كما نهى رسولنا عليه السلام بقوله فلا تكونن من الجاهلين
قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم أي من طلبه منك في المستقبل

ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك وإلا تغفر لي ما فرط مني من جهلي
بالعصمة عن العود إلى مثله الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا بتحية منا وسلام
منه من الغرق وبركات عليك هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد
جعل أكثر الأنبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله وعلى أمم ممن معك من للبيان
فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات أو لابتداء الغاية أي على أمم
ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وأمم رفع بالابتداء سنمتعهم في
الدنيا بالسعة في الرزق والخصب في العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك
أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن ممن معك يدل عليه ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة
والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مومنين ينشؤون ممن معك وممن معك
أمم ممتعون في الدنيا منقلبون إلى النار والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في
السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مومن ومومنة إلى يوم القيامة
وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر تلك إشارة إلى قصة نوح عليه السلام
ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي من أنباء الغيب نوحيها إليك ما
كنت تعلمها أنت ولا قومك أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك
مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا الوقت أو من قبل إيحائي إليك وإخباري بها
فاصبر على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن
كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه إن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين
عن الشرك وإلى عاد أخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا أي وأر
سلنا إلى عاد أخاهم هودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحدوه ما
لكم من إله غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ إن أنتم إلا مفترون
تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء يا قوم لا أسألكم عليه أجرا
إن أجري إلا على الذي فطرني ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم
النصيحة والنصيحة لا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع
أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة
ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه من

عبادة

عبادة غيره يرسل السماء عليكم مدرارا حال أي المطر كثيرة الدرور ويزدكم قوة إلى قوتكم
إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع
وبساتين فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة و
قيل أراد القوة بالمال وقيل على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام
نسائهم فوعدهم عليه السلام المطر والأولاد على الإيمان والاستغفار وعن الحسن بن
علي رضي الله تعالى عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابه إني رجل ذو مال
ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار
حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية
فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود
ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما
أدعوكم إليه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة كذب
منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه
مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك هو حال من الضمير في تاركي
آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمومنين وما يصح
أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما تدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة إن نقول إلا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء أي جنون فيعني فيجمع القول قولا واحدا وهو قولهم اعتراك
أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل تقديره ما نقول قولا إلا هذه المقالة
أي إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون
من دونه أي من إشراككم آلهة من دونه والمعنى إني أشهد الله أني بريء مما تشركون
واشهدوا أنتم أيضا أني بريء من ذلك وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة
كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي أني لا أحبك تهكما به واستهانة
بحاله فكيدوني جميعا أنتم وآلهتكم ثم لا تنظرون لا تمهلون فإني لا أبالي بكم وإن
بكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم علي وكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد
لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن أخذتني

وتذهب بعقلي انه توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان مالكها
ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلائته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه
من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسـ
وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم ان ربي على الحق لا يعدل
عنه او ان ربي يدل على صراط مستقيم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم ويستخلف ربي قوما غيركم كلام مستانف اي ويهـ
ويهلككم الله ويجيء بقوم اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا
من ضرر قط اذ لا يجوز عليه المضار وانما تضرون انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب
عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كل رقيب على الاشياء
كلها حافظ لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما
جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة منا اي بفضل منا لا
بعملهم او بالايمان الذي انعمنا عليهم ونجيناهم من عذاب غليظ وتكرار نجينا للتاكيد
او الثانية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم
كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال
جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله
لا نفرق بين احد من رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل
لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة
لهم في الدارين الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد تكرير الا مع النداء على كفرهم والد
عاء عليهم تهويل لامرهم وحث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء بعد
بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على انهم كانوا مستاهلين له قوم هود
عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والاخرى فيهم
والاخرى ارم والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو
انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق ادم من التراب ثم
خلقهم من ادم واستعمركم فيها وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها او استعمركم
من العمر اي اطال اعماركم فيها وكانت اعمارهم من ثلاثمائة الى الف وكان ملوك فارس

قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم
فسال نبي من الانبياء في زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش
فيها عبادي فاستغفروه فسلوه مغفرة بالايمان ثم توبوا اليه ان ربي قريب داع الى رحمته
مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا مرجوا قبل هذا للسيادة و
والمشاورة في الامور وكنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه اتنهانا
ان نعبد ما يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
مريب موقع في الريبة من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة
قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة نبوة جيء بحرف الشك
مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي
واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن ينصرني من الله فمن يمنعني
من عذاب الله ان عصيته في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان فما تزيدونني بقولكم
اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا غير تخسير بنسبتكم اياي الى الخسار او بنسبتي
اياكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل
عليه اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم تتعلق باية حالا منها متقدمة لانها لو تا
خرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال فذروها تاكل في ارض الله
اي ليس عليكم رزقها مع ان لكم نفعها ولا تمسوها بسوء عقر او نحر
فياخذكم عذاب قريب عاجل فعقروها يوم الاربعاء فقال صالح تمتعوا استمتعوا
بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف او في دار
الدنيا ثلاثة ايام ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب اي غير
مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به او وعد غير
كذب على ان المكذوب مصدر كالمعقول والمجلود فلما جاء امرنا بالعذاب او عذابنا
نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا قال الشيخ ابو منصور رحمه الله هذا يدل
على ان من نجا انما نجا برحمة الله لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل احد الجنة الا
برحمة الله ومن خزي يومئذ بالاضافة الخزي لليوم وانجرار اليوم بالاضافة وبفتحها
مدني وعلي لانه مضاف الى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا اضيفت الى الاسماء

اليه

المبهمة والافعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبا والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذله وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة ان ربك هو القوي القادر على تنجيته اوليائه العزيز الغالب باهلاك اعدائه واخذ الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين كان لم يغنوا فيها لم يقيموا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم نون حمزة وحفص الا لثمود على الصرف بالذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا جبريل وميكائيل واسرافيل او جبريل مع احد عشر ملكا ابراهيم بالبشرى هي البشارة بالولد او بهلاك قوم لوط وقيل والاظهر قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام سلم حمزة وعلي بمعنى السلام فما لبث ان جاء بعجل . فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالحجارة المحماة فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم نكروا وانكر بمعنى وكانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوا والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكونوا نزلوا لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه دليله قوله واوجس منهم خيفة اي اضمر منهم خوفا قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه وامراته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم تخدمهم فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب او فحاضت فبشرناها باسحاق وخصصنا بالبشارة لان النساء اعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل ومن وراء اسحاق يعقوب ومن بعده يعقوب بالنصب شامي وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه وبشرناها اي فبشرناها باسحاق ووهبنا له يعقوب من وراء اسحاق والباقون بالرفع على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد قالت يا ويلتى الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن يا ويلتى

بالياء

بالياء على الاصل ءالد وانا عجوز ابنة تسعين سنة وهذا بعلي شيخا ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلي خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التي دلت عليه ذا او معنى التنبيه الذي دل عليه ها ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة قالوا اتعجبين من امر الله قدرته وحكمته وانما انكرت الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات بغير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب واليه اشارت الملائكة حين قالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به اهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص انه حميد محمود بتعجيل النعم مجيد ظاهر الكرم بتاجيل النقم فلما ذهب عن ابراهيم الروع الفزع وهو ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه وجاءته البشرى بالولد يجادلنا في قوم لوط اي لما اطمان قلبه بعد الخوف وملي سرورا بسبب البشرى فرغ للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره اقبل يجادلنا او يجادلنا جواب لما وانما جيء به مضارعا على حكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه او كثير الاحتمال ممن اذاه صفوح عمن عصاه اواه كثير التاوه من خوف الله منيب تائب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لابيه فقالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك انه قد جاء امر ربك

فظاعته وطمه وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا يرد بجدال ولا بغيره ولا عذاب من شفيع
باسم الفاعل وهو آتيهم تعزيرا وانهم يأتيهم عذاب ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين
نحو قرية لوط وكان بين قرية ابراهيم ولوط اربعة فراسخ ولما جاءت رسلنا لوطا لما
اتوه وراى هيأتهم وجمالهم سيء بهم أخذ لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه
وانه يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وضاق بهم ذرعا ضيق اي وضاق بمكانهم
صدره وقال هذا يوم عصيب شديد وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد
عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه
القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا قال ذلك اربع مرات
فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها وجاءه قومه
يهرعون اليه يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا
يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن اراد ان يقي اضيافه
ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا في ذلك الوقت
كما جاز في اول الاسلام فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة
بن ابي لهب وابي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد لوط
ان يزوجهما ابنتيه هن اطهر لكم احل هؤلاء مبتدا وبناتي عطف بيان وهن فصل واطهر
خبر المبتدا او بناتي خبر وهن مبتدا وخبره فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تفضحوني ولا تخجلوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء والياء ابو عمرو
في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل وجاره فقد اخزي الرجل وذلك من
عراقة الكرم واصالة المروءة اليس منكم رجل رشيد اي رجل واحد يهتدي الى سبيل
الحق وفعل الجميل والكف عن السوء قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة
لان نكاح الاناث امر خارج عن مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران وانك لتعلم ما نريد
عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد
جواب لو محذوف اي لفعلت بكم وصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت
الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل

في

في شدته ومنعته روي انه اغلق بابه حين جاءوا وجعل يراجعهم ما حكى الله عنهم
ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط
ان ركنك لشديد انا رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن
جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس
اعينهم واعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق حتى
خرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة
للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر
بالوصل حجازي من سرى باهلك بقطع من الليل طائفة منه او نصفه ولا يلتفت
منكم احد بقلبه الى ما خلفه او لا ينظر الى ما وراءه او لا يتخلف منكم احد الا امراتك
مستثنى من فاسر باهلك وبالرفع مكي وابو عمرو على البدل من احد وفي اخراجها
مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما
سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه
امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لا
ختلاف الروايتين انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم اي الامر وروي انه قال لهم
متى موعد هلاكهم قالوا ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا
اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل عليه
السلام جناحه في اسفلها اي اسفل قراهم ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل
السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم
فهم وذلك قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل هي كلمة معربة من سنك كل
بدليل قوله حجارة من طين منضود نعت لسجيل اي متتابع او مجموع معد للعذاب
مسومة نعت لحجارة اي معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى
به عند ربك في خزائنه او في حكمه وما هي من الظالمين ببعيد بشيء بعيد وفيه
وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
الضمير للقرى اي وما هي بعيدة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم والوصف

اخاهم شعيبا هو اسم مدينتهم او اسم جدهم مدين بن ابراهيم اي وارسلنا شعيبا
الى سلا كرم مدين بانواع الربح مدين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال المتكيل بالمكيال والميزان والموزون بالميزان اني اراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم
عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله فضلا ان تقابلوها بغير ما تفعلون واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره او من احاطة العدو والمراد عذاب الاست
ستيصال في الدنيا او عذاب الاخرة ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اتموهما بالقسط
بالعدل نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الامر
بالايفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه وجيء به مقيدا بالقسط ليكون
الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان ولا تبخسوا الناس اشياءهم
البخس النقص كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك ولا تعثوا
في الارض مفسدين العثي والعيث اشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز
ان يجعل البخس والتطفيف عيثا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال
بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مومنين بشرط ان تومنوا نعم
بقية الله خير للكفرة ايضا لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف الا ان فائدتها
تظهر مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس
صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شانه او المراد ان كنتم
مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم وما انا عليكم بحفيظ لنعم الله عليكم فاحفظوها
بترك البخس قالوا يا شعيب اصلواتك وبالتوحيد تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
وبان لا نفعل في اموالنا ما نشاء كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون
له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على
وجه الاستهزاء اصلواتك تامرك بترك عبادة ما كان يعبد اباؤنا وان نترك التبسط
في اموالنا بما نشاء من ايفاء ونقص ويجوز ان تكون الصلوة امرة مجازا كما سماها
الله ناهية مجازا انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال وهذه تسمية على القلب
استهزاء او انك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا يعني النبوة والرسالة او مالا
حلالا من غير بخس وتطفيف وجوابه ارايتم محذوف اي اخبروني ان كنت على حجة واضحة

من ربي وكنت نبيا على الحقيقة اتصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي
والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه
وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه
فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها
لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بال
بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا
منه لا الوا فيه جهدا وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما اتي واذر الا
بمعونته وتاييده عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع في السراء والضراء جرم مثل
كسب في تعديه الى مفعول والى مفعولين ومنه قوله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي
ان يصيبكم اي لا يكسبنكم خلافي اصابة العذاب مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم
صالح وهو الغرق والريح والرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد في الزمان فهم اقرب الهالكين
منكم او في المكان فمنازلهم قريبة منكم او فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوي
وسوى بين بعيد وقليل وكثير بين المذكر والمونث لورودها على زنة المصادر التي
هي الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم يفعل ال
الجميل مع المومنين ودود يحب اهل الود من الصالحين قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول اي لا نفهم صحة ما تقول والا كيف لا نفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وانا
لنراك فينا ضعيفا اي لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا وذليلا لا عز لك وقيل العمى
بلغة حمير قاله قتادة وفي هذا نحو العمى على الانبياء لان هذا اللفظ لا يصح الاست
لال في اثباته هو المعنى لانه ترك الظاهر من غير دليل وقيل ضعيف البصر فالاحسن
ولولا رهطك لرجمناك ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه
من اهل ملتهم فلذلك اظهروا الميل اليهم والاكرام لهم وما انت علينا بعزيز
اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك
لانهم من اهل ديننا وفي دخول ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في
الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في
جوابهم قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح

هذا الجواب انما قال ارهطي اعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم
دونه لان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه
اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا
ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر
والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الى الامس امسي ان ربي بما تعملون محيط
قد احاط باعمالكم علما ولا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم هي بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او مصدر من مكن مكانة فهو مكين اي اقدر من الشيء
يعني اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي واعملوا متمكنين من عداوتي
مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه
قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب او موصولة قد عمل فيها كانه
قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم
وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف
الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت
انت فقال سوف تعلمون واتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة وابلغها الاستيناف
وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر والرقيب بمعنى
الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى المراقب كالعشير او بمعنى المرتقب
كالرفيع بمعنى المرتفع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكره بالواو كما في قصة
عاد ومدين ولما جاء وفي اخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الوعد
وذلك قوله ان موعدهم الصبح وذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب
كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان لم يقعا بعد وعد فجيء بهما مبتدأ
بين وكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه الذي لا يريم يعني ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة
فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم
احياء متصرفين مترددين الا بعدا لمدين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد
بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرئ بعدت والمعنى في البناءين واحد وهو

نقيض

نقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا
بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين
المراد به العصا لانها ابهرها الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون وما امر
فرعون برشيد هو مجهول لتعميه حيث شاهدوا على امره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى
الالوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد فكيف يتبع في
عن الالهية وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا ان مع موسى الرشد والحق
ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط او المراد وما امره بصالح حميد العاقبة
ويكون قوله يقدم قومه يوم القيامة اي يتقدمهم وهو على عقبه تفسيرا له وايضاحا اي
كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل
ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي لان الماضي صح
يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان
قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه وبئس الورد المورود الذي
وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس
الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده واتبعوا في هذه
اي الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود
رفدهم اي بئس العون المعان او بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى خبره
نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها
من القرى قائم وحصيد اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه
والذي حصد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم
باس الله التي يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية من دون الله من شيء لما جاء امر
ربك عذابه ولما منصوب بما اغنت وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر
وتببه غيره او وقعه في الخسران يعني وما افادتهم عبادة غير الله شيئا بل اهلكتهم
وكذلك محل الكاف الرفع اي ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى اي اهلها
وهي ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم موجع شديد صعب على الماخوذ وهو تحذير

اكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فجعل كل ظالمة ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال
لامهال ان في ذلك فيما قص من قصص الامم الهالكة لآية لمن خاف عذاب الآخرة اي اعتبر
بصحته ووجوده ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس
هو يوم جمع مجموع كما هو جمع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فاوثر اسم المفعول على
فعله لما في اسم المفعول من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه اثبت ايضا لاسناد الجمع
الى الناس وانهم لا ينفكون منه مجمعون للحساب والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود
اي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به اي يشهد فيه الخلائق الموقف
لا يغيب عنه احد وما نؤخره اي اليوم المذكور الا لأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى
منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لأجل معدود
الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف او وما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهي المدة التي ضربت
لهذا البقاء الدنيا يوم يأت بالياء وبلا ياء مكي واثبته ابو عمرو ونافع وعلي في الوصل واثبات الياء
هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء بالكسرة كثير في لغة هذيل و
نظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف
الى يأت ويوم منصوب باذكر او بقوله لا تكلم اي لا تتكلم نفس الا باذنه اي لا يشفع
احد الا باذن الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فمنهم الضمير لاهل الموقف لانه لا
لا تكلم نفس عليه ولانه مذكور في قوله مجموع له الناس شقي معذب وسعيد اي ومنهم
سعيد اي منعم فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير هو اول نهيق الحمار وشهيق هو
اخره او هما اخراج النفس ورده والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار
خالدين فيها حال مقدرة ما دامت السموات والارض في موضع النصب اي مدة دوام السموات
والارض والمراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات
وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل ما دام فوق وتحت ولانه
لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء او عرش فكل ما اظلك فهو سماء او هو عبارة
عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد
الا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان اهل النار لا يخلدون
في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وانواع من العذاب سوى عذاب النار او ما
شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون

وهم

وهم المستثنون من اهل الجنة ايضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار اياما فهؤلاء
لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار
وهو مروي عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم ان ربك فعال لما يريد بالشقي
والسعيد واما الذين سعدوا وسعدوا حمزة وعلي من سعد لازم وسعده يسعده متعد
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود
في نعيم الجنة وذلك ان لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه او معناه
الا من شاء ان يعذبه بقدر ذنبه قبل ان يدخله الجنة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الاستثناء في الآيتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا انه لا يكون للمسلم العاصي
الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له ايضا خلود في الجنة لانه لا يدخل
الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في
هذا الباب وكفى به اثما مبينا عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية
كقوله لهم اجر غير ممنون وهو نصب على المصدر اي اعطوا عطاء قيل كفرت الجهمية
بأربع آيات عطاء غير مجذوذ اكلها دائم وما عند الله باق لا مقطوعة ولا ممنوعة
عنه لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمته وما اعد لهم من عذابه
قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعدما انزل اليك من هذه القصص
في سوء عاقبة عبادتهم لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم وقد بلغك ما نزل بآبائهم
فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما
مصدرية او موصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان
ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم
انصباءهم غير منقوص حال من نصيبهم اي كاملا ولقد آتينا موسى الكتاب
التوراة فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك انه لا يعاجلهم
بالعذاب لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستأصل وانهم

لفي شك منه من القرآن أو من العذاب مريب من أرابه إذا أوقعه في الريبة على الإسناد المجازي
وإن كلا التنوين عوض عن المضاف إليه يعني وإن كلهم أي وإن جميع المختلفين فيه وإن
مشددة لما مخفف بصري وعلي وما مزيدة جيء بها ليفصل بها بين اللامين ولام ليوفينهم
وهو جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم
ربك أعمالهم أي جزاء أعمالهم من إيمان وجحود وحسن وقبيح وبعكس الأول أبو بكر مخففان
مكي ونافع على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل ولأن إن تشبه
الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به ومشددتان
غيرهم وهو مشكل وأحسن ما قيل فيه إنه من لممت الشيء جمعته لما ثم وقف فصار
لما ثم أجري الوصل مجرى الوقف وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه ألف
التأنيث من المصادر وقرأ الزهري وإن كلا لما وهو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وإن كلا
ملمومين أي مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون
وقال صاحب الإيجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل الكلام اختصار كأنه قيل وإن كلا
لما بعثوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائي ليس لي بتشديد لما علم إنه بما يعملون
خبير فاستقم كما أمرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل
عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وجاز للفاصل أي فاستقم أنت وليستقم
من تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصا ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون
بصير فهو مجازيكم فاتقوه قيل ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد ولا أشق
عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني سورة هود ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ولا تميلوا
قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذا خطاب للأتباع دون الكبرة أي لا تركنوا إلى القادة والكبراء
في ظلمهم وفيما يدعونكم إليه فتمسكم النار وقيل الركون إليهم الرضا بكفرهم وقال
قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق أنه صلى خلف الإمام فلما قرأ هذه الآية غشي
عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل
الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء
الزائرون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه
ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل

لم

لم يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من أولياء حال من قوله فتمسكم النار
أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء
يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم
هو لأنه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد أي النصرة من الله مستبعدة
وأقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل جمع زلفة
وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة
العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع
النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف
إليه إن الحسنات يذهبن السيئات إن الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث إن الصلوات
الخمس تكفر ما بينها من الذنوب أو الطاعات قال عليه السلام أتبع السيئة
الحسنة تمحها أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ذلك إشارة إلى قوله
فاستقم فما بعده أو القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين نزلت في عمرو بن غزية بائع
التمر قال لامرأة في البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاء حاكيا باكيا فنزلت
فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقيل أله خاص
قال بل للناس عامة واصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا تتم
إلا به فإن الله لا يضيع أجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على جميع الأوامر
والنواهي من قوله فاستقم إلى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من
القرون من قبلكم فهلا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل
أولو بقية أولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لأن الرجل يستبقي
مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية
القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ينهون عن
الفساد في الأرض تعجيب محمد عليه السلام وأمته أن لم يكن في الأمم التي ذكر الله
إهلاكهم في هذه السورة جماعة من أولي العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر
والمعاصي إلا قليلا ممن أنجينا منهم استثناء منقطع أي ولكن قليلا ممن أنجينا من

القرون ينهون عن الفساد وسائرهم تاركوا النهي ومن في ممن انجينا للبيان لا للتبعيض لان
النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
واتبع الذين ظلموا اي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمر اي الا قليلا
ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا
ما اترفوا فيه اي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب
اسباب العيش الهني ورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم
وكانوا مجرمين اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان ربك
ليهلك القرى اللام لتاكيد النفي بظلم حال من الفاعل اي لا يصح ان يهلك القرى ظالما
لها واهلها مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك اي لا يهلك القرى
بسبب شرك اهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا
اخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي متفقين على الايمان والطاعات عن اختيار
ولكن لم يشا ذلك وقالت المعتزلة هو مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز
ولا يزالون مختلفين في الكفر والايمان اي ولكن شاء ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار
ذلك الا من رحم ربك الا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين
فيه ولذلك خلقهم اي ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذي علم انهم يصيرون
اليه من اختلاف او وفاق ولم يخلقهم لغير الذي علم انهم يصيرون اليه كذا في شرح التاويلات
وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
لعلمه لكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل
نبا وهو منصوب بقوله نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وقوله ما نثبت
به فؤادك بدل من كلا وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء
المقتصة ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه
لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم
على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون على مكانتنا وانتظروا
بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة باشباهكم
ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى
عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم
يرجع

269

يرجع نافع وحفص فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما
تعملون وبالتاء مدني وشامي وحفص اي انت وهم على تغليب المخاطب قيل خاتمة التوراة
هذه الآية وفي الحديث من احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله تعالى سورة
يوسف عليه السلام مائة واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات
التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب او التي
تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب
معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف
فقد روي ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام انا انزلناه قرآنا عربيا اي انا انزلنا هذا الكتاب
الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا
لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه ولو
جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص عليك احسن القصص نبين لك
احسن البيان والقاص الذي ياتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص
يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا ويكون فعلا
بمعنى مفعول كالنفض والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما
اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا
نصب المصدر لاضافته اليه والمقصوص محذوف لان بما اوحينا اليك هذا القرآن
مغن عنه والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب
فانك لا ترى اقتصاصه في كتب الاولين مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان اريد
بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث
وانما كان احسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي ليست في غيرها
والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال فلان اعلم الناس اي في فنه واشتقاق
القصص من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا
وان كنت من قبله الضمير يرجع الى ما اوحينا لمن الغافلين عنه ان مخففة من الثقيلة
واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا
اليك من الجاهلين به قيل لا بل اشتمال من احسن القصص لان الوقف يحمل على القصص

او التعويض اذكر يوسف اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب
اخر سوى التعريف لابيه يعقوب يا ابت بالكسر انت شامي وهذا التانيث عوضة عن يا اذ
حاضة لتناسبهما في ان كلا منهما زائدة في اخر الاسم ولهذا انقلب هاء في الوقف
وجاز الحاق تاء التانيث المذكر كما في رجل ربعة وكسرة التاء للدلالة على الياء المحذوفة
ومن فتح التاء فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل
من حذف الياء في يا غلام اني رايت في المنام احد عشر كوكبا والشمس والقمر
بيان النبي صلى الله عليه وسلم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين والشمس والقمر
هما ابوه وامه او خالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب
مع الشمس والقمر واجريت مجرى العقلاء في رايتهم لي ساجدين لانه وصفها بما هو
المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤية لان الاولى تتعلق بالذات والثانية
بالحال والثانية كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان اباه قال
له كيف رايتها فقال رايتهم لي ساجدين اي متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتي
عشرة سنة او سبع عشرة وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة او ثمانون
قال يا بني بفتح الياء حيث كان حفص لا تقصص رؤياك هو بمعنى الرؤية
الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث
كما في القربة والقربى على اخوتك فيكيدوا لك كيدا جواب النهي اي فيحتالوا
عليهم كادوا عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف
الدارين فخاف عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدوني لانه ضمن
معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن
فيكون اكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى لما كيد
بالمصدر ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد
والكيد وكذلك ومثل ذلك الاجتباء الذي دل عليه رؤياك يجتبيك ربك يصطفيك واصل
جتبا اذا اصطفاه افتعال من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض
جمعته ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك
من تاويل الاحاديث اي تاويل الرؤيا وهي عبارتها وتفسيرها وكان يوسف

اعبر

اعبر الناس للرؤيا وبلفظ احاديث لانها انباء وكتب اسم الله وهو اسم جمع للحديث
وليس بجمع احدوثة ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب بان وصل لهم نعمة الدنيا
بنعمة الاخرة اي جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى
في الجنة وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره
على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام
ولكن اهله وانما علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء
الكواكب كما اتمها على آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل لان العرب تسمي الجد
ابا ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم يضع الا
شيا في مواضعها لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات
ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شي آية للسائلين لمن سال عن قصتهم
وعرفها او آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم
هم من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب واسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وريالون ويشجر ودينة امهم ليا ودان ونفتالي وجاد واشر من
سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا اللام للابتداء وفيها تاكيد
وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا
اخوه وهم اخوته ايضا لان امهما كانت واحدة وانما قيل احب في الاثنين لان افعل لا
يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر والمؤنث ولابد من الفرق مع لام التعريف
واذا اضيف ساغ الامران والواو في ونحن عصبة للحال يعني انه يفضلهما
في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه
فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان
ابانا لفي ضلال مبين غلط في تدبير امر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا
والعصبة العشرة فصاعدا اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا
كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون
والباقون كانوا راضين فجعلوا الامر لهم اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة

من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد
سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم
لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه وجاز ان يراد بالوجه الذات كما قال تعالى
ويبقى وجه ربك وتكونوا مجزوم عطفا على يخل لكم من بعده من بعد يوسف اي من بعد
كفايته بالقتل او التغريب او من بعد قتله او طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا
او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله تعالى مما جنيتم عليه او يصلح حالكم عند ابيكم قال
قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه
في غيابات الجب في قعر البير وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما يحوزه هوي
يلتقطه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق ان كنتم فاعلين به شيئا
قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا لم لا تامنا بالاطلاع على يوسف وانا له لناصحون اي لم تخافنا عليه ونحن
نريد له الخير ونشفق عليه وارادوا به انهم لما عزموا على كيد يوسف استنزلوه عن رايه
وعادته في حفظه منهم وفيه دليل انهم احس منهم بما اوجب ان لا ياتمنهم عليه ارسله
معنا غدا نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها والرتعة السعة ونلعب نتفرج بما يباح
كالصيد والرمي والركض بالياء فيهما مدنيين كوفيين وبالنون فيهما مكي وشامي وابو
عمرو وبكسر العين حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي وانا له لحافظون من ان ينال
بمكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به اي يحزنني ذهابكم به واللام لام الابتداء واخاف
ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان
لا يصبر عنه ساعة واحدة وانه يخاف عليه من عدوة الذيب اذا غفلوا عنه برعيهم
ولعبهم قالوا لئن اكله الذيب اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله
لئن اكله والواو في ونحن عصبة للحال اي فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع انا اذا لخا
سرون اي جبناء العجز عجزاء الشركة اي ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت
مواشينا اذن وخسرناها واجابوا عن عذره الثاني دون الاول لان ذلك كان يغيظهم
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب اي عزموا على القائه في البير وهي
بير على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف وتقديره فعلوا
به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة وضربوه

وكادوا

271

وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يديه فتعلق بحائط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به
على ابيهم ودلوه في البير وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو
يبكي وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد
عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق
واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فاخرجه جبريل
والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وزكريا عليهما
السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا لتنبئنهم لتحدثن اخوتك بامرهم هذا بما فعلوا
معك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وذلك انهم
حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره
فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وانكم
القيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيه اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس او يتعلق
وهم لا يشعرون باوحينا اي انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون
ذلك وجاءوا اباهم عشاء للاستتار والتجسر على الاعتذار يبكون حال عن الواو
بمعنى التصوير باكين بعد اخوتهم يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
اي نتسابق في العدو او في الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا
بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه بدم كذب ذي كذب
او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه
والزور بذاته روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان
يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم
ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث
ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا

على رؤية يوسف فمزقوه وحملوا على قميصه الغضب على الطرف وكانه قيل فما جاؤوا
فوق قميصه بدم قال يعقوب عليه السلام بل سولت زينت او سهلت لكم انفسكم
امرا عظيما ان تكتموه فصبر جميل خبرا او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل امثل وهو ما لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان اي الاستعانة
على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة
تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطؤوا الطريق
فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب
حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم اسمه
مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه ارسل الدلو ليملأها فتشبث يوسف بالدلو
فنزعه قال يا بشراي كلمة نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا اوانك وقيل هو
بشرى على اضافته الى نفسه او هو اسم غلام فناداه مضافا الى نفسه هذا غلام
فقيل غلام به فلما ناداه من اصحابه صاح بذلك ليبشرهم واسروه الضمير للوارد وا
صحابه اخفوه من الرفقة او الاخوة بيوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلامنا قد ابق
فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة حال اي اخفوه متاعا للتجارة
والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون بما يعمل اخوة
يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه باعوه بثمن بخس مبخوس
ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة تعد عدا ولا
توزن لانهم كانوا يعدون ما دون الاربعين ويزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين
درهما وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف
او مخسوا وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين اي غير
راغبين لانهم اعتقدوا انه ابق ويروى ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا
منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين اي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على المو
صول وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه
من مصر هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان
بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا
او مسكا

او مسكا وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان
بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتو
في وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته واسمها راعيل او زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه
اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي
احسن مثواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطيء فراشه عسى ان ينفعنا
لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله او نتخذه
ولدا او نتبناه او نقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك
وكذلك اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب
تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا ليوسف اي كما انجيناه وعطفنا
عليه العزيز كذلك مكناه في الارض اي ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها
بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين والله غالب
على امره لا يمنع عما يشاء او على امر يوسف يبلغه ما اراد له دون ما اراد اخوته
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما بلغ اشده منتهى استداد قوته وهو ثماني عشرة
سنة او احدى وعشرين آتيناه حكما وعلما حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب
ما يجهل فيه او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان
محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اي طلبت
يوسف ان يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى
خادعته عن نفسه اي فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه
من يده يحتال ان يغلبه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الا
بواب وكانت سبعة وقالت هيت لك هو اسم لتعال واقبل وهو مبني على
الفتح هيت مكي بناه على الضم هيت مدني وشامي واللام للبيان كانه قيل لك اقول
هذا كما تقول هلم لك قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اي ان الشان
والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي
مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله انه لا يفلح الظالمون الخائنون او الزناة
او اراد بقوله انه ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به هم عزم
وهم بها هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله تعالى

وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها
لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين وقيل وهم بها وشارف أن يهم بها
يقال هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه وجواب لولا ان راى برهان ربه محذوف اي
لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه لا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليه لانه في حكم
الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخلا في حكم القسم
في قوله ولقد همت به ويجوز ان يكون خارجا ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم
وجعله كلاما برأسه ان يقف على به ويبتدئ بقوله وهم بها وفيه ايضا اشعار بالفرق بين
الهمين وفسر هم يوسف بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية
على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها ثم سمع ثانيا فاعرض عنه
فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هي
راودتني عن نفسي ولو كان ذلك منه ايضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الآن
حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت
توبته واستغفاره كما ذكر آدم ونوح وذي النون وداود عليهم السلام وقد
سماه الله تعالى مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة
اولي العزم ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله تعالى الثناء فمحل الكاف
في كذلك نصب اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او رفع اي الامر مثل ذلك لنصرف
عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين بفتح اللام حيث
كان مدني كوفي اي الذين اخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم اي الذين اخلصوا
دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين واستبقا
الباب وتسابقا الى الباب هي للطلب وهو للهرب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله
واختار موسى قومه سبعين رجلا او على تضمين استبقا معنى ابتدرا فنفر منها يوسف
فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وان كان
جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار
ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج وقدت قميصه

من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه وألفيا
سيدها لدى الباب وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد ان يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها
ومن مكرها حيث قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية
اي ليس جزاؤه الا السجن او عذاب اليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف
وانه اراد بها سوءا لانها قصدت العموم اي كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان
يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن
والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه قال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم
عليها ولم يفضحها وشهد شاهد من اهلها وهو ابن عم لها وانما القى الله الشهادة
على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وقيل كان
ابن خال لها وكان صبيا في المهد وسمي قوله شهادة لانه ادى مؤدى الشهادة
في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والتقدير وشهد
شاهد فقال ان كان قميصه وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع
خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن
نفسها فيتخرق قميصه من قبل واما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقال لها قبل
ومن جهة يقال لها دبر واما جمع بين ان التي هي للاستقبال وبين كان فلان المعنى ان
يعلم انه كان قميصه قد فلما رأى قميصه قد من دبر وعلم براءة يوسف وصدقه
وكذبها قال انه اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو الاحتيال
لنيل الرجال من كيدكن الخطاب لها وللجواري ان كيدكن عظيم لان النساء الطف كيدا واعظم
حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق
وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى قال
ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء
لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر
واكتمه ولا تحدث به ثم قال لراعيل واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين
من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير

تغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول
وقال نسوة جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب
الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيث
فعلها غير حقيقي ولذلك لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز
يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب تراود فتاها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي
وجاريتي عن نفسه لتنال شهوتها منه قد شغفها حبا تمييز اي قد شغفها حبه
اي خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب او جلدة رقيقة
يقال لها لسان القلب انا لنراها في ضلال مبين في خطإ وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها
وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن
الخمس المذكورات واعتدت وهيات لهن من الطعام متكئا ما يتكئن عليه من
النمارق ~~وهيات لهن من الطعام~~ نمارق فحضرن تلك الضيافة وهن
فقعدن متكئات والسكاكين في ايديهن اي يريد ان يدهشن عند رؤيته ويشتغلن عن نفوسهن
بهن فتقع ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده واتت
كل واحدة منهن سكينا وكانوا لا ياكلون في ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل
الاعاجم وقالت اخرج عليهن بكسر التاء بصري وعاصم وحمزة وبضمها
غيرهم فلما راينه اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان
فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على النجوم في السماء وكان
اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران وكان يشبه ادم عليه السلام
يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء
للسكت اذ لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال اكبرت المراة اذا
حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكان ابا الطيب
اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت
في الخدور العواتق وقطعن ايديهن وجرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي

بدين

بدين تريد جرحتها اي اردن ان يقطعن الطعام الذي في ايديهن فدهشن لما راينه فخدشن
ايديهن وقلن حاش لله حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء
القوم حاشا زيد وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى
حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وقراءة ابي عمرو حاشا لله نحو قولك سقيا لك كانه
قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرا وينزه وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة
والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم نفين عنه البشرية لغرابة جماله واثبتن له الملكية وبتتن
بها الحكم لما ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في
انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه حق صورته ولو صورتنه في الا
فتتان به ولقد راودته عن نفسه فاستعصم الاستعصام بناء مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة
منها وهذا بيان جلي على ان يوسف عليه السلام بريء مما فسر به اولئك الفريق الهم
والبرهان ثم قالت ولئن لم يفعل ما امره الضمير راجع
الى ما وهي موصولة والمعنى ما امر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير او ما
مصدرية والضمير يرجع الى يوسف اي ولئن لم يفعل امري اياه موجب امري ومقتضاه
ليسجنن ليحبسن وليكونا من الصاغرين بالنون للتوكيد الخفيفة من الصاغرين مع
السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبي وابق مني وسفك دمي بالفراق فلا يهنا له
الطعام والشراب والنوم هنا كما منعني هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثقال ذرة من العز
على السرار يراميرا حصل في الحسير على الحصير حسيرا فلما سمع يوسف تهديدها
قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك
لو اجبت مولاتك واختلت كل واحدة به فدعته الى نفسها سرا فالتجا الى ربه وقال
رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الله
في طلب العصمة اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا

لان النفوس تصبوا اليها الطبع بتسميتها او روحها والحر من الجاهلين من الذين لا يعملون بما
يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء ولما كان في قوله والا
تصرف عني كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال فاستجاب له ربه اي اجابه الله تعالى
دعاءه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم بحاله وحالهن
ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم اي ظهر
لهم راي والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الآيات وهي الشواهد على براءته
كقد القميص وشهادة الصبي وغير ذلك ليسجننه لابلاء عذر الحال وارخاء الستر على
القيل والقال وما كان في الحال اذا لم يستقل المراة اي وجهها وكان مطواعا لها وجميلا
ذلولا زمامه في يدها وقد طمعت ان يذلله السجن ويسخره لها او خافت عليه العيون
وظنت فيه الظنون فالجاهل العامل الناس والوجل من الناس الى ان ضيق
بالحجاب مكان خوف الافهاء لتشتغل بخبره اذا امتحنه مرتبطة حتى حين الى
زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه ودخل معه السجن فتيان
عبدان للملك خبازه وشرابيه تهمهما بالسم فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف لان
مع يدل على الصحبة تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما
السجن مصاحبا له قال احدهما اي شرابيه اني اراني اي في المنام وهي حكاية
حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه او الخمر بلغة عمان اسم
للعنب وقال الاخر اي خبازه اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا
بتاويله نبئنا بتاويل ما رايناه انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا او من المحـ
المحسنين الى اهل السجن فانك تداوي المريض وتعزي الحزين وتوسع على الفقير فا
حسن الينا بتاويل ما رايناه قيل انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني كاني
في بستان فاذا اصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس
الملك وسقيته وقال الخباز اني رايت كان فوق راسي ثلاث سلال فيها انواع
الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتاويله بيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب بتبكما
لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو

جوف

275

جوف علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن
قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون
كما اخبر وجعل ذلك تخلصا الى ان يدعوهما الى التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه
لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته
في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه
لم يكن من باب التزكية ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار
بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا
لما قبله اي علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك وهم اهل مصر ومن كان
الفتيان على دينهم واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب وهي الملة الحـ
الحنيفية وتكرير لهم للتوكيد وذكر اباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما
انه نبي بما ذكر من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في اتباع قوله والمراد به الترك ابتداء
لا انه كان فيه ثم تركه ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله
من شيء اي شيء كان صنما او غيره ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى
الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله فيشركون به ولا ينتبهون يا صاحبي
السجن يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ءارباب متفرقون خير ام الله
الواحد القهار يريد التفرق في العدد والتكاثر اي ان تكون ارباب شتى
يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا
يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام
ما تعبدون خطاب لهما ولمن كان على دينهما من اهل مصر من دونه من دون الله
الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم اي سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم
تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها
سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ما انزل الله بها من سلطان
من سلطان حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا
تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن اكثر

الناس لا يعلمون وهذا يدل على ان العقوبة تلزم الجبر وان جهلها اذا امكن له العلم بطريقه
ثم عبر الرؤيا فقال يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده
خمرا اي يعود الى عمله واما الاخر اي الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه روي انه
قال للاول ما رايته من الكرمة هو الملك وحسن حالك عنده
واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن
ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه ثم قال للثاني ما رايته من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج
فتقتل فلما سمع الخباز صلبه قال ما رايت شيئا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي تم وقطع ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما اي ما يؤول اليه من العاقبة وهي
هلاك احدهما ونجاة الاخر وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف عليه
السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظن بمعنى اليقين وقص
عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فالظان هو الساقي اي ان يكون الظن
بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفتي عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني
ويخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الساقي ان يذكره ذكر ربه ان يذكره
لربه او عند ربه او فانسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله في الحديث
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن بضع سنين وقال الملك
اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات لما دنا فرج يوسف عليه السلام راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة
هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت
العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات
قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبر
ها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها فقيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان
سبب نجاته ايضا الرؤيا وسمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف
الهزال الذي ليس بعده سمانة والسبب في وقوع عجاف جمع العجفاء وافعل
وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دابهم حمل النظير على النظير
والنقيض على النقيض وفي الاية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا
كالخضر لان الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف

والسنابل

والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات
بمعنى وسبعا اخر يا ايها الملا كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء افتوني في
رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام في الرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
او لان المعمول به اذا تقدم على العامل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه
فعضد بها كقولك عبرت الرؤيا ولو للرؤيا عبرت او يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان
لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر وحقيقة عبرت
الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه
وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف
هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر قالوا
اضغاث احلام اي هي اضغاث احلام اي تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث
نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد
ضغث فاستعيرت للرؤيا الكاذبة والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام وانما جمع وهو
حلم واحد لتزيد في وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قص عليهم مع هذه الرؤيا
غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين ارادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا
ليس عندنا تاويل لها انما التاويل للمنامات الصحيحة او اعترفوا بقصور علمهم وانهم
ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وقال الذي نجا من القتل منهما صاحب السجن
وادكر بالدال اوادغمت التاء في الثانية لتقارب المخرجين وعن الحسن اذكر ووجهه
انه قلب التاء ذالا وادغم اي تذكر يوسف وما شاهده منه بعد امة بعد مدة
طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في الرؤيا واعضل اي اشكل على الملا تاويلها
تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره
عند الملك انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه فارسلون ولى الى
يعقوب فانطلق به اليه لانه السلام فارسلوه فاتى يوسف فقال
يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق انما قال له ذلك لانه ذاق احواله
وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول افتنا في سبع
بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
لعلي ارجع الى الناس اي الملك واتباعه لعلهم يعلمون فضلك ومكانك

من العلم فيطلبوه ويخلصوه من محنته قال تزرعون سبع سنين دأبا هو خبر بمعنى الامر
كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون بدليل قوله فذروه في سنبله وانما
يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المامور به فيجعل كانه موجود فهو
يخبر عنه دابا بسكون الهمزة وفتحها وهما مصدرا داب في العمل وهو حال من الما
مورين اي دائبين فما حصدتم فذروه في سنبله كيلا ياكله السوس الا قليلا
مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن هو من
اسناد المجاز جعل اكل اهلهن مسندا اليهن ما قدمتم لهن اي في السنين المخصبة
الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبئون ثم ياتي من بعد ذلك عام اي من بعد
اربعة عشر سنة فيه يغاث الناس من الغوث اي يجابون فيستغيثهم او من الغيث
اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون
والسمسم فيتخذون الادهان وقرئ اهل يعصرون بالتاء وعلى تاويل البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة
ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرويا بان العام الثامن يجيء مباركا كثير الخير غزير
النعم وذلك من جهة الوحي وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول ليخرجه من
السجن قال ارجع الى ربك اي الملك فاساله ما بال النسوة اي حال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن انما تثبت يوسف وتانى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة
ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح
امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين
الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الو
قوف في مواقفها وقال عليه السلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر
له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط
ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه
ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر ان كان
لحليما ذا اناة ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت
فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي بكيدهن عليم
اي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو مجازيهن عليه ورجع الرسول الى الملك من
عند

عند يوسف بن يعقوب من مقالة النسوة المقطعات ايديهن وقول امرأة العزيز
ثم قال لهن ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه
ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ظهر واستقر انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة
والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرف به ثم رجع الرسول
الى يوسف واخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها
فقال يوسف ذلك اي امتناعي من الخروج والتثبت لظهور البراءة ليعلم اني لم
اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته وبالغيب حال من الفاعل او المفعول على معنى
وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ليعلم الملك اني لم اخن العزيز وان الله
لا يهدي كيد الخائنين لا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها
ثم اراد ان يتواضع لله تعالى ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين ان ما فيه
من الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها
بالبراءة الكلية ولا ازكيها في عموم الاحوال او في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم
الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم ان النفس لامارة بالسوء
اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم
ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان
اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة او هو
استثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام
امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه
في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة
فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته
السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت
ربها واسترحمته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر
لان المعنى يقوى اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتاخيره اي قوله ذلك ليعلم
متصل بقوله فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وقال الملك ائتوني به

استعمله لنفسه اجعله الها النعمى عليا كليه وشاهد منه ما لم يحتسب قال
الملك ليوسف انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين ومحرج لي كل شيء روي
ان الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك
فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار
والانعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الوافعات وكتب على باب السجن
هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل
وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها
فاجابه بجميعها فتعجب الملك منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي
منك قال رايت بقرات فوصفهن لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل
السنابل وما كان على الهيئة التي راها الملك وقال له من حقك ان تجمع الطعام
في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك الكنوز ما لم يجتمع
لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه قال يوسف اجعلني على خزاين الارض
ولنحو ان ايار بهذا يعني مصر اني حفيظ امين احفظها مما تستحقه عليم
عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولو
نه وانما طلب الولاية ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن
مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك
فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفي الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم
يقل اجعلني على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة قالوا وفيه
دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عمالة من يد سلطان جاير وقد كان السلف يتولون
القضاء من جهة الظلمة واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع
الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن
رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له وكذلك الاوصاف مثل السك
التي كي الظاهر وكذلك مكنا ليوسف في الارض ارض مصر وكانت اربعين فرسخا في اربعين
والتمكين الاقدار واعطاء المكنة يتبوا منها حيث يشاء اي كل مكان اراد ان يتخذه
منزلا لا يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكن نصيب
برحمتنا

برحمتنا بعطانا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة
ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين في الدنيا ولاجر الاخرة خير للذين امنوا يريد
يوسف وغيره من المومنين الى يوم القيامة وكانوا يتقون الشرك والفواحش قال سفيان
بن عيينة المومن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا
وماله في الاخرة من خلاق وتلى هذه الاية روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال اما السرير فاشد به ملكك
واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فجلس على
السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه
الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبته فوجدها بكرا فولدت
له ولدين افرايم ومنشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه
الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير
في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر في الثانية ثم بالد
واب في الثالثة ثم بالعبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم
باولادهم في السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم جميعا ثم اعتق اهل مصر
عن اخرهم ورد عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين اكثر من حمل بعير وا
صاب ارض كنعان نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واوقف اخاه
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم بلا تعريف وهم له منكرون لبعد العهد
ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهم فارقوه وهو صبي وقد اتى لهم وكلموه
بالعبرانية فقال اخبروني من انتم وما شانكم قالوا نحن قوم من اهل الشام
رعاة اصابنا الجهد فجينا نمتار فقال لعلكم جيتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا
معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من انبياء الله اسمه
يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد ولما جهزهم بجهازهم اعطى كل واحد
منهم حمل بعير وقال ايتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني
اوفي الكيل وانا خير المنزلين وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم وغيبتهم
بهذا الكلام على الرجوع اليه فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون

ولا تقربون اي فان لم تاتوني به فلا تعودوا ولا تقربوا بلادي وهو داخل في حكم الجزاء مجزوم ومعطوف
على محل فلا كيل لكم او هو بمعنى النهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه
ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى قال بعضهم
بعضكم رهنا حتى تجيئوا عنده تشفعون وكان احسنهم رايا في يوسف وقال لفتيانه كوفي
غير ابي بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة اي لغلمانه الكيالين اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اوعيتهم وكانت نعالا
او ادما او ورقا وهو التي بالذهب في الرحال لعلهم يعرفونها يعرفون حق ردها
وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا او راى انهم لا يجدون بضاعة بها يرجعون او ما
فيهم من الديانة يعيدهم لاجل الامانة او لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا فلما
رجعوا الى ابيهم بالطعام واخبروه بما فعل قالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون قول
يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا منع الكيل فقد منع الكيل
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه
يكتل حمزة وعلي اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله
مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعني انكم قلتم في يوسف
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم
فما يؤمنني من ذلك ثم قال فالله خير حافظا كوفي غير ابي بكر فتوكل على الله فيه
ودفعه اليهم وهو حال او تمييز ومن قرا حفظا فهو تمييز لا غير وهو ارحم الراحمين فارجو
ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حافظا
قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك ابنيك كليهما ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما للنفي اي ما نبغي في القول ولا نتجاوز
الحق او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نبغي منك بضاعة اخرى او للا
ستفهام اي اي شيء نطلب وراء هذا هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة
موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها اي ان بضاعتنا ردت الينا
فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك اي نجلب لهم الميرة وهي طعام
يحمل من غير بلدك ونحفظ اخانا في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد
باستصحاب اخينا كيل بعير وسق بعير ذلك كيل يسير سهل عليه متيسر

لا يتعاظمه قال لن ارسله معكم حتى تؤتون وبالياء مكي موثقا عهدا من الله والمعنى
حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف
بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وقد اذن الله في ذلك فهو
اذن منه لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم
الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت وهو قوله لتاتنني
به في تاويل النفي اي لا تمتنعوا من الاتيان به الا للاحاطة بكم يعني لا تمتنعون منه لعلة
من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له
والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تاويله بالنفي فلما اتوه موثقهم
قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام قال بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب
الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع غير ان السكتة
تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالاولى ان يفرق بينهما بصوت فيقصد بقوة
النغمة اسم الله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
الجمهور على انه خاف عليهم من العين لجمالهم وجلالة امرهم ولم يامرهم بالتفرق في الكرة
الاولى لانهم كانوا مجهولين والكرة الاولى في العير حين عرفوا وحوذر ان يصيبوا
الله تعالى عن النظر الى الصفة والا صحاب به تغلط فيه وقالوا وكان النبي عليه
السلام يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة
ومن كل عين لامة وانكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل خاف ان
يغتالهم اعداؤهم فلا يخالف الراوي بهلاكهم وما اغني عنكم من الله من شيء
اي ان كان اراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق
وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم دخولهم من ابواب متفرقة من الله من شيء
اي شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم
وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصاع في رحله وتضاعف المصيبة
على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها
وهي شفقته عليهم وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر

لا يخفى عنه الخبر بما علمناه لتعليمنا اياه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما دخلوا على
يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا هذا اخونا قد جئنا به
فقال لهم احسنتم فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة
فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال
يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله فقال له اتحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا
راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم قال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا
يعملون فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك
وروي انه قال له فانا لا افارقك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد
غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان اشهرك بامر لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فقال اني
ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم
فقال افعل فلما جهزهم بجهازهم هيأ اسبابهم واوفى الكيل لهم جعل السقاية
هي مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال
به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة او ذهب في رحل اخيه ثم اذن
مؤذن ثم نادى منادي نداء يعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك
منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا
ثم قيل لهم ايتها العير هي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء والمراد
اصحاب العير انكم لسارقون كناية عن سرقتهم اياه من ابيه قالوا واقبلوا عليهم
ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك وهو الصاع ولمن جاء به حمل بعير وانا به
زعيم يقوله المؤذن زعيم وانا بحمل البعير كفيل واؤديه الى من جاء به واراد
وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف
اليهم لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم
من دينهم ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين
وما كنا نوصف قط بالسرقة قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته
ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء

سرقته

سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في دين آل يعقوب ان يسترق سنة
فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق
بنفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره كذلك نجزي
الظالمين اي السارقين بالاسترقاق فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه فبدأ بتفتيش اوعيتهم
قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا
والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي الصواع
من وعاء اخيه ذكر ضمير الصواع مرة ثم انثه لان التانيث يرجع الى السقاية او لان
الصواع يذكر ويؤنث الكاف في كذلك في محل النصب اي مثل ذلك الكيد العظيم
كدنا ليوسف يعني علمناه اياه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد
وبيان له لان الحكم في دين الملك اي في سيرته للسارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان
يستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ليأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات
من نشاء بالتنوين كوفي من نشاء اي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وفوق كل ذي
علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم
وهو الله تعالى عز وجل قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اراد به يو
سف قيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل
كان في المنزل دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت منطقة لابراهيم عليه
السلام يتوارثها الاكابر من ولده فورثها اسحاق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر
اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب
اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه
وقالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف
فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروي انهم
لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه
وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء حتى اخذت
هذا الصواع فقال بنو راحيل لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه

ووضع هذا الصواع في رحل اخيه وضع البضاعة في رحالكم واسرها اي مقالتهم
انه سرق كانه لم يسمعها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا تمييز اي
انتم شر منزلة في السرق لانكم سرقتم اخاكم يوسف من ابيه والله اعلم بما تصفون
تقولون او تكذبون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا تعولون او تكذبون فخذ احدنا
مكانه بدله على وجه الاسترقاق او الاستعباد فان اباه يتسلى به عن اخيه المفقود
انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغير
ها قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اي نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ
فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من انا اذا لظالمون اي جوابا لهم وجزاء لان
المعنى ان اخذنا بدله ظلما وهذا لانه وجب على فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله
واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم
فلما استيأسوا منه يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما في استعجب منه من يو
سف واجابته اياهم خلصوا انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا
ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا او تمحضوا تناجيا
لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي
كالسمير بمعنى السامر ومعنى المصدر الذي هو التناجي وكان تناجيهم في تدبير
امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم قال كبيرهم
في السن وهو روبيل او في العقل والراي وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون
الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما صلة
اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية ومحل
المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل
من قبل تفريطكم في يوسف فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي
في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالموت او بقتالهم وهو خير
الحاكمين لانه لا يحكم الا بالعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته
وتيقنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه

سيسرق

سيسرق وحين اعطيناك الموثق واسال القرية التي كنا فيها يعني مصر اي ارسل
الى اهلها واسالهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحاب العير وكانوا
قوما من كنعان من جيران يعقوب وانا لصادقون في قولنا فرجعوا الى ابيهم
وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فمن
ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم فصبر جميل عسى
الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه وكبيرهم انه هو العليم بحالهم في الحزن
والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما
جاءوا به وقال يا اسفا على يوسف اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه
والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف غير متكلف
ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا وانما تاسف على يوسف دون اخيه وكبيرهم لتمادي اسفه خيه
على يوسف دون الاخيرين وفيه دليل على ان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا
عنده طريا اذ ذكر الاستعبار وتحققت الحسرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر فقيل وابيضت عيناه
قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا من الحزن كان الحزن سبب البكاء
الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب
من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم من
يعقوب ويجوز للنبي ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على
ان لا يملك نفسه عند الحزن ولذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا
عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجو
ه وتمزيق الثياب فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم
فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده
على ملئه قالوا تالله تفتؤا اي لا تفتؤا فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذ لو
كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون والمعنى لا تفتؤ الا ان تذكر يوسف حتى
تكون حرضا مشفيا على الهلاك مرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي

وحزني الى الله البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره
اي لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني
وشكايتي وروي انه اوحى اليه يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم
مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه
المساكين وقيل اشتري جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله
ما لا تعلمون واعلم من رحمته انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه راى ملك
الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وعلمه
هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع ابدا ولا يحصيه غيرك فرج عني يا بني
اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تقنطوا من رحمة الله وفي حجة ابن الحاجي و
والشك لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لانه من امن يعلم انه متقلب في رحمة
الله ونعمته واما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في رحمته فييأس من رحمته
فخرجوا من عند ابيهم راجعين الى مصر فلما دخلوا عليه على يوسف قالوا يا ايها العزيز
مسنا واهلنا الضر الهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت
دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا فاوف لنا الكيل الذي
هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة
او زدنا على حقنا او هب لنا اخانا ان الله يجزي المتصدقين ولما قالوا مسنا
واهلنا الضر تضرعوا اليه وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك
ان عرفهم نفسه حيث قال هل علمتم ما فعلتم اي هل علمتم قبح ما فعلتم
بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه او اذ انتم في حد السفه والطيش وفعلهم
باخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه وامه واذايتهم له بانواع الاذى قالوا
ائنك عرفوه بروائه وشمائله لانت يوسف اللام لام الابتداء وانت مبتدا ويوسف
خبره والجملة خبر ان قال انا يوسف وهذا اخي وانما ذكر اخاه وهم قد سالوه
عن نفسه لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه قد من الله علينا بالالفة
بعد الفرقة ذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدا بالملامة انه من يتق

الفحشا

الفحشاء ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم
فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه
ويصبر على بلواه لا يضيع اجره في الدنيا والعقبى قالوا تالله لقد اثرك الله
علينا اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن وان كنا لخاطئين
وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله
اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم لا
تعيير عليكم اليوم متعلق بالتثريب او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم
الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم
فدعا لهم بالمغفرة لما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي
والمضارع او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون اني
فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال
اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس
اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه
انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان
اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيون الناس
اذ علموا انكم اخوتي وهو ارحم الراحمين اي اذا رحمتكم وانا الفقير القتور
فما ظنكم بالغني الغفور ثم سالهم عن حال ابيه فقالوا انه عمي من كثرة البكاء
قال اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف
وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى
ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يصر بصيرا تقول جاء
البناء محكما اي صار او يات الي وهو بصير قال يهوذا انا احمل قميص الشفا
كما ذهبت بقميص الجفا وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما

مسيرة ثمانين من بعد واتوني باهلكم اجمعين ليتمتعوا بالملك كما اغتموا بالخبر هلكى
ولما فصلت العير خرجت من عريش يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز
حيطانه قال ابوهم لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله
ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانية ايام لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند
وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني
قالوا اي اسباطه تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط
محبتك ليوسف او في خطائك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء
البشير اي يهوذا القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب
فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه قال الم اقل لكم يعني قوله اني
لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون
كلام مبتدا لم يقع عليه القول او وقع عليه والمراد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله
واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير كيف يوسف فقال انه ملك مصر فقال
ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين اخر الاستغفار الى وقت السحر او الى ليلة الجمعة
او ليتعرف حالهم في صدق التوبة او الى ان يستحل يوسف فلما عفا عنهم ثم ان يوسف
وجه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج
يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا
يعقوب وهو يمشي يتوكا على يهوذا فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ضم اليه
ابويه واعتنقهما قيل كانت امه باقية وقيل ماتت وتزوج خالته والخالة ام كما
ان العم اب ومنه قوله واله اباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق ومعنى دخولهم
عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم نزل بهم في مضرب او قصر كان له ثمة
فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال لهم بعد ذلك ادخلوا مصر ان شاء الله امنين
من ملوكها وكانوا لا يدخلونها الا بجواز او من القحط وروي انه لما لقيه قال يعقوب
عليه السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب
بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال
بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين

رجل

رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة
وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا قيل لما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا
على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة
الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم في ذلك الوقت
ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه
وقيل لاجل يوسف سجدوا لله شكرا وفيه نبوة ايضا واختلف في استنبائهم وقال
يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا اي صادقة وكان
بين الرؤيا والتاويل اربعون سنة او ثمانون سنة او ست وثلاثون او ثنتان وعشرون
وقد احسن بي يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه اذ اخرجني من السجن
ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا
اصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
اي افسد بيننا واغرى ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير انه هو العليم الحكيم
قيل اخذ يملا الى ان حان اجله وحكم بالابتلاء بحب الاخلاق رب قد اتيتني من الملك
ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث تفسير كتب الله او تعبير الرؤيا ومن فيهما
للتبعيض اذ لم يؤت الا بعض ملك الدنيا وبعض التاويل فاطر السماوات والارض
انتصابه على النداء انت وليي في الدنيا والاخرة انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين
وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب الوفاة على حال الاسلام
لقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التستري
مسلما اليك امري مع عصمة الانبياء واغنى عن به يوسف ليقتدي به قومه ومن
بعده ممن ليس بمامون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم اليهم والحقني
بالصالحين من ابائي او على العموم وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به
في خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى ادخله
خزانة القراطيس قال يا بني ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت
الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله قال انت ابسط اليه

الجباه

حين جاء البشير قال جبريل الذي امرتني ان اخاف ان ياكله الذيب فهلا خفتني
وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفن بالشام
الى جنب ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه
ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ما
تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا
في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا ان يعملوا له صندوقا
من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه بالنيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا
كلهم فيه شركاء حتى نقل موسى عليه السلام بعد اربعمائة سنة تابوته الى بيت
المقدس وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد
توارثت الفراعنة من العمالقة بعده بمصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم
على بقايا دين يوسف وآبائه ذلك اشارة الى ما سبق من نبإ يوسف والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران وما كنت لديهم
لدى بني يعقوب اذ اجمعوا امرهم عزموا على ما هموا به من القائه في الجب وهم
يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا من جهة
الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القائه في الجب وما اكثر الناس
ولو حرصت بمومنين اراد العموم او اهل مكة اي وما هم بمومنين ولو اجتهدت
كل الاجتهاد على ايمانهم وما تسالهم عليه على التبليغ او على القرآن من اجر جعل ان هو
الا ذكر من الله للعالمين عام للخلق اذ عظة لهم وحث على طلب النجاة على لسان رسول
من رسله وكاين من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده في السماوات عليها
السماوات والارض يمرون عليها او على الارض يشاهدونها وهم عنها معرضون
معرضون لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغيرها من العبر
وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اي وما يومن اكثرهم في اقرارهم بالله وبانه
خلقه وخلق السماوات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن الجمهور وعلى ان الآية
في المشركين لانهم مقرون بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم امر شديد دعوا
الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرية من اثبات
قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله اهل السنة وهو ان لا خالق الا الله
افا

افامنوا ان تاتيهم غاشية عقوبة تغشاهم وتشملهم من عذاب الله او تاتيهم الساعة
بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها قل هذه سبيلي هذه السبيل التي
هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل الطريق يذكر ويؤنث ثم فسر
سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عميا
انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه اي ادعو الى السبيل انا ويدعو
اليه من اتبعني او انا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على انا يخبر
انه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وسبحان الله وانزهه من الشركاء
وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة فيهم امرأة نوحي اليهم بالنون حفص من اهل
القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة اي ولدار الساعة الآخرة
خير للذين اتقوا الشرك وآمنوا به افلا تعقلون وبالياء مكي وابو عمرو وحمزة وعلي
حتى اذا استيأس الرسل يئسوا من ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا وايقن الرسل
انهم قد كذبوهم وبالتخفيف كوفي اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا
اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون
عليهم ولم يصدقوهم فيه جاءهم نصرنا للانبياء والمومنين بهم فجأة من غير
احتساب فنجي بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامي وعاصم على لفظ
الماضي المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل من فننجي من نشاء اي النبي ومن
آمن به ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم المجرمين الكافرين لقد كان في قصصهم
اي في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب حيث
نقل من غاية الحب الى غاية الجب ومن الحصير الى السرير فصارت عاقبة الصبر
سلامة وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة ما كان حديثا يفترى ما كان
القرآن حديثا مفترى كما زعم الكفار ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن
كان تصديق الكتب التي تقدمته وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون
الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس وهدى من الضلال ورحمة من العذاب

لقوم يؤمنون بالله وانبيائه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما عبد تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى قريش كانه يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين ومع ان الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفة هؤلاء اياك في الدين احرى ان تصبر على اذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف تامة كما هي في القرآن والله اعلم

سورة الرعد ثلاث او خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر انا الله اعلم واري عن ابن عباس رضي الله عنهما تلك اشارة الى ايات السورة ايات الكتاب اريد بالكتاب السورة اي تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله الحق خبر والذي ولكن اكثر الناس لا يؤمنون فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال الله الذي رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها والله مبتدا والذي رفع السموات خبره بغير عمد حال وهو جمع عماد وعمود ترونها الضمير يعود الى السموات اي ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان والى عمد فيكون في موضع الجر على انه صفة لعمد اي بغير عمد مرئية ثم استوى على العرش استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان وسخر الشمس والقمر لمنافع عباده ومصالح بلاده كل يجري لاجل مسمى وهو انقضاء الدنيا يدبر الامر امر ملكوته وربوبيته يفصل الايات يبين الايات في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لعلكم توقنون بان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وهو الذي مد الارض بسطها وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت وانهارا جارية ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين اي من كل الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعدما كان ابيض منيرا يغشي حمزة وعلي وابو بكر ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ان لها صانعا عليما

عليما

عليما حكيما قادرا وفي الارض قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر موقع لافعاله على وجه دون وجه وجنات معطوفة على قطع من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع مكي وبصري وحفص عطف على قطع غيرهم بالجر عطف على اعناب والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان تسقى بماء واحد وبالياء عاصم وشامي ونفضل بعضها على بعض وبالياء حمزة وعلي في الاكل في الثمر وبكسر الكاف نافع ومكي ~~بعضها على بعض~~ ان في ذلك لايات لقوم يعقلون عن الحسن مثل اختلاف القلوب في اثارها وانوارها واسرارها باختلاف القطع في انهارها وازهارها وثمارها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم حقيق بان تتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب اءذا كنا ترابا انا لفي خلق جديد في محل الرفع بدل من قولهم في اعاصم وحمزة كل واحدة بهمزتين اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف لهم بالاصرار او من جملة الوعيد واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون دل تكرار اولئك على تعظيم الامر ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال اي ظالمين لانفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي ارجى اية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وتمحوها وان ربك لشديد العقاب على الكافرين او هما جميعا في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما اي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنادا واقتراحا نحو ايات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل
لرسول الله انما انت منذر انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة
وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حا
صلة باية اية كانت والايات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ولكل قوم هاد
من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله باية تخص بها لا على ما يريدون ويتحكمون
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد ما في هذه المواضع الثلاثة
موصولة اي يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج
وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الارحام اي ويعلم ما تنقصه يقال
غاض الماء وغضته انا وما تزداد والمراد عدد الولد فانها تشتمل على واحد واثنين
وثلاثة واربعة او جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا او مدة الولادة فانها تكون
اقل من ستة اشهر وازيد عليها عندنا والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك
او مصدرية اي يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها وكل شيء عنده بمقدار
بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب
ما غاب عن الخلق والشهادة ما شاهدوه الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال
على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء في الحالين
مكي سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اي في علمه ومن هو مستخف بالليل متوار
وسارب بالنهار ذاهب في سربه اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا
وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف او على مستخف غير ان من في
معنى الاثنين والجمع له مردود على من كانه قيل من اسر ومن جهر ومن استخفى
ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه والاصل معتقبات فادغم
التاء في القاف او معقبات من عقبه اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب
بعضا ولانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه من بين يديه ومن خلفه اي قدامه
ووراءه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ
كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله
امرهم بحفظه او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ان الله لا يغير
ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعا
صي

صي واذا اراد الله بقوم سوءا عذابا او بلاء فلا مرد له فلا راد له وما لهم من دونه من
وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا انتصبا على
الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين
اي خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث
قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق
او يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد من لا ينتفع اهله
بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع وينشئ السحاب هو اسم جنس والواحدة
سحابة الثقال بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال ويسبح الرعد
بحمده قيل يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر اي يصيحون سبحان الله
والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخا
ريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهي
الى حيث امر والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته وجلاله ويرسل الصوا
عق فيصيب بها من يشاء الصاعقة نار تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ في كل
شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته
قال وهم يجادلون في الله يعني الذين كذبوا رسول الله يجادلون في الله حيث ينكرون
ح على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام
وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم
الملائكة بنات الله والواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك
ان اربد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين
لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على
اربد صاعقة فقتله لانه قال اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد وهو شديد
المحال اي المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف
لاستعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان
والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون
له دعوة الحق اضيفت الدعوة الى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على انه

الدعوة ملابسة للحق وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه تعالى يدعا فيستجيب
الدعوة ويعطي الداعي سؤاله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه
الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد
المحال ولدعوة الحق بما قبله على قصة اربد ظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله
ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم
اخسفهما بما شئت فاجيبت فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الاول وعيد
للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعا عليهم والذين يدعون والاصنام التي يدعوهم الكفار
من دونه من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه الا استثناء من المصدر اي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون لان الفعل
بجوهره يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضمن ورتبه على المكان والحال بحال استثناء
كل منهما من الفعل صار التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط
كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر
ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك
ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واللام
في ليبلغ فاه متعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه وما الماء ببالغ فاه وما دعاء الكافرين
الا في ضلال في ضياع لا منفعة فيه لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا
الاصنام لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض سجود تعبد وانقياد
طوعا حال يعني الملائكة والمومنين وكرها يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة وال
الضيق وظلالهم مخفوض عطف على من جمع ظل بالغدو جمع غداة كقنى وقناة والاصال
جمع اصل جمع اصيل قيل يعني ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والاصال وظل الكافر يسجد
طوعا وهو كاره قل من رب السموات والارض قل الله حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم
من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وابي قالوا
الله امر هو ولقن اي فان لم يجيبوا فلقنهم فانهم لا جواب لهم الا هذا قل افاتخذتم من دونه اولياء
بعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه الالهة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا
ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا ضرا عنها فكيف يستطيعونه
لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالكم قل هل

يستوي

يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمومن او من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شيء ام هل
تستوي الظلمات والنور الكفر والايمان يستوي كوفي غير حفص ام جعلوا لله شركاء
بل جعلوا والهمزة للانكار خلقوا كخلقه خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء
اي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه الخلق عليهم
فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله
عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له
شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق
قل الله خالق كل شيء اي خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم
ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لا يخلق افعال العباد
وهم خلقوها فتشابه الخلق عليهم وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب
وما عداه مربوب ومقهور انزل اي الواحد القهار وهو الله سبحانه وتعالى من السماء من
السحاب ماء مطرا فسالت اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وانما
نكر لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض
بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار فاحتمل السيل اي رفع
زبدا هو ما على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على
وجه السيل ومما توقدون عليه بالياء كوفي غير ابي بكر ومن لابتداء الغاية
اي ومنه ينشا زبد مثل زبد الماء او للتبعيض اي وبعضه زبد في النار حال من
الضمير في عليه اي ومما توقدون عليه ثابتا في النار ابتغاء حلية مفعول له حلية فهو
مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون او متاع من الحديد والنحاس والرصاص
يتخذ منها الاواني وما يتمتع به في الحضر والسفر وهو معطوف على حلية اي زينة
من الذهب والفضة زبد خبث وهو مبتدا مثله نعت له وخبره مما توقدون والمعنى ان لها ايضا
اذا اغليت زبدا مثل زبد الماء كذلك يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق والباطل
فاما الزبد فيذهب جفاء حال اي متلاشيا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان
والبحر عند الطغيان والجفو الرمي وجفاة القدر اذا جلت غثه واما ما ينفع الناس من الماء
والحلي والاواني فيمكث في الارض فيثبت الماء في العيون والابار والحبوب والثمار
وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة كذلك يضرب الله الامثال ليظهر الحق
من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه فمثل الحق واهله با

بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنا
فع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات
المختلفة وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منابعه
وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله
ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب
وقال الجمهور هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فا
لماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للأبدان والأودية القلوب ومعنى بقدرها
بقدر سعة القلوب وضيقها والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان
والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء
كذلك يذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو
وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السنية والأخلاق الزكية وأما متاع
الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدوحة بالإخلاص المعدة للخلاص فإن
الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع
للكسب وبعضها أداة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل
والإلغ في للذين استجابوا أي أجابوا متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله
الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا الحسنى وهي صفة لمصدر استجا
بوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له هم الكا
فرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين وقوله لو أن لهم ما في الأرض جميعا
ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين أي لو ملكوا
أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله وعلى الو
جه الأول الكلام تم على الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره
للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه أولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه
الحديث من نوقش عذب ومأواهم جهنم ومرجعهم بعد المحاسبة النار
وبئس المهاد المكان الممهد والمذموم محذوف أي جهنم دخلتهم

دا

دا انكار على الفاء في أفمن يعلم الإنكار أن تقع شبهة ما ضرب من المثل في أن حال من
علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر
فيستجيب وهو المراد بقوله كمن هو أعمى كبعد ما بين الزبد والماء والخبث
والإبريز إنما يتذكر أولو الألباب أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا
واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله
والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لأولي الألباب والأول
أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على
أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على أنفسهم
وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل
من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب
الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة
مرضاهم وشهود جنائزهم ومراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر
ويخشون ربهم أي وعيده كله ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفو
س والأموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما أصبره وأحمله
للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب في الجزع وأقاموا الصلاة داوموا
على إقامتها وأنفقوا مما رزقناهم أي من الحلال وإن كان الحرام رزقا عندنا سرا وعلا
نية يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لأن المجاهرة بها أفضل نفيا
للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيئ غيرهم إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وإذا
أذنبوا تابوا وإذا هربوا أنابوا وإذا رأوا منكرا أمروا بتغييره فهؤلاء ثمانية أعمال
تشير إلى ثمانية أبواب الجنة أولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها
التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار
يدخلونها ومن صلح أي من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وقرئ صلح والفتح

س

اصلح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان لم يوكد لان
ضمير المفعول صار فاصلا واجاز الزجاج ان يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم
ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد ابوا كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب في قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الى
سلام عليكم في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف
وفي تقديره هذا بما صبرتم اي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات او على امر الله او بسلام
اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول اوجه فنعم عقبى الدار الجنة والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض بالكفر والظلم اولئك لهم اللعنة الابعاد من الرحمة ولهم
سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم
وسوءها عذابها الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله
وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وفرحوا بالحياة الدنيا بما بسط لهم من
الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر
حتى يؤجروا بنعيم الاخرة وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع وخفي عليهم ان نعيم
الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله
من تميرات او شربة سويق ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه اي الاية
المقترحة قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه
من اناب ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف
مرضي وتطمئن قلوبهم تسكن قلوبهم بذكر الله على الدوام او بالقران او بوعده
الا بذكر الله تطمئن القلوب بسبب ذكره تطمئن قلوب المومنين الذين امنوا وعملوا الصالحات
مبتدا طوبى لهم خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا و
طيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وسلام لك واللام في لك للبيان
مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن والقراءة
في وحسن ماب مرجع بالرفع والنصب يدلك على محلها كذلك ارسلناك مثل
ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الا
رسال ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة

قد

289

قد خلت من قبلها امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هولاء انهم يكفرون
بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته كل شيء قل هو ربي لا اله الا هو
اي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب
مرجعي فيثيبني على مصابرتكم متابي ومعادي في الحالين يعقوب ولو ان قرانا سيرت به
الجبال عن مقارها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به
الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار
والتخويف فجواب لو محذوف او معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع
الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة الاية بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر
على الايات التي اقترحوها افلم ييأس الذين امنوا افلم يعلم وهي لغة قوم من النخع
وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه
لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة علي رضي
الله عنه افلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذه
والله فرية بلا مرية ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل
الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم
او تحل قريبا من دارهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير
اليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتي وعد الله اي موتهم او القيامة
او ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة
والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغير حول مكة
ويختطف منهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى ياتي
وعد الله اي فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد اي لا خلف في موعده
ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا الاملاء الامهال وان يترك
ملاوة من الزمان في خفض وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب وهذا وعيد
لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به

وتسلية له ﴿أفمن هو قائم﴾ احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب
﴿على كل نفس﴾ صالحة أو طالحة ﴿بما كسبت﴾ يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس
كذلك ثم استأنف فقال ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي أصناما ﴿قل سموهم﴾ أي صفوهم له من هم
ونبئوه بأسمائهم ثم قال ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ على أم المنقطعة أي بل أتنبئونه
بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السماوات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم
ليسوا بشيء والمراد نفي أن يكون له شركاء ﴿أم بظاهر من القول﴾ بل أتسمونهم شركاء بظاهر
من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتموها ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ كيدهم للإسلام بشركهم ﴿وصدوا عن
السبيل﴾ عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل
الله ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ من أحد يقدر على هدايته ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾
بالقتل والأسر وأنواع المحن ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ أشد لدوامه ﴿وما لهم من الله من واق﴾
من حافظ من عذابه ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ كما تقول
صفة زيد أسمر ﴿أكلها دائم﴾ ثمرها دائم الوجود لا ينقطع ﴿وظلها﴾ دائم لا ينسخ
كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم
يعني منتهى أمرهم ﴿وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب﴾ يريد من أسلم من
اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بأرض الحبشة ﴿يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب﴾
أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما ﴿من ينكر بعضه﴾ لأنهم
كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم
وكانوا ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع
﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾ وهو جواب للمنكرين أي قل إنما أمرت فيما أنزل إلي
بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكارهم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا
ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به ﴿إليه أدعو﴾ خصوصا
لا أدعو إلى غيره ﴿وإليه مآب﴾ مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى
لإنكاركم ﴿وكذلك أنزلناه﴾ ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله
وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء ﴿حكما عربيا﴾ حكمة عربية

متر

مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى أمور يشاركهم فيها فقيل ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾
أي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة ﴿ما لك من الله من ولي ولا واق﴾
أي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين
على الثبات في الدين وأن لا يزل عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد
ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا
لهم أزواجا وذرية﴾ نساء وأولادا ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ أي ليس
في وسعهم إتيان الآيات على ما يقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله ﴿لكل أجل كتاب﴾ لكل
وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم ما يقتضيه حكمته ﴿يمحو الله ما يشاء﴾
ينسخ ما يشاء نسخه ﴿ويثبت﴾ بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو
من ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت غيره أو يمحو كفر التائبين ويثبت إيمانهم أو
يمحو حال الأجل وعكسه ويثبت موتى وشقاء وصحة وعلل ﴿وعنده أم الكتاب﴾
أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه ﴿وإما نرينك بعض الذي
نعدهم أو نتوفينك﴾ وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال
العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ فما يجب عليك إلا تبليغ
الرسالة فحسب ﴿وعلينا الحساب﴾ وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم
لا عليك فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم ﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها
من أطرافها﴾ ما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب
ونزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك بالبلاغ
الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر
﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله و
حقيقته الذي يعقبه أي يقفيه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال
وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس ومحل لا معقب لحكمه النصب على الحال كأنه

قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة لمن يريد اسوا
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب النار وقد مكر الذين من قبلهم
أي كفار الأمم الخالية بأنبيائهم والمكر إرادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا
مكر بالإضافة إلى مكر الله فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما
تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار يعني العاقبة المحمودة لأن من علم
ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون و
هم في غفلة مما يراد بهم الكافر على إرادة الجنس حجازي وأبو عمرو ويقول الذين كفروا
لست مرسلا والمراد كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسلا ولهذا
قال عطاء هي مكية إلا هذه الآية قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم بما أظهر من الأدلة على
رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز ومن عنده علم الكتاب قيل هو الله عز وجل
والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أي ومن لدنه علم
الكتاب لأن علم من علم من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا
لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل ابن سلام وفيه نزلت هذه الآية قيل هو جبريل ومن في
موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور
أي كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف
صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لأن الظرف إذا وقع
صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر
في الدار أخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء والله أعلم بالصواب سورة
إبراهيم عليه السلام اثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب هو خبر مبتدأ
محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي أنزلناه إليك في موضع الرفع
صفة النكرة لتخرج الناس بدعائك إياهم من الظلمات إلى النور من الضلالة إلى الهدى
بإذن ربهم بتيسيره وتسهيله مستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما
يمنحهم من اللطف إلى صراط بدل من إلى النور بتكرير العامل العزيز الغالب بالانتقام الحميد
المحمود على الإنعام الله بالرفع مدني وشامي على هو الله وبالجر غيرهما على أنه
عطف بيان للعزيز الحميد الذي له ما في السماوات وما في الأرض خلقا وملكا ولما ذكر الخا
رجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة
وهو

وهو اسم معنى كالهلاك فقال وويل للكافرين من عذاب شديد وهو مبتدأ وخبر وصفة الذين
يستحبون يختارون ويؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله دينه ويبغو
نها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والأصل ويبغون لها فحذف الجار
وأوصل الفعل الذين مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد عن الحق ووصف الضلال بالبعد
من الإسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لأنه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فو
صف به فعله كما تقول جد جده أو يجر صفة الكافرين أو منصوب على الذم أو مر
فوع على أعني الذين أو هم الذين وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه إلا متكلما بلغتهم
ليبين لهم ما هو مبعوث به وله فلا تكون لهم حجة على الله ولا يقولون لم نفهم ما خو
طبنا به فإن قلت إن رسولنا عليه السلام بعث إلى الناس جميعا بقوله قل يا أيها الناس
إني رسول الله إليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب
حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها فلا حاجة
إلى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين أن ينزل بلسان
واحد وكان لسان قومه أولى بالتعيين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعد من التحريف والتبديل
فيضل الله من يشاء من آثر سبب الضلال ويهدي من يشاء من آثر سبب الاهتداء وهو
العزيز فلا يغالب على مشيئته الحكيم فلا يخذل إلا أهل الخذلان ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
التسع أن أخرج بأن أخرج أو أي أخرج لأن أرسلنا فيه معنى القول كأنه قيل أرسلنا
وقلنا له أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله وأنذرهم بوقائعه التي
وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها أو بأ
يام الإنعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق البحر إن في ذلك
لآيات لكل صبار على البلايا شكور على العطايا كأنه قال لكل مؤمن إذ الإيمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل
فرعون يسومونكم سوء العذاب إذ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم
ذلك الوقت أو بدل اشتمال من نعمة الله أي اذكروا وقت إنجائكم ويذبحون أبناءكم
ذكر في البقرة يذبحون أبناءكم وفي الأعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحا
صل أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت

جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم الإشارة إلى العذاب والبلاء المحنة أو إلى
الإنجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإذ تأذن ربكم أي آذن ونظير
تأذن وآذن توعد وأوعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ آذن
ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه
وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم أي اذكروا حين تأذن ربكم والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال
لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها لأزيدنكم نعمة
إلى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل إذا سمعت النعمة نغمة
الشكر فتأهبت للمزيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجد في الطاعة
لأزيدنكم بالجد في المثوبة ولئن كفرتم ما أنعمت به عليكم إن عذابي لشديد
لمن كفر نعمتي أما في الدنيا فسلب النعم وأما في العقبى فتوالي النقم وقال موسى
إن تكفروا أنتم يا بني إسرائيل ومن في الأرض جميعا والناس كلهم فإن الله لغني عن
شكركم حميد وإن لم يحمده الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي
لا بد لكم منه ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد من كلام موسى لقومه أو ابتداء
خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة من مبتدأ
وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله
اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس رضي
الله عنهما بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروي أنه عليه السلام
[illegible] وإذ هو كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فردوا
أيديهم في أفواههم الضميران يعودان إلى الكفرة أي أخذوا أناملهم بأسنانهم
تعجبا أو عضوا عليها تغيظا أو الثاني يعود إلى الأنبياء أي رد القوم أيديهم في أفواه
الرسل كيلا يتكلموا وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك
مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله تعالى والتوحيد مريب موقع في الريبة قالت

رسلهم

رسلهم أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك
إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم
وإنا لفي شك فاطر السموات والأرض إلى الإيمان ليغفر لكم من ذنوبكم يدعوكم
إذا آمنتم ولم يجئ مع من إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر
لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وغير ذلك
مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في
الميعاد ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قد سماه وبين مقداره قالوا أي القوم
إن أنتم ما أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون
بالنبوة دوننا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا يعني الأصنام فأتونا بسلطان
مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية
قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم تسليم
لقولهم إنهم بشر مثلهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالإيمان والنبوة
كما من علينا وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله جواب لقولهم فأتونا
بسلطان مبين والمعنى إنا لا نأتي بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في
استطاعتنا وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون
أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم
قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
وإيذائكم ألا ترى إلى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله ومعناه وأي عذر لنا
في ألا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو
التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين قال أبو
تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند
العطاء والصبر عند البلاء ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم مضمر
أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعائهم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون أي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا وقال
الذين كفروا لرسلهم سبلنا ورسلهم أبو عمرو لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا

أو لتعودن في ملتنا أي ليكونن أحد الأمرين إخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك
بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا
في الخطاب الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين القول مضمر أو أجري
الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه ولنسكننكم الأرض من بعدهم أي أرض الظالمين و
ديارهم وفي الحديث من آذى جاره ورثه الله داره ذلك إشارة إلى الإهلاك والإسكان أي ذلك الأمر
لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب أو المقام مقحم أو خاف قيا
مي عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أن ذلك الأمر حق
للمتقين وخاف وعيد عذابي ووعيدي بالياء يعقوب واستفتحوا واستنصروا الله على أعدا
ئهم وهو معطوف على أوحى إليهم وخاب كل جبار وخسر كل متكبر بطر عنيد
مجانب الحق معناه فنصروا أو ظفروا أو أفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم
وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم
على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه
من ورائه من بين يديه جهنم وهذا وصف حاله في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين
يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف ويسقى
معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد
ما يسيل من جلود أهل النار وصديد عطف بيان لماء لأنه منهم فبين بقوله صديد
يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة
كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان
أي أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه
من الآلام أي لو كانت ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا وما هو بميت لأنه لو مات
لاستراح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ أي في كل وقت يستقبله يتلقى
عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد
مثل الذين كفروا مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل
مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير
سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الرياح مدني
في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ماطر وأعمال

الكفرة

الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر
الإبل للأضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الإيمان
بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء
أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال
البعيد إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب ألم تر ألم تعلم والخطاب لكل أحد
أن الله خلق السماوات والأرض خالق مضافا حمزة وعلي بالحق بالحكمة والأمر الحكيم
ولم يخلقها عبثا إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق
مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاما بأنه قادر على إعدام
الموجود وإيجاد المعدوم وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر وبرزوا لله جميعا
ويبرزون يوم القيامة وإنما جيء بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وعلا لصدقه
كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وغير ذلك
ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا
يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله
فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه
خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فقال الضعفاء الأتباع
وهم السفلة والأتباع وكتب بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة
فيميلها إلى الواو للذين استكبروا وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم
وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم إنا كنا لكم تبعا تابعين
جمع تابع كخادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الاتباع فيقال
تبعه تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فهل تقدرون على
دفع شيء مما نحن فيه ومن الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل فهل
أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله أو كلتاهما للتبعيض أي فهل
أنتم مغنون عنا بعض شيء وهو بعض عذاب الله أي فهل أنتم مغنون عنا بعض
شيء وهو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله وإنما كان قول الضعفاء
توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء
عنهم قالوا لهم مجيبين معتذرين لو هدانا الله لهديناكم أي لو هدانا الله إلى
الإيمان في الدنيا لهديناكم إليه أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم

لكم اي لا اغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسو
ية وروي انهم يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان الصبر ثم يقولون سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا
لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلا
لة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فا
ئدة في الصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون هذا من
كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء
على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط واقتدار الا ان دعوتكم لكني دعوتكم الى الضلا
لة بوسوستي وتزييني والا استثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان فا
ستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الى امر
قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ولوموا
انفسكم حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان
هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين
ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدينا الله لهديناكم اي الى الايمان لهدي
ناكم كما مر ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغ
يثه والاصراخ الاغاثة بمصرخي حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا تجتمع
الكسرة والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية
ضمير المتكلم اني كفرت بما اشركتمون وبالياء بصري وما مصدرية من قبل
متعلق باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي مع الله من قبل هذا اليوم
اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه
تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
او من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي
اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول اشركني فلان اي جعلني له شريكا ومعنى اشرا

كهم

كهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا اخر قول
الشيطان وقوله ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من تمام كلام
ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين
وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
عطف على برزوا باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله
وامره تحيتهم فيها سلام هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة او تسليم الملا
ئكة عليهم الم تر كيف ضرب الله مثلا اي وضعه وبينه كلمة طيبة نصب بمضمر
اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الا
مير زيدا كساه حلة وحمله على فرس او انتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة
طيبة مثلا يعني جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف اي
هي كشجرة طيبة اصلها ثابت اي في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها
ورأسها في السماء والكلمة الطيبة كلمة التوحيد اصلها تصديق بالجنان وفرعها
اقرار باللسان واكلها عمل الاركان وكما ان الشجر شجر وان لم يكن حاملا فالمؤمن
مؤمن وان لم يكن عاملا ولكن الاشجار لا تراد الا للثمار فما اقرب النار من الاشجار
اذا اعتادت الاخلاف عن عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار
كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة
فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي
انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة فقال عمر يا بني لو كنت
قلتها لكانت احب الي من حمر النعم تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت
وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني
ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر كشجرة خبيثة هي كل شجرة لا يطيب ثمرها
وفي الحديث انها شجرة الحنظل اجتثت من فوق الارض استوصلت وحقيقة
الاجتثاث اخذ الجثة كلها وهو في مقابلة اصلها ثابت ما لها من قرار اي استقرار
يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو

في الآخرة غير ثابتة يثبت الله الذين آمنوا أي يديمهم عليه بالقول الثابت هو قول
لا إله إلا الله محمد رسول الله في الحياة الدنيا حتى إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين
فتنهم أصحاب الأخدود وغيرهم الآية وفي الآخرة الجمهور على أن المراد في القبر بتلقين
الجواب وتمكين الصواب فعن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المومن
فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد
من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا في القول الثابت ثم يقول
الملكان عشت سعيدا ومت حميدا نم نومة العروس ويضل الله الظالمين فلا يثبتهم
على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل ويفعل
الله ما يشاء فلا اعتراض عليه في تثبيت المومنين وإضلال الظالمين ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله
أي شكر نعمة الله كفرا لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا
الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم بنبيه محمد عليه السلام فكفروا
نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر وأحلوا قومهم الذين تبعوهم على الكفر دار البوار أي
الهلاك جهنم عطف بيان يصلونها يدخلونها وبئس القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا
لله أندادا أمثالا في العبادة أو في التسمية ليضلوا عن سبيله وبفتح الياء مكي
وأبو عمرو قل تمتعوا في الدنيا والمراد الخذلان والتخلية وفائدة الأمر التمتع أي تمتع العبد
ما استطاع من شهوته فإن مصيركم إلى النار من حكم البلاء قل لعبادي الذين آمنوا
خصهم بالإضافة إليه تشريفا أي قل لهم أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلوة وانفقوا
وقيل إنه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة قل عليه و
لو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز مما رزقناهم سرا وعلانية انتصبا على الحال
أي ذوي سر وعلانية يعني مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية
أو على المصدر أي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى إخفاء التطوع وإعلان الواجب
من قبل أن ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال
المخالة وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله تعالى بفتحهما مكي وبصري بلا تنوين
بلا بيع ولا خلال الله مبتدأ الذي خلق السموات والأرض خبره وأنزل من السماء
من السحاب مطرا فأخرج به من الثمرات رزقا لكم من الثمرات بيان للرزق أي أخرج
به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول وسخر لكم الفلك

لتجري

لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين دائمين وهو حال
من الشمس والقمر أي يدأبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمة وإصلاحهما ما يصلحان
ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسبات
لكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه أو وآتاكم من
كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما موصوفة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية
لأن الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر أي والبرد وما سألتموه نكرة ومحله
النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أو ما موصولة أي وآتاكم من كل
ذلك ما احتجتم إليه فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها لا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال
وأما التفصيل فلا يعلمه إلا الله إن الإنسان لظلوم يظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد
الكفران لها أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والإنسان للجنس
فيتناول الإخبار بالظلم والكفر من يوجدان منه وإذ قال إبراهيم واذكر إذ قال إبراهيم
رب اجعل هذا البلد أي البلد الحرام آمنا ذا أمن والفرق بين هذا وبين ما في البقرة أنه قد
سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمن أهلها وفي الثاني أن يخرجه من صفة الخوف
إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وبني أي ثبتني وإياهم
على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أي ثبتنا على الإسلام وبني أراد
بنيه من صلبه أن نعبد الأصنام من أن نعبد رب إنهن أضللن كثيرا من الناس جعلن مضلات
على طريق التسبيب لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم فمن تبعني على ملتي
وكان حنيفا مسلما مثلي فإنه مني أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي ومن عصاني
فيما دون الشرك فإنك غفور رحيم ومن عصاني عصيانا شركا فإنك غفور رحيم
إن تاب وآمن ربنا إني أسكنت من ذريتي بعض أولادي وهم إسماعيل ومن ولد
منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط عند بيتك المحرم
المحرم هو بيت الله سمي به لأن الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما
حوله حرما لمكانه أو لأنه لم يزل ممتنعا يهابه كل جبار أو لأنه محترم عظيم الحرمة
لا يحل انتهاكها أو لأنه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لأنه
أعتق منه ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا
الوادي البلقع إلا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك

تلي فاجعل افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض لما روي عن مجاهد لو قال
افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند وللابتداء كقولك القلب مني
سقيم تريد قلبي فكانه قال افئدة ناس ونكر المضاف اليه في التمثيل لتنكير افئدة لانها
في الاية نكرة لتناول بعض الافئدة تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا وارز
قهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد الشاسعة
لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات في واد ليس فيه شجر ولا ماء ربنا
النداء المكرر دليل التضرع واللجاة الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم
العلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابر
هيم عليه السلام او من كلام ابرهيم ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى على الله
من شيء ما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر على بمعنى مع وهو في موضع الحال اي وهب
لي وانا كبير اسمعيل واسحاق روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة
وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وروي انه ولد له اسمعيل لاربع
وستين واسحاق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم لانها
حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم ولان الو
لادة في تلك السن العالية كانت اية لابرهيم ان ربي لسميع الدعاء مجيب الدعاء
من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده
وكان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من
اجابته واضافة السميع الى الدعاء اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء
وقد ذكر سيبويه فعيلا من جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك
هذا رحيم اباه رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب
في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس
رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابرهيم ناس على الفطرة الى ان تقوم الساعة ربنا
وتقبل دعاي بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه ابو عمرو وحمزة في الوصل الب
قون بلا ياء اي استجب دعاي او عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله ربنا
اغفر لي ولوالدي اي ادم وحواء وقاله قبل النهي والياس عن ايمان ابويه وللمومنين
يوم يقوم الحساب اي يثبت او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا مثل واسال
القرية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون تسلية للمظلوم وتهديد للظالم

والخطاب لغير

والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان
عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر
وكما جاء في {يا ايها الذين} امنوا امنوا بالله ورسوله وقيل المراد الايذان بانه عالم بما يفعل ١٤ امنوا
الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد
والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم انما يوخرهم اي عقوبتهم ليوم تشخص فيه الابصار
اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي مقنعي
روسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم
هواء صفر من الخير لا تعي شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف
به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراة وقيل جوف لا عقول
لهم وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب اي يوم القيامة وهو مفعول ثان لانذر لا ظرف اذ الا
نذار لا يكون في ذلك اليوم فيقول الذين ظلموا اي الكفار ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعو
تك ونتبع الرسل اي ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا
فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ان
اي حلفتم في الدنيا انكم اذا متم لا تزولون عن تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار اخرى يعني
كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وما لكم جواب
القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من
زوال واريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة ال
سكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسالون يومئذ ان يوخرهم ربهم الى اجل
قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لا
لكون السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديته بفي كقولك قر في الدار واقام فيها
ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبواها
ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمانوا طيبي النفوس سائرين
بسيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف
كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة
وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام اي تبين لكم حالهم وكيف ليس بفاعل لان الا
ستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب كيف بقوله فعلنا بهم اي اهلكناهم

وانتقاما منهم وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة
كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه
جهدهم وما فعلوا من تاييد الكفر وبطلان الاسلام وعند الله مكرهم هو مضاف الى
الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي
ياتيهم من حيث لا يشعرون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى وفتح
الثانية والتعذيب وان وضع مكرهم لتزول الامر النبي عليه السلام وعبر عن امر النبي جل
الجبال شانه وكان تامة او ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم
والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرائعه لانها
بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا ويدل عليه قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام
الاولى ورفع الثانية على ان وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع
عن اماكنها ان مخففة من ان واللام مؤكدة فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني قوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي مخلف مفعول ثان لتحسب واضاف مخلف
الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وانما
قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد
ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته
وصفوته ان الله عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وانتصابه يوم تبدل
الارض غير الارض والسماوات على الظرف للانتقام او على اضمار اذكر والمعنى يوم تبدل
هذه الارض التي نعرفها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وتبدل السماوات غير السماوات
وانما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم
دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها
من شكل الى شكل واختلف في تبديل الارض والسماوات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض
جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هي تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها
وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسماوات
اخر وعن ابن مسعود يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن
علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسماوات من ذهب وبرزوا وخرجوا من قبورهم
لله الواحد القهار هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان
لواحد

لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة وترى المجرمين
من الكافرين يومئذ يوم القيامة مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم
الى ارجلهم مغللين في الاصفاد متعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد او غير متعلق به والى
والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود او الاغلال سرابيلهم قمصهم من قطران هو ما
يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن
شانه انه يسرع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل
النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته واسراع
النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين النارين وكلما وعده الله
او اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهده من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا
منه الا اسام والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطر ان زيد عن يعقوب
نحاس مذاب بلغ حره اناه وتغشى وجوههم النار تعلوها باشتعالها وخص الوجه
لانه اعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة ليجزي
الله كل نفس ما كسبت اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت
او كل نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيع
منهم بطاعتهم ان الله سريع الحساب في حساب جميع العباد في اسرع من لمح البصر
هذا اي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب بلاغ للناس كفاية
في التذكير والموعظة ولينذروا به بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به
دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله وليذكر
اولوا الالباب ذوو العقول سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية بسم الله
الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة
من الايات والكتاب الكامل والقران المبين السورة وتنكير القران للتفخيم والمعنى
تلك الايات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قران مبين كانه قيل الكتاب
الجامع للكمال والغرابة في البيان ربما بالتخفيف مدني وعاصم وبالتشديد
غيرهما وما هي الكافة لانها حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة فاذا كفت
وقع بعده الفعل الماضي وانما جاز يود الذين كفروا لان المترقب في اخبار الله تعالى
بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه وكانه قيل ربما ودوا وودادتهم تكون عند

الشيء او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين او اذا راوا المسلمين يخرجون من النار
فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما لو كانوا مسلمين حكاية
ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو
قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما قلل ربما لان اهوال القيامة تشغلهم
عن التمني فاذا افاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقولهم فلان ربما يعني بها
التكثير سهو لانه ضد ما يعرفه اهل اللغة لانها وضعت للتقليل ذرهم امر اهانة اي اقطع طمعك
من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا
بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم املهم وامانيهم عن الايمان فسوف يعلمون
سوء صنيعهم وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس
من اخلاق المومنين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ولها كتاب جملة
واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف اذ الصفة ملتصقة بالموصوف
بلا واو فجيء بالواو تاكيد الالصاق والوجه ان تكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها في حكم
الموصوفة كانه قيل وما اهلكنا قرية من القرى الا وصفها وقوله كتاب معلوم اي
مكتوب وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين ما تاتي الى قوله ما تسبق من امة اجلها
في موضع كتاب بها وما يستاخرون عنه وحذف لانه معلوم وانث امة اولا ثم ذكر حملا
على اللفظ والمعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القران انك لمجنون
يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون
والتعكيس في كلامهم للاستهزاء او التهكم للتاليبع ومنه فبشرهم بعذاب اليم انك لانت
الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي ان الله نزل عليك الذكر لوما
تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ركبت مع لا وما للامتناع الشيء لوجود غيره
او التحضيض وهل ركبتا مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون
بصدقك او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا ان كنت صادقا ما ننزل الملائكة
كوفي غير ابي بكر تنزل الملائكة ابو بكر تنزل الملائكة اي تتنزل غيرهم الا بالحق الا تنزيلا
متلبسا بالحكمة وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو

نزلنا

نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر القران
وانا له لحافظون وهو رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي
نزل عليه الذكر وان الاغفال انا نحن واكد عليهم انه هو المنزل له على القطع وانه
هو الذي نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة وال
النقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها
وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف
ولم يكل القران الى غير حفظه وقد جعل قوله وانا له لحافظون دليلا على انه
منزل عنده اذ لو كان من قول البشر او غيره اية لتطرق عليه الزيادة
والنقصان كما تتطرق على كل كلام سواه او الضمير في له لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
اي ولقد ارسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا اتفقوا
على مذهب وطريقة وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو
في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال من رسول الا كانوا به يستهزءون
يعني نبيه عليه السلام كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي كما سلكنا الكفر
والاستهزاء في شيع الاولين نسلكه اي الكفر او الاستهزاء في قلوب المجرمين
من امتك من اختار ذلك السلك ادخال الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها
وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال لا يومنون به بالله او بالذكر وهو
حال وقد خلت سنة الاولين مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم
حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا
من السماء ولو يظهر لهم اوضح اية وهو فتح باب السماء فظلوا فيه يعرجون
يصعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا حيرت او حبست من الابصار من السكر او من
السكر سكرت تمكيني اي حبسته كما يحبس النهر من الجري في المعتزل هولاء
المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر
لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء يتخايله
لا حقيقة له ولقالوا بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك او الضمير للملا

بكيفية اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا او لو اريناهم الكفار وذكر الظلول
ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون
القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار ولقد جعلنا في السماء خلقنا فيها بروجا
نجوما او قصورا فيها الحرس او منازل للنجوم وزيناها اي السماء للناظرين وحفظناها
اي السماء من كل شيطان رجيم ملعون او مرمي بالنجوم الا من استرق السمع اي المسموع
ومن في محل النصب على الاستثناء فاتبعه شهاب نجم ينقض فيعود مبين ظاهر
للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث
سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها والارض مددناها بسطناها من تحت
الكعبة والجمهور على انه تعالى مدها على وجه الماء والقينا فيها رواسي في الارض جبالا
ثوابت وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح
فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب المنفعة والنعمة او ما يوزن من
نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء
الكيل الى الوزن وجعلنا لكم فيها في الارض معايش ما يعاش به من المطاعم والملابس
وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ ومن لستم له
برازقين من في محل النصب بالعطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا
لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ولمن لستم له
برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون انهم يرزقونهم وذلك
خطا السراج فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب
ونحو ذلك ولا يجوز ان يكون مجرورا بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا
يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله
الا بقدر معلوم ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قا
درون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بقدر معلوم فضرب الخزائن
مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح جمع لاقح اي وارسلنا
الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كانها لاقح بها من لقحت
الناقة حملت وضدها العقيم الريح حمزة فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون

على

على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دل على قدرته وعجزهم وانا لنحن نحيي
بالايجاد ونميت بالافناء او نميت عند انقضاء الاجال ونحن للاعمال على التقديم والتاخير
اذ الواو للجمع المطلق ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث
استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستأخرين من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد
او من تقدم في الاسلام او في الطاعة او في صف الجماعة او في صف الحرب ومن تأخر وان ربك
هو يحشرهم اي هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم انه حكيم عليم باهر
الحكمة واسع العلم ولقد خلقنا الانسان اي ادم من صلصال طين يابس غير مطبوخ
من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما اي طين اسود متغير مسنون
مصور وفي الاول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حما فخلص فصار
سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض والجان ابا الجن كادم للناس او هو
ابليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره خلقناه من قبل من قبل ادم من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم
النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك للملائكة واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق
بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته اتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح
فيها ونفخت فيه من روحي وجعلت فيه الروح واحييته وليس ثمة نفخ وانما هو تمثيل
والاضافة للتخصيص فقعوا له ساجدين هو امر من وقع يقع اي اسقطوا على
الارض يعني اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على انه يجوز تقدم الامر عن
وقت الفعل فسجد الملائكة كلهم اجمعون فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع
باب التخصيص بكلهم وذكر الكل احتمل التاويل بالافتراق فقطعه بقوله اجمعون الا ابليس
ظاهر الاستثناء يدل على انه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه
وعن الحسن ان الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المامور لا يعصي بالترك
ملحوظا وقال في الكشاف كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم اس
استثني بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا ابى ان يكون مع الساجدين امتنع ان يكون
معهم وابى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر
عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين حرف
الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين اي اي غرض لك في ابائك

السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني ان اسجد لبشر خلقته
من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها من السماء او من الجنة او من زمرة الملائكة فانك
رجيم مطرود من رحمة الله تعالى ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة والابعاد
منها وان عليك اللعنة الى يوم الدين ضرب يوم الدين حد اللعنة لانه ابعد غاية يضربها
الناس في كلامهم او المراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم
الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما تنسى اللعنة معه قال رب فانظرني فاخرني
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت
المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال
الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك
وانظر الى اخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم
لازينن لهم والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي ونحو قوله بما اغويتني لازينن لهم
المعاصي ونحو قوله بما اغويتني لازينن لهم فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما
اقسام بصفة الذات والثاني بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون
الحلف بصفة الذات كالعزة والعظمة والعلم يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط
ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا
والاية حجة على المعتزلة في خلق الافعال وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر في الارض في الدنيا
التي هي دار الغرور واراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في
السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
وبكسر اللام مكي وبصري وشامي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون
منه قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك
منهم لغوايته وقيل معنى علي الي على رفعه من علو الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم اجمعين
الضمير للغاوين لها سبعة ابواب لكل باب منهم من اتباع ابليس جزء مقسوم نصيب معلوم
معين وقيل ابواب النار اطباقها واحدها فوق واحد فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم
ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس وال
السادس للمشركين والسابع للمنافقين ان المتقين في جنات وعيون وبضم العين مدني
وبصري وحفص المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وقال في الشرح
ان

ان في حل اهل الكبائر في قوله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالمتقين
الذين اتقوا الكبائر وقالا والمراد بهم الذين اتقوا الشرك ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها بسلام
حال اي سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة آمنين من الخروج منها والآفات فيها
هو حال اخرى ونزعنا ما في صدورهم من غل وهو الحقد الكامن في القلب اي ان كان لاحد
منهم غل في الدنيا على اخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله
عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحا
سدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادد والتحاب اخوانا حال على سرر
متقابلين كذا قيل تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين
لا يستدبر بعضهم بعضا لا يمسهم فيها نصب في الجنة تعب وما هم منها بمخرجين فتمام
النعمة بالخلود ولما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد
قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه في العبادة ولما اقدم على ذنب
وعطف ونبئهم واخبرهم امته على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بعقوبة عبرة
يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم
عن ضيف ابراهيم اي اضيافه وهو جبريل مع احد عشر ملكا والضيف يجيء واحدا وجمعا
لانه مصدر ضافه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما
قال اي ابراهيم انا منكم وجلون خائفون لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن وبغير
وقت قالوا لا توجل لا تخف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك
مبشر امن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة بغلام عليم هو اسحاق لقوله في
سورة هود فبشرناها باسحاق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر اي ابشرتموني
مع مس الكبر بان يولد لي اي مع الولادة ام مستنكر عادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما
استفهامية دخلها معنى التعجب كانه قيل فباي اعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشد
يد مكي والاصل تبشرونني فادغم نون الجمع في نون العماد ثم حذفت الياء وبتخفيف
الكسرة دالة عليها نبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرونني فحذفت الياء
اجتزاء بالكسرة وحذفت نون الجمع لاجتماع النونين الباقون بفتح النون وحذف المفعول
والنون نون الجمع قالوا بشرناك بالحق باليقين الذي لا لبس فيه فلا تكن من القانطين
من الايسين من ذلك قال ابراهيم ومن يقنط وبكسر النون بصري وعلي من رحمة ربه الا الضا
لون الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون لقوله انه لا ييأس من روح الله

الا القوم الكافرون اي لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي
اجراها قال فما خطبكم فما شانكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي قوم
لوط الا ال لوط يريد اهله المومنين وهو استثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاجرام
والمستثنى ليس كذلك او متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كانه قيل
الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناء لان
ال لوط يخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعني ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا
هولاء وينجوا هولاء واذا انقطع الاستثناء جرى انا لمنجوهم اجمعين مجرى خبر لكن
في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن ال لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان
ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال ال لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امراته مستثنى
من الضمير المجرور في لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء
انما يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكناهم الا ال لوط الا امراته وهنا قد
اختلف الحكمان لان ال لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته تعلق بمنجوهم فكيف
يكون استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلي قدرنا وبالتخفيف ابو بكر
انها لمن الغابرين الباقين في العذاب قيل لو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه
وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما اسند
الملائكة فعل التقدير الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك
امرنا بكذا والامر هو الملك فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اي لا اعر
فكم او ليس عليكم زي السفر ولا انتم من اهل الحضر فاخاف ان تطرقوني بشر قالوا بل
جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكر لاجله بل جئناك بما فيه سرورك
وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه اي يشكون
ويكذبونك واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله فاسر
باهلك فاذهب بهم في الليل بقطع من الليل في اخر الليل او بعد ما يمضي شيء صالح من الليل واتبع ادبار
هم وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم ولا يلتفت منكم احد
لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم او جعل النهي عن الالتفات كناية
عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة
وامضوا حيث تومرون حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام او مصر وقضينا اليه ذلك
الامر عدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا

وفسر

وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هولاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم
اخرهم اي يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين وقت دخولهم في الصبح
وهو حال من هولاء وجاء اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور يستبشرون
بالملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال لوط ان هولاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة
ضيفي لان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله ولا تخزون ولا تذلون باذلال
ضيفي من الخزي وهو الهوان او بالحياء فيما يفعلون قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير
منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان عليه السلام يقوم بالنهي
عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين او عن ضيافة الغرباء قال هولاء بناتي فانكحوهن وكان نكاح
المومنات من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين ان كنتم تريدون
قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم وقالت الملائكة للوط عليه السلام
لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا
الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون
يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط تعظيما له
والعمر واحد وهو البقاء الا انهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف لكثرة
دور الحلف على السنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي فاخذتهم الصيحة
صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس
فجعلنا عاليها سافلها وجعل جبريل عليه السلام ثم قلبها وامطرنا
عليها حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين للمتفرسين المتاملين كانهم
يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهرة وانها وان هذه القرى يعني اثارها
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار
وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ان في ذلك
لاية للمومنين لانهم المنتفعون بذلك وان كان اصحاب الايكة وان هي المخففة

والشان كان اصحاب الايكة اي الغيضة لظالمين لتكذيبهم رسولهم وهم قوم شعيب عليه السلام
فانتقمنا منهم باهلكناهم لما كذبوا شعيبا وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة
لبإمام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يوتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء
لانها امام يوتم به ولقد كذب اصحاب الحجر هم ثمود والحجر واد بينهم وهم بين المدينة
والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان كل رسول كان يدعو الى ما دعا اليه الرسل
جميعا فمن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المومنين
كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين اي لم يتفكروا
عنها ولم يومنوا بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا اي ينقبون في الجبال او يبنون
من الحجارة امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والا
عداء او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة العذاب
مصبحين في اليوم الرابع وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء
البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا او بسبب الحق وهو انصاف
يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة اي القيامة لتوفى فيها كل ساعة لاتية وان الله
ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما
خلق السماوات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل فاعرض
اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ بآية السيف وان يراد به المخالقة
فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق اي خلقك وخلقهم العليم بالاحوالهم
فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم ولقد آتيناك سبعا اي سبع آيات
وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال
وبراءة لانهما في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس
او اسباع القرآن المثاني هي من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر في
الصلوة او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة
او مثنية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله واذا جعلت

السبع

السبع مثاني فمن للتبعيض واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتبيين والقرآن العظيم
هذا ليس من عطف الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءه
هن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله
بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد
آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو
التثنية او الثناء والعظم ثم قال لرسوله لا تمدن عينيك اي لا تطمح ببصرك طموح
راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار كاليهود وال
النصارى والمجوس يعني قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي
اليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع
الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان
احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ولا تحزن عليهم اي لا
تتمنى اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام
والمسلمون واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وتواضع لمن معك من فقراء المو
منين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان
وبرهان ان عذاب الله نازل بكم كما انزلنا متعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا
عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين
اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف
لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم
سورة البقرة لي ويقول بعضهم سورة آل عمران لي او اريد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم
وقد اقتسموه فاليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض
الانجيل وكذبت ببعض ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير
اي انذر المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على
المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في
كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا با

لخارج فانه نصاح ويقول اني كذاب والاخر نمتاع فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الو
جه الذي اولى عنه اعرض بينهم لانه كان ذالك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذ
يبهم وعداوتهم اعتراض بل هو موكد لمعنى التسلية من النظر الى النعماء الى دنياهم
والتاسف على كفرهم ومن تمامه انه يقبل بكليته على المومنين فوربك لنسألنهم اجمعين
عما كانوا يعملون اقسم بذاته وربوبيته ليسالن يوم القيامة واحدا واحدا من هولاء
المقتسمين عما قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم او في القرءان او في كتب الله فاصدع
بما تومر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو ال
فجر او فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الابانة بما تومر
به من الشرائع محذوف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به واعرض عن المشركين
هو امر استهانة بهم انا كفيناك المستهزئين الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر
كانوا يبالغون في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله
وهم الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا في عقبه فقطعه وال
والعاص بن وائل دخل في اخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات والاسود بن عبد المطلب
عمي والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى
مات والحارث بن قيس امتخط قيحا حتى مات الذين يجعلون مع الله الها ءاخر فسوف
يعلمون عاقبة امرهم يوم القيامة ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فيك او في
القرءان او في الله فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فافزع فيما نابك الى الله والفزع
الى الله هو الذكر الدايم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغم واعبد ربك و
دم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت يعني ما دمت حيا فاشتغل بالعبادة
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة سورة النحل مكية
وهي مائة وثمانية وعشرون ءاية بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا
به من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل
لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الاتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا
تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك او عن
اشراكهم فما موصولة او مصدرية واتصال هذا باستعجالهم من حيث ان استعجا
لهم استهزاء وتكذيب وذالك من الشرك تنزل الملائكة بالتخفيف مكي وابو عمرو

بالروح

بالروح بالوحي او بالقرءان لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد او يحيي القلوب
الميتة بالجهل من امره على من يشاء من عباده ان انذروا ان مفسرة لان تنزل الملائكة
بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا فاتقون اعلموا بان الامر ذالك من
نذرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون فخافون وبالياء
يعقوب ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق
السموات والارض وهو قوله خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين اي فا
ذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعد ما كان نطفة لا حس
به ولا حركة او فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائلا من يحيي العظام وهي رميم
وهو وصف للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لا بد له منه مما خلق
البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وساير حاجاته وهو قوله والانعام خلقها لكم
هي الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله
والقمر قدرناه منازل او بالعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها
لكم اي ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان فيها دفء هو اسم ما يدفأ به من لباس
معمول من صوف او وبر او شعر ومنافع وهي نسلها ودرها ومنها تاكلون قدم الظرف
وهو يوذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده
الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد
به وكالجاري مجرى التفكه ولكم فيها جمال حين تريحون تردونها من مراعيها الى مرا
حها بالعشي وحين تسرحون ترسلونها بالغدوة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل
بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي لان الرعيان اذا روحوها
بالعشي وسرحوها بالغدوة تزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها
بها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح
لان الجمال فيها احسن اذ هي اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع وتحمل اثقالكم
احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وبفتح الشين ابو جعفر وهما
لغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق
الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد
والمعنى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه لو لم تخلق الابل الا بجهد ومشقة

بعضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم او معناه لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس
وقيل اثقالكم ابدانكم ومنه الثقلان للجن والانس ومنه واخرجت الارض اثقالها
ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصا
لح والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء
للركوب والزينة وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله على حرمة اكل لحم الخيل لانه علل
خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل
اقوى والاية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم ان يذكر في موضع المنة ادنى النعمتين
ويترك اعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها ويخلق ما
لا تعلمون من اصناف خلائقه وهو قوله ويخلق ما لا تعلمون ومن هذا وصفه تعالى
عن ان يشبه به غيره وعلى الله قصد السبيل المراد به الجنس ولذا قال ومنها جائر
والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم
كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق
الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب
على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله قصد السبيل وقال
الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء اليه بالحجج ومنها جائر
ومن السبيل مائل عن الاستقامة ولو شاء لهداكم اجمعين اراد هداية اللطف بالتو
فيق والا فالكل تحت القهر العام هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب
لكم متعلق بانزل او خبر لشراب وهو ما يشرب ومنه شجر يعني الشجر الذي ترعاه
المواشي فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها
وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به
الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ولم يقل كل الثمرات لان كلها
لا يكون الا في الجنة وانما انبت من الارض بعض من كلها للتذكرة الواضحة وسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بنصب الكل على وجعل
النجوم مسخرات والنجوم مسخرات حفص والشمس والقمر والنجوم
مسخرات شامي على الابتداء والخبر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية
وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة

للكبرياء

للكبرياء والعظمة وما ذرا لكم في الارض معطوف على الليل والنهار اي ما خلق فيها
من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه حال ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
يتعظون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وهو السمك ووصفه بالطري لانه
لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وانما لا يحنث باكله اذا حلف
لا ياكل لحما لان مبنى الايمان على العرف ومن قال للغلام اشتر بهذه الدراهم لحما
فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار وتستخرجوا منه حلية هي اللؤلؤ والمرجان تلبسو
نها المراد بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم
ولباسهم وترى الفلك مواخر فيه والبحر ولتبتغوا من فضله هو معطوف على محذوف
اي لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة ولعلكم تشكرون الله على ما انعم به
عليكم والقى في الارض رواسي جبالا ثوابت ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب
او لئلا تميد بكم فحذف المضاف ... قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت
الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة
مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل وسبلا لعلكم تهتدون
الى مقاصدكم او الى توحيد ربكم وعلامات هي معالم الطرق وكل ما تستدل به السا
بلة من جبل ومنهل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون المراد بالنجم الجنس او هو الثريا
والفرقدان وبنات نعش والجدي فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب
مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن
المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجم في مسايرهم ولهم بذلك علم
لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا افمن يخلق
اي الله تعالى كمن لا يخلق اي الاصنام وجيء بمن الذي هو لاولي العلم لزعمهم حيث سمو
ها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم ولان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا
يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل كمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء
المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها
بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله
من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق

وهو حجة على المعتزلة في خلق الافعال افلا تذكرون فتعرفوا فساد ما انتم عليه وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام
بشكرها من اداء الشكر واتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر
ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم
فيكم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اقوالكم واعمالكم وهو وعيد والذين يدعون
من دون الله اي الالهة التي تدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء عن غيرهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
اموات اي هم اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون نفى عنهم خصائص الالهية بنفي
كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم
مخلوقون اموات جاهلون بالبعث ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الهة على
الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليهم الموت وامرهم بالعكس من ذلك
والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين
وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم
وفيه دلالة على انه لا بد من البعث الهكم اله واحد اي ثبت بما مر ان الالهية لا تكون لغير
الله وان معبودكم واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون
عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي سرهم وعلانيتهم فيجازيهم
وهو وعيد لهم انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين واذا قيل لهم لهؤلاء
الكفار ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم
او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزل ربكم واساطير خبر مبتدا محذوف قيل هو قول
المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاج
عما انزل على رسول الله قالوا اساطير الاولين اي احاديث الاولين واباطيلهم
واحدها اسطورة واذا راوا اصحاب رسول الله اخبروهم بصدقه وانه نبي فهم
الذين قالوا خيرا ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم
اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل
بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل بغير علم
حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال الا ساء ما يزرون قد مكر
الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد اي من جهة القواعد وهي الاساطين

وهذا

وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها رسول الله فجعل الله تعالى هلاكهم
في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين
بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا والجمهور على ان المراد به نمروذ بن كنعان
حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر
عليه وعلى قومه فهلكوا واتاهم العذاب اي امره بالاستئصال فخر عليهم السقف من
فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون ثم يوم
القيامة يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي سوى ما عذبوا به في الدنيا ويقول اين شركائي
على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم الذين
كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم تشاقون بالكسر اي
تشاقونني اي في مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم
اي الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم
فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم او هم الملائكة
ان الخزي اليوم الفضيحة والسوء العذاب على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة
وبالياء حمزة وكذا ما بعده ظالمي انفسهم بالكفر فالقوا السلم اي الصلح او
الاستسلام اي اخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق وقالوا
ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم
اولو العلم وقالوا بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو مجازيكم عليه وهذا ايضا
من الشماتة وكذا فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
جهنم وقيل للذين اتقوا الشرك ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وانتصاب هذا
ورفع اساطير لان التقدير هنا انزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال وثمة
التقدير هو اساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال للذين احسنوا في هذه
الدنيا اي امنوا وعملوا الصالحات وقالوا لا اله الا الله حسنة بالرفع اي ثواب
وامر عظيم وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول
فقدم عليه تسمية خيرا ثم حكاه او هو كلام مستانف عدة للقائلين
وجعل قولهم من جملة احسانهم ولدار الاخرة خير اي لهم في الاخرة ما هو

خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة
فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدا محذوف او هي المخصوص
بالمدح يدخلونها حال تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله
المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المومن من الموت جاءه ملك
فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة ويقال لهم
في الاخرة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بعملكم هل ينظرون ما ينتظر هؤلاء الكفار
الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك اي العذاب
المستاصل او القيامة كذلك مثل ذلك الفعل الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم
وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما استحقوا به
التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون واحاط بهم جزاء استهزائهم وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا هذا الكلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادا
لكان صوابا ولا حرمنا من دونه من شيء يعني البحيرة والسائبة ونحوهما كذلك
فعل الذين من قبلهم اي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء فهل
على الرسل الا البلاغ المبين الا ان يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله بان وحدوه واجتنبوا الطاغوت الشيطان
يعني طاعته فمنهم من هدى الله لاختياره الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة
اي لزمته لاختياره اياها فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
حيث اهلكهم الله واخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ايمانهم واعلمه انهم من قسم حقت عليه الضلالة فقال ان تحرص
على هداهم فان الله لا يهدي من يضل بفتح الياء وكسر الدال كوفي الباقون
بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه ان من يضل مبتدا ولا يهدي خبره وما لهم من ناصرين
يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي اعد لهم واقسموا
بالله جهد ايمانهم معطوف على وقال الذين اشركوا لا يبعث الله من يموت وهو استثناء
لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا عليه حقا هو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى

لان

لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان وعده حق او انهم يبعثون ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم
والضمير لمن يموت وهو يشمل المومنين والكافرين الذي يختلفون فيه هو الحق و
ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله من يموت انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي فهو يكون وبالنصب شامي وعلي جواب كن قولنا
مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي
اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة
عن سرعة الايجاد يبين ان مراده لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف
كوجود المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل
ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع
عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات والذين هاجروا في الله في حقه ولوجهه
من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله
منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى
المدينة لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة للمصدر اي تبوئة حسنة او لننزلنهم
مباءة حسنة وهي المدينة حيث اواهم اهلها ونصروهم ولاجر الاخرة اكبر
الوقف لازم عليه لان جواب لو كانوا يعلمون محذوف والضمير للكفار اي لو علموا
في الدار عنوا في الدين او للمهاجرين اي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم
الذين صبروا اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على مفارقة
الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رءوسهم
وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون
الامر الى ربهم ويرضون بما اصابهم في دين الله ولما قالت قريش الله اعظم من ان
يكون رسوله بشرا نزل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم على السنة الملك
بكتب يوحى فيه فاسالوا اهل الذكر اي اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث
الى الامم السالفة الا بشرا او قيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين
ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر اي بالمعجزات والكتب والبا تتعلق بمحذوف صفة
له اي رجالا ملتبسين بالبينات او بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات

او بنوحي اليهم بالبينات او بلا تعلمون وقوله فاسألوا اهل الذكر اعتراض
على الوجوه المتقدمة وانزلنا اليك الذكر القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر
مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا به واوعدوا ولعلهم يتفكرون في تنبيهاتك
فينتبهوا والتامل الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا
به رسول الله ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بمن تقدمهم او ياتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون اي بغتة او ياخذهم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا
فياخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث
لا يشعرون فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم
والمعنى انه اذا لم ياخذكم مع ما فيكم فانما رافته تقيكم ورحمته تحميكم اولم يروا
وبالتاء حمزة وعلي وابو بكر الى ما خلق الله ما موصولة بخلق الله وهو مبهم
بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله اي يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصري عن
اليمين اي الايمان والشمائل جمع شمال سجدا لله حال من الظلال عن مجاهد اذا
زالت الشمس سجد كل شيء وهم داخرون صاغرون وهو حال من الضمير في ظلاله
لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور
من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا
الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي ترجع
الظلال من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من
التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها
غير ممتنعة ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة من بيان لما في
السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا يدبون فيها كما يدب
الاناسي في الارض وبيانا لما في الارض وحده والمراد بما في السموات الملائكة
وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وقيل المراد بسجود
المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم الانقياد لارادة الله ومعنى
الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد وجيء بما اذ
هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بمن لتناول العقلاء خاصة وهم لا يستكبرون

يخافون ربهم من فوقهم حال من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين
من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو
القاهر فوق عباده ويفعلون ما يؤمرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون
مدارون على الامر والنهي وانهم بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين انما هو اله واحد فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء
الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة
على العدد الخاصة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فاما رجل
ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد
ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين
على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما
هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو
اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون
نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من
قوله فاياه فارهبوه من ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم وله ما في السموات والارض وله الدين اي
الطاعة واصبا واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه
وهو حال عمل فيه الظرف او وله الجزاء دائما يعني الثواب والعقاب افغير الله تتقون
وما بكم من نعمة واي شيء اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب فمن الله فهو من الله
ثم اذا مسكم الضر المرض والفقر والجدب فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار
رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم
يشركون الخطاب في وما بكم من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة
وان كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق
كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر
فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا
غرضهم في الشرك كفران النعمة ثم اوعدهم فقال فتمتعوا فسوف تعلمون
ثم عدل الى الخطاب على التهديد ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم

اي الاصنام ومعنى لا يعلمون انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع
وتشفع عند الله وليس كذلك لانها جماد لا تنفع ولا تضر والضمير في لا يعلمون للالهة
اي لاشيا غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم او لا
يكلانوا يجعلون لها من ذلك تقربا اليهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون انها
الهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقول الملا
يكة بنات الله سبحانه تنزيه له وتعجب من قولهم او تنزيه من نسبة الولد اليه ولهم ما يشتهون
يعني البنين ويجوز فيه ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات
وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون
من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا اي صار فظل وامسى واصبح
وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما
مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المراة
يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعيير
هم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه على هون ايمسك ما بشر به على هون وذل ام يد
سه في التراب اي يئده الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم
لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالاخرة
مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن
خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة
عن صفات المخلوقين وهو العزيز الغالب في تنفيذ ما اراد الحكيم في امهال العباد
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض
من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد
الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من دابة
من مشى ذي روح ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي اجل كل احد او وقت تقتضيه
الحكمة او القيامة فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
ويجعلون لله ما يكرهون ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء في
رياستهم ومن استخفاف برسلهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنا

مهم

308

مهم اكرمها وتصف السنتهم الكذب مع ذلك اي ويقولون الكذب ان لهم الحسنى
عند الله وهي الجنة ان كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى وان لهم الحسنى بدل من الكذب لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون
معجلون نافع مفرطون ابو جعفر والمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون
اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته او منسيون متروكون
من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط
في المعاصي والمشدد في التفريط في الطاعات اي المقصرين فيها تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك اي ارسلنا رسلا الى من تقدمك من الامم فزين لهم الشيطان
اعمالهم من الكفر والتكذيب بالرسل فهو وليهم اليوم اي قرينهم في الدنيا
تولى اضلالهم بالغرور والضمير لمشركي قريش اي زين للكفار قبلهم اعما
لهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم او هو على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم
اليوم ولهم عذاب اليم في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب اي القران الا لتبين لهم
للناس الذي اختلفوا فيه هو البعث لانه كان فيهم من يومن به وهدى ورحمة
معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا
الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل لقوم
يومنون والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية
لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه لا يسمع وان لكم
في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وبفتح النون نافع وشامي وابو بكر قال
الزجاج سقيته واسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام في الاسماء المفردة
الواردة على افعال فلذا رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المو
منين فلان معناه الجمع وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث
والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم
ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر
في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد

مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في
الضرع ويبقى الفرث في الكرش حتى يخرج وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل
شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم
سائغا للشاربين سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الأولى
للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونها والثانية لابتداء الغاية وتتعلق ومن ثمرات
النخيل والأعناب بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من
عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن
كنه الإسقاء أو بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد والضمير في منه يرجع
إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر
سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان أحدهما أن تكون الآية سابقة
على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر
النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد
وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله تعالى إلى حد السكر ويحتجان
بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة
ورزقا حسنا هو الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك إن في ذلك لآية لقوم
يعقلون وأوحى ربك إلى النحل ألهمها أن اتخذي من الجبال بيوتا هي أن المفسرة لأن في الإ
يحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار
هذا ومن الشجر ومما يعرشون يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون
للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تتعسل فيها والتبعيض لأنها لا تبني
بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير في يعرشون للناس وبضم الراء شامي
وأبو بكر ثم كلي من كل الثمرات أي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها
فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك فادخلي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل
العسل أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك
راجعة سبل ربك لا تضلين فيها ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله تعالى
ذللها وسهلها أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت منقادة لما أمرت به غير
ممتنعة

ممتنعة يخرج من بطونها شراب يريد العسل لأنه مما يشرب يلقيه من فيها
مختلف ألوانه منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على
ألوان أغذيتها فيه شفاء للناس لأنه من جملة الأدوية النافعة وقل معجون من
المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل أحد كما أن كل
دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة
في الإثبات تخص وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام اسقه
عسلا فجاء وقال زاده شرا فقال عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك
اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء
والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع الروافض
أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم
يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون
بني هاشم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم
إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون في عجيب أمرها فيعلم أن الله واحد عليم قادر
وفطنها كما أولى أولي العقول بعقولهم والله خلقكم ثم يتوفاكم بقبض أرواحكم
من أبدانكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون
سنة أو ثمانون أو تسعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم
زيادة علم على علمه إن الله عليم بحكم التحويل إلى أرذل من الأكمل أو إلى الإفناء
من الإحياء قدير على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء والله فضل بعضكم
على بعض في الرزق أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق
أيديكم وهم بشر مثلكم فما الذين فضلوا في الرزق يعني الملاك برادي
رزقهم على ما ملكت أيمانهم فكان ينبغي أن يردوا فضل ما رزقوه عليهم
حتى يتساووا في الملبس والمطعم فهم فيه سواء جملة اسمية وقعت في
موضع جملة فعلية لأنه جواب النفي بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادي
رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه
للذين جعلوا لله شركاء ولا تصونه الحالة لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي

لا شي كله افبنعمة الله يجحدون وبالتاء ابو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم والله جعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة
جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى
ونحفد واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد او المعنى وجعل
لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ورزقكم من الطيبات اي بعضها لان كل
الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا انموذج منها افبالباطل يومنون هو ما يعتقدون من
منفعة الاصنام وشفاعتها وبنعمة الله اي بالاسلام هم يكفرون او الباطل الشيطان
والنعمة محمد عليه السلام او الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسا
ئبة وغيرهما وبنعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا اي الصنم جمادا لا يملك ان يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى
ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق
كان شيئا بدلا منه اي قليلا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا اي لا يرزق
من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون
لما لانه في معنى الالهة بعد ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون
الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا
لله مثلا فانه لا مثل له اي فلا تجعلوا له مثلا كله ان الله يعلم انه لا مثل له من الخلق
وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون في ذلك الخطا
والوجه الاول ثم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا هو بدل من مثلا مملوكا
لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا
مصدران في موضع الحال اي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين
عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشاء وقيد المملوك ليميز من الحر لان اسم العبد يقع
عليهما جميعا اذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شيء ليمتاز من المكاتب
والماذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة اي وحرا رزقناه ليطابق
عبدا او موصولة هل يستوون جمع الضمير لارادة الجمع اي لا يستوي القبيلان

الحمد لله

الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال وضرب الله
مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا
يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه
لا يات بخير حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم
يات بنجح هل يستوي هو ومن يامر بالعدل اي ومن هو سليم الحواس نفاع ذو
كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط
مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض
على عباده من اثار رحمته ونعمه وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع ولله
غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم
علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل
السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم وما امر الساعة في قرب كونها
وسرعة قيامها الا كلمح البصر كرجع طرف العين واعاضه به المثل لانه لا يعرف
زمان اقل منه او هو اقرب اي الامر اقرب وليس هذا للشك للمخاطب ولكن المعنى كونوا
في كونها على هذا الاعتقاد وقيل بل هو اقرب ان الله على كل شيء قدير فهو
يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته
بما بعده فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وبكسر الالف وفتح الميم
على اتباع الكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في امات للتوكيد
كما زيدت في اراق فقيل هراق وشذت زيادتها في الواحدة لا تعلمون شيئا
حال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة لعلكم تشكرون اي وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات
لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبا
دته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع
القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع في غيرها الم يروا وبالتاء
شامي وحمزة الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المواتية لذلك في جو السماء هو الهواء المتباعد من الارض في

في سمت الجو ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن إلا الله بقدرته وفيه
نفي لما يتصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
بأن الخلق لا غنى لهم عن الخالق والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو فعل بمعنى مفعول
أي يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف وجعل لكم من جلود الأنعام هي قباب الأدم
تستخفونها في وقتها حقيقة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم
بسكون العين كوفي وشامي وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها
الارتحال ويوم إقامتكم قراركم في منازلكم والمعنى أنها خفيفة عليكم في أوقات
السفر والحضر على أن اليوم بمعنى الوقت ومن أصوافها أي أصواف الضأن وأوبارها
وأوبار الإبل وأشعارها وأشعار المعز أثاثا متاع البيت ومتاعا شيئا ينتفع به
إلى حين مدة من الزمان والله جعل لكم مما خلق ظلالا الأشجار والسقوف وجعل لكم
من الجبال أكنانا جمع كن وهو ما استتر به من كهف وغار وجعل لكم سرابيل
هي القمصان من الثياب والكتان والقطن تقيكم الحر وهي تقي البرد أيضا إلا أنه
اكتفى بأحد الضدين ولأن الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا
وسرابيل تقيكم بأسكم ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم في قتالكم والبأس
شدة الحرب والسربال يعم ما كان من حديد أو غيره كذلك يتم نعمته
عليكم لعلكم تسلمون أي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون
له فإن تولوا أعرضوا عن الإسلام فإنما عليك البلاغ المبين أي فلا تبعة عليك في
ذلك لأن الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت يعرفون نعمة الله التي عددها
ما قالوا قولهم فإنهم يقولون إنها من الله ثم ينكرونها بأفعالهم حيث عبدوا
غير المنعم أو في الشدة ثم في الرخاء وأكثرهم الكافرون أي الجاحدون غير
المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها
عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم تدل على أن إنكارهم أمر
مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر ويوم
انتصابه باذكر نبعث من كل أمة شهيدا نبيا يشهد لهم وعليهم
بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار
والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر ولا هم يستعتبون

ولاهم

ولا هم يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم
أنهم يمنون أي يبتلون بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو أطم منها
وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة وإذا رأى الذين
ظلموا العذاب كفروا العذاب فلا يخفف عنهم أي العذاب بعد الدخول ولا هم ينظرون
يمهلون قبله وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم أوثانهم التي عبدوها
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا أي آلهتنا التي جعلناها شركاء الذين كنا ندعوا
من دونك أي نعبد فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون أي أجابوهم بالتكذيب
لأنها كانت جمادا لا تعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم
شركاء وآلهة تنزيها لله تعالى من الشرك وألقوا يعني الذين ظلموا إلى الله يومئذ
السلم إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم
ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا بأنفسهم وصدوا عن سبيل
الله وحملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب أي عذابا بكفرهم وعذابا
بصدهم عن سبيل الله بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بالصد ويوم
نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء
الأمم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على أمتك ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من أمور الدين في الأحكام المنصو
صة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالإجماع أو بقول الصحابي أو بالقياس
لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله وطاعته بقوله
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الإجماع فيه ويتبع غير سبيل المؤ
منين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته باتباع أصحابه بقوله أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الا
جتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله فاعتبروا يا أولي الأبصار فصار
فكانت السنة والإجماع وقول الصحابي والقياس مستندة إلى تبيان
الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين

وعلى الله الى الحق ورحمة لهم وبشارة بالجنة لهم ان الله يامر بالعدل بالتسو
ية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذي حق الى حقه والاحسان الى
من اساء اليكم او هما الفرض والندب لان الفرض لابد من ان يقع فيه تفريط فيجبره
الندب وايتاء ذي القربى واعطاء ذوي القرابة وهو صلة الرحم وينهى عن الفحشاء
عن الذنوب المفرطة في القبح والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب
التطاول بالظلم والكبر يعظكم حال او مستانف لعلكم تذكرون تتعظون بمواعظ
الله وهذه الاية سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت اسلمت الا حياء
منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض علي الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي
حتى نزلت هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد
بن المغيرة فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وما هو بقول البشر وقال ابو جهل ان الله ليامر بمكارم الاخلاق وهي اجمع
اية في القران للخير والشر ولذا يقراها كل خطيب على المنبر في اخر كل خطبة
لتكون عظة جامعة لكل مامور ومنهي واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هي البيعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ولا تنقضوا الايمان اي ايمان البيعة بعد توكيدها بعد توثيقها باسم الله
واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل منها وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن
عليه ان الله يعلم ما تفعلون من البر والحنث فيجازيكم به ولا تكونوا في نقض
الايمان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة كالمراة التي انحت على غزلها
بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل
هي ريطة وكانت حمقاء تغزل هي وجواريها من الغدوة الى الظهر ثم تامر
هن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم حال كانكاثا دخلا احد مفعولي
اتخذ اي ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة وخيانة
ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى ازيد عددا
واوفر مالا من امة من جماعة المومنين اربى مبتدا وخبره في موضع الرفع
صفة

صفة لامة وامة فاعل تكون وهي تامة وهي ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين
انما يبلوكم الله به الضمير للمصدر اي انما يختبركم بكونكم اربى لينظر اتم
اتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المومنين وفقرهم
وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة حنيفية مسلمة ولكن يضل من يشاء من علم منه اختيار الضلال ويهدي من يشاء
من علم منه اختيار الهدى بتوفيقه ولتسالن عما كنتم تعملون يوم القيامة فتجزون به
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم
واظهارا لعظمة فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد
ثبوتها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق
الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء في الدنيا بما صد
دتم بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم عن الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا
ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب
عظيم في الاخرة ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا
عرضا من الدنيا يسيرا كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا
من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد
ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله انما عند الله ان ما عند الله من
ثواب الاخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند
الله من خزائن رحمته باق لا ينفد ولنجزين بالنون مكي وعاصم الذين صبروا واعلى
اذى المشركين ومشاق الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا
من ذكر او انثى من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر
او انثى ليعم الوعد النوعين جميعا وهو مومن شرط الايمان لان اعمال الكفار غير معتد
بها وهو يدل على ان العمل ليس من الايمان فلنحيينه حياة طيبة اي في الدنيا القوله
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعده الله ثواب الدنيا والاخرة

لقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وفي الدار الموت مع العمل
الصالح مومنا كان او محسنا اي يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان
معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله تعالى واما الفاجر
فامره بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا
بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة او حلاوة الطاعة والمعرفة بالله وصدق
المقام مع الله وصدق الوقوف على امر الله والاعراض عما سوى الله فاذا قرات القران
فاذا اردت قراءة القران فاستعذ بالله فعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل
لانه سبب له والفاء لتعقيب اي القراءة المجهورة بالاستعاذة من العمل الصا
لح المذكور من الشيطان يعني ابليس الرجيم المطرود الملعون قال ابن مسعود رضي الله
عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل
انه ليس له اي لابليس سلطان تسليط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
فالمومن المتوكل لا يقبل منه وساوسه انما سلطانه على الذين يتولونه يتخذونه وليا
ويتبعون وساوسه والذين هم به مشركون الضمير يعود الى ربهم او الى الشيطان
اي بسببه واذا بدلنا اية مكان اية تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله
تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة راها وهو معنى قوله والله اعلم بما ينزل
وبالتخفيف مكي وابو عمرو قالوا انما انت مفتر هو جواب اذا وقوله والله
اعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر
وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ~~الاشق~~ [illegible]
فكان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق بل اكثرهم لا يعلمون
الحكمة في ذلك قل نزله روح القدس اي جبريل عليه السلام اضيف الى
القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح القدس كحاتم
الجواد والمقدس المطهر من الماثم من ربك من عنده وامره بالحق حال اي نزله
ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه
هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب حكم

لهم

لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوف
على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة للمسلمين وفيه تعريض
بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا
به غلاما كان لحويطب قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب
كتب او هو جبر غلام رومي لعامر الحضرمي او عبدان جبر ويسار كانا
يقرءان التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرءان
او سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه وبفتح الياء والحاء حمزة وعلي اعجمي
وهذا لسان عربي مبين اي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه
لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم
وابطالا لطعنهم وهذه الجملة اعني قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لا محل لها
لانها مستانفة جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد
وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن
[illegible] ان الذين لا يومنون بايات الله اي القران لا يهديهم الله ما داموا
مختارين للكفر ولهم عذاب اليم في الاخرة ثم بين كذبهم انما يفتري الكذب على الله
الذين لا يومنون بايات الله اي انما يليق افتراء الكذب بمن لا يومن لانه لا يترقب
عقابا عليه وهو رد لقولهم انما انت مفتر واولئك اشارة الى الذين لا يومنون
اي واولئك هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله
اعظم الكذب او واولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ويجوز ان يكون
من كفر بالله من بعد ايمانه شرطا مبتدا وحذف جوابه لان جواب من شرح دال
عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
ساكن به ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم وان يكون بدلا من الذين لا يومنون بايات الله
على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما
يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم
الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وان يكون بدلا

من المشبوا الذي هو الكاذبون اي واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وارتضى
على الفم روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من اكره فاجرى
كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية
فعذبوا وقتلا وهما اول قتيلين في الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا
كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى
عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح
عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل ابو عمار افضل لان الصبر
على القتل اعز للاسلام ذلك اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم
بانهم استحبوا اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة اي بسبب ايثار الدنيا على الاخرة
وان الله لا يهدي القوم الكافرين ما داموا مختارين الكفر اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وابصارهم فلا يتدبرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد
واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة
ومنتهاها لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك ثم للدلالة على تباعد حال
هؤلاء من حال اولئك للذين هاجروا من مكة اي انه لهم لا عليهم يعني انه وليهم
وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا
غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر فتنوا ثلاثيا اي من
بعد ما عذبوا المومنين ثم اسلموا ثم جاهدوا المشركين بعد الهجرة مع رسول الله واهل الجهاد
ان ربك من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور لهم
ما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية رحيم لا يعذبهم على ما قالوا في حالة
الاكراه يوم تاتي منصوب برحيم او باذكر كل نفس تجادل عن نفسها وانما اضيفت
النفس الى النفس لانه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس
الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم
ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى
المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا الاية والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك وتوفى كل نفس ما عملت تفعل

جزاء عملها وافيا وهم لا يظلمون في الجزاء وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه
حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل
الله بهم نقمة فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين
قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها كانت
امنة من القتل والسبي مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن
والانزعاج والقلق مع الخوف ياتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من كل بلد
فكفرت بانعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع
نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس
المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها
في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها من طعم المر والبشع واما اللباس
فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث
واما الايقاع فلانه اذا اوقع على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى
منها ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولقد جاءهم
رسول منهم اي محمد عليه السلام فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي في
حال التباسهم بالظلم وقالوا انه القتل بالسيف يوم بدر وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجه الى اهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال
لهم بعد ان اذاقهم الجوع فكلوا مما رزقكم الله على يد محمد عليه السلام حلالا
طيبا بدلا مما كنتم تاكلونه حراما خبيثا من الاموال الماخوذة بالغارات
والغصوب وخبائث الكسوب واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون
تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاء ولهم
عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم
فقال انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم انما للحصر اي المحرم هذا دون البحيرة

وا خواننا و بافي الاية قد مر تفسيره ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هو منصوب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم من البهائم
بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي او الى القياس المستنبط منه
واللام مثلها في قولك لا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام
بدل من الكذب ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا
حلال وهذا حرام بلا تقولوا اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي ولا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول
تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج
بدعوى بلا برهان وقوله تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم
كانه عين الكذب فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته
بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام في لتفتروا
على الله الكذب من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم هو خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم
فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر الاية وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا
عليهم عقوبة على معاصيهم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة في موضع
الحال اي عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة
عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم من بعد التوبة ان ابراهيم كان امة انه كان وحده
امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع
العالم في واحد وعن مجاهد كان مومنا وحده والناس كلهم كفار او كان
امة بمعنى مأموم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير قانتا لله هو القائم بما امره
الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان معاذا كان امة قانتا لله فقيل له

انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله
وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ
امة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون حنيفا مائلا عن الاديان
الى ملة الاسلام ولم يك من المشركين يعني عند الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم
انهم على ملة ابيهم ابراهيم وحذف النون للتشبيه بحرف اللين شاكرا لانعمه لاني
انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من
الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فتخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان
وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة
نبوة واموالا واولادا وتنويه الله بذكره فكل اهل دين يتولونه او قول المصلي
منا كما صليت على ابراهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه
السلام واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة اتباع
رسولنا ملته انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي فرض عليهم تعظيمه
وترك الاصطياد فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
روي ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون
يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات
والارض وهو يوم السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم
في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم
في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم
بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما هو اهله ادع الى سبيل ربك
الى الاسلام بالحكمة بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق

الزايل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما
ينفعهم فيها اي بالقرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة والحكمة
المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة ان تخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة
وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من
غير فظاظة او بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى
المناظرة في الدين ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي هو اعلم بهم
فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول عقوبة والعقوبة هي الثانية للازدواج
الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى ان صنع
بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روي ان المشركين
مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم
حمزة مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر
عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهي عنها حتى
بالكلب العقور ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الضمير في لهو يرجع الى مصدر صبرتم
والمراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع
الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسوله عليه السلام
واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم
على الكفار ان لم يؤمنوا او على المؤمنين وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلو
بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ضيق مكي والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق
ويجوز ان يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم
فانه لا يتعدى عليك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي هو ولي الذين اجتنبوا
السيئات وولي العاملين بالطاعات وقيل من اتقى في افعاله واحسن في اعماله
كان الله معه في احواله ومعيته نصرته في المامور وعصمته عن المحظور سورة
الاسرى ي ايات على خلاف في بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات بصري

واحدى

316

واحدى عشرة كوفي بسم الله الرحمن الرحيم سبحان تنزيه الله عن السوء وهو علم
للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله
سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ الذي اسرى بعبده
محمد عليه السلام وسرى واسرى لغتان ليلا نصب على الظرف وقيده بالليل والاسرى
لا يكون الا بالليل للتأكيد وليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسرى وانه اسري به في بعض
الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة من المسجد الحرام قيل اسري به من دار ام هانئ
بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن
عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر
فانه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من
بيت المقدس وقد اخبر قريشا عن عيرهم وعدد جذوعها واحوالها واخبرهم ايضا
بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة
المنتهى وكانت الاسرى قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عائشة رضي الله
عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله
وعلى الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم الى المسجد الاقصى هو
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين
والدنيا لانه متعبد الانبياء ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية
والاشجار المثمرة لنريه اي محمدا عليه السلام من آياتنا الدالة على وحدانية الله
وصدق نبوته برؤيته السموات وما فيها من الآيات انه هو السميع البصير للاقوال
والافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا
ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة وآتينا موسى الكتاب
وجعلناه اي الكتاب وهو التوراة هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا الا يتخذوا
بالياء ابو عمرو اي لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم
ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او على النداء فيمن قرأ الا تتخذوا
بالتاء على النهي اي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح

إنه أي نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بال
ثناء على المنعم وروي أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله وأنتم
ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم وآية
رشد الأبناء صحة الاقتداء بسنة الآباء ووقوع قوم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الأبناء
كذلك وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أي
مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة والكتاب التوراة ولتفسدن جواب
قسم محذوف أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال
وأقسمنا لتفسدن في الأرض مرتين أولاهما قتل زكرياء وحبس أرمياء عليه السلام
حين أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكرياء وقصد قتل عيسى عليه السلام
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله إن فرعون علا في الأرض والمراد به
البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين فإذا جاء وعد أولاهما أي وعد عقاب
أولاهما بعثنا عليكم سلطنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد أشداء في القتال يعني
سنحاريب وجنوده أو بخت نصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد
وسبوا منهم سبعين ألفا فجاسوا خلال الديار ترددوا للغارة فيها قال الزجاج
الجوس طلب الشيء بالاستقصاء وكان وعدا مفعولا وكان وعد العقاب وعدا لا بد
أن يفعل ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم
ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم
وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل الكرة الدولة بقتل طالوت وقتل داود جا
لوت وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا مما كنتم وهو تمييز جمع نفر أو هو
من ينفر مع الرجل من قومه إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها قيل
اللام بمعنى على كقوله وعليها ما كسبت والصحيح أنها على بابها لأن اللام للا
ختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت أو سيئة يعني أن الإحسان
والإساءة مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم وعن علي رضي الله
عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها فإذا جاء وعد الآخرة أي المرة الآخرة
بعثناهم ليسوءوا أي هؤلاء وجوهكم وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أي ليـ

ليجعلوها

ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامي
وحمزة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث لنسوء علي وليدخلوا المسجد
أي بيت المقدس كما دخلوه أول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا مفعول ليتبروا أي ليـ
ـهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة
الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي وإن عدتم مرة ثالثة عدنا إلى عقوبتكم وقد
عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما سلط عليهم المؤمنون إلى يوم القيامة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
محبسا يقال للسجن محصر وحصير إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم للحالة التي هي
أقوم الحالات وأسدها وهي توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطر
يقة ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويبشر علي وحمزة أن لهم بأن لهم أجرا كبيرا
أي الجنة وأن الذين وبأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا أي أعددنا فقلبت ذالها لهم عذابا أ
ليما يعني النار والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكا
فرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير أي ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعوه لهم بالخير أو يطلب
النفع العاجل وإن قل بالضرر الآجل وإن جل وكان الإنسان عجولا يتسرع إلى
طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر أو أريد بالإنسان
الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته
الشدة وكان الإنسان عجولا يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك الآية فأجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع في الخط على موا
فقة اللفظ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين
كإضافة العدد إلى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي
النهار مبصرة أو وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا
آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الأشياء
رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا

من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين
عدد السنين والحساب يعني حساب الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف
الليل من النهار والسنين احدى من الكتبين والنهار وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم
ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا
وكل انسان الزمناه طائره عمله في عنقه يعني ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل
لا ينفك عنه ابدا ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه هو صفة الكتاب يلقاه منشورا
منشورا حال من يلقاه يعني غير مطوي ليمكنه قراءته او هما صفتان للكتاب ونقول له اقرا
كتابك اي كتاب اعمالك وكل يبعث قارئا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى
نفسك حسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا او بمعنى
الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وانما ذكر حسيبا
لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان يتولى هذه الامور الرجال فكانه قيل كفى
بنفسك رجلا حسيبا او نأول النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها اي فله ثواب الاهتداء وعليه وبال الضلال ولا تزر وازرة وزر اخرى
اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وما صح منا ان نعذب قوما عذاب استئصال في الدنيا الا بعد ان نبعث اليهم رسولا
فتلزمهم الحجة واذا اردنا ان نهلك قرية اي اهلها امرنا مترفيها متنعميها وجبابرتها
بالطاعة على لسان رسول بعث اليهم ففسقوا فيها اي خرجوا عن الامر كقولك امرته
فعصى او امرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب امرنا ومنه الحديث خير المال سكة مابورة
ومهرة اي كثيرة النسل فحق عليها القول فوجب عليها الوعيد فدمرناها تدميرا
فاهلكناها اهلاكا وكم مفعول اهلكنا من القرون بيان لكم من بعد نوح يعني
عادا وثمود وغيرهم وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
وان ارخوا عليهم الستور من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من الذي هو كائنا
العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منا في حياته فقط لمن نريد
فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون
ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه
فاجتمع عليه فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المومن التقي فقد اختار غنا الآخرة

قال

فان اوتي حظا من الدنيا فبها وان لا فله كل الغنى خير له ثم جعلنا له جهنم في الآخرة
يصلاها يدخلها مذموما ممقوتا مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى
لها سعيها هو مفعول به اي حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة وهو
مومن مصدق لله في وعده ووعيده فاولئك كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله
مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل
مصيب وتلا هذه الآية فانه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والاه
والسعي فيما كلف والايمان الثابت كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف
اليه وهو منصوب بقوله نمد هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا اي نمد هؤلاء وهؤلاء اي من اراد العاجلة
ومن اراد الآخرة من عطاء ربك رزقه ومن متعلق بنمد والعطاء اسم للمعطى اي نزيدهم من عطائنا
بلا ونجعل الآنف منهم موصلا للثاني لا للتفضل عليهم فيما زوي للمطيع والعاصي جميعا على وجه
التفضل وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده وان عصوا انظر بعين الا
عتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في المال والجاه والسعة والكمال وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا روي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر
رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما
اوتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب
عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر
لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به امته فتقعد مذموما
مخذولا فتصير جامعا على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محقرا وما
عرف ان به الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم
وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان مقابلة النصر وقضى ربك
وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا اياه ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا و
وبالوالدين احسانا احسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا
اما يبلغن عندك الكبر اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذا دخلت النون
المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا مكر

ولكراما تكي منه احدهما فاعل يبلغ وهو في قراءة حمزة وعلي يبلغان بدل من الف
الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا فلا تقل لهما اف
مدني وحفص اف مكي وشامي اف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر والكسر على اصل
التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لارادة التنكير اي اتضجر تضجرا وترك
التنوين لقصد التعريف اي اتضجر التضجر المعلوم ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه
مما لا يعجبك والنهي والنهر اخوان وقل لهما بدل من التافيف والنهر قولا كريما
جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب او هو ان يقول يا ابتاه يا اماه ولا يدعوهما باسمائهما
فانه من الجفاء ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر
كذا ومعنى عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده
في بيته وكنفه وذلك اشق عليه فهو مامور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا
يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه
في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر
في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع
احوال لا يكاد يصبر الانسان معها واخفض لهما جناح الذل اي اخفض لهما جناحك
كما قال واخفض جناحك للمومنين فاضافه الى الذل كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى
والمعنى واخفض جناحك الذليل من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما
وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج والن جانبك
متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولا تكتف
برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء
لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء
مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا كافرين له ان يسترحم لهما بشرط الايمان
وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضى الوالدين
وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق
ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة
يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا

جار

جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين ربكم اعلم بما في نفوسكم بما في ضمائركم
من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكراهة في خدمتهما ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تودي الى
اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا الاواب
الذي اذا اذنب بادر الى التوبة وجاز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب
منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى
منك حقه اي النفقة اذا كانوا محارم فقراء والمسكين وابن السبيل فيه وهو ان حقهم
من الزكاة ولا تبذر تبذيرا ولا تنفق في اسراف قيل التبذير تفريق المال في غير الحق والمحل
وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له
صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في
الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعو
نهم فيما يامرونهم به من الاسراف وكان الشيطان لربه كفورا فيما ينبغي ان يطاع لا يدعو الا مثل
فعله واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ابتغاء رحمة
من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا اي فان اعرضت عنهم لفقر وعدم رزق ترجو ان يفتح
لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له
فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر
الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم
من فضله كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له او
مصدر في موضع الحال وترجوها حال ايضا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط كل بسط على البصر لاضاقته البر وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وامر
بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف
غير مرضي عنده وعند الناس يقول الفقير اعطى فلانا وحرمني ويقول الغني ما يحسن
تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا
بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا اثر فيه اي ابلغه وبعير حسير بلا حسر راسه وقد حلقه

مسلمة ضربها اليهودية في انه اجود من موسى فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذي عليه
فرجع وقعد في بيته عريانا اذ قيمت الصلوة فلم يخرج للصلوة فنزلت ثم سلى رسوله عليه السلام
بقوله ان الذي يبسط لهو ان منك عليه ولا بخل به عليك ولكن بسط الارزاق وقدرها مفوض
الى الله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء فليس البسط اليك ويقدر اي هو يضيق على من يشاء
انه كان بعباده خبيرا بمصالحهم فيقتضيها بصيرا بحوائجهم فيقضيها ولا تقتلوا اولادكم
قتلهم اولادهم وادهم بناتهم خشية املاق فقر نحن نرزقهم واياكم نهاهم عن ذلك وضمن
ارزاقهم ان قتلهم كان خطئا كبيرا اثما عظيما يقال خطئ خطئا كاثم اثما اخطأ ... وهو
ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطاء بالمد وبالكسر
مكي ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة قبيحة والمبالغة وقد في ... وهو نهي عن دواعي الزنى
كالمس والقبلة ونحوهما ولو اريد النهي عن نفس الزنى لقال ولا تزنوا انه كان فاحشة
معصية مجاوزة حد الشرع والعقل وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق اي بان تكاد ما يبيح الدم ومن قتل مظلوما غير مرتكب ما يبيح
الدم فقد جعلنا لوليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه فلا يسرف في القتل
الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية او لا يسرف
المثلة او الضمير للقاتل الاول فلا تسرف بحمزة وعلي على خطاب الولي او قاتل المظلوم
انه كان منصورا الضمير للولي اي حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد
على ذلك او للمظلوم اي الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة
بالثواب او للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على
المسرف وفي هذه الاية دليل على ان القصاص يجري بين الحر والعبد وبين المسلم والذمي
لان انفس اهل الذمة والعبيد داخلة في الاية لكونها معصومة ولا تقربوا مال اليتيم الا با
لتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ
اشده اي ثماني عشرة سنة واوفوا بالعهد باوامر الله تعالى ونواهيه ان العهد كان مسؤولا
مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او ان صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا
الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس بكسر القاف حمزة وعلي وحفص وهو كل ميزان صغر
او كبر من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون القبان المستقيم المعتدل ذلك

خير

خير في الدنيا واحسن تأويلا عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف
ما ليس لك به علم ولا تتبع ما لا تعلم اي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن
ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم احدا بما لا تعلم ولا يصح التشبث به لمبطل
الاجتهاد لان ذا نوع من العلم فان علمه ... اقام الشارع غالب الظن
مقام العلم وامر بالعمل به كما في الشهادات ولذا في العمل بخبر الواحد كما ذكرنا قبل
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا اولئك اشارة الى السمع والبصر
والفؤاد لان اولئك كما تكون اشارة الى العقلاء تكون اشارة الى غيرهم كقول جرير
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع
الرفع بالفاعلية اي كل واحد كان منها مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالم
غضوب في غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى
ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف وفيه نظر
لبعضهم لان الجار والمجرور يقوم مقام الفاعل اذا تأخر عن الفعل فاما اذا تقدم
فلا ولا تمش في الارض مرحا هو حال اي ذا مرح انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا
بدوسك لها وشدة وطئك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
او ولن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل او المفعول كل ذلك كان سيئه كوفي وشامي
على اضافة سيء الى ضمير كل سيئة غيرهم عند ربك مكروها وهذا لان السيئة
في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار لتأنيثه ولا ان...
تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيء
وبعضها حسن ولذا قرأ من قرأ سيئة بالاضافة اي ما كان من المذكور سيئا كان عند
الله مكروها وهذا مما وجب ... من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاط به ما نهي عنه خاصة
لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها
اخر الى هذه الغاية مما اوحى اليك ربك من الحكمة مما يحكم العقل بصحته وتصلح
النفس باسوته ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا
مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة اية كانت
في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر واخرها مدحورا

وقد جعلته جل فعتها وختمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها
ومن عدمه لم ينفعه حكمة وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلا
سفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله
افاصفاكم ربكم بالبنين الهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا
بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف
الحكمة وما عليه معقولكم والعبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء واصفاها ازدوها واذلها
السادات انكم لتقولون قولا عظيما حيث اضفتم اليه الاولاد وهي من خواص الاجسام
ثم فضلتم عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ولقد صرفنا في هذا القرآن اي التنزيل
والمراد ولقد صرفنا فيه هذا المعنى في مواضع من القرآن بل فيه التضمير لانه معلوم ليذكروا
وبالتخفيف حمزة وعلي اي ليتعظوا وما يزيدهم الا نفورا عن الحق قل لو كان معه آلهة كما
تقولون وبالياء مكي وحفص اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية
سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض وليتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشر
كين وجزاء للو سبحانه وتعالى عما يقولون وبالياء حمزة وعلي علوا اي تعاليا والمراد البراءة
من ذلك والنزاهة كبيرا وصف العلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به تسبح
وبالياء عراقي غير ابي بكر له السماوات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده اي
يقول سبحان الله وبحمده عن السدي قال عليه السلام ما اصطيد حوت في البحر ولا طير يطير الا
بما يضيع من تسبيح الله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم لاختلاف اللغات او لتعسر الادراك او
بسبب تسبيح الناظر اليه والدال على الخير كفاعله والوجه الاول انه كان حليما عن جهل العباد
غفورا الذنوب المؤمنين واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
ذا ستر او حجابا لا يرى فهو مستور وجعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان وهو الذي يستر الشيء
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا يمنع عن الاستماع واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهو مصدر ساد
مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا ولوا على ادبارهم رجعوا على اعقابهم نفورا
مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان يذكر معه آلهتهم لانهم مشر
كون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به اي نحن اعلم بالحال او الطريقة

التي

التي يستمعون القرآن بها هازئين لاهين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين به يستمعون في محل
نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به
اذ هم ذوو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن انظر
كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
اي فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه ولا يقدر عليه فهو متحير في
امره لا يدري ما يصنع وقالوا اي منكروا البعث أئذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا
جديدا اي مجددا او خلقا حالا اي مخلوقين قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في
صدوركم اي السماوات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله تعالى خلقكم ويرده
الى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي
يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يرده الله بقدرته الى الحالة الاولى بل لو كنتم ابعد شيء
من الحياة وهو ان تكونوا حجارة او حديدا لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة فسينغضون
اليك رؤوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو اي البعث استبعادا
له ونفيا قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب وعسى للوجوب يوم يدعوكم الى المحاسبة
وهو يوم القيامة فتستجيبون بحمده اي تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير
ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا
اي لبثا قليلا او زمانا قليلا في الدنيا او في القبر وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين
الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم وهو ان يقولوا يهديكم الله ان الشيطان ينزغ
بينهم يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع
الشر وافساد ذات البين وقراءة طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا ظاهر العداوة او فسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالهداية
والتوفيق او ان يشأ يعذبكم بالخذلان اي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا
لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر
وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وما ارسلناك عليهم وكيلا حافظا لاعمالهم
وموكولا اليك امرهم وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم وامر اصحابك بالمداراة وربك

اعلم بمن في السموات والارض وبما يستاهل كل واحد منهم ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض فيه اشارة الى تفضيل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وءاتينا داوود زبورا في الاية
اشارة الى تفضيله وانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داوود وقال الله
تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد
وامته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل
وفضل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه الاية المعنى مرد ودون الله وهم الملائكة او عيسى وعزير او قوم
من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعر بهم الاخرون فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اي لا يقدرون ان
هم على دفعه عنكم ولا يكشفوا عنكم الضر من مرض او جوع او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى اخر
اولئك الذين يدعون يعني الذين يدعونهم الكفار او يعبدونهم والضمير في يبتغون الى ربهم الوسيلة يعني الى
الهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل ايهم بدل من واو يبتغون بالوسيلة [ايهم]
معنى يحرصون على ذلك فكل واحد منهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير ولا سيما
ويكون ايهم يحرص وهو اقرب منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او يحرص ايهم يبتغون الوسيلة
معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة
كان ذلك في الكتاب مسطورا في اللوح المحفوظ مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك
في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها فتصيبهم
فيهلك اهلها واما بلخ فيصيبها العدو واما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون واما
صغانيان فالروم فيقتلون ويحل بهم ريح واما السمرقند فيغلب عليها بنو قنطورا
فيقتلون اهلها قتلا ذريعا وكذلك غانة والشاش واشبيليا وخوارزم واما بخارى
فهي ارض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا واما مرو فيغلب عليها الرجال ويهلك جهال
العلماء والعباد واما هراة فيمطرون بالحجارة فتهلكهم كلها واما نيسابور فيصيب
اهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك اكثرهم واما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم
وبالارمينية واذربيجان فيهلكون بما تحت سنابك الخيل والجيوش والصواعق والرواجف
واما

واما همدان وحلوان والديلم تدخلها وتخربها واما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح
اهلها قردة وخنازير ثم تخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهلها وويل لاهل
دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس واما سجستان فيصيبهم
ريح عاصف ايام ثم هدة تاتيهم فيموتون فيها الحديث واما كرمان واصبهان وفارس فيأتيهم
عدو وطم وصيحة تخلع القلوب وتموت الابدان وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها
الاولون استعير المنع لترك ارسال الايات وان الاولى مع صلتها في موضع النصب لانه مفعول
ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها في موضع الرفع لانه فاعل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال
الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء
الموتى وغير ذلك وسنة الله في الامم ان من اقترح منهم ءاية فاجيب اليها ثم لم يومن ان يعاجل
بعذاب الاستيصال فالمعنى وما منعنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها
الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب
اولئك وعذبوا بالاستيصال وقد حكمنا ان نوخرامر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر
من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي
ناقة صالح لان اثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال
وءاتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة ءاية بينة فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل
بالايات ان اراد بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب
العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى
وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القرءان وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب
الاخرة وهو مفعول له واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس علما وقدرة
فكلهم في قبضته فلا تبال بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة فتحه ويبشر بالحماية
بدر والنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره ولعل
الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر
الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش

بما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أوري في منامه من مصارعهم وكانوا
يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء والشجرة الملعونة في القرآن أي وما
جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس فإنهم حين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم
طعام الأثيم جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت
فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره إذ لا يمتنع أن يجعل الله الشجر من جنس
لا تأكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت
في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر
فلا يضرها وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى
أن الآيات إنما نرسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا
بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال ونخوفهم أي بمخاوف الدنيا والآخرة
فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون
من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الإسرا
ء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وإنما سماها رؤيا على قول المكذ
بين حيث قالوا لعلها رؤيا وإنما الاستبعاد منهم كما سمى أشياء بأسمائها عند الكفرة
كقوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي أو هي رؤياه أنه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحد
يبية وإن قلت ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعونة آكلوها
وهم الكفرة لأنه قال فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون فوصفت بلعن أهلها
على المجاز والعرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولأن اللعن هو الإبعاد من
الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا هو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد
على أأسجد له وهو طين أي أصله طين قال أرأيتك الكاف لا موضع لها لأنها ذكرت للخطاب
تأكيدا وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته
منه علي وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ما تقدم عليه
ثم ابتدأ فقال لئن أخرتن وبالياء كوفي وشامي واللام موطئة للقسم المحذوف إلى يوم القيامة
لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم بإغوائهم إلا قليلا وهم المخلصون فقيل من كل ألف واحد وإنما
كان

كان علم الملعون ذلك بالإعلام أو لأنه رأى أنه خلق شهواني قال اذهب ليس من الذهاب
الذي هو ضد المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما
جره سوء اختياره فقال فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم والتقدير فإن جهنم جزاؤهم
وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب جزاء موفورا موفرا بإضمار
تجازون واستفزز استزل واستخف استفعل أي استخفهم والفز الخفيف من استطعت
منهم بصوتك بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار وأجلب عليهم اجمع وصح بهم
من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك راكب وماشيهم من أهل العبث فالخيل الخيالة
والرجل اسم للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب
وتاعب ومعناه وجمعك الرجل أي افعل ما تستطيع في [illegible] الخيل والرجل وقيل
يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجل وشاركهم في الأموال والأولاد قال الزجاج كل معصية
في مال وولد فإبليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق
في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد
العزى وعبد شمس وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأ
نساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وهو
تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب إن عبادي الصالحين ليس لك عليهم سلطان بتبديل
الإيمان ولكن بتسويل العصيان وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك
أو حافظا لهم عنك والكلام هنا تهديد فيعاقب به أو إهانة أي لا يخلق الله فيك ما يكون ربكم الذي
يزجي يجري ويسير لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله يعني الربح في التجارة إنه كان بكم
رحيما وإذا مسكم الضر في البحر أي خوف الغرق ضل من تدعون إلا إياه ذهب عن أوهامكم
كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه أو ضل من تدعون من الآلهة
عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم إلى البر أعرضتم
عن الإخلاص بعد الخلاص وكان الإنسان أي الكافر كفورا للنعم أفأمنتم الهمزة للإنكار
والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض أن يخسف
بكم جانب البر انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالأرض في قوله فخسفنا به وبداره
الأرض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه والحاصل أن الجوانب

كلها في قدرته سواء وان في كل جانب من اكنانه وجرا سببا من اسباب الهلاك ليس جانب
البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف وهو تغييب
تحت الثرى والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوا
نب وحيثما كان او يرسل عليكم حاصبا وهو الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم
يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم
اي او امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم
منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا من الريح وهي الريح التي لها قصيف
وهو الصوت الشديد او هو الكاسر الفلك فيغرقكم بما كفرتم بكفرانكم النعمة وهو اعراضكم
حين نجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبة
والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار
من جهتنا ان يخسف او يرسل او يعيدكم فيرسل فيغرقكم بالنون مكي وابو عمرو ولقد كرمنا
بني ادم بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش
والمعاد وبالاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدي وعن الرشيد انه احضر طعاما
فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف رحمه الله تعالى فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت
الملاعق فردها واكل باصابعه وحملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن ورزقناهم
من الطيبات باللذيذات او بما كسبته ايديهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي على الكل
كقوله واكثرهم كاذبون قال الحسن اي كلهم وقوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا ذكر في
الكشاف ان المراد بالاكثر الجميع وشبه السلام المومن على الملك من الملائكة وهذا
لانهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفي البهائم شهوة بلا عقل وفي الآ
دمي كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو اكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله
فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه يوم ندعوا منصوب باذ
كر كل اناس بامامهم الباء للحال والتقدير مختلطين بامامهم اي بمن ائتموا
به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب
كذا

كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر
فمن اوتي كتابه من هؤلاء المدعوين بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم ولما قيل
اولئك لان من في معنى الجمع ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء
ولم يذكر الكفار واوتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله ومن كان في هذه الدنيا اعمى
فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى اي اضل طريقا والاعمى مستعار
ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد
النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل
بدليل عطف واضل سبيلا ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما ولان افعل
التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلم تقبل الامالة
واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف فقبلت الامالة واما
حمزة وعلي فقد اما لهما والباقون فتحوهما ولما قالت قريش اجعل اية رحمة عذاب واية عذاب
اية رحمة حتى نومن بك نزل وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة
بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي
اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتتقول
علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا واذا لاتخذوك
خليلا اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي
ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل اليهم
شيئا قليلا ركونا قليلا وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت اذا لاذقناك لو قاربت تركن اليهم
ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر
مضاعفين لعظم ذنبك لشرف منزلتك ونبوتك كما قال يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة
مبينة واصل الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب
الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الاخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف
بالضعف كقوله فاتهم عذابا ضعفا في النار اي مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف
الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت

من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب
المضاعف في الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله ولما نزلت
كان عليه السلام يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم لا تجد لك علينا نصيرا محيلا للدفع
عنه ابدا عنه وان كادوا اي اهل مكة ليستفزونك وتخليك بمعونتهم بعداوتهم ومكرهم من الارض
من ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك بعدك اي بعد اخراجك الا
قليلا كوقع بغير اي بكر وتلاعني بمعناه الا قليلا زمانا قليلا فان الله يهلكهم وكان كما قال
فلقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل او معناه ولو اخرجوا لاستوصلوا عن بكرة
ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب او من ارض المدينة سنة
من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فسنة الله
ان يهلكهم ونصبه نصب المصدر المؤكد اي سن الله في السنة ولا تجد لسنتنا تحويلا
تبديلا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها وعلى هذه الاية جامعة للصلوات الخمس او نحو
وبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر الى غسق الليل هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء
وقرآن الفجر صلوة الفجر وانما هو القراءة لطول بها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو
حجة على ابي الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن او سمية في ان الصلوة قرانها وهو عطف على الصلوة
ان قرآن الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة
ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد والتهجد ترك الهجود للصلوة ويقال في النوم
ايضا تهجد به بالقرآن نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوة الخمس ووضع نافلة موضع
تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما واحد والمعنى ان التهجد
زائد لك على الصلوات المفروضة فريضة لك او فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصبه على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيامة فيه
فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل
عليه الاخبار او هو مقام يحمده فيه لواء الحمد وقل رب ادخلني مدخل صدق هو مصدر اي ادخال
حسنا القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات واخرجني مخرج صدق اي اخراجا حسنا منه عند
البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من الملامة دليله ذكره على اثر ذكر البعث
وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة او هو عام في كل ما يدخل

فيه

فيه ويلابسه من امر او مكان واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على
من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر فاجابه الله تعالى وقل جاء الحق
الاسلام وزهق ذهب وهلك الباطل الشرك او جاء القرآن وهلك الشيطان ان الباطل كان
زهوقا كان مضمحلا في كل اوان وننزل وبالتخفيف ابو عمرو من القرآن من للتبيين ما هو شفاء
من امراض القلوب ورحمة وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب للمؤمنين وفي
الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد الظالمين الكافرين الا خسارا ضلالا لا
لتكذيبهم به وكفرهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله او انعمنا
بالقرآن اعرض ونأى بجانبه تاكيد للاعراض عن الشيء اي يوليه عرض وجهه والناي بالجانب
ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لانه عادة المتكبرين ونآء
بالامالة حمزة وبكسرها على واذا مسه الشر الفقر والمرض او نازلة من النوازل كان يئوسا
شديد اليأس من روح الله قل كل اي كل احد يعمل على شاكلته على مذهبه وطريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد مذهبا وطريقة
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي اي من امر يعلمه ربي الجمهور على ان الروح
الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه وعن ابي
بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم الروح وقد عجزت الاوايل عن ادراك
ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة في ذلك تعجيز العقل
عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه اعجز ولذا رد ما قيل
في حده انه جسم رقيق هوائي في كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم
من الملك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام دليله نزل به الروح الامين
على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ولانه يحيي به القلوب
ومن امر ربي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروي ان اليهود قالوا لقريش
ان يسألوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عن الكل او سكت عن الكل
فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعني اهو مخلوق

لا وقوله من امر ربي دليل خلق الروح فكان هذا جوابا وما اوتيتم من العلم الا قليلا الخطاب
عام فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب
ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نوت من العلم الا قليلا وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم
قالوا للنبي عليه السلام قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية فالحكمة
التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة
الوحي وغيره بالصبر على دني الحرمان على السؤال بقوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لنذهبن
جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان هي موطئة للقسم والمعنى ان شئنا
ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي
ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك
ان فضله كان عليك كبيرا اي الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون
على الاستثناء المنقطع اي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء
القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء
لقلنا مثل هذا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا معينا ولا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا
للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا
بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله ولقد صرفنا رددنا وكررنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه فابى اكثر الناس الا
كفورا جحودا وانما جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان ابى
متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه
المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج
المتحير وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا وبالتخفيف كوفي من الارض ارض مكة ينبوعا
عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء او تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر والتشديد هنا مجمع عليه لقوله الانهار خلالها وسطها

تعجيبا

تعجيرا او تسقط السماء بفتح السين مدني وعاصم اي قطعا وقال اي طبق كسفة
من هذا الثوب وبسكون السين غيرهم جمع كسفة كسدرة وسدر جنوب قوله ان نشا
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي
بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة
قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا ومقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وعن ابن عباس او تنزل
علينا الملائكة او يكون لك بيت من زخرف ذهب
او ترقى في السماء تصعد اليها ولن نؤمن لرقيك لاجل رقيك حتى تنزل علينا وبالتخفيف ابو عمرو
كتابا من السماء فيه تصديقك نقروه صفة كتابا قل قال مكي وشامي اي قال الرسول
سبحان ربي تعجب من اقتراحهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا اي انا رسول كسائر الرسل
بشر مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات
الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس يعني اهل مكة ومحل ان يؤمنوا
نصب بانه مفعول ثان لمنع اذ جاءهم الهدى النبي والقرآن الا ان قالوا فاعل منع والتقدير
وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة محمد عليه السلام الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا
اي الا شبهة تمكنت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله
للانكار وما انكروه فقضية حكمته منكر ثم رد الله تعالى عليهم بقوله قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من
اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين حال اي ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم الى الرشد واما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم
للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا حالان من رسول
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم
شهيدا تمييز انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم بصيرا بافعالهم
فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة ومن يهد
الله فهو المهتدي وبالياء يعقوب وسهل وفي الوصل ابو عمرو ومدني في الوصل اي ومن يوفقه الله
لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله ومن يضلل اي ومن يخذله ولم يعصمه
حتى قبل وساوس الشيطان فلن تجد لهم اولياء من دونه اي انصارا ونحشرهم يوم القيامة

مشيا على وجوههم اي يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم عميا
وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه
عنهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا
ينطقون بما يقبل منهم ماواهم جهنم كلما خبت طفئ لهيبها زدناهم سعيرا توقدا ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
اي ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الفناء فجعل الله جزاءهم ان سلط النار
على اجزائهم تاكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد في تحسرهم على تكذيبهم
البعث اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
من الانس وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابى الظالمون الا كفورا
جحودا مع وضوح الدليل لو انتم تملكون تقديره لو تملكون تملكون لان لو تدخل على الافعال
دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فاضمر تملك على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل
وهو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل
المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب واما ما يقتضيه علم البيان
فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس المختصون بالشح المتبالغ
خزائن رحمة ربي رزقه وسائر نعمه على خلقه اذا لامسكتم خشية الانفاق
اي لبخلتم خشية ان يفنيه الانفاق وكان الانسان قتورا بخيلا ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل و
الضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسراءيل وعن الحسن الطو
فان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور فسئل بني اسراءيل فقلنا له
سل بني اسراءيل اي سلهم عن فرعون وقل له ارسل معي بني اسراءيل او قالها اذ جاءهم متعلق
بالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم موسى فقال له فرعون اني لاظنك
يا موسى مسحورا سحرت فخولط عقلك قال اي موسى لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء
الايات الا رب السموات والارض خالقهما بصائر حال اي بينات مكشوفات ولكنك معاند
ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على اي انا لست بمسحور
كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض ثم قارع
ظنه بظنه بقوله واني لاظنك يا فرعون مثبورا كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك

مثبورا

مثبورا وظني اصح من ظنك لان امارة ظنك ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك
لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني
لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك
عن هذا اي ما منعك وصرفك فاراد فرعون ان يستفزهم يخرجهم اي موسى وقومه
من الارض ارض مصر او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل او بالاستئصال فاغرقناه ومن معه
جميعا فحاق به مكره بان استفزه الله بالاغراق مع قبطه وقلنا من بعده من بعد فرعون
لبني اسراءيل اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة
اي القيامة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم
واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القران
الا بالحكمة وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير
وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين قال الراوي اشتكى محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به
الى طبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا الى اين
فقلنا الى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله
بعدو الله اضربوه على الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع
الوجع وقل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك
فاخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت
وقال كان ذلك الخضر عليه السلام وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار
وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه اي فصلناه او فرقنا فيه الحق من الباطل
لتقراه على الناس على مكث على تؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا
به او لا تؤمنوا اي اختاروا لانفسكم النعيم المقيم او العذاب الاليم ثم علل بقوله
ان الذين اوتوا العلم من قبله اي التوراة من قبل القران اذا يتلى عليهم القران يخرون
للاذقان سجدا حال ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا كقوله امنوا به
او لا تؤمنوا اي اعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقران فان خيرا منهم

وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب فآمنوا به وصدقوه وإذا يتلى عليهم خروا سجدا وسجدوا لله
تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد عليه السلام
وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور بمعنى انه وهي توكيد الفعل كما ان
توكيد الاسم وكما اكدت ان باللام في انهم لمحضرون واكدت ان باللام في لمفعولا ويخرون
للأذقان يبكون ومعنى الخرور للأذقان السقوط على الوجه وإنما خص الذقن لأنه أقرب الأشياء
من وجه الإنسان إلى الأرض عند السجود الذي يخر على وجهه وعلى ذقنه وخر لذقنه
ولوجهه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه
به لأن اللام للاختصاص وكرر يخرون للأذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كو
نهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ويزيدهم أي القرآن خشوعا لين قلب
ورطوبة عين قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن لما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن قال إنه ينهانا
أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر فنزلت وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن
وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأو للتخيير
أي سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين في أياما تدعوا عوض من
المضاف إليه وما زيدت للتوكيد وأيا نصب بتدعوا وهو مجزوم بأي أي أي هذين الاسمين
ذكرتم وسميتم فله الأسماء الحسنى والضمير في له يرجع إلى ذات الله تعالى والفعل الذي هو جواب
الشرط أي أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا
حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها
مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف
المضاف لأنه لا يلتبس إذ الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذ
كار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا
وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت بها
حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا أو معناه ولا
تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل
وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعمت
اليهود والنصارى وبنو مليح ولم يكن له شريك في الملك كما زعم المشركون ولم يكن له
ولي من الذل لم يذل فيحتاج إلى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته

وكبره

وكبره تكبيرا وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبي عليه السلام الآية
آية العز وكان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية سورة الكهف

سورة الكهف

مائة وإحدى عشرة آية وقيل وعشر آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على
عبده محمد عليه السلام الكتاب القرآن لقن الله تعالى عباده وفقههم كيف يثنون عليه
ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد عليه السلام
من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم ولم يجعل له عوجا أي شيئا من العوج والعوج في المعاني
كالعوج في الأعيان يقال في رأيه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض
عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة قيما مستقيما وانتصابه بمضمر وتقديره جعله فض
قيما لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج
وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود
له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيما على سائر الكتب
مصدقا لها شاهدا بصحتها لينذر أنذر متعد إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم
عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا بأسا عذابا شديدا وإنما اق
تصر على أحد مفعولي أنذر لأن المنذر به هو المسوق إليه فاقتصر عليه من لدنه صا
درا من عنده ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أي بأن لهم أجرا حسنا
أي الجنة وبينت حسنه وعلى ما أكثر حال من الضمير في لهم فيه في الآخرة وهو الجنة أبدا وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا فذكر المنذرين دون المنذر به عكس الأولى استغناء بتقدم ذكره
ما لهم به من علم أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل
مفرط فإن قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت
معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل
بالطريق الموصل إليه أو لأنه في نفسه محال ولا لآبائهم المقلدين كبرت كلمة نصب على
التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع إلى قولهم
اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها تخرج من أفواههم صفة الكلمة
تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيرا مما يو
سوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكر لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون
عليه فكيف بمثل هذا المنكر إن يقولون إلا كذبا إن يقولون ذلك إلا كذبا هو صفة

لمصر يعرضون اي فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اي آثار الكفار شبههم
واياه حين تولوا عنه ولم يومنوا به وما داخله من الاسف على توليهم برجل فارقه
احبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم
ان لم يومنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن والاسف المبالغة
في الحزن والغضب انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي ما تصلح ان تكون زينة لها ولاهلها
من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الذي هو ترك ما
عنى ان يشغله ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا ارضا
ملساء جرزا يابسة لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء مخصبة والمعنى نعيدها بعد عمارتها
خرابا باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين
الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن قال ام حسبت
ان اصحاب الكهف والرقيم يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طو
يلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم او قريتهم او اسم كتاب كتب فيه نسب
هم او اسم الجبل الذي فيه الكهف كانوا من آياتنا عجبا اي كانوا آية عجيبة من الآيات وصف
بالمصدر او على ذات عجب اذ اي اذكر اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه
من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقوله
وآتنا منك ارشدا او يسر لنا طريق رشاد فضربنا على آذانهم في الكهف اي ضربنا عليهم حجابا
من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذي هو
الحجاب سنين عددا ذوات عدد او معدودة لتكثير قال الزجاج اي تعد عددا لكثرتها
لان القليل يعلم مقداره من غير عد واذا كثر عد واما دراهم معدودة فهي على القلة
لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم ايقظناهم من نومهم لنعلم اي الحزبين
المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك في قوله قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم احصى
لما لبثوا امدا غاية واحصى فعل ماض وامدا ظرف لاحصى او مفعول له والفعل الماضي خبر
المبتدأ وهو ايهم والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى ايهم ضبط امدا لاوقات

لبثهم

لبثهم او احاط علما بامد لبثهم ومن قال احصى افعل من الاحصاء وهو العد فقد حاد لان بناءه
من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس وانما قال لنعلم مع انه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ما
تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا وليكون لطفا لمومني زمانهم وآية
بينة لكفاره او المراد لنعلم اختلافهم موجودا كما علمناه قبل وجوده نحن نقص عليك نباهم
بالحق بالصدق انهم فتية جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم
واستعمال المكارم وقيل الفتى من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل آمنوا بربهم وزدناهم
هدى يقينا وكانوا من خواص دقيانوس فقذف في قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا
وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كل منهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان مع الفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم
على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة
حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فقالوا ربنا رب السماوات والارض لن ندعو من دونه
الها ولو سميناهم الهة لقد قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد
فيه من شط يشط ويشطط اذا بعد هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبر وهو
اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم بسلطان بين بحجة
ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صمموا على الفرار
بدينهم وما يعبدون نصب عطفا على الضمير اي واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم
الا الله استثناء متصل لانهم كانوا يعبدون الخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة
او منقطع واذا اعتزلتم الكفار والاصنام التي يعبدونها من دون الله او كلام معترض
اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فأووا الى الكهف صيروا اليه
واجعلوا الكهف ماواكم ينشر لكم ربكم من رحمته من رزقه ويهيئ لكم من امركم
مرفقا مرتفقا من نوم وشراب وكلما يرتفق به او ينتفع وانما قالوا ذلك ثقة بفضل الله
وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوح يقينهم او اخبرهم به نبي في زمانهم
او كان بعضهم نبيا وقرأ الشاميان ونافع مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر
غير هو واصله ... او مجموع باب علو ... والتوسعة ... والكلام ...

الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق عن كهفهم اي تميل عنه
ولا يقع شعاعها عليهم ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين
واذا غربت تقرضهم تقطعهم اي تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم في فجوة
منه في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها
ولا غروبها مع انهم في مكان متسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها
عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب
الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة
وغاربة آية من آيات الله يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم
اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة
ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شانهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد
مثل ما مر به سبحان وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فار
شدهم الى نيل تلك الكرامة السنية ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اي من اضله فلا هادي له
وتحسبهم بفتح السين شامي وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة وهو خطاب لكل احد
ايقاظا جمع يقظ وهم رقود نيام قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك
ايقاظا ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة
في يوم عاشوراء وكلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان
في معنى المضي بالوصيد بالفناء او العتبة لو اطلعت عليهم لو اشرفت عليهم فنظرت اليهم
لوليت منهم لاعرضت عنهم وهربت منهم فرارا منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم
فررت منهم ولملئت منهم وبتشديد اللام حجازي للمبالغة رعبا تمييز وبضم العين شامي وعلي
وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وذلك لما البسهم الله من الهيبة او لطول اظفارهم
وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا فقال
ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك لوليت منهم فرارا فارسل جماعة فلما دخلوا
حرقتهم ريح وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اظهارا للقدرة
على الاماتة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا
ويشكروا ما انعم الله به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم كم مدة لبثكم قالوا لبثنا

يوما

يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب قالوا ربكم اعلم بما لبثتم بمدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كانهم قد علموا
بالادلة او بالالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا
الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفا
رهم واشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما على ان الصحيح ان عدد
هم سبعة لانه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما
او بعض يوم وهو جمع واقله ثلاثة ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخرين فصاروا
سبعة فابعثوا احدكم كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر
مما يهمكم فابعثوا احدكم اي يمليخا بورقكم هو الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة
ويسكن الراء ابو عمرو وحمزة وابو بكر هذه الى المدينة هي طرسوس وحملهم الورق
عند فرارهم دليل على حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين
على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين
الى بيت الله ويقول ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر ايها
اي اي اهلها فحذف كما في واسأل القرية وايه مبتدأ وخبره ازكى احل واطيب او اكثر
وارخص طعاما تمييز فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من
امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن
ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه
والضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها ان يظهروا عليكم يطلعوا عليكم يرجموكم
يقتلوكم اخبث قتلة او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه ولن تفلحوا اذا ابدا اذن جواب على الشرط
ولن تفلحوا ان دخلتم في دينهم ابدا وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم
لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلموا اي الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله
وهو البعث حق كائن لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث
وان الساعة لا ريب فيها وانهم يستدلون بامرهم على صحة البعث اذ يتنازعون متعلق
باعثرناهم عليهم حين يتنازع اهل ذلك الزمان بينهم امرهم امر دينهم ويختلفون
في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم

يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة
فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا
اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت
تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا
ربهم اعلم بهم او من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم قال الذين غلبوا على امرهم
من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن عليهم على باب الكهف
مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا
وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس
فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب
فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني
اني احب احباء الله تعالى فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على
دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على اذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح
مومن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق
بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يظهر لهم الحق فالقى الله في نفس رجل
من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة
من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه انه
وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه
وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم
فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين
للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم
كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم
كلبهم الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم

في

في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم وروي ان السيد والعا
قب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب
الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب
وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة
وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما ذكر ذلك من قبل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا و
مكسلمينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش
وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة والسابع الراعي الذي وافقهم
حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير وسين
الاستقبال عام في الاول دون الاخرين لادخال الاخرين في حكم السين كقولك قد اكرم و
انعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا او ان يجعل معنى الاستقبال الذي هو صالح
له ثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلاثة وكذا خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم
جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذا سادسهم كلبهم وثامنهم
كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون
به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن
مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة
الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا
عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف وفائدتها توكيد لصوق
الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت
بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما غيرهم
والدليل ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله قل ربي
اعلم بعدتهم ان قل ربي اعلم بعدتهم وقد اخبر بها بقوله سبعة وثامنهم كلبهم
ما يعلمهم الا قليل قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من اولئك القليل وقيل الا قليل
من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب
فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم
فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا مراء ظاهرا الا جدالا ظاهرا غير متعمق

فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم او يشهده الناس ليظهر
صدقك ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت ليدحض قوله تشنيعا
فتهدي عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم
ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك غدا اي فيما يستقبل من الزمان
ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله او تقول الا ان تعود لك فيه او ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي
الا بمشيئته وهو في موضع الحال اي الا متلبسا بمشيئة الله او بجعله الا بمشيئة الله تعالى وهذا
نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه واذكر ربك اي مشيئة
ربك وقل ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم ذكرته والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت
تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن ما دام في مجلس الذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء واما الاستثناء المغير حكما فلا يصح
الا متصلا وحكي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الا
ستثناء فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان
افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وامر الطاعن فيه بالاخراج
من عنده او معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا
في الحث على الاهتمام بها او صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها او اذا نسيت شيئا فاذكره
ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا يعني اذا نسيت شيئا فاذكر ربك
وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا
او ادنى خيرا او منفعة يهديني ويوتيني ويعلمني مكي وافقه ابو عمرو ونافع في الوصل
ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم هذه المدة
وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان
لثلاث مائة ثلاث مائة بالاضافة حمزة وعلي على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله
بالاخسرين اعمالا وازدادوا تسعا اي تسع سنين لان ما قبله يدل عليه وتسعا مفعول
به لان زاد يقتضي مفعولين فازداد مفعولا واحدا قل الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم من
الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به او هو حكاية لكلام اهل الكتاب
وقل الله اعلم رد عليهم والجمهور على ان هذا اخبار من الله سبحانه انهم لبثوا في كهفهم

كذا

كذا من له غيب السموات والارض ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والارض وخفي فيها من
احوال اهلها ومن غيرها ابصر به واسمع اي ابصر به واسمع به والمعنى ما ابصره لكل موجود وما اسمعه
لكل مسموع ما لهم لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه
احدا في قضائه منهم ولا تشرك على النهي شامي كانوا يقولون ائت بقران غير هذا او بدله فقيل
له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك اي من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل لا مبدل
لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا
تعدل اليه ان هممت بذلك اي بالتبديل ولما قال عيينة من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
نح هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك
نزل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم واحبسها معهم وثبتها بالغداة والعشي دائبين على الد
عاء او في مجامع اوقاتهم او بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشي لطلب عفو التقصير
او في صلوة الفجر والعصر بالغدوة شامي يريدون وجهه رضا الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم
ولا تجاوز عيناك اذا جاوزته وعدي بعن لتضمين عدا معنى نبا في قولك نبت عنه عينه وقرئ
بالتضعيف عدا مجموع معنيين وفي الحالين من اعداه معنى في تريد زينة الحيوة الدنيا
في موضع الحال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل
لنا على انه تعالى خالق افعال العباد واتبع هواه وكان امره فرطا مجاوزا عن الحق
وقل الحق من ربكم اي الاسلام والقرآن والحق خبر مبتدأ محذوف اي هو فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر اي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ
في طرق النجاة او في طرق الهلاك بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما
شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال
انا اعتدنا هيانا للظالمين للكافرين وقيد بالسياق ثم رتب حقيقة الامر والتخيير
بالسياق وهو قوله انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه ما يحيط بهم من
النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط او دخانها يحيط بالكفار
قبل دخولهم النار او حائط من نار يطيف بهم وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل
هو دردي الزيت او ما اذيب من جواهر الارض وقيل الصديد يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب
انشوى الوجه من حرارته بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهو مشا
المشاكلة لقوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار وجزاء من اختار الايمان

ثم قال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم
جنات عدن كلام مستانف فيه بيان للاجر المبهم ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك
خبرين معا والمراد من احسن منهم عملا كقوله السمن منوان بدرهم ولك ان من احسن عملا
والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير
تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من للابتداء وتنكير اساور وهي جمع
اسورة جمع سوار لابهام امرها في الحسن من ذهب من للتبيين ويلبسون ثيابا خضرا
من سندس ما رق من الديباج واستبرق ما غلظ منه اي يجمعون بين النوعين متكئين فيها
على الارائك خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم نعم الثواب الجنة وحسنت
اي الجنة والارائك مرتفقا متكئا واضرب لهم مثلا رجلين ومثل حال المومنين والكافرين
بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه فطروس والاخر مومن
اسمه يهوذا او هما المذكوران في الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا
من ابيهما ثمانية الاف دينار فجعلاها شطرين فاشترى الكافر ارضا بالف دينار فقال المومن
اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق
به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج
اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا
بالف دينار فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته
حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق
بماله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار
المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى
مفعول فيزيده الباء مفعولا ثانيا وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات
والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع
الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها حمل على اللفظ لان لفظ
كلتا مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز اكلها ثمرها ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها
شيئا وفجرنا خلالهما نهرا اي كان النهر يجري في داخلهما بوسط الثمار وتمام ذلك كان من غير نقص ثم ما هو اصل

الخير

333

الخير وما خلفه من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيهما
وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره اي كانت له الى
الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما ثمر وثمر
بضمتين بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم ابو عمرو وبضمهما غيرهما
فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعني قطروس اخذ بيد
اخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريهما ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه انا اكثر
منك مالا واعز نفرا انصارا وحشما واولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث
ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ضار لها بالكفر قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا ان تهلك
هذه الجنة شك في بيودة جنته لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة
وترى اكثر الاغنياء من المسلمين ينطق لسان حالهم بذلك وما اظن الساعة قائمة
كائنة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا واقسم منه على انه ان رد الى ربه
على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء
لكرامته عليه ومكانته عنده فقلبا مرجعا وعاقبة قال له صاحبه
وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان اصل خلقه سبب في خلقه
وكان خلقه خلقا له ثم من نطفة اي خلقك من نطفة ثم سواك رجلا عدلك وكملك
انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لكنا هو الله ربي
في الوصل فلاحق الباقون بغير الالف وبالالف في الوقف اتفاقا واصله لكن انا
فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فادغمت الاولى
في الثانية بعد ان سكنت وانا هو الله ربي هو ضمير الشان والشان الله ربي وجملة
خبر انا والراجع منها الى انا الضمير وهو استدراك لقوله اكفرت قال لاخيه انت
كافر بالله لكني مومن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف اي
اقول الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا وهلا اذ دخلت جنتك قلت
ما شاء الله ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره
الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء
شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله
منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى

وان امهلها بقاه ان يشاء ابقاها كما علومرية وان يشاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان
ما قويت على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتيسيره من قوله ان ترن انا اقل منك مالا
بنصب اقل وفتح جعل انا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعول
مفعول الثاني لترني في قوله وولدا ينص من فسر النفر بالولد في قوله وانا اعز نفرا فعسى ربي
ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في العقبى ويرسل عليها حسبانا عذابا من السماء
فتصبح صعيدا زلقا ارضا يزلق فيها لو مشى عليها لملاستها او يصبح ماؤها غورا غائرا اي
ذاهبا في الارض فلن تستطيع له طلبا فلا تقدر ان تطلبه فضلا عن الوجود والمعنى ارجو ان
اغنى منك واثاب انه وقع من صنع الله ان يقلب ما بي من الفقر والعجز في ... الاعادة حسنة خيرا
من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك واحيط بثمره هو عبارة عن اهلاكه
واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به قهره واهلكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك
فاصبح اي الكافر يقلب كفيه يضرب احداهما على الاخرى ندما وتحسرا واعلم ان تقليب
الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف
والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق
فيها اي في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها
على الارض وسقطت فوقها الكروم ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه
فعلم انه اتي من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه
حين لم ينفعه التمني ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان
ولم تكن له فئة ينصرونه يقدرون على نصره من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته
لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لحكمة وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق بفتح الواو والولاية بكسر الواو حمزة وعلي وهي بالفتح
النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال
النصرة لله وحده ولا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة
ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب او في مثل تلك الحال الشديدة
يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ
اليها فقالها جزعا مما دهاه ولولا ذلك لم يقلها او هنالك الولاية لله ينصر فيها
اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه
المؤمن وصدق قوله فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء

ويعضده

234

ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه او هنالك اشارة الى الاخرة اي في
تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله الحق بالرفع ابو عمرو وعلي صفة الولاية
او خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او هو الحق وبالجر صفة لله عقبا بسكون القاف
عاصم وحمزة وبضمهما غيرهما وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء اي هي كماء انزلناه فاختلط به نبات
الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا او نجع في النبات الماء فاختلط به
حتى روي ورف فاصبح هشيما يابسا متكسرا الواحدة هشيمة تذروه الرياح تفرقه وتنقله
الى حيث شاءت وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا شبه حال
الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والافناء بحال النبات يكون اخضر
ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن المال والبنون زينة الحياة الدنيا لا زاد القبر وعدة العقبى
والباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان او الصلوات الخمس او سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا جزاء وخير املا لانه وعد صادق واكثر
الامال كاذبة يعني ان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة ويوم واذكر يوم
نسير الجبال تسير الجبال مكي وشامي وابو عمرو اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل
هباء منبثا وترى الارض بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار
وحشرناهم اي الموتى فلم نغادر منهم احدا فلم نترك يقال غادره اي تركه ومنه الغدير لانه
ماء غادره السيل وعرضوا على ربك صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم
كما يرى كل واحد منهم لا يحجب احد احدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عاملا في يوم
نسير كما خلقناكم اول مرة اي لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة او جئتمونا
عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا او اعادة او ما كان ... وحشرناهم ماضيا بعد نسير
وترى للدلالة اولا واعادة ثانيا ... وحشرناهم ماضيا للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
وقبل البروز ليعاينوا ما وعد لهم ... بل زعمتم ان لن نجعل
لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور او مكانا
وعد المحاسبة ووضع الكتاب اي صحف الاعمال فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه
من الذنوب ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها

شيئا من المعاصي إلا أحصاها حصرها وضبطها ووجدوا ما عملوا حاضرا
في الصحف عتيدا أو جزاء ما فعلوا ولا يظلم ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد
في عقابه أو يعذبه بغير جرم وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية أو سجود
انحناء فسجدوا إلا إبليس كان من الجن هو مستأنف كأن قائلا قال ما له لم
يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه خرج عن أمر ربه بترك السجود
وهو دليل على أنه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة أفتتخذونه وذريته الهمزة
للإنكار والتعجيب كأنه قيل أعجب ما وجد منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني
وتستبدلونهم بي ومن ذريته لاقيس موسوس الطهارة وولهان موسوس الصلاة
والأعور صاحب الزنا وثبر صاحب المصائب ومسوط صاحب الأراجيف وداسم
يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى وهم لكم عدو أعداء بئس للظالمين بدلا إبليس البدل
من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله ما أشهدتهم أي إبليس وذريته
خلق السماوات والأرض يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما يكونون
شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم
شهودا هم خلق السماوات والأرض لأعتضد بهم في خلقها أو أشاورهم فيه أي تفردت
بخلق الأشياء وأوجدتها في العبادة ولا خلق أنفسهم أي ولا أشهدت بعضهم
خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم وما كنت متخذ المضلين أي وما كنت متخذهم
عضدا أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا
لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة ويوم يقول الله للكفار وبالنون
حمزة أي ادعوا ليغيثوكم عن الشركاء الذين زعمتم أنهم شركاء ليمنعوكم من
عذابي وأراد الجن وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخا لهم فدعوهم فلم يستجيبوا
لهم وجعلنا بينهم موبقا مهلكا من وبق يبق وبوقا إذا هلك أو مصدر كالموعد
أي وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد
مشترك يهلكون فيه جميعا أو الملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد
أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان ورأى المجرمون
النار فظنوا أيقنوا أنهم مواقعوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها

عن

عن النار مصرفا معدلا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل يحتاجون إليه في
وكان الإنسان أكثر شيء جدلا تمييز أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل وجدلها
واحد خصومته ومماراته بالباطل يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء وما منع
الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى أي بسببه وهو الكتاب والرسول ويستغفروا
ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب أن الأولى نصب والثانية رفع
وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار
أن تأتيهم سنة الأولين وهي الهلاك وانتظار أن يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة
قبلا كوفي أي أنواعا جمع قبيل الباقون أي عيانا وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
ومنذرين يوقف عليه ويستأنف عليه بقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل هو قولهم
للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك ليدحضوا به
الحق ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة واتخذوا آياتي القرآن وما أنذروا ما موصولة
والراجع من الصلة محذوف أي وما أنذروه من العقاب أو مصدرية أي وإنذارهم
هزؤا موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة حمزة وبإبدال الهمزة واوا حفص
وبضم الزاي والهمزة غيرهما ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فأعرض عنها
فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها
ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم
مطبوع على قلوبهم بقوله إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أغطية جمع كنان وهو
الغطاء أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا عن استماع الحق وجمع بعد الإفراد
حملا على لفظ من ومعناه وإن تدعهم إلى الهدى إلى الإيمان فلن يهتدوا إذا أبدا فلا يكون
منهم اهتداء البتة إذا جزاء وجواب أبدا مدة التكليف كلها وربك الغفور ذو الرحمة
البليغ المغفرة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
أي ومن رحمته ترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسوله عليه
السلام بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجأ
يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ وتلك مبتدأ القرى صفة لأن أسماء الإشارة
توصف بأسماء الأجناس والخبر أهلكناهم أو تلك القرى نصب بإضمار أهلكنا
على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم لما ظلموا كقوم نوح وعاد

ويقوه لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا
معلوما لا يستاخرون عنه كما ضرب لاهل مكة يوم بدر والمهلك اهلاكهم ووقته
وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما ابو بكر اي لوقت هلاكهم او لهلاكهم
والموعد وقت او مصدر واذكر اذ قال موسى لفتاه هو يوشع بن نون وانما قيل
لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وياخذ عنه العلم لا ابرح لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة
الحال والكلام عليه اما الاول فلانهما كانا حال سفر واما الثاني فلان قوله حتى ابلغ مجمع
البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ
مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر وهو ملتقى بحري فارس
والروم وسمي خضرا لانه انما يصلي يخضر ما حوله او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا قيل
هو ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا
بها بعد هلاك القبط سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي
عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي
علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك
من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند
الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه
اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر
فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا
رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه بنفسه فقال يا
موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما بلغا
مجمع بينهما مجمع البحرين نسيا حوتهما اي نسي احدهما وهو يوشع لانه كان صاحب
الزاد دليل قوله نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما نسياه متزودا له قيل
كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة
روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء فاتخذ سبيله في البحر اي اتخذ [illegible] من البحر
الى البحر سربا نصب على المصدر اي سرب فيه سربا يعني دخل فيه واستتر به فلما جاوزا
مجمع البحرين الى وقت الغداء من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة يعني موضع
الموعد

الموعد فاني نسيت الحوت ثم افتقدته وفقدت النسيان وبضم الهاء حفص الا
الشيطان بالقاء الخواطر في القلب ان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اي وما
انساني ذكره الا الشيطان واتخذ سبيله في البحر عجبا اتخاذا عجبا وهو ان اثره
بقي الى حيث سار قال ذلك ما كنا نبغ نطلب وبالياء مكي وافقه ابو عمرو
وعلي ونافع في الوصل وبغير ياء فيهما غيرهم اتباعا لخط المصحف وذلك
اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلبه لان ذهاب الحوت كان علما
على لقاء الخضر عليه السلام فارتدا على اثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا
فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا
عبدا من عبادنا اي الخضر راقدا تحت ثوب او جالسا في البحر اتيناه
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة او العلم او طول الحياة وعلمناه من لدنا علما
يختص بنا الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الالهام قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد به في ديني رشدا
ابو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد ان يترك
طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وان يتواضع لمن هو اعلم منه قال انك لن تستطيع
معي وبفتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه السورة صبرا اي عن الانكار
والسؤال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا تمييز نفي استطاعة الصبر معه على
وجه التاكيد وعلله بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل
الصالح لا يتمالك ان يصبر اذا رآها لا سيما اذا كان قال ستجدني ان شاء
الله صابرا معك غير منكر ولا معترض ولا اعصي لك امرا في محل النصب عطفا
على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او هو عطف على ستجدني ولا محل له قال
فان اتبعتني فلا تسالني بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي وبسكون اللام
وتخفيف النون غيرهما والياء ثابتة فيهما اجماعا عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
اي فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك
وجه صحته فانكرته في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون
انا الفاتح عليك وهذا من اداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا

حتى اذا ركبا في السفينة خرقها ما ابتدأ خشبة علي ساحل البحر يطلبان السفينة فلما
ركبا اهلها سال اهلها ان يحملوهم اللصوص من ان صاحب السفينة ادى وجوه دار الشيء تحملوا
بغير نول فلما لجج واخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها
مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ثم قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت
شيئا امرا اي عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا فلما راى موسى ان الخرق لم يدخل فيه
الماء ولم يضر السفينة قال لا تواخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته
نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة او اراد بالنسيان الترك اي
لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني
واراهقني اياه ولا تحمل علي امرا من امري وهو اتباعه اياه ولا تعسر علي متابعتك
علي بالاغضاء وترك المناقشة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل ضرب براسه
الحائط وقيل اضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء
لان خرقها جعل جزاء الشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال
اقتلت نفسا زكية وانما خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب
القتل لقاء الغلام زاكية حجازي وابو عمرو وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها
طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت او لانها صغيرة ولم تبلغ الحنث بغير نفس اي لم
يقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه
كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت
من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل لقد جئت شيئا نكرا وبضم الكاف حيث كان
مدني وابو بكر وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق
اهل السفينة او معناه جئت شيئا انكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد والقتل
لا يمكن تداركه قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد لك لانه نقض العهد مرتين
قال ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني فلا تقاربني في الصحبة لدني
عذرا اعذرت فيما بيني وبينك في الفراق بتخفيف النون مدني وابو بكر فانطلقا حتى
اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية او ايلة وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما

اهلها

اهلها استضافوا فابوا ان يضيفوهما ضيفه انزله وجعله ضيفه قال عليه السلام
كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي تبخل بالقرى فوجدا فيها في القرية جدارا
طوله مائة ذراع يريد ان ينقض يكاد يسقط استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة
كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال وكانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لحتهما الحاجة الى اخر كسب
المرء وهو المسالة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان
ومساس الحاجة ان قال لو شئت لتخذت عليه اجرا اي لو طلبت على عملك جعلا حتى
نستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء واظهار الذال بصري ومدغما
مكي وبتشديد التاء وفتح الخاء واظهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء
وادغام الذال في التاء غيرهم والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع
من تبع وليس من الاخذ في شيء قال هذا فراق بيني وبينك هذا اشارة
الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق او الى الوقت اي هذا وقت فراق بيني وبينك
وقد اضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به سانبئك بتاويل
ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها
ذات عيب وكان وراءهم ملك امامهم او خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما
كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى ياخذ كل سفينة غصبا
اي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر
او مفعول له فان قلت قوله اردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها
فكان حقه ان يتاخر عن السبب قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية واما
الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما
وكان اسمه الحيسور فخشينا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما
بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت
مؤمنين طاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما
بضلاله فيرتدا بسببه وهوم كلام الخضر واما على ان الخشية من الله
تعالى اي علم تعالى واطلعه على سر امره وان كان من قول الله تعالى فمعنى فخشينا

وجملتها ان علمنا ان يصير بسبيل الكفر والفرية فاردنا ان يبدلهما ربهما بولد لهما مومن
وابو عمرو خيرا منه زكاة طهارة ونقاء من الذنوب واقرب رحما رحمة وعطفا زكاة
ورحما بمعنى وردانه وليرى لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا وسبعين نبيا
او ابدلهما ابنا مومنا مثلهما رحما شامي واما الجدار فكان لغلامين اصرم وصريم
يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة وكان تحته كنز لهما اي لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت
لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
او مال مدفون من ذهب وفضة او صحف فيها علم والاول اظهر وعن قتادة احل
الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا وكان ابوهما قيل جد
هما السابع صالحا ممن يحفظ وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض
الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله كنز الغلامين قال بصلاح ابيهما قال وابي
وجدي خير منه فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم ويستخرجا كنزهما رحمة
مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما من ربك وما فعلته
وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي وانما فعلته بامر الله والهامه يجوز ان
الكل الى الجواب في الكل اي الاجوبة الثلاثة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا
حذف التاء تخفيفا وقد زل اقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جلي
حيث قالوا امر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي والجواب ان الخضر كان نبيا
وان لم يكن كما زعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام على ان اهل الكتاب
يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال
ان يكون الولي وليا الا بايمانه بالنبي [illegible] بالنبي دون الولي ولا غضاضة في
طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم مطلوبة وانما ذكر [illegible]
اعترض في الظاهر وهو حق وبالنكير اراد ربك لانه انكار الخضر غير
معذور المشي وتاويل فاردت فاردنا فاراد انه اقتضاه من حيث الفعل وانظر من حيث التاويل
وقال الزجاج معنى فخشينا فعلمنا واراد الله عز وجل ومثله في القران كثير

ويسلونك

ويسلونك اي اليهود على جهة الامتحان او ابو جهل واشياعه عن ذي القرنين
هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مومنان ذو القرنين وسليمان وكافران
نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض
واعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من
امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه
انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة
الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين
وفيكم مثله اراد نفسه قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه
الله تعالى وقال عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها
شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان او انقرض في وقته قرنان
من الناس او لانه ملك الروم وفارس او الروم والترك او كان لتاجه قرنان
او على راسه ما يشبه القرنين او كان كريم الطرفين اباه وامه وكان من الروم
قل ساتلوا عليكم منه من خبر ذي القرنين ذكرا انا مكنا له في الارض جعلنا له فيها
له فيها مكانته واستيلاء واتيناه من كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده
في ملكه سببا طريقا موصلا اليه فاتبع سببا والسبب ما يتوصل به الى المقصود
من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك
اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا فاتبع ثم اتبع
كوفي وشامي الباقون بوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعي اتبع لحقه واتبع
اقتفى وان لم يلحقه حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى العمارة نحو المغرب
وكذا المطلع قال عليه السلام بدا بزمانه وجد في الكتب ان احد اولاد سام
يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته
فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين وجدها تغرب في عين حمئة ذات حماة
من حمئت البير اذا صارت فيها الحماة حامية شامي وكوفي غير حفص بمعنى
حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس

في عين حمئة قال فانها تغرب الله ورسوله اعلم قلت اين تغرب هذه فقال ابو ذر حين غابت
وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة
فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا فقال كما يقرا امير المومنين ثم وجه الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول
ابن عباس رضي الله عنهما ولا تنافي فجاز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا ووجد
عندها عند تلك العين قوما عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ
البحر وكانوا كفارا فقلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا اي خيره
بين ان يعذبهم بالقتل ان اصروا على امرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا بالكرامة وتعليم الشرائع ان امنوا
او التعذيب او التخويف القتل واتخاذ الحسنى الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان قال
ذو القرنين اما من ظلم وسوف نعذبه بالقتل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا في القيامة
يعني اما من دعوته الى الاسلام فابى الا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو
المعذب في الدارين واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى علما بمقتضيات الايمان
اي فله جزاء الفعلة الحسنى جزاء ونقول له من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب
الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغيرها ثم اتبع سببا حتى اذا
بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم هم الزنج لم نجعل لهم من دونها سترا من
الشمس يستتر اي ابنية عن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت
الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم او الستر اللباس عن مجاهد
لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك
اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفنا تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه
من الجنود والالات والعدد والاسباب مما يقصر عنه الوصف خبرا اي احطنا علما خبرا
او بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها او تطلع على قوم مثل ذلك
القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في كفرهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه
لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من امن منهم ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ
بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين وسدا
مكي

مكي وابو عمرو وحفص والسدين وسدا بالضم في يس وعلى وحمزة بفتحهما فيهما وقيل ما كان
مسدودا خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب
بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر بالاضافة في هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع
في لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظرفا وهذا المكان في
منقطع ارض الترك مما يلي المشرق وجد من دونهما من ورائهما قوما هم الترك لا يكادون
يفقهون قولا لا يكادون يفقهونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها لا يفقهون حمزة وعلي اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة
قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج هما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وهمز همزهما
عاصم فقط وهما من ولد يافث او ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون
في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون
شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه ولا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ولد
ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار
مفرطو القصر فهل نجعل لك خرجا خراجا حمزة وعلي اي جعلا نخرجه من اموالنا
ونظيرهما النول والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني بالادغام
وبفكه مكي فيه ربي خير اي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون
لي من الخراج فلا حاجة لي اليه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء
والعمل وبالالات اجعل بينكم وبينهم ردما جدارا وحاجزا حصينا موثقا والردم
اكبر من السد اتوني زبر الحديد قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة وقيل حفر الاساس
حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بينهما الحطب والفحم حتى سوى بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا
صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض
وصار جبلا صلدا وقيل حتى اذا ساوى بين الصدفين
بفتحتين جانبي الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان الصدفين مكي وبصري وشامي
الصدفين ابو بكر قال انفخوا اي قال الذي للعمال انفخوا في الحديد حتى اذا جعله
اي المنفوخ فيه وهو الحديد نارا كالنار قال اتوني افرغ عليه قطرا
نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه

فيهم اجزيهم هاول لولا الثالث علم قال ابوه توصلها الى ... واذا اثبتوا اكثر الخالق
الى حيوته ثم السطا وتحدر الماء المحمى لا زالك في بينه المخرج من الطاه ان يحفظهم و
ان يعلوا السور و ما استطاعوا له نقبا اي لا سبيل فيه من صعود الارتفاع والانقب لصلابته
تقواه ... قال هذا رحمة من ربي اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقرار
والتمكين ... فاذا جاء وعد ربي اي اجله ووقت خروجهم على الناس قبيل قرب يوم القيامة ... جعله دكاء
جعله اي السد دكاء اي مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض ... انهم بعوا ان يبقى
وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة ... وكان وعد ربي حقا ... الفريقين والآيات
وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج في بعض مختلطين ... بعضهم في بعض ويختلطون
انفسهم وحيثهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون
حين يخرجون مما وراء السد في حيز البلاد ويروى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه
ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون ان يأتوا
مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عليهم دابة فتدخل في آذانهم فيموتون
ونفخ في الصور للقيامة فجمعناهم اي جميع الخلائق للثواب والعقاب جمعا
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا واظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها وهم
الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي عن آياتي التي ينظر اليها واذكر بالتعظيم
او عن القرآن وتأمل معانيه وكانوا لا يستطيعون سمعا اي وكانوا لصممهم عنه
ابلغ اذ الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح عليه وهؤلاء كأنهم اصمت اسماعهم
عنهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني
اولياء اي افظن الكفار اتخاذهم عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام
اولياء نافعهم بئس ما ظنوا وقيل ان يتخذوا سد مسد مفعولي افحسب ...
واولياء مفعولا ان يتخذوا وهذا اوجه يعني انهم لا يكونون لهم اولياء انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا اي هيأناها لهم وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاخسرين اعمالا جمع والقياس الافراد لتنوع الاعمال
...وهم اهل الكتاب او الرهبان الذين ضل سعيهم ضاع وبطل وهو في
محل الرفع اي الذين في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك
الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزنا